

الْمُبَشِّرُ كَانَ شَيْخًا

بِهِ تَسْلِيمٌ

خَلَدُوكُودَ عَلَى

الْأَنْ، الْأَنْ

أَعْلَمُ الْمُكَافِفِينَ

المذكورة

كتاب

رقم الايداع
٢٠١٠/٢٧٧٥

الْمَذْكُورَاتُ
بِحَمَّةِ

مُحَمَّدٌ كُرَدِيٌّ عَلَىٰ

الْبَعْضُ الْثَالِثُ

أَضْفَاءُ التِّسْلِيفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كُلُّ أَضْوَاعِ التِّسْلِيفِ

لِلشَّيْرِ وَالثَّوْرِيِّ

لِصَاحِبِها



الرياض - الربوة - المأوى الشعبي - مجمع ١٥ ص ١٢٩٨١

الرمز ١١٧٦١ - ٤٣٢١٠٤٥ - جوال ٥٥٤٨٠٣٨٨



محمد كرد علي

المذكرات



الجزء الثالث

لصفو الحياة بجاهل أو غافل عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغاط في الحقائق نفسه ويسمها طلب الحال فطبع
«التنبي»

الملكية أم الجمهورية

منذ تخلص ظل الدولة العثمانية عن ولايتها العربية بعد الحرب العالمية الأولى ، كان بعض من يتساءل بالسائل السياسية يسألوني رأي في الجمورية والملكية ، وأيتها أولى أن ينادي بها في أمة تحاول ان تختار لها من نظام الحكم الأنسب ، وتنهي الاندماج في ذمة الدول المدنة ذات السيادة ، فكنت أحار في الجواب ، وكثيراً ما استعفي من الجهر بما لا يكون منه إلا الوقوع في خطأ يتناقل ، وإذا ألمت بالإجابة فيكون جوابي بشيء من التردد لا القطع ، وربما عدت على نفسي باللاتمة لأنني لم أرضعها اضطررت إلى التصریح به على البادية ، وقد يتخلل ما قلت أمور ينافقها الشاهد ، ومسألة جد خطيرة ، وهي ذات شقين متناقضتين ، ووجهين غير متشاكلين .

للجموية حسناً ولها سبات ، وللملكية حسناً ولها سبات . أما البشر فسائر نحو الأنظمة الحرة ، متى خير لا يختار غيرها ، كما هو سائر نحو الاشتراكية والشيوعية ، متبرم من الرأسمالية . الجمورية نسخت قانوناً عيناً وأدت بقانون كان نتيجة ارتقاء العلم وكثرة التجارب ، ويقوم الحكم الجموري على دعائم من الحرية ضرورة لقيام أمير الجماعة . والملكية نظام لا بد فيه من إغماض الطرف عن بعض الحريات .

الجموية نظام شعبي طريف ، والملكية نظام تغلب تلبد ، الجمورية بالانتخاب وفيها تجدد ، والملكية بالوراثة متسللة من الأب إلى الابن أو من الملك إلى أقرب الولد للجد ، الأولى يطبع إليها كل من يحسن استهلاة قلوب الشعب ، والثانية تم بالإقرار للملك وآله بالصدارة وأحق المكتسب ، والملك دمز أمه وعظمتها وتاريخها أكثر من رئيس الجمهورية . ارتقى البشر في ضروب أخرى حتى ليظهر اليوم كراحته للنظام الملكي ، لأن هذا يتطلب من الشعوب أن يعطوا الطاعة فقط ، والنظام

الجمهوري يمنع القائلين بما يشتهون . الملك مثل شعبه أبداً بسلطة لا نهاية لها ، ورئيس الجمهورية يمثلها بسلطة مؤقتة محدودة . الملك يختار رجاله على الأغلب من أرباب البيوت القديمة ، أكثر مما يعني الرئيس بذلك . ولا يكون حزب هذا على الأكثر إلا سواد الشعب ، وقد يكون اعتماده على السطات والأرذل .

تقوم الجمهورية على الأمل والتجدد ، والملكية على الرضا بما جرى الاصطلاح عليه ، الأولى تثلج جديداً متبايناً عن روح الماضي ، والثانية صورة من حور القديم قد تصبغ بصبغة الحديث . والملك في ملك كالأخ في بيته وبخاصة إذا كان من اتقنوا صناعته ، وعرف ما ينفع أمهه ويضرها ، والرئيس أشبه بوصي أخذ على نفسه أن يكفل يتامى حتى يشبوا ويقووا . والملكية المقيدة نافعة إذا حسن انتخاب مجلس أكثر من الملكية المطلقة التي لا يخلو القائم بها من لوثة استبداد ، وإنما الدستوري أقرب إلى قلوب أمه من الملك استبد ، فهذا لا يحب إلا رداء ، وشنان بين من تخضع له مختاراً ، ومن خضوعك له عن رهبة أو رغبة . والطاغوت من الملوك يختار لخدمته من يجيد الملق له ، وقد يُتعي من رجاله من يصدقه وينصح له . ولو اعتبرت الكفاءة في انتخاب الملوك كما هو مذهب المعزلة لرجحت الملكية على الجمهورية .

الملكية تؤثر الملكة شيئاً من الاستقرار ، وهو من أهم العوامل في نفحة الملك ، وربما رجحت كفة الملكية على الجمهورية إذا كانت من يتولى الملك ملكاً استوفى صفات الملك الحازم ، وهذا لا يتأنى كل حين ، والغالب أن يخلف الملك العظيم من ليس من عياره . وإذا زعم بعضهم أن الملكية تبذل الأموال ، فالجمهورية لا تقصر عنها في هذا الباب ولكن على طريقة أخرى ، أي بفتح الاعتمادات والإيفال في تضخم الموازنات ، والمال إلى الإسراف واحد ، وإنما الاختلاف في الأسماء . وفي الملكية تسرق أموال الأمة بلا قانون ، وفي الجمهورية يلبسون السرقات بصبغة قانونية كمن يحتال على الزنا بصبغة من الحيل الشرعية . وفي الملكية

تكثر الشهوات ، ويستكثر الملك وآله من الاستمتاع بالنماء بما يخرج عن التعد ، فيتناسل الأبناء وأبناء الأبناء ويكتثرون كثرة يدخل الخلن على إدارة الملك . وفي الجمهورية يكثر الفسق يعني أنصارها لمسؤولية الوصول إلى المال وعدم المبالاة في الإسراف فيه ، ولا يقتديم شرع ولا تنشر قلوبهم الحوف . وفي الجمهوريين من يحاولون أن يفتوا في أسرع وجه ، يغشون فرصة مقامهم القليل في الحكم . أما الملك فغيري ، وآماله في الملك أطول ، أن المملكة مزرعته ، ومن شأن مالك التزمرة أن يحمي جده إنسانها وحيوانها ، ويدفع عنها ما يجعل خرابها ، ولسان حال الملكي : كان أبي وبهذا ظبوري ، ولسان حال الجمهوري : أنا واضح أساس مجدي . في الحكم الملكي يكثر الزهو والبذخ ، والحكم الجمهوري أقرب إلى الطبيعة الساذجة وقد لا تقل الجمهورية عن بذخ الملكية في بعض البلاد . إذا ابتليت مملكة بذلك يحسن اهدم ولا يحب التعمير ، ويستبد ولا يمُرَف العدل ، يستبد بلاء أهلاً ولا ينقدر من طغيانه إلا الثورة غالبًا ، والثورة لا تحمد مغبته ، الثورة تنتهي بقتل الملك وإهلاكه آله ومن ينتبه إليه بصلة الحكم ، كما حصل في اليمن مؤخرًا وما أغني عن الإمام ما جمع من مال وما سدَّ من منافذ النور على شعبه . أما رئيس الجمهورية فهما استبدَّ كان من ورائه قانونه لا يمتع بنصبه أكثر من بضع سنين ، وبنقل هذه البواعث نرى اليوم عدد الجمهوريات في العالم يزيد وعدد الملكيات ينقص . والفرد مظنة الاستبداد أبداً ، والحكومة النيابية منها دخلها الفساد أقرب إلى العدل والعقل .

محاجتنا النيابية

لما عهد إلى السيد سالازار بوزارة مالية البرتغال اشترطت شرطين أحدهما ألا تعتمد الحكومة في موازنتها مالاً لتعريفه في الانتخابات ، والثاني ألا تنفق وزارة من الوزارات شيئاً دون إشرافه على صرفه ، وبذلك استقامت موازنة البرتغال ، وكانت منذ مئة سنة من الموازنات التي لم يتعادل دخلها وخرجها . وشرع الوزير ورصفاؤه بمشاريع شفوا بها اليد العاملة ، فغمرت ملكتهم وصلحت حال أهلها .

أما حكومات الشرق العربي السارية على النظام النيابي فتعتمد باللغة عربية للانتخابات لتضمن لها الأكثريّة في المجلس ، ويتدوم حكمها ويخنق منافسوها ، ولا يغزو بالنيابة فيها على الغالب إلا الجاهل الذي يستجدي الأصوات أو يتبعها وعند نفسه انه يفادي بالائمة ليحصل على الألوف ، وغايته أن يقعد على مقاعد المجلس ويرفع يده بأملاكه على آراء جماعته . وقد رأيت أصنافاً من النواب كان من اعظم الجرائم توسيع هذه المهمة الشريفة لهم ، فنهم الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب ومنهم من دأب طول حياته على التجسس لكل صاحب سلطة ، ومنهم من سعى بشباب قومه وشهد فيهم الشهادات التي ساقتهم الى تحفهم ، عين نائباً مراعاة خاطر أحد ذوي قرباه من ساسة لبنان ، فجلس بعض سنين في كرسى النيابة ولم يؤثر عنده ان قال كلمة في المجلس ، وقصاراه أن يقبض الراتب ، وإذا عبد اليه أمر افسده ، وإذا وصلت الى يده اموال ابتليها وكان سهراً لطلاب الوظائف يعين لكل وظيفة ثناً ، ورأيته نائباً آخر غرق في الجاسوسية للغرب وكان آلة شر في احدى الثورات وقتل كثيراً من الأبرياء بأيدي سادته الذين تطوع في خدمتهم ، ولا شأن له اليوم إلا إمداد بعض المقامات العالمية بالأخبار التي يتناولون إلى سماعها كأنه

بعض رجال الأمن والباحث . ومن خلا ذهنه من معانٍ الحرية كيف تطالبه بإقامة صرحاً والعمل لما يصلحها ، ويكتفي أن يقال إن هذا النائب لا يعرف الفرض الذي جاء لأجله ، وليس له مزية من مزايا الرجال . ولو قد كتب لك أن تطّارحه الحديث في أبسط المسائل اتيتني مبلغه من العقل والمعرفة ولأبيقتك أنه من مملكته العامة ولبدة الأمينة البغيضة .

حقيقة إن الحكم النيابي الذي أتنا به الغرب ينطوي على سخف كبير ، وحكم يقوم على مثل هؤلاء النواب لا ينشأ عنه غير الخلل في إدارة الدولة وسياستها ، وفي الغالب إذا اجتمع جماعة لامر عام ان يفلوا طريق الصواب ويتبع قويم ضعيفهم وعاليمهم جاهمهم وان كان الحق مع هذا القوي وهذا العالم ، ويكون القول الفصل للتراث لا لصاحب الأناء والتعقل ومجالس مؤلفة من مثل هذه الاعضاء المؤوفة يلي فيها الشياطين ارادتهم والباقيون يؤمنون على كلامهم بلا فهم من أضعف المجالس .

حاول أحد النواب وضع اقتراح في المجلس يفيد العدالة ، وذاك بامتاع القضاة بالخصانة القضائية ، ووافقه على رأيه خطأً أكثر من أربعين نائباً فلما نظر وزير العدل إلى التآمر بين ساعة المناقشة في الموضوع نظرة فبموا منها التهديد امتنعوا عن إعطاء الرأي ونسوا تعهدهم لوزيلهم ، ذلك لأنّهم قضوا في المحاكم إذا أغضبوا الوزير يخسرونها ، وهم من لأنهم غير مصالحهم الخاصة ، ولو كان ما يقررونه قميناً باه يعيد العدل العربي إلى الأرض .

فإي نفع يأتي على مثل هذه الأيدي ؟ وهل يطيب لحكومة تحترم نفسها أن تصل إلى الحكم بواسطة أمثال هؤلاء الجهلاء ومن اختاروهم من العامة في المدن والقرى ؟ واقسم بالله أن جزءاً من النواب لا يدركون معنى المناقشات التي تدور في المجلس ، ومنهم من ينام أو يتناوم ويرفع يده متى طلب منه إعطاء الرأي - وأحب التزلف إلى رئيس حزبه أو زعيم جماعته ، ومنهم من لا ينتبه عند التصويت وينغلط فيعطي رأيه للحزب الخالفة . ومن الغريب أيضاً أن مثل هذه الطائفة من النواب لا تحضر الجلسات النيابية بصورة مطردة تفر من واجها كما يفر الأطفال الكسالي من المدرسة .

ولكم رأينا الأخرق يفون بالنيابة بتمجيئ الناخبين او ابتياع أصواتهم او بسلطان الحزب الذي يتنسى إليه والزعيم الذي أدخله في جملته وبنائه وآخاه وهناك الرجل النام الأدوات لا ينال سوى أصوات ضئيلة تلعن قوتها شاع الحق فيه ، وما دام معدل من يقرأون ويكتبون في مجموع الشعب العربية لا يزيد على عشرين في المئة لا يجيء النواب إلا من هذا الطراز .

والنواب يخرجهم الحزب ب مختلف الطرق بالتزلف والمداجاة والتهديد والوعود والرشوة وكسر صناديق الانتخاب والاستعاضة عنها بصناديق فيها كل من يحاول إثباتهم امتاعهم بالنيابة ، وبالبقاء أوراق مزورة في الصناديق التي تصل اليدي الى العبث بها ، و شأن المجالس النيابية في مصر والشام والعراق ، شأن كل مجلس على الأغلب ، يثوى أقلبه الحركة فيه والغالب أن يكونوا أقل من عشر أعضائه ، يدير المتازون المنافسات وقصارى الباقين تكثير سواد الجليسين .

وشيء آخر لاحظه في بعض المجالس النيابية وهو أنه قد يكون من أعضائها الأكفاء حقيقة في السياسة والقانون والاقتصاديات وتغيب الشهور ولا يفتحون أبوابهم بأمر يعود على الأمة بالخزيز ولا يتقدمون إليه باقتراح مفيد . ومثل هذه الحال اذا تجلت في الأميين لا يرثي صدورها من رجال متقيين مدركين ، وكأن الكفؤ الذي يختار السكون في مجلس هو مصنع الكلام ، ليس الا صاحب غرض وصل اليه او يحاول الوصول اليه فلا يريد ان يعدل ولا يجرح لئلا يتاذى به احد يده نفعه وبصره .

اجمع عقول الغرب على ان الحكم النيابي افلس وما حنيت منه الشعارات التي كانت تنتظر ، والغوا في ذلك الكتب ونشروا الرسائل والمقابلات ، ونحن ماذا نقول في هذا النوع من الحكم الذي نقلناه عن الإفرنج مقلدين ، ولا ننظر الى ما يوافقنا منه وما لا يوافقنا نظراء تدبر وبصيرة ، قال احد سفراء فرنسا ان جميع شعوب البحر المتوسط وفي مقدورتهم نحن الغربيون

ليسوا من اللائق للحكم السياسي ، ونحن نقول إن العيب لم ينشأ من النظام السياسي فهو صالح للأمم الرافية التي خفت فيها الأمية ولكن العيب في منفذه، فإذا كانت لهم القوة أساوا استعمالها وأعادوا الاستبداد تحت طلاء الحرية يخدمون مصالحهم ويدوسون مصالح وطنهم وأبناء وطنهم .

النصح الفارس

كان صديقي الأستاذ جرجي زيدان صاحب الملال كثيراً ماينصحني منذ إنشأت مجلة المقبس في القاهرة سنة ١٩٠٦ أن انقطع إلى اصدار المجلة وأترك الجرائد السياسية لأن استعدادي للعلم أقوى والتحضر له أولى ، فكنت اعتذر بأن المجالات لا يعيش بها أصحابها لقلة ارباحها فلا بد من املازرة في الصحف اليومية ليتواءزى الدخل والخارج .

وأما أزمعت العودة من القاهرة إلى دمشق سنة ١٩٠٨ لأنشيء جريدة المقبس السياسية كان أول ما تفضل ونصح لي به العلامة الدكتور صروف منشيء المقططف - وكان يعطف على عطف أستاذ على تلميذه وأب على ابنه - إلا ادخل في السياسة واقتصر على إنشاء مجلة المقبس العلمية قال ، إني كنت أمس أفكر في أمرك وأنت على أهبة السفر لتعود إلى بلادنا فرأيت خدمة العلم أجدر بذلك وأهناه لك ، فيما أخلي تأمل كيف تضيع غداً أوقاتك في الجريدة السياسية ، تنام على فكر وتنبه على فكر ، وعليك كل يوم أن تنشيء مقالة افتتاحية تلذ القارئين مطالعتها فتضيع بذلك مواهبك وتضل في تيه لا تعرف متى وكيف تخرج منه . فقلت له إني كنت أخذت على نفسي عهداً إذا تبعت الصحافة في الشام بجريتها أن أخدمها وأخدم الأقطار العربية بإنشاء جريدة يومية فأنا أقوم الآن بما تعهدت به . وفارقه ولم ألبث شهراً قليلاً أن عدت إلى القاهرة اعتصم بها ، وقد أغلقت الحكومة التركية جريديتي ، واقامت علي دعوى تضعف بها قوتي ، فالتحقت بالدكتور صروف وشريكه الدكتور فارس

غر في بعض شوارع القاهرة فأخذني أستاذي صروف على عدم استئناعي
لتصحيحته . فقال الدكتور غر : لا تحمل عليه فبـهـ السـيـاسـةـ يـاخـذـ بـيارـهاـ
من يعانيـهاـ إـلـىـ حـبـتـ لـاـ يـوـدـ ،ـ وـ الـمـقـبـسـ الـيـومـيـ لـازـمـ لـنـهـضـ سـورـيـةـ لـزـوـمـ
الـمـقـبـسـ الـعـلـيـ لـتـنـوـيـ الـأـفـكـارـ ،ـ وـ اـخـيـرـ غـيـرـ مـضـمـونـ فـيـ الـأـعـالـ كـلـهاـ .
لم انتبه للتصحيحة الصادرتين عن عالمين كبيرين من علمانا زيدان
وصروف ، ولم أدرك أنها رحمة الله ، نظرا إلى استعدادي فعز عليها
أن أقي ببني في مخاطر السياسة ومتاعها ، أما أنا فجربت طالعي
ودخلت المعungan بنية سلية واجتهد كلبي ، فخسرت ورجحت في آن
واحد : خسرت وقتي وراحتي ، ورجحت تجارب ما كنت أحصل عليها
لو اقتصرت على النشرات العلمية ، وليس في الأرض شر حمض ولا حبر
محض ، والحياة تقاضي المرأة أن يذوق شاء أم أبى من خيرها وشرها ..
وبعد سنين رجعت إلى العمل برأي الصاحبين الحبيبين في ترجيع الاشتغال
بالعلم على السياسة ، وما كنت أشك شهد الله إلا ان تصحيحتها ثانية املأها
الإخلاص في الصدقة وحب العلم ، وهو لا يغيبان منها إلا راحتى ومصلحتى
أولاً وتكثير سواد خدام المعارف ، وكان عددهم قليلاً يومئذ . رمتني
السياسة بكل عظيمة وتلقيت ضرباتها بالصبر ، ولو كتب لي أن أتابع
السير فيها لتعت بأرقى المناصب وأوفر المكافآت وارادة الموى فوق
كل ارادة .

اللغات الفرنسية في الشرق

دام الناس في الشام على العهد العثماني يتكلمون التركية لتولي الوظائف فلما جلا الترك عن القطر جلت معهم لغتهم ، وبطل التكلم بها لعدم الحاجة إليها ، وبقيت بقایاها تردد في السن من تزوجوا من تركيات ، ومن يستخدمونها أحياناً من طبقة الموظفين ، حينئذ لأربابها وتدكراً لسلطانها ، ولما رحل الفرنسيين عن سوريا ولبنان كانت الفرنسية قد رسخت قليلاً في الأولى وكثيراً في الثانية ، ومع هذا رمت في كل البلدان بالكساد ، وكانت من أدوات الزينة والسياسة والعلم ، فأصبحت كما كانت قبل الاحتلال لغة علم وتجارة ، وعز على من كانوا يعيشون بها أن يروها تنحط عن مرتبتها ، وتفقد تلك السوق الراحة التي اقامها لها المتغلب ، على عادة كل فاتح يتطلّى نشر لغته ب مختلف الطرق ، والفرنسيين شفف كثيرون في هذا الباب .

اللغة الفرنسية وان رحل اربابها عن ديارنا قد بقيت لها المكانة التي كانت لها قبل نزول جيش المنتدين على الساحل والداخل . وستظل الرغبة في تعلّمها كما كانت لا تنازعها إلا اللغة الانكليزية ، وهذه تفوق على الفرنسية في أصقاع الغرب والشرق ، وانتشار اللغة تابع للسياسة ، وسياسة الانكليز السكسونيين مقدمة على سياسة غيرهم من الأمم اللاتينية . يتكلّم الفرنسية في الأرض نحو خمسين مليوناً والتكلّمون بالإنكليزية لا يقلون عن مائتين وخمسين مليوناً اي خمسة اضعاف الناطقين بالفرنسية . ثم ان العلم البريطاني كان إلى عبد قریب يحقق على خمس سكان العالم وهذا مما اعان على انتشار الانكليزية . هزمت الانكليزية الفرنسية في الميدان السياسي والتجاري ، وكانت المعاهدات السياسية تكتب في القرن الماضي بالإيطالية ثم نازعتها الفرنسية وبقيت فرونـاً لغة السياسة المرجعة ولغة التجارة ، ولما انتشرت الانكليزية قبلت في كتابة العهود واستعملت كالفرنسية

صيحتكم في المؤشرات الدولية وأخذت الفرنسية تفقد من قوتها انتشارها اليوم بعد اليوم .
ونقول لمن اغتنوا للتراجع الفرنسي في الشام انكم على ما انت عليه
من الانتفاع بهذه اللغة اذا عاجلتم امركم باتقانها فان منكم من يكتب
الفرنسية كأهلها ولا يعرف من العربية الا هجنة بلده العامية ، وعليكم إذا
صحت نيتكم أن تبقوا في الطلبة من حيث الظهور أن تعاوروا لغتكم
الأصلية بالدرس ، وما تعلموه من الفرنسية في السنين الطويلة تتعلمون
ما يوازيه من العربية في أ sheer قليلة ، والمهم في الأمر أن تشعروا ب حاجتكم الجديدة
إلى هذه اللغة وتحلوها من انفسكم ، وانتم جد عارفين بصلحتكم الآن ،
كما أحالم اللغة الأجنبية وانه صغار لا تعقلون ، وبذلك أيضاً تقومون
بما توجبه وطنتكم عليكم .

سيكون مصير اللغة الفرنسية في عهد الاستقلال عندنا كما كان مصيرها
في مصر بالاحتلال الانكليزي ، احتفظت بنزاتها وجاءت الانكليزية بعد
حين تطلب مكاناً يليق بها في وادي النيل ، وساوت الانكليزية الفرنسية
في سين سنة وكانت الفرنسية مستأثرة بهذا التفوق نحو مئة سنة ، وللانكليزية
اليوم شأن لا تنازعها فيه الفرنسية ولا الامانية ولا الروسية ولا الإسبانية
ولا البرتالية . وإذا كنت تسمع في بعض موانئ البحر المتوسط اللغة
الفرنسية، فانك في البحر الهندي وما وراء المحيطات لا تتفاهم بغير الانكليزية
وإذا كانت الفرنسية منتشرة قبل ثلاثين سنة في جمهوريات جنوبى أميركا
اللاتينية بعض الانتشار فالانكليزية اليوم أصبحت هناك تنازعها تفوقاً .
تحتاج الأمم ضعيفة كانت أو قوية إلى استعمال لغتين على الأقل من اللغات
المساعدة ، ونحن لن يضيرنا الجمجم بين الفرنسية والانكليزية أو الاكتفاء
بادعاهما ، والمهم الا تقصرا في اغتنا وتسد تقصاً يجب ملاؤاته . فاللغة أول
مظهر من مظاهر القومية ومن ضعفت ملكتها فيه وفي وسعه حكمها
كان وأميج امام مع سوء .

ضياع الفرص

عرفني في إحدى رحلاتي إلى باريس الاستاذ برونو أستاذ الجغرافيا الإنسانية في (كوليج دوفرانس) إلى صديقة له اسمها السيدة ريفير حاجبة مجلة أزياء تصدر بالإنكليزية في الولايات المتحدة دعاية لفرنسا . وقد تلطفت ورافقتني في باريس إلى عدة أماكن ما كنت أعرفها من قبل ومنها غابة فونتنبلو الشهيرة . ولما أزمعت الرحيل إلى الأندلس افتتحت عليَّ أن تبرق لأهلها في بوردو لأنزل عليهم خيماً أحرف أياماً في دارهم فأشبد فيها كيف تعيش الأسرة الفرنسية ، وهيات لي أنواع التسهيلات المقام بهذه الزيارة فاعتذررت بخفيق الوقت ، وأرجأت هذه السباحة إلى فرصة أخرى . وفي طريقي من باريس إلى مدريد تعرفت إلى مهندس برتقالي عائد إلى بلاده فسر بلقاء رجل عربي واقتصر على أن أخرج على لشبونة لأزارور ما فيها من آثار العرب فاعتذررت أيضاً بكثرة الأشغال وخفيق الوقت ، ومن الناس من إذا كان فاصداً مكاناً يعيشه يعتقد أنه يجب عليه إلا يقصد مكاناً آخر قبل إتمام مقصدته الأول وأنا من أهل هذا الخلق على ما يظهر . وكان السيد بيير لوبي ابن أخي إمارشال ليوني مصلح مراكش العظيم اقترح عليَّ في باريس أن يرافق إلى عمه ليورسل لي سيارة إلى جبل طارق تحملني إلى رباط الفتح فازور الغرب الأقصى ، وكان يتوقع أن يكرم عمه وفادي لأنه يعرفي ، وكان أهدى الجمع العلمي العربي بواسطتي جميع ما صدر عن مراكش من المؤلفات بالفرنسية والعربية ، وتفضل وأثنى عليَّ كثيراً واغبطت أن كنت السبب في ربط الصلات العلمية بين قطرين إسلاميين سوريه ومراكش ، فاعتذررت أيضاً عن القيام بهذه الزيارة (٢٤ تشرين الأول ١٩٢١) .

ولكم أضفت الفرص في امتناعي عن مثل هذه الرحلات المقيدة التي كان يقترحها عليَّ من كنت القائم في أوربا من أصدقاء السفر ثم أندم

على تخلفي عن اجابة طلبهم بما فيه متعة للنفس وفائدة ظاهرة استقبلا
وأفيد بما من أكتب لهم من إيناء الشرق .

اطالة التفكير في أمر قد يضيع الفرض السانحة ، وما كل يوم يتاح منها
إذا ذهبت لا تعود أو يعود القارظان . ومن أعظم الفرص التي اضعتها
ما وقع لي في زيارة العلامة الشيخ ابراهيم البازجي مع والدي رحمهما الله
في المدرسة البطيركية في بيروت وكانت في السادسة عشرة . ذلك
أني كنت أسمع بشهرة الشيخ في العلم والأدب ويرافقني ما يكتبه من
الانتقادات ، فحصلت والدي على زيارته فلبى طلبي مسروراً فلما ملت
بين يدي الأستاذ العظيم وتكلمت كلمات قليلة مال الشيخ إلى والدي وقال
له أترك لي ابنك أخرجه لك في الأدب فاني أفتته نبيباً فأجابه أبي : أني
أحب ذلك من صيم قلبي لأنني أود تعليمه لو لا أني لا أقدر على مفارقة .
ولو كنت الححت قليلاً على والدي وبينت له ما اتوقعه من تخريج الأستاذ
لرضي باقتراح الشيخ وكان في ذلك كل الفائدة لي .

هذه فرصة معنوية ثمينة ضاعت وضاعت علي فرصة مادية أيضاً . ذلك
أني عرضت عليّ بضعة أ福德نة في قريتي وكان منها جاهزاً عندى فأبىت
ابتلاعها ولو اضفتها إلى مزرعتي وشجرتها لتضاعف ما أملاك . ولكنني كنت
يومئذ كارهاً سكنى الشام وغایتي ان أهاجر إلى مصر وانجو من استبداد
العثمانيين وما عاد يطيب لي المقام في وطني بعد ان اندرني الوالي بمعادرة
الأرض العثمانية او التزام جانب السكوت والامتناع حتى عن الكتابة العلمية .

تعادي الرُّسُر

من قصيدة في لبنان لصديقي شاعر العراق معروف الراحافي عليه الرحمة وهي تصدق على أهل كل قطر ومصر من أقطارنا وأمصارنا قال :
تلك الربى أما الحال فواحد فيها ، وأما أهلاً فائنان
رجل يسير الى النجاح وآخر يسعى وغايته إلى الحشران
متخاذلين بها وهم أنواعها ضعفت مباني كل أمر عندم
ومن البلاء تخاذل الأعوان ما بين هادها وبين الباني
وتفرقوا دنياً كأن لم يكفهم في النائبات تفرق الأديان
وسعوا فرادى للنجاح وفاتهن أن التضامن رائد العمران
الخream في الأديان أقل شدة من الخream بين أبناء البيوت ، فقد
يؤدي التعادي بينهم الى اختلاف يدوم بدوام عمر المتخاصلين . رأيت
قضايا حدثت بين ورثة أبناء أب واحد وأم واحدة طالت العشرين
والثلاثين سنة . وشهدت أقارب يتباغضون ، فكنت أسألم عن سبب
هذه العداوة ، فكانوا لا يستطيعون أن يوردوا سبباً معقولاً لعداواتهم .
قل أن رأيت أبناء أب واحد يتباذل ، وقل " إن شهدت أبناء عم
وبنات عم يويد الخير بعضهم بعض ، الحسد يأكل الأكباد وتظير آثاره
على الوجه ، وليس أشد من كيد أخ و قريب أو نسيب رأى تقوّق
أخيه عليه في الغنى والسؤدد ، ولو كشف الستار عما تكون القلوب
من ضروب العداوة والبغضاء ما سلم بضعة في المئة من الناس ، ويندر
من يوجو الخير لأهله ولقومه وللبشر ، وندر من صفت نفسه من الكيد
لكل من أفلح ، وهذه العداوات مشاهدة على أنها في الأقارب ثم في أبناء
الحرفة الواحدة وأبناء الحي الواحد المجاورين والمتناكلين ولا تزال تضعف
حتى لا يكاد يُرى لها أثر فيمن نأت ديارهم وقتلت روابطهم .
وأقول لمن تنقبض صدورهم من هذا التعادي الذي لا سبب له أكثر

الأحابين : على كل من شاء ان يعيش بعيداً عما يكرره في الحياة ان يعمال على الدوام بالحكمة التي قاما بها نتو ارجيفه موروا وأشار اليه ان يكررها كلما اراد ان يفرج عن نفسه ، يقال لـ *لهم لا تبغضها وتفعلها* وهي : كل عارض يزول ، وكل حديث ينسى ، وكل خلل ينظم ، وما من انسان يفهم شيئاً بلا شيء ، ولو كان كل العالم يعرفون ما يقوله كل العالم عن كل العالم ما كان انسان يكلم انساناً . قال *إياك يا أخي* ان تحمل للغوف سبيلاً الى قلبك فإن العدو الذي أنت خائفه يخافك في الوقت الذي أنت تفزع فيه منه .

أهمية العلماء

من دواعي التوفيق أن من اخذت عنهم العلم العربي كانوا من طبقة ما عرفت الغش والخداعة ، و كانوا من الأحرار المجددين وإن كان ظاهراً لا ينبيء عن ذلك . ومنهم أستاذى السيد محمد المبارك ، وكان متوصفاً ، ومربيده أخلاط الزمر ، وتعرفت بالضرورة إلى بعضهم ، فاغتنم أحدهم فرصة هذا التعارف وتقدم إلى الأستاذ وقال له : ولماذا يا مولاً ي لا توغر إلى تلميذك أن ينضم إلى جماعتنا ويدخل في طريقتنا ، وتكرر هذا الطلب منه ، وفي آخر مرة كثُر الإلحاح فعبس الشيخ وقال بوجه منقبض : هذا طالب علم ويكتفي ما هو فيه مشغلاً . ولو لم يقطع الأستاذ على هذا الفضولي سلسلة هذينه لأنّه طمعت عن درسه ، ولكان من ذلك الفخر العظيم على مُستقبلِي . ومن الغريب أن هذا الملاح لادخالي في الطريق على قلة استعدادي له ظهر بعد مدة خلل في عقله وقتل امرأته .
... وحدثني ابن شيخي هذا ، الأستاذ عبد القادر المبارك ان بعض جماعة والده أمرروا إليه أن ابنك يعاشر (كرد على) فيخشى ان تسري افكاره إليه وتنفس عقيدته ، فالأخلى منه عن مخالطته . فما كان من الشيخ

إلا ان قال لنجله : رجائي ألا يؤثر فيك ما يشيعه بعضه من أنني غير رافق عن صعيديك (كرمه علي) أنا رافق عن هذه العشرة ، وأنت حر يا بني أن تصحب من ثقب . وكتاندرس مع ابن سينا بعض كتب الأدب التي ما اعتاد الشايق قراءتها ، رأى أستاذيه عدم ميله للتصرف وما احب إدخالي فيها لا يعنيه ، ذلك لأنه لا يعش ولا يدلي . ولو كتب لي ان « التحوف » لاختلت الحطة التي خططتها لنفسي في الدوس والبحث . وكان بما زهدني في تصوفهم أنني طالعت بعض كتبهم فنها ما فهمته واكتبرته ، ومنها ما لم احلّ رموزه كالفتوحات المكية ، فإن في هذا الكتاب الذي لم يفتح الله حدرى لفهمه قطعاً تعد من الأدب العانى ونبذاً جملة في الأخلاق ، والى جانبها قطع لا يمكن حلها إلا بإفهام إنجي وبعض ما جاء فيها من انعاني مناف ما ورد في الشرع ووافق عليه العقل وربما كان منها ما هو مدسوس على ابن عربى أو كتبها في حل غيبوبته او تعمد إيهام عبارتها كما يتعمد بعض الفقهاء إدخال الغموض على كتابتهما حتى لا يتلقف الطالب علم الفقه بطريقه هينة لينة .

مقدمة

الخبيثة

سأل سائل عما أقصده من قوله فلان حكمت عليه جنبليته ألا يفعل كذا وكذا ، وفلان مأخوذ بجنبليته . فأجبته أنني أقصد بجنبليته تشدد وتعصبه وتتكلفه التزمر والرزاقة . والأرجح أن هذه المقطة كانت تطلق في بعض الأدوار الإسلامية على الخابة الذين كانوا ينكرون المكرات بعنف . وكثيراً ما كان إنكارهم يؤدي إلى إهراق الدماء وخراب المدن أصحاب الشدة والقرى وتعادي الناس ، حتى أن صاحبهم قال لل الخليفة العباسي (مه يا صبي) شمار لهم ثم لا يهدى فعقوب على هذا الكلام الفج الذي لا يقابل بمثله خليفة المسلمين ، وربما كان المترد للخابة يد في تحسيم مسألة خلق القرآن وكان منها اشتعال نار حرب أثر بحرب دينية في بعض أرجاء المملكة العباسية أوائل القرن الثالث .

مثال من الخبيثة الغبية : شيخ من كبار شيوخ عصره كانت تحرم في نظره رؤية الصور المعاقة على الحيطان وكان إذا زار بعض المسيحيين أرسل أحد تلاميذه إلى صاحب الدار يقول إن الشيخ لا يدخل غرفة فيها صور فيضطر المزور أن يأمر برفعها في الحال ، أو أن يعطيها بستار يمحب ما وراءها لئلا ينقص إيمان الشيخ بالنظر إليها ؟ وهذا الشيخ كان يختص غير المسلمين بزياراته ولا يزور المسلمين وإن كانوا من رحمه . ومن الخبريات التي يصعب تعليلها أنه أراد مستأجر جانوته وكان رومياً ظريفاً ، على أن يرفع الصور من الجدران فقال له المستأجر ولماذا تطلب مني يا سيدي أن يكون أيجار محلك ليرات إنكليزية وهذه الليرات نقش عليها صور ملوك إنكلترا ، فلم تحل الصور في النقود وتحرم إذا كانت على الحائط .

ومن الخبريات أن يمحظر أحد المشايخ على فلاحيه زرع الإينسون لأنه يدخل في العرق والعرق حرام ، فإذا أطلق الشيخ زراعة الإينسون فكانه أباح شر المسكرات ، وفاته نفعنا الله بعلمه وتقواه أن الإينسون

ينخل في كثير من العقاقير والأدوية ولو استمع الفلاحون لفتواه لفائف
موسم من المواسم الزراعية الرابحة . وربما تدرج الشيف بشاف رأيه إلى
تحريم العنبر والتمر ومنها تستخرج المخور أيضاً .

ومن أعجب ما تصرفت به الأقدار أن نسل هذين الشيفين التقين التقين
حلقا كل حنبليه وخرجوه عن تزمنت جديهم العظيمين ، وراحوا يتعاطون
كل المخور والمخدرات ، ويستحلون أنواع الأموال يا كلون الوقفات سراً
وعلناً ويقولون ما وقفوا الوقفات إلا لنا ويستبعون احتلال أموال
الدولة بمقادير واسعة .

ومن الخبريات ما روي لي من أن أحد النظار على وقف أهلِ كان
إذا جاء مزرعة الوقف لا يبيع أن تشرب دابته من بئر أو تقضم شيئاً
من القصيل أو التبن لأن ذلك ينافي الذمة وهو مال موقوف ، أما أن
يقطع هو من مقل الوقف كل ما طالت يده إليه وخصوصاً إذا أيقن
أن مرقنه لا تكشف المستحقين بهذا من اخلال الذلال ، ومن أصعب
ما يشعل على الطبع أن يصدر هذا الرأي السيف من عامي وأجل من
عامي ولا يخلو من سخفاء يستجيبون إليه في هذا العصر .

وحنبليه مزوجة بنفاق عمل من يبدل راتبه من الصراف اليهودي كما
ف遽ه على رأس كل شهر بدعوى أن مال الدولة تدخل فيه مكوس
لا يجاها الشرع فهي نجسة أما مال اليهودي فظاهر لا شبهة في طهارته ،
ومنها امتناع ذاك النائب الآخر عن اقرار موازنة الدولة بدعوى ان
فيها أموالاً لا يحمل فرضها على المكلفين . وكان من جهة أخرى يأخذ راتبه
من هذه الأموال المحرمة .

ويطول شرح الخبريات التي تتصدّع سمعي بها منذ القديم . أما زهد
بعضهم بأموال الحكومات والدول فهذا مزاج خاص نشأ من تدين وأخلاق
حسنة فهو دين واصحاب الخبريات لا يرجون من حنبلياتهم الا الدنيا .



اختراف الشرقيين

عن حكم السيد جمال الدين الافغاني : شر أدواء الشرقيين اختلافهم على الانخراط والانخادم على الاختلاف قد اتفقوا على الا يتفقا . وقال : الأحزاب السياسية نعم الدواء ولكنها تقلب غالباً إلى شر داء . يتالف الحزب في الشرق ويعلن على الأمة مطالب وغايات شريفة فيناصرونه ويكون له أصدقاء في البداية ثم تظهر الأثرة وحب الذات فينفرط عقد الحزب ويصير الكل أعداء في النهاية اه .

وبالسير على نظام الغرب تجلى فشلنا في تأليف احزابنا السياسية لاعتقادنا ان الغاية من تأليف الحزب السياسي الوصول الى الحكم وخدمة المصلحة الخاصة . ومنا كان أفراد الحزب مختلفة تربيتهم تتسرّب الاغراف اليه وتتلوّث بما قد يخفى على قادته او يعرف هؤلاء اشياء ويكتسبونها ويكترون للوسط بعقوله من رجال الحزب الشأن الاول ويحمل رأي العبرى منهم ويضطر الى ان يسير مع خعاقة النظر الحالين من كل تجربة . ولا يستغربن ان تتحل كلمة الجماعة بظهور حقيقة تركيب الحزب للملا ويعين على هذا اخفاق بعضهم في الوصول الى ما أملوا من حزبهم وحسدهم من اقسماها الفنائيم وحدهم مع انهم كانوا بزعمهم اشد بلاء في الخدمة واحلاصاً في القصد . فيتخلل الخلل ذاك العمل وتتداعى اركان الوحدة وتذهب الغاية المرجوة منه خير الجماعة .

رأى بعض الأبالسة ان الدين من أشد العوامل في استبعاد العامة ، فازمعوا ان يبدأوا بعمل ينفعهم فداروا نازعين الصبغة التي طالما فاخروا بالاصطدام بها فلما شاهد أرباب الشأن ان باطل ادعية الدين لا يقاتل إلا بسلح منه أخذوا يملون كرهاً كفة جماعة آخرين ظهروا مستظاهرين بأرباب القوة وان كانت النفوس كارهة للصورة التي اوصلتهم إلى مقاعدهم ، وقد تقاتل السياسة الباطل بالباطل لتحقيق أمنية يخجل أنها نافعة . نقول ذاته

ولو ظفر أولئك الذين نفخوا في نفوس العامة ما نفخوا باسم الدين لتبدرت الأوضاع غير الأوضاع وارجعت الأمة القبرى لا محالة .
ان من تعاليت نفوسهم إلى هذه التورة لا يعرفون الاختلاع بما إليه يدعون وهم إذا كانوا لم يفلحوا فيها تبحضوا له فلن يفلحوا في أمر ادعوه وهم منه عارون ، يبتوا ثورة القبض على زمام الحكم وكان أصدقني السيد سعد الله الجابري رحمه الله شرف القضاء عليهم . صادفته بعد سنة من وقوع هذا الحادث الخطير في فندق فقلت له : دعني أُقابل عارضيك فانت والله ابن حلال حقاً ، ولو لا افدامك على ما اقدمت عليه فقضيت على من جعلوا من الدين ستارة يلعبون خلفها لوقعنا في شر اعمالنا .

موجز

المعايير الفضائل

سبينا الغرب إلى كل نوع من انواع الدعاءيات فنجده كثيراً ، وما انتشرت النصرانية في أوربا إلا بفضل ما تمه لها من الدعاية المنظمة . وعندم دعاء للخير ودعاة للشر ، ودعاة بطلب إيمال ودعاة لاتفاق إمال ، ولكن ما يحضر وما لا يخطر في البال من الأعمال .

، أرادت بعض الولايات المتحدة الاميركية منذ سنين أن تبطل الأشربة الروحية وشددت على شاربيها وأنشأت دعاية واسعة النطاق تنفر بها الفريق الآخر القائل باطلاق الحرية في تعاطي المشروبات ، قام فريق عدم الحظر او الاباحة بدعويات عجيبة حتى بطل المشروع وعاد الاميركيون لما كانوا عليه واغتيط المبيحون المخمور واحتفظ خصومهم .

ولتكن دولة صغرى في شمالي اوربا وهي السويد قام بها دعاة منع الأشربة فنجحوا وبعد ان كان يصيب الفرد فيها سنة ١٨٣٠ - ٤ ليترا

من المسكرات أصبع لا يصبه أكثر من ٦ ليترات سنة ١٩٠٥ وزن
مقطوعية كل فرد إلى سدس ما كانت عليه والمعقول أنها نزلت بعد ذلك
كثيراً حتى لم تعد تذكر وذلك بالدعابة المحمودة للتغافر منها .

هذا مكان في بلاد قد يحتاج ساكنها إلى شيء من الأشربة يدفع
ويقويه على إنقاء زمبيرها وبردها . أما في مصر والعراق ثم في الشام فلن
انتشار الغول أي الالكحول سائر بخطى سريعة ولا سيما (الويسكي) نعم
الشاربون الإدمان عليه من الانكليز وجيوشهم في الحرب . وأخذنا غيره
من أصناف المشروبات حتى أصبحت رسومها في الجمارك تؤلف رقمًا عظيمًا .

تركَت أكثر حكوماتنا العربية الخبل على الغارب في مسائل المشروبات
ولسنا عالم الله في حاجة إليها للدفء ولا لغيره وشربنا تحريم قليلها وكثيرها
وما رأينا جمعية رائدها الحمد منها قامت بنية حسنة تبعد الناس عن هذا
العدو اللدود الذي طالما شكت من غواصاته أوروبا وأميركا على اختلاف
اقصاًها ومذاهبياً المهم إلا جمعية واحدة في مصر ينظر إليها القوم نظر
السخرية وهي دائمة على عملها .

وما قلناه في الأشربة الروحية يقال في المخدرات التي خصت بلبلاء
بها أرض العرب كالفئران في اليمن والخليش في مصر والأفيون وغيره
من المهدّمات يستعمل في غفلة ضابطة الأخلاق وحكوماتهم ساكتة لأنها
تقاضى الرسم عنها وتدخل خزانتها بلا زكيّر وتقول عن نفسها إنها
حكومات إسلامية .

كتاب وترجمة

المعلمـة الـعـربـية

طلب بعض أرباب الشأن في الحكومة المصرية أن توضع تقارير بشأن مشروع إنشاء معلمة أو موسوعات أو دائرة معارف (انسيكلوبيديا) وطلب إلى مثل ذلك فكتبت إلى السيد عبد الحافظ ثروت باشا رئيس الوزارة المصرية تقريراً ذهبت فيه إلى أن هذه المعلمة يجب أن تكون ترجمة وتأليفاً وذهب آخرون إلى أنه يجب أن يقتصر فيها على الترجمة فقط وهكذا التقرير :

نشر معلمة عربية تضم سنتات ما انتجه العقل البشري في كتاب واحد اعظم عمل علمي قام حتى الآن لخدمة الجامعة العربية ، وأكبر مفخرة مصر ولرجال مصر في هذا العصر . ولذا كان من الواجب بذلك اقصى الجهد لاخراج هذا السفر للناس قام الأدوات ، جميل النظام والرواء ، يتم عن بحث ودرس وتحقيق ، يجمع ما تفرق من علم الاسلاف إلى جمهة علوم الأخلاقيات ، ويكون ينبوعاً حافياً يستقى من موارده العذبة القريبة التناول كل عام ومتعلم ، ويغدو به العلم من يد الطالب على طرف الشمام ، فتدخل الأمة العربية في طور الأمم المتقدمة العالة .

يعهد باديء بدء إلى بضعة علماء مدربين يؤلفون لجنة تدعى المجندة العليا ، وهذه تدب جماعة لوضع أساس مالية هذا العمل وادارته ثم تشرع المجندة بالنظر في الموضوعات التي يتهم البحث فيها فتقسم العالم إلى خمس سلاسل على مثل الماجماع العلمي المتمة في باريس ، فيضم كل فرع إلى ما يائله في الجهة ويضع رئيس كل قسم وهو أحد أعضاء اللجنة العليا . الموارد التي يجب أن يكتب فيها من أول المعلمة إلى آخرها كما فعل رئيس إنشاء معلمة الإسلام Encyclopédie de l'Islam في هولاندة (ومع هذا نسخة من المقالة التي كتبتها فيها في الجزء السادس من مجلة المجمع في سنتها السادسة الصادر في يونيو ١٩٢٦ فان بين عملنا هذا وعمل علماء المشرقين تشابهاً كثيراً في بعض الأقسام) .

أو تكتفي اللجنة لأول مرة بالمشروع بمحرف الألف والباء وتوزع المقالات على زمرة الاخصائيين و هو لا يتوزعونها بينهم ويختارون لما من شأنها من الموارد . والأولى أن يختار الاخصائيون ما يريدون ان يختصوا به من أبحاث المعلمة على أن تعقد اللجنة العليا أنهم يجحدون فيما يخربونه لأنفسهم من الموضوعات . ويحدد معياد معين لإنجاز المقالات لا يتعداه المؤلفون بحال . وكلما انتهت المقالة على أن تعقد اللجنة العليا أنهم يجحدون فيما يخربونه لأنفسهم من الموضوعات . وما يجدر منهن بصفحة لا يسمح له بصفحات .

لا جرم أن من يوسد اليهم البحث في العلوم اندية سيلقون عنتاً في اعداد الأسماء التي يجب الكتابة فيها ، لقلة المصطلحات العلمية التي وضعت حتى اليوم . ولأن ما وضع منها لم يجمع العارفون على استحسانه في مختلف الاقطارات ، ولكن اللجنة العليا ومؤازريها يتغلبون على هذه المصاعب باطالة البحث واجادة النظر . ثم يقررون ما لا مناص من ذكره من الأسماء العلمية والمواضيع الفنية بما لا يخرجون فيه عن روح اللغة . ويختار للمؤازرة في هذه العلوم خاصة من درسوها زماناً وعرفوا شيئاً من مصطلحاتها وعانونها بالعمل والنظر . ويرجع من سبق لهم أن ألفوا فيها . وأثبتتوا كفايتهم بخوضهم غمارها طائفة من اعمارهم . وإذا عمد بعضهم إلى الترجمة عن اللغات الحية فيجب أن يجعلوا موضوعاتهم في حالة عربية وبأسلوب لا تظهر عليه آثار النقل والاحتذاء فتكتب كأنها مؤلفة مباشرة بسلسة تحبب مطالعتها حتى إلى من لم يحظه الحظ بتعلمها .

اما ما يتعلق بالبلاد والرجال والتاريخ والشعوب فهو يقسم إلى قسمين .
قسم يتبع فيه الإيجاز ما أمكن ، وهو ما كان خاصاً بأمة بعيدة . وقسم خاص ببلاد العرب والإسلام ورجاله ، وهذا يتسع فيه وإن كان بعضه لم يدون ولم يحرر . وتحجزاً البلاد العربية والإسلامية إلى مناطق يتولى رئيس كل منطقة النظر في : عامة ماله علاقة بمنطقته ويعاونه أناس يختارهم . فنصر والسودان والشام والعراق والهند وتونس والجزائر بعد بالكلام على

بلدانها ورجاها إلى رجالات معروفيـن من أبنائـها . والخطب سهل في الأقطـار التي كثـر التدوـين والتـأليف فيها أكثرـ من غيرـها لا يـحتاج إلا إلى نـظر سـيد وـمـعـرـفـة ما هو أـحقـ بالـتـدوـين لـانتـفاعـ القـارـيـءـ بهـ .

أما سائر الأقطـار كالـجـماـزـ والـبـيـنـ وـنـجـدـ وـالـجـزـيرـةـ وـامـارـاتـ سـواـحـلـ شـبـهـ جـزـيرـةـ العـربـ كـعـانـ وـمـسـقـطـ وـلـجـعـ وـخـضـرـمـوتـ وـالـبـعـرـينـ وـالـكـوـيـتـ بـلـ وـمـرـاـكـشـ وـطـرـابـلسـ وـبـرـقةـ وـأـوـاسـطـ إـفـرـيـقـيـةـ وـزـنجـبارـ وـالـجـبـةـ وـالـصـومـالـ وـجـاـوـىـ وـصـوـمـطـرـاـ وـالـانـدـلـسـ وـصـقلـيـةـ الـغـ فـيـهـ يـنـدـبـ لـلـبـحـثـ فـيـ كـلـ قـطـرـ أـوـ اـفـطـارـ مـنـهـ عـالـمـ يـبـحـثـ فـيـاـ تـشـدـ الـحـاجـةـ إـلـىـ مـعـرـفـةـ مـنـ اـحـواـلـاـ ،ـ كـارـبـخـاـ وـتـقـوـيـهـاـ وـزـرـاعـتـهاـ وـصـنـاعـتـهاـ وـتـجـارـتـهاـ وـآـنـارـهـاـ وـسـكـانـهـاـ وـجـيـوانـهـاـ وـنـيـانـهـاـ وـجـيـولـوجـيـتـهاـ وـمـعـادـنـهاـ وـاقـصـادـيـاتـهاـ وـأـخـلـاقـهاـ وـادـيـانـهاـ وـغـيـرـ ذـلـكـ .ـ فـإـنـ مـاـ كـتـبـ فـيـهـ الـإـفـرـنـيـجـ وـالـعـربـ الـأـقـدـمـوـنـ فـيـهـ قـدـ لـاـ يـنـقـعـ غـلـةـ ،ـ وـلـكـنـ يـسـأـنـسـ بـهـ بـعـضـ الشـيـءـ وـلـاـ يـؤـخـذـ مـنـ كـلـ مـاـ دـوـنـ الـأـمـ وـافـقـ مـاـ تـرمـيـ إـلـيـهـ الـفـلـمـةـ .ـ

وـلـلـكـلامـ عـلـىـ تـرـكـيـاـ وـفـارـسـ يـنـتـخـبـ اـفـاسـ لـهـ نـوـعـ وـقـوـفـ عـلـيـهـاـ يـسـعـيـنـوـنـ بـالـبـاحـثـيـنـ مـنـ أـهـلـ الـعـلـمـ فـيـهـ ،ـ أـمـاـ سـائـرـ الـبـلـادـ كـأـفـغـانـسـتـانـ وـبـخـارـىـ وـالـقـفـقـاسـ وـبـلـوـجـسـتـانـ وـالـصـينـ وـالـبـيـتـ فـيـعـتمـدـ عـلـىـ تـرـجـمـةـ مـاـ كـتـبـ فـيـهـ بـالـلـغـاتـ الـمـخـلـفـةـ مـعـ الـاستـعـانـةـ بـنـيـاءـ مـفـكـرـيـهـ ،ـ وـكـذـلـكـ يـقـالـ عـنـ جـمـيعـ الـشـرـقـ فـإـنـ الـأـخـذـ عـنـ مـعـلـمـاتـ الـفـرـيـقـيـنـ قـدـ يـكـفـيـنـاـ الـمـؤـونـةـ بـقـلـيلـ مـنـ التـعـديـلـ حـسـبـ حـاجـتـناـ .ـ وـحـاجـتـنـاـ مـاـسـةـ إـلـىـ التـفـصـيلـ عـنـ الـعـربـ وـبـلـادـ الـاسـلـامـ وـالـاختـصارـ مـاـمـكـنـ فـيـ وـصـفـ بـلـدـانـ الـغـرـبـ وـرـجـالـهـ عـلـىـ مـاـ تـجـريـ عـلـيـهـ كـلـ أـمـةـ فـيـ مـعـلـمـانـهـ .ـ تـعـنـيـ بـالـنـاـبـيـنـ وـالـخـالـمـيـنـ مـنـ بـنـيـهـ تـرـجـمـ لـهـ وـتـقـيـضـ وـتـسـقـصـيـ أـكـثـرـ مـنـ عـنـيـتـهـ بـالـتوـسـعـ فـيـ الـكـلامـ عـلـىـ اـعـظـمـ عـظـاءـ الـشـرـقـ مـنـ اـثـرـاـ اـثـرـاـ مـذـكـورـاـ فـيـ الـعـلـمـ وـالـاجـتـمـاعـ .ـ فـنـحنـ نـتـطـيلـ اـذـاـ فـيـهـ لـهـ صـلـةـ بـالـأـمـةـ الـعـرـبـيـةـ وـنـوـجـزـ فـيـهـ هـوـ قـصـيـ عـنـهـ .ـ

لاـ يـبـاشـرـ بـالـطـبـعـ إـلـىـ الـفـ وـنـقـعـ كـلـ مـاـ لـهـ مـاسـ بـالـحـرـفـيـنـ الـأـوـلـيـنـ مـنـ حـرـوفـ الـمـعـجمـ ،ـ وـذـلـكـ بـعـدـ اـنـ تـعـرـضـ عـامـةـ الـمـقـالـاتـ وـالـأـبـحـاثـ عـلـىـ الـلـجـنةـ الـعـلـبـاـ .ـ تـقـرـ مـاـ تـفـرـهـ مـنـهـ وـتـنـقـدـ مـاـ فـيـهـ وـجـوهـ الـنـقـدـ .ـ وـهـاـ الـحـقـ أـنـ تـحـذـفـ

ما شاءت . و اذا رأت نصاً في البحث ترجع في تقويه الى رئيس ذلك الفرع .
و تنشر المقالات بتوافق كتبها ليمموا مسؤلين عما حوت . و بديهي أنها
لاتحوي الا ما يشرف اسمهم ، و يخلد في الناس ذكرهم . ولا بأس بإصدار
مجلة شهرية تدعى (مجلة المعلمة العربية) . تنشر نوذجات من مقالات المعلمة
قبل عدورها . وبذلك تعرض ابحاث هذا الكتاب على انتظار العارفين
والناقدين . وتكون تلك النشرة بمثابة اعلان عن المعلمة وما يلزمها ويرد عليها
من النقد والأخذ والرد . وتغدو اداة صالحة لنشر المعرفة والأداب الصادرة
من اقلام باحثين ناضجين . وترتبط بصورة من حمور المعلمة على غاية من الاقتان
تجلب النظر وترسم اشكالاً قد لا يتطرق للبيان ان يوفيها حقها . حتى اذا انتهت
المعلمة بحول الله يطرد اصدار هذه المعلمة كما كانت . ولكن تنقلب ابحاثها
إلى موضوعات حديثة تساير العلم في ترقية شبراً فشبراً اي تنشر ما حدث في
فروع العلم والأداب على مثال مجلة لاروس المchorde الشهرية Larousse
طبعتها الأولى من الابحاث ويتالف من اعداد كل ستين او ثلاث سنتين مجلد
ملحق بالمعلمة .

ارجع أن تكون المعلمة في نهاية خاصة خالية ، تستوعب ادارتها
ومستودعاتها ومكتباتها وخزانة كتبها وهذه تجهز بأهم كتب المراجعة
وأحدث أسفار العلم بالعربية والإنكليزية والفرنسية والألمانية والابطالية
والاسبانية والبرتقالية واليونانية واللاتينية والفارسية والتركية وغيرها
والأولى ان يشاد معبد المعلمة بالقرب من دار الكتب المصرية لتكون
على مقربة من خطوط طانها النادرة وامهات اسفارها ومصادرها . ويمكن طبع
المجلة والمعلمة في مطبعة دار الكتب المذكورة على أن تخصها ببقعة مبنية
بحروفها وأدواتها .

أرى ان يكون الموظفون في المعلمة من أبناء السر والكتاب
والمصححين . والمحاسين قليلاً عددهم ما أمكن ، أما المؤازرون ورؤساء
الاقسام و منهم اعضاء اللجنة العليا فتدفع لهم مكافآت تعينها اللجنة او

يوظف بعضهم على مثال موظفي الدولة ، والأولى أن يربط رؤساء الفروع أعضاء المجمع العليا بعقود رسمية لمدة ثلاثة أو أربع سنين .

ينظر في الابحاث إلى جلالة موضوعها فالتأليف البسيط الذي يكتفى فيه بالرجوع إلى المدونات لا يكاد ينفع صاحبه كالتأليف الصعب الذي قد يضطر الباحث فيه إلى الرحلة للبحث بنفسه . والترجمة والتعریف أقل أجرًا من الوضع والتأليف ولا يعتبر في اختيار المؤازرين إلا الأثر الذي أثروه في خدمة الأدب وانتجته فرائحيهم من الترشات ، وكانوا بين عانوا التأليف والرخع زمناً . لا جرم أن المستعين بالعلم على اختلاف ضروراته يعرف بعضهم بعضاً حق المعرفة فليس من مصلحة الكفالة المستازرين إلا أن يخشروا في ذمتهم أقرانهم خدمة هذا العمل الشريف .

وما إخال أنه يقل حجم هذه المعلمة عن خمسين مجلداً يكسر كل واحد منها على الف صفحة بالقطع الكامل لأن تاريخ هذه الأمة طوبل وأعماها كثيرة وببلادها أو الأقطار التي خلق عليها عالمها تحسب مساحتها بذات الآلاف من الأميال وبعد رجاعها بالألف ، وما يخيل إلى " أيضًا أن عدد المؤازرين فيها ينقص عن مائتي عام واديب .

هذا ما يراه خادمكم العاجز يا مولاي وهناك تفصيلات لا تعرف أو لا يتأنى ثبت فيها إلا بعد الدخول في الموضوع والصعوبة تبدو أولاً في ترتيب العمل ومتى جرى توزيعه على الأدول يسير سيرًا متزاوجاً لايدخله الخلل ، وإذا فرض تعذر نشر المجلد الأول من المعلمة قبل سنة أو سنتين فان مجلداتها بعد ذلك تتبع بحيث ينشر كل سنة مجلدان على الأقل ، وإنني على مثل اليقين ان مصر لا تتحمل سوى ثلاثة ارباع هذا العبء في نشر هذه المعلمة والربع الباقى تعاون في تأليفه ومادياته سائر الأقطار العربية وربما جاز أن يطبع منها عشرون ألف نسخة . هذا المسؤول تعانى أن يوفقكم إلى ما فيه خير مصر والامة العربية سيدى العظم .

دمشق في ١٤ نوفمبر ١٩٢٧

وقد كتب الأستاذ احمد فريد الرفاعي يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٢٧ امين

سر الوزير عبد الخالق ثروت باشا يشكرني باسم الوزير ويبلغني أن وزارة حكومته تستقبل مع عظيم التقدير استراكي في هذا العمل المطلوب جبوداً ١٩٢٨/٢/٤ الخ . وعاد الوزير رحمة الله فكتب إني مبادرة يوم وقال في جلة ما تفضل به ولا أشك في أن تلك المقترنات القيمة سبكون ما شأن كبير فيها سبقت في هذا الشروع . ومضت على ذلك سنتين وذهبت وزارة عبد الخالق ثروت باشا وجاء غيرها ولم ينفذ شيء في هذا الموضوع لهم . إلا ان فريقاً من رجال العلوم والأدب والقانون في مصر عادوا سنة ١٩٤٣ (١٣٦٢) وألقو عدة لجان لهذا الغرض و قالوا انهم يؤلفون دائرة معارف مصرية فقط ولم نفهم سر قوائم مصرية ونظم العربية أولى واعم . فيرأس لجنة نظم أحكام الاقتصاد عبد الحميد بدوي باشا ولجنة الدين الإسلامي الشيخ مصطفى عبد الرزاق باشا ولجنة الدين المسيحي الدكتور جورج بك صبحي ولجنة الدين اليهودي الحاج عامر الأكبر حايم ناحوم أفندي ولجنة الهندسة عبد العزيز احمد بك ولجنة الآداب والفنون اعضاؤها هيكل باشا وطه حسين بك والاستاذ العقاد والعموم ويرأسها الدكتور مصطفى مشرفة والقانون الدكتور عبد الرزاق السنواري والمزراعية الدكتور توفيق الحناوي للتاريخ شقيق بك غربال والمعونة الاستشارية العليا لطفي السيد باشا . وقد مضى على البداية بهذا المشروع خمس سنتين ولم يأتنا عنه خبر واظن ثم خمس وخمس وخمس ولا يتبع شيئاً لأن اقصد من هذا الإعلان الظهور ومن هؤلاء الاعضاء أكفاء علماء العصر ومنبه من لم يعرفوا الا من طريق وظائفهم ليس لهم كتاب ولا رسالة ولا أثر علمي يدل على اخبطاعهم بهذا الأمر ، وإذا كان جمع فؤاد الأول للغة العربية لم ينشر إلى اليوم كراسة واحدة من معجم بسيط (الوسيط) ولا المعجم التاريخي وأكثر اعضائه من العلماء الكفافة حتى فكيف يرجى أن يقوم أصحاب المعلمة بهذا العمل الخطير . لا يؤخذ على المصري قوله علمه بل يؤخذ عليه فتورة هاته وقلة علمه .

الأرمن وارتحالهم

سألنا السيد ايها من أدباء الأرمن في دمشق ومن العارفين بتاريخ هذا الشعب لماذا لم يتعرّب الأرمن على عهد الحكم العربي ويتربّكوا على عبد الحكم التركي فأجبانا : إن فتح العرب إرمينية لم يشبه فتحهم الشام والعراق فقد كان مقامهم فيها أشبه باحتلال عسكري احترموا فيه دين المغلوبين من الأرمن ومنحوا امراءهم امتيازات تعموا بها وما نزل بين الأرمن جهود كبير من العرب ، وربما كان ذلك فراراً من بروادة جو إرمينية ولاختلافهم عن أهلها في عقليتهم . ذلك لأنّ الأرمن من عصري آري ولغتهم من فروع اللغات الهندية الاوربية ، والعرب ساميون . وربما كان هذا السبب الذي أهاب بالفرس والأكراد أن يدينوا بالاسلام دون أن يصبحوا عرباً بلسانهم . ثم إنّ الأرمن في الفتح الاسلامي كانوا في دور ارتقاءهم في التهذيب والوطنية وكان في رجال دينهم علماء متبعون بروح القومية فقاوموا الفاتحين وما اراد هؤلاء أن يسلموهم بالقوة وكثيراً ما كان الأرمن حلفاء خلفاء بغداد لطالما عاونوا العباسيين معاونته عسكرية فاستطاع الأرمن بذلك أن يؤسسوا مملكة زاهرة بآدابها ولم يخرج أحد عن مشخصاته خلا من هاجروا من إرمينية الى العراق والشام ومصر ، وتعلموا التركية ايام الحكم العثماني وكان قاسيأً عليهم . ومع هذا لم يصل الآتراك الى روح الأرمن لانحطاطهم عنهم من حيث العنصر والرقي الادبي وما امتنج الأرمن بالترك كما امتنج الروم إلا بقوه السيف ولكن السواد الأعظم منهم لم تسر التركية إليه . وما نسي الأرمن من لسانهم جملة واحدة فإن في ثلاثة ملايين من بجموعهم في العالم ثلاثة الف فقط يتكلمون التركية في بيوتهم وهم سكان سبول قيليقية واواسط آسيا الصغرى أما سكان نجاد إرمينية فهم يتربّكوا كما ترك الروم في تلك السبول ونسوا لغتهم . وإذا كان جميع الأرمن في تركيا يتكلمون التركية فليس معنى

ذلك أنهم لا يتكلمون لغتهم بينهم . وليس هذا شأن الأرمن فقط بل شأن غيرم من العناصر فإن الإتراك والآكراد والآشوريين النازلتين في جبال أرمينية يتكلمون بالارمنية ، وأولاد الأرمن الذين يتكلمون بالتركية يمارسون اليوم لسانهم الأصلي بمارسه حسنة بحيث لا يجري الحديث بغير الأرمنية في الاجتماعات العامة أما قول من يقول إن الأرمن اختاروا اللاتينية على عبد الصليبيين فهو من الأغلاظ التاريخية ذلك لأن الصليبيين لما وصلوا إلى الشرق كان للأرمن حكومة مستقلة في قيليقية اسمها أرمينية الصغرى عاونت الصليبيين على مقاومتهم حتى إذا رأى الأرمن ان نفوذ اللاتين اخذ ينبعط عليهم فقاوموهم مما استطاع الصليبيون أن يدخلوا الأرمن الكنيسة الكاثوليكية على نحو ما فعلوا مع الموارنة فمن ثم كان الأرمن حلفاء الصليبيين لا رعياهم . وعلى كل فاللغة الأرمنية لم يختفظ بها أهلهم إلا في أرضهم اه . ويزداد عليه أن السلاجوقيين الإتراك قضوا في النصف من القرن الخامس على أرمينية ونشروا فيها لغتهم قبل الإتراك العثمانيين ، والعهد التركي والحالة هذه في أرمينية اطول من العهد العربي .

اشرت إلى هذا بناسبة رحيل بعض الأرمن الذين كانوا انتصروا بالشام بعد الحرب العالمية الأولى ولقوا من حكومتها ومن أهلها كل عطف ورعاية وبناسبة معاملتهم لنا يوم رحيلهم ينادون من قلوبهم مناداة المقر بالجميل آسفين على مغادرة ديارنا وان كانوا ذاهبين إلى ملكتهم الجديدة « وعاصمتها تفليس » نعم لقي الأرمن من الكثرة الغارقة ماعرف به العربي من كرم النفس ورعاية الغريب فعدوا الشام وطنهم الثاني و منهم من اغتنى في أرضنا بكده وجده فما حدناهم ولا مننا عليهم ، وشعب ذكي من مثل الشعب الأرمني لا يسعه ان ينكر الجميل والأرمني منها كان من التباين بين حضارتنا وحضارته هو شرقى ويفاخر مثلنا بشرقيه .

الأرمن
والآشوريين
مع العثمانيين

مساجلة صديقين

كُتِبَتْ فِي بَلْغَةِ الرِّسَالَةِ نَقْدًا خَفِيًّا لِكِتَابِ قَوَاعِدِ التَّحْدِيدِ مِنْ فَنَّونِ مَصْطَلِحِ الْحَدِيثِ لِصَدِيقِنَا الْأَسْتَاذِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ القَاسِيِّ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ فَشَقَّ عَلَى بَعْضِ تَلَامِيذهِ وَمَرِيدِيهِ كَلَامِي وَأَكَبَرُوا الْأَمْرَ حَتَّى اسْتَكْتَبُوا صَدِيقِي الْعَلَمَةِ الْأَمْيَرِ شَكِيبَ أَرْسَلَانَ نَبْذَةً فِي الرَّدِّ عَلَى نَقْدِي . وَأَرَادَ بَعْضُ الشَّيَّانِ أَنْ يَحْمِيَ وَطَيِّسَ الْمَنَاقِشَةَ بَيْنَ الصَّدِيقِينَ الْمَتَاظِرِينَ لِيَشَهِدا صَرَاعَ شَيَّخِيْنَ طَاعِنِيْنَ فِي السُّنْنِ ، وَلَكِنَّ الْأَمْيَرَ كَانَ رَحْمَهُ اللَّهُ مِنْ أَعْرَفِ النَّاسِ بِحُقُوقِ الْإِخْرَاءِ فَكَتَبَ جَمَلَةً عَلَى جَوَابِيِّ وَأَنَا اَكَتَبَ جَمَلَةً عَلَى جَوَابِهِ أَوْرَدَهُمَا بِنَصْهَاهَا هَنَا نَوْذِجًا مِنْ مَسَاجِلَاتِ كَثِيرَةٍ اَبْدَأَتْ بَعْدَ اَنْتِهِيَّنَا لِثَلَاثِيْعِ وَوَقِيْعِ وَوَقْتِ النَّاسِ فِي مَنَاقِشَاتِنَا قَدْ تَؤْدِيَ إِلَى مَبَارَاتَاتِ تَسْمِيعٍ وَلَا تَسْتِمْعٍ . وَهَذِهِ كَلَامِيُّ الَّذِي بَنَى عَلَيْهِ الْأَمْيَرُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ نَقْدَهُ :

يَقُولُ صَاحِبُ كِتَابِ كَشْفِ الظُّنُونِ إِنَّ التَّأْلِيفَ عَلَى سَبْعَةِ أَفْعَامٍ لَا يَؤْلِفُ عَالَمٌ عَاقِلٌ إِلَّا فِيهَا ، وَهِيَ : إِمَّا شَيْءٌ لَمْ يُسْبِقْ إِلَيْهِ فِي خَرْعَهُ ، أَوْ شَيْءٌ نَاقِصٌ يَتَمَمُّهُ ، أَوْ شَيْءٌ مَعْلُقٌ يُشَرِّحُهُ ، أَوْ شَيْءٌ طَوِيلٌ يَخْتَصِرُهُ ، دُونَ أَنْ يَخْلُ بِشَيْءٍ مِنْ مَعْنَيِهِ ، أَوْ شَيْءٌ مُتَفَرِّقٌ يُجْمِعُهُ ، أَوْ شَيْءٌ مُخْتَلِطٌ يُرْتَبُهُ ، أَوْ شَيْءٌ اخْطَأْتُ فِيهِ مَصْنَفَهُ فَيُصْلِحُهُ . قَالَ : وَيَنْبَغِي لِكُلِّ مُؤْلِفٍ كِتَابًا فِي فَنِّ قَدْ سَبَقَ إِلَيْهِ إِلَّا يَخْلُو كِتَابُهُ مِنْ خَمْسٍ فَوْأَدَهُ : اسْتِبَاطُ شَيْءٍ كَانَ مَعْضًا ، أَوْ جَمِيعُهُ إِنْ كَانَ مَفْرَقًا ، أَوْ شَرْحُهُ إِنْ كَانَ غَامِضًا ، أَوْ حَسْنُ نَظَمٍ وَتَأْلِيفٍ ، أَوْ اسْقَاطُ حَشْوٍ وَتَطْوِيلٍ إِلَّا .

وَكِتَابُ قَوَاعِدِ التَّحْدِيدِ بِأَسْلُوبِهِ فِي التَّأْلِيفِ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ شَرْطُ الْجَمْعِ فَقَطْ ، جَمِيعُهُ مُؤْلِفُهُ مِنْ مَظَانَ كَثِيرَةٍ لِعُلَمَاءِ نَقَاتِ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ وَنَسْخَهِ وَجُوَرَّهُ النَّقْلِ ، وَلَا يَكَادُ يُثْبِتُ لَهُ فَكْرًا وَلَا يَرْجِعُ فُولًا . فَقَدْ نَقَلَ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ نَحْوَ مَائَةِ صَفَحَةٍ (الْكِتَابُ فِي أَرْبِعَمَائَةِ صَفَحَةٍ) مِنْ أَفْوَالِ الْقِدَمَاءِ ، ثُمَّ أَثْبَتَ لَهُ رَأِيًّا وَاحِدًا سُبْقَ إِلَيْهِ (ص ١٠١) رَجَعَ فِيهِ رَأِيٌ

الجلال الدواني على رأي الشهاب الحجاجي في عدم التسامح بالأحاديث الضعيفة ولو كانت في شيء من الترغيب والفضائل .

قدم الناشر للكتاب أربع مقدمات ، ثلاثة لثلاثة من الأساتذة المعاصرين ورابعة للمؤلف ، استغرقت كلها أكثر من عشرين صفحة ، وما خرج الكلام في بعضاً عن الدعامة والمجيد ، قلنا إن المؤلف اقتصر على نقل كلام غيره من أول الكتاب إلى آخره ، ينقل عن من يرونه كلامهم من المحدثين وغيرهم ، كما أخذ عن بعض التصوفة وبجدهم ، وربما استشهد ببعض أقوال المعاصرين ، ونقل عن مجالات عاصياً النظر عن ذكر اسمائهم ترفاً على ما يظهر . وكان هذا السفر كان بمجموعة من مفكرات يريد واخمنا أن يضع كتاباً في هذا الفن ويقتبس أقوال المؤلفين الذين درجوا ثم بدا لبعضهم نشر هذه المفكرات في صورة مؤلف .

وكانت طريقة التأليف في عبود الارتفاع العلمي أن يأتي كلام المؤلف أكثر من شواهد ، ولما خففت ملامة التأليف بعد عبد السيوطي أصبحت التأليفات عبارة عن نسخ أقوال من سلف ، وقل أن تجد فيها جديداً للمؤلف ، وربما كان الشيخ القاسبي رحمه الله ، وهو من العلماء الموروث الكثرين من التأليف على هذه الطريقة في الجمع والنقل آخر من جرى على تلك الطريقة فاكتفى في أكثر تأليفه بيسط آراء غيره .

أما طريقة التأليف اليوم فالإيجاز من دون اخلال بالمعنى ، وادماج آراء المقدمين خلال تقرير المسائل ، وإذا وقع للمؤلف بعض آراء متشابهة أشار إليها جملة واحدة ، حتى لا يضيع على القارئ وقته وتقلأ صفحات بلا داع ، وعلى هذه الطريقة جرى المعاصرون من المصريين وغيرهم من كتابوا في موضوعات إسلامية أو عربية ، نثروا ما وضعوه من المباحث أولاً ثم كتبوا في صحف لتنشر ، متصررين على لباب ما قرأوا في موضوع ، عازين ما لا بد من عزوه لاصحابه تدعيمًا لأقوالهم من كتب القدماء أو المحدثين بالأسلوب سهل سائع خال من الخطابيات والسبع ، فجاءت مصنفاتهم كالبيكية الذهبية ، لاخلل في تضاعيفها ولا شرقي ، وهم إذا اقتبسو اقتروا على

محل الشاهد ، واعرضوا عن باقي ما قال المقتبس منه ، لأن الكتاب ليس بكثرة أوراقه ، بل بما حوى بين دفتيه ، وكما من كتب للسلف وفت ورقانها المعدودة بأكثر مما تقي المجلدات . وقد رأينا الكتب المتقدمة عاشت أكثر من الكتب انطلاقة المنشورة ولكن عصر ذوقه وطريقه .

فكتب الأمير شبيب أرسلان الجواب الثاني :

اطلعت في مجلة « الرسالة » المصرية على كلام للأخ الاستاذ العلامة محمد بك كرد علي ينتقد فيه كتاب « قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث » نامر حوم العلامة الأستاذ الشيخ جمال القاسمي بأنه كتاب قد جمع جماعاً وعث بآيات صاحبه فيه إلا برأني واحد وهو ترجيح قون الجلال الدواني على قول الشهاب الخفاجي في عدم التسامح بالأحاديث الضعيفة ولو كانت في مقام الترغيب في الفضائل . وقال : إن طريقة التأليف في عهد الارتفاع العلمي هي أن يأتي كلام المؤلف أكثر من شواهد ، وأنه لما خفت منكهة التأليف أصبحت الكتب عبارة عن نسخ أقوال من سلف ، وربما كان الشيخ جمال القاسمي آخر من جرى على هذه الطريقة وهي بسط آراء غيره ؟ وأنه قد حدثت في التأليف طريقة جديدة اليوم وهي أن المؤلف في فن يقتصر على ابب ما غراً فيه ويدعم أقواله بشواهد من كتب القدماء أو المحدثين بأسلوب سهل سائع خال من الخطابيات والسبع .

فالاستاذ كرد علي ينتقد هذا التأليف رأساً من جهة أنه ليس على طريقة التأليف العصرية التي هي بزعمه الاكتفاء بالإشارة إلى ما كتبه القدماء أو التلخيص لأقوالهم بدون التزام النقل إلا ما جاء في سبيل التأييد والدعم . ثم إنه لم يكتف بنقد الكتاب نفسه بل انتقد ناشره بأنه قدم له أربع مقدمات ، ثلاث لبعض المعاصرين ورابعة للمؤلف ، وأن هذه المقدمات استغرقت أكثر من عشرين صفحة وما خرج الكلام في بعضها عن الدعاية والسبعين ؟ وكان الاستاذ كرد علي يزيد انتقاد أخيه هذا في المقدمة التي من قلمي والتي أذكر فيها ما أعرفه عن الشيخ جمال القاسمي رحمه الله .

وبعبارة أخرى قد نقل على أخيه الأستاذ ما صدرنا به كتاب «قواعد التحديث» من مناقب مؤلفه، ولقد كنت أتفى ألا يكون الأستاذ كردد على جعل من هذا موضعًا لنقاذه. وإنما أتفى الآن أن أكون أنا من أسلات فهم كلامه. فاما من جهة مؤلف هذا الكتاب الشيخ جمال القاسي فإنه من مفاسخ الشام بالاتفاق، ومن سار ذكر فضائلهم في الآفاق، وليس محمد بك كردد على والذي يجهل ذلك أو يقدر ان يناري فيه، وإني لجد مستغرب منه خبيث عدده بثنائي على رجل لا يناري اثنان في دمشق الشام في كونه من أفذاد هذا العصر ومن العلماء الذين تحتاج بمثلهم دمشق في كل مقام مباهاة.

فإنما لم أكتب عن الشيخ جمال القاسي إلا ما أعلمته وأعتقده، وإذا كان أخونا كرد علي يسمى ذلك «تجيداً» فإن التمجيد في محله لا يكون موضع نقد، فإن لم يجده الإنسان مثل الشيخ جمال القاسي في علمه واحاطته، وقوته حجته، ودماته خلقه، ورقة طبعه؛ وسائل ما امتاز به من خلال الخير الكثيرة، فيكون هو المقصود، وهو الذي يستحق النقد. ما كنت أحب أن يغزو الأخ كرد علي بي في مسألة كهذه، ولا أعلم لماذا فعل ذلك؟ وأما من جهة التأليف نفسه فإن الأستاذ الأكبر السيد رشيد رضا قد أعطاه حقه في إحدى المقدمات الأربع التي أشار إليها حضرة الأخ، وقد ذكر كل ما يلزم من بيان مزايا الكتاب. وقال انه لا يعرف كتاباً مثله في موضوعه وسيلة ومقدساً ومبداً وغاية، ونظن أن السيد رشيد رضا هو من يضع أهله موضع النقب، ولا يكون مخالفاً للواقع إذا قلت إنني أنا والأخ كرد علي لا نقدر أن نتكلم في علم الحديث إذا كان السيد رشيد رضا قد تلقف فيه كثرة البحث.

وبعد هذا فلست أرى ما يراه الأخ من أن القاسي جمع جماعاً، وإن الجماع في التأليف هو خطأ عهد التأخر، بل قد وجد الجماع في كل من عهدي التقدم والتأخر. وفي أوربا اليوم كتب كثيرة لا يزيد فيها أصحابها على الجماع، وهم يتذكرون فيها الحكم لأرباب النظر، وقد يوجد الإنسان في ظروف زمانية أو مكانية تمنعه من التصرير برأيه ومن الترجيح

نظام

والتجريع لاختلاف اذواق من مخاطبهم ، فيكون الجمجمة حينئذ هو أمثل الطرق ، ويكون كل قاريء قادرًا أن يستقي من هذا الجمجمة ما يستدعيه .

فالشيخ جمال القاسمي كان يعلم ما في عصره ومصره من طبقات

مختلفة ومنازع متباعدة ، وكان هدفه ألا يصادم مشربًا خاصًا ولا يحكم

لذهب على مذهب ، بل يجمعها كلها تحت راية الهدي النبوى ، وينظم كلام

ابن تيسير مثلاً إلى كلام الشعراوى والشيخ الأكبر بحيث يكون كل من

الطبقتين السلفية والعروفية واجدين في هذا الكتاب حلبتهم . وقد نسي

أخونا الأستاذ كرد علي حنة الشيخ جمال القاسمي عام ١٣١٣ عندما اتهم

بالاجتياح هو والمرحوم الشيخ عبد الرزاق البهارى وآخرين من رفاقه

واعتقلوا من أجل ذلك وأهينوا ، فأصبح مثل الشيخ جمال وقد عرضه

الصراحة بأنها يتوجب الخوض فيها يؤدى به إلى نكبة ، وبعيد الاكتفاء

بعرض الآراء أسلمه . وربما أعلم أيضًا ، لأن مثل هذه الآراء لا ينتهي

الخلاف فيها ، ولا تزال كل طائفة تجادل في كونه على حق حتى يوم

القيمة . ففي بعض المواقف يكون السكوت أفعى من البيان ، وأبعد

عن مثار الشبهات لاسيما عندما يكون العالم الخبير بأمور عصره وشئون

قطره واثقًا بأن انتصارة هي في جمع الكلمة ، وأن جمع الكلمة تحت

راية الهدي النبوى لا يأتى بالترجمة والتجريع والقول بأن هذا فاسد

وهذا صحيح إلا في المسائل التي لا خلاف فيها بين العلماء والتي إنما يختلف

فيها العوام . . .

فكتاب « قواعد التحدى » لو كان يؤتى من هذه الجهة لما أطرأه

مثل صاحب المدار هذا الاطراء كلها وهو في علم الحديث الجليل الذي لا ينطأ ول

والبحر الذي لا يسأجل ، كما أنه يعلم من طرق التأليف القدمة والوسطة

والعصبية ما لا يقدر أن ينكحه العلامة كرد على . ثم إن هناك غمزاً بالسجع ،

وليس الأخ كرد على وحده الذي بدأ بهذا الغمز ، بل كان أحد الأصحاب

اطلعني على كتاب للدكتور زكي مبارك تحت فيه كلاماً يشبه أن يكون

استحضاراً للسجع أو استكماراً لأبيانه ؟ وهذا باب جديد عجيب إذا أردنا

المجمع
المنتدي
محمد دادش
...
...

الآن أن ندخل فيه بطولنا الأمر . فنكتفي بالقول إن السجع وُجد في
الجاهلية وجاءت منه أمثلة لأفعى فصحاها ، ثم جاء في القرآن الكريم ،
بل القرآن الكريم كله سجع وهو أبلغ الكلام العربي وغير العربي ، وجاء
في سجع الصعاية والمخضرمين ثم في الطبقة التي تليهم ، ثم في التي تليهم ثم في
التي تليهم إلى يومنا هذا .

و لم نعلم أحداً عاب السجع من حيث هو ، وإنما يعاب السجع بالنسبة
إلى انتقام الذي يستعمله فيه الكتاب ، أي إنه لما كان السجع تقيداً بقوافل
كما هو الشعر تقيد بقوافي فلم يكن السجع مستحسناً في المواطن التي يجب
أن ينطلق فيها عقال القلم لكمال نادية المعاني على وجهها ، وأما في المواطن
التي هي أقرب إلى الشعر منها إلى المباحث العلمية الصرف ، فليس السجع
بالذى يُعد سبباً على العربية ، بل هو من محسن هذه اللغة ، وإن كان
يجب حذفه من هذه اللغة من أجل كونه طريقة قديمة ومن أجل أنه عبارة
عن زينة كلامية فإن هذا يؤدي بنا إلى افتراض حذف الشعر أيضاً ، فان
الشعر هو من قبيل السجع طريقة قديمة وزينة كلام توخى فيها المحسن
المفظية كما توخى المحسن المعنوية ويراعى فيه الوزن والقافية وهو من
قبيل الموسيقى . والموسيقى هي أيضاً قديمة والطبيعة البشرية تألفها بال
تحتاج إليها بل تهتف بها . والشعر ضرب من الموسيقى ، فهو إذن من متضيّبات
الطبيعة البشرية ، والسجع وإن لم يكن مقيداً بكل تقيد الشعر فهو مقيد
أيضاً بقيود لها موضع في النفوس ، وهي في محلها مطربة مستعدية ولا غبار
عليها ، ولا يقدر أحد أن يقول إنني أنا مفرط في هذا المذهب لأنه ليس
لأحد من الكلام المرسل أكثر مما لي ، ولكني لا أزال أرى السجع حلبة
الكلام العربي عندما يكون في محله ، وذلك مثل مقدمات الكتب ومثل
الخطب التي تلقى على الجماهير ، وإن العرب قد احاطوا على السجع في
أسماء الكتب و لم يخطئوا في ذلك لأن الكلام السجع أعلق في الذهن من
غيره . وعسى كلامي هذا يكون مقبولاً عند أخي الأستاذ كرد علي ،

ولا تتأثر به آصرة الإخاء القديم الذي بیننا والذی لا يمكن أن يطأ عليه ما يوهنه منها كانت السبب ثقلاً . فكيف إذا كان خفيفاً ، وإن أدرى فقد يكون أراد ان يداعبني ؛ ولا تكون هذه أول مداعبة بیننا .

جنيف : شکیب ارسمن

فكتبت جواباً عليه مانصه :

إلى صديقي العلامة الأمير شکیب ارسلان

نعم شئ على يا أخي أن تلقى دلوك في الدلاء ، وأن تكتب مقدمة كتاب « قواعد التحديد من فنون مصطلح الحديث » بهذا المسان الذي ما عبده فيك من تأدبو بأدبك ، وأكبروا عظمة بيانك . بالأمس كتبت مقدمة « النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي » للأستاذ محمد أحمد الفمراوي ، فمن منا لم يعجب بما كتبت وحبرت ، وإن كنت أطلت وتوسعت ؟ واليوم تكتب ما تكتب لقواعد التحديد ، في فن لست منه ولا أنا في العير ولا في النفير ، وجئت تعاني بكتاب ليس فيه من جديد في القرآن ولا أسلوب المؤلفين ، ولا يستحق هذه العناية والدعاية وهذه الضجة ؛ ولكل رأيه واجتهاده .

أنا أجلك عن الدخول في هذه المآزرق ، لأنك في غنية عنها ، ولست بحمد الله تحتاجاً إلى مصانعة الناس ، ولا نضبت أمامك الموضوعات ، تحتاج لمعالجتها لدورتك شهرة وحسن ذكر ، وما إخالك إلا كتبت ما طلب منك في غير وقت نشاطك ، وليس لك من القول ما تقول فتبعد على عادتك . ومها كانت منزلة الكتاب وكاتبه من نفسك ، ما أرى لقلمك أن يجري إلا فيما يصلح أن ينسب إلى إحسانه ، وحملة الأفلام مؤلون إذا افترضوا مع المؤلفين والطابعين على مقارضة الثناء ، ولم يتغافرون بالنقد الصحيح ، والإفراط في التقرير شيئاً متأخرین من أهل عصور الانحطاط الأدبي في العرب ، والنقد الفيد عادةً نقاد الأفرنج في زماننا ومن الأمانة للعلم والأدب أن يُدلّ كل كاتب على مواضع الخطأ من

كلامه ، لا أن نفعه ونفع قراءه ، فتجسم ما صفر حجمه في العيان ،
ولا يشول منها نفعه في الميزان .
وأكفي الآن بجملة من مقدمتك ، وقد بدأتها بقولك : (لا يخفي
على أهل الأدب ، أن الجمال والقسام في العربي (؟) واحد ، وأن معنى
القاسم هو الجميل ، فلا يوجد إذن لتأدية هذا المعنى أحسن من قوله
« الجمال القاسي » الذي جاء استاً على مسمى ، مع العلم بأن الجمال الحقيقي
هو الجمال المعنوي ، لا الجمال الصوري ، الذي هو جمال زائل ، فإنما
المعنوي هو الذي ورد به الحديث الشريف : « إن الله جميل ويحب الجمال ،
وعلى هذا يمكنني أن أقول إنه لم يعط أحد شطر الجمال المعنوي الذي يحبه
الله تعالى ، ويشغف به عباد الله تعالى ، بدرجة المرحوم الشيخ جاز
الدين القاسمي الدمشقي ، الذي كان في هذه الحقبة الأخيرة جمال دمشق ،
وجمال القطر الشامي بسره ، في غزارة فضه ، وسعة علمه ، وشرف
حسه ، وذكاء نفسه ، وكرم أخلاقه ، وشرف منازعه ، وجمعه بين الشاهق
الباهية ، والمعارف المتناهية ، بحيث أن كل من كان يدخل دمشق ،
ويتعرف إلى ذاك الخبر الفاضل ، والجيد الكامل ، كان يرى أنه
يمكن فيها إلا تلك الذات البهية ، المتجلية بتلك الشمائل السرية ، والعلوم
العصرية ، لكن ذلك كافياً في اظهار مزيتها على سائر البلاد ، واثبات
أن أحاديث مجدها موصلة الاسناد ... الخ) .

بائي أنت وأمي يا شكيب ! هل هذا بيانك الذي عرفه وعرفه فيك
قومك ؟ أنا لا أطلب غير حكمك ، فلا احتكم إلا إليك . لهذا كلام
ترضاه لنفسك في كتاب يبقى ؟ وما هذا القلق في المعاني والمباني ؟ ربنا
اغتفر خدور مثل هذا الكلام من فني يشدو في الأدب ، ولكن من
شيخ كتاب العرب لا ثم لا ! وحديث السبع أنت عرفت وأتي فيه ،
ولعلك تذكر أني كنت لفت نظرك إلى ما أسميت به كتاب رحلتك إلى
الحجاج : « الارتسامات المطاف ، في خاطر الحاج إلى أسمى مطاف »

وقلت لك يومئذ إن القاريء مهما بلغ من ثقافة ذهنه لا يدرك لأول وهلة معنى هذا العنوان المجموع ، إلا بكثير من إجهاد الفكر ، ومكذا كدت باستحسانك السبع في بعض المقامات والفلو في تقييظ من ترى تقييظه ، أن تنسينا حسناتك علينا في سلامك المرسل الكبير ، وأنا على ما تعلم من أحقر الناس على تخليده وتأبيده .

بحقك ، هل رأيت لأحد من بلقاء القرون الأولى سجعاً في شيء من أسماء كتبهم ؟ وهذا اجحاط وابن المفعع ، وهذه أسماء كتبها ورسائلها ، هل وجدت لها سجعاً تتقرز منه كصاحبك أبي أسيحاق الصابي الذي افرد اللغة على علو مكانته في الأدب بما سمع ورصن واظنك موافق على رأيي في أن التسجيع أضعف ملكات المؤلفين من عبد ابن العميد إلى زمان أستاذنا الإمام الشيخ محمد عبده الذي قضى بقوته حكمته على استعمال السجع في الصحف والرسائل الرسمية ، فعد عمله هذا أكبر حسنة من حسناه ، ولو لا عمله ما دخلت اللغة في هذا الأسلوب انتفع الذي نقرؤه اليوم للمنشئين وأبوابه ، ونرجو أن تعود به اللغة إلى رونقاً السالف من الرشاقة والجزالة ، على نحو ما كانت على عبد سهل بن هرون واجحظ وعمرو بن مسعدة وأحمد بن يوسف الكاتب وابن المفعع وأخراً بهم . وما اظنك تنكر على " إن رصف أبي حيان التوحيدى في القرن الرابع ، وابن خلدون في القرن التاسع ، ارفع وامتع من تعسف الصابي والصاحب بن عباد وأبي بكر الحوارزمي والقاضي الفاضل والعامد الكاتب وابن الأنبار إلى آخر أعيان ذاك المذهب التكلىف . وأظنك موافقى أن في قولك : « وإن كان يجب حذفه (السجع) من هذه اللغة من أجل كونه في طريقة قديمة . ومن أجل أنه عبارة عن زينة كلامية ، فإن هذا يؤدى بنا إلى اقتراح حذف الشعر أيضاً » - إن في قولك هذا مغالطة اطيفية ، وفي علمك أكرمك الله أن النثر غير الشعر ، والكرامة آية من التزيido والتكلىف . لو كنت على مقربة منك ماتركتك تقول في مقدمة الديوان الذي

نشرته بأخره ودعوه : « روض الشقيق » في الجزل الرقيق ، ما فلت في فاخته : « ... الذي لا أجد لشعره وصفاً أوفي من عرضه على الأنظار ، ولا لديوانه حلية أجمل من شره في الأقطار » ، وخير وصف الحسنة جلاؤها ، والجواود عنده تغنى عن الفرار . ولعمري لو وصفته بازهار الربيع ، وأنواع البديع ، وشققت في تحليته أصناف الأساجيع ، وكانت هرفي الواقع دون ما أصف لما أغنته فتيلًا ، ولا رفعته عن درجه كثيراً ولا قليلاً ، كما اني لو قدمته للقراء فريدة معطلاً ، لا يزن له حجل ولا سوار ، ولا يتلاؤ عليه ياقوت ولا نثار ، وكان هو في نفسه دراً نظيمًا ، وأمراً عظيمًا ، وديواناً تتارج ارجاؤه ندىًّا ولطيمًا ، مما خفي امره على ذوي الوجدان ، ولا تغما عن سبة أحد من له عينان .. » ولو كنت مكانك لقلت وما باليت : « ... الذي لا أجد لشعره وصفاً أوفي من عرضه على الأنظار ، ولو وصفته بازهار الربيع ، وكان هو في الواقع دون ما أصف مما أغنته فتيلًا ، ولو قدمته للقراء فريدة معطلاً ، وكان هو في نفسه دراً نظيمًا ، مما خفي امره .. » أليس هذا الإيجاز أوقع في النفس ، وأجمل في اداء المعنى ، وادعى إلى الأفهام من اسجاع تشقق على الطياع ونحن إنما نكتب لنفهم ، لا لنعمجم ونبهم . وبعد فمالنا ومتقييد بما قاله بعض المتأخرین في معنى التعلق بأهداب السجع ، ولدينا في اقوال المتقدمین ومانثور من كتاباتهم ما يحملنا على تقليدهم في أساليبهم ، يوم لا هذا الترصيع والتسجيع ، ولا ذاك الضرب المستكره من أنواع البديع .

فلم يجب الأمير شکیب بأكثـر من الصفحة التالية وخاف لفـرط أدبه
أن يدون في هذا الحوار ما يفرـح به احباب المطاعـن اعداء السلام والوثـام
جوـابـي لأخـي محمد سـيـكون قصـيراً كـما تـراهـ
إنـيـ فيـ كـتابـتيـ عنـ الشـيخـ جـمالـ القـاسـيـ رـحـمـهـ اللهـ لمـ أـدـخـلـ فيـ عـلـمـ
الـحـدـيـثـ دـخـولـ مـنـ تـعـدـيـ لـتـرـجـيـحـ أوـ تـجـرـيـحـ وـخـاصـ فيـ الـحـدـيـثـ
خـوـضـ مـنـ يـعـلـمـهـ ، بلـ بـقـيـتـ وـاقـفـاًـ عـلـىـ الشـاطـيـءـ ، عـلـىـ حـبـنـ أـنـ أـخـمـ

محمد كرد علي دخل في الموضوع وحكم فيه حكمه ، وهو مع ذلك يقول إني أنا وأيامه لستا من هذا العلم في ورد ولا صدر . فإذا كان الأمر كذلك فما كان أحراء بأن يترك انتقاد كتاب مؤلف في الحديث الشريف ، وقد أطرب في وصفه مثل الأستاذ الأكبر السيد رشيد رضا رحمة الله الذي إذا تكلم في هذا الفن يقال : القول ما قالت حذام . أنا كان أكثر كلامي في محاضر الأستاذ الكبير الشيخ جمال القاسمي تغمده الله برحمته ، فإن كنت لست من علماء الحديث فإني لست جاهلا معرفة الرجال ، ولا مسؤولاً مزية التمييز بينهم ، ولو لا حسن فراستي ما كان الأستاذ كرد علي عظياً في عيني ، وقد اختبرته لأخائي منذ اثنين وأربعين سنة .

أما السبع وما أدرك ما السبع ، فالكلام العربي ينقسم إلى مرسى ومجمع ، وموزون مففى ، ولكل نوع من هذه الأنواع ثلاثة مقام يحسن فيه أكثر من غيره ، وإن مرسى هو الكلام المعتاد الطبيعي الذي به أكثر تفاصيل الناطقين بالضاد . وموزون مففى هو الشعر الذي لا رونق للغات بدونه . والسبعين وسط بين المرسى والموزون ، وله وقع في النفوس لا جدال فيه ، ويكتفيه من الشرف أن كتاب الله قد نزل بهذه الطريقة .

وأن نهج البلاغة وكثيراً من كلام أفصاح العرب هو من النوع المجمع . ولا يقال في بديع الزمان والخوارزمي والصاحب الصابي والقاضي الفاضل وأمثالهم إنهم لم يحسنوا القول . فإن كانت اللغات الأوروبية ليس فيها سبع إلا ما ندر ، فليس هذا بحججة على اللغة العربية ، فلكل لغة خواص تمتاز هي بها ، وقد خلق الله الناس أدواتاً مختلفة ، وجعل لكل ناس مشربهم ، والعرب غير العجم ، والشرق غير الغرب .

جنيف ١٠ جمادى الآخرة

شكيب ارسلان

الزواج بالغربيات

ما قلت بزواجه العربي من امرأة غربية الجنس فقط ، ولطالما نصحن
من يرحلون إلى أوروبا وأميركا في طلب العلم أو المال الا يعقدوا على
الغربيات ، وأن يختاروا أمهات أولادهم من بنات جنسهم أو من الأجناس
الشرقية الأخرى . وفي زواج الغربيات من الشعوب اللاتينية أو الانكلوسكسونية
أخطار كثيرة لأن الزوجة الغربية تعد ذمها أرقى من زوجها ، وتضر
في قرارها نفسها أن تحمله أبداً على أن يتبعها فيها تأمر به وينزلها عن
أكثر مشخصاته وقد ينشأ احلاف ويزيد التجاوز عندما تتفشى ^٤ سورة الحب
التي تكون على أشدّها في العروسين أول اقترانهما ، وتنظر المبابيات في
الأخلاق والعادات كلها عتق الزواج ، فيعود كل من الزوجين إلى أخلاقه
الموروثة ، ولا سيما عندما يرتفع التكلف بين الزوجين ، ويتجلى قانون
الرجعة وعامل الوراثة ، فيصبح الزوج مريضاً ويتعدّد استمراره . وإنّ امرأة
الغربية لا تطلب من زوجها إلا أن يخضع لها خضوعاً آعمى ويتجبره من
خصائصه ، فإذا ما رزق الزوجان ولداً كانت التوبة نوبة الأم ، لا تطبع
إلا في أن تطبعه بطاعها ، والولد يأخذ بالطبع من أمّه أكثر من أبيه ،
لأنّ مقامه معها أطول من مكثه مع أبيه ، فتنتهي على حبها وحب قومها ،
وترهد من طرف خفي بقومية أبيه ، وتفضحه من دينه وعاداته ، فالتفاوت
بين الشرقي والغربي كبير ، وبين الجنسين عندنا وعندهم من التباين
ما بين الشرق والغرب .

قد تُكتَبُ الغربى إذا نظرت إليه من بعيد حتى إذا اقتربت منه
يتجلى لك على الأكثر أقل شأنًا مما توهّمه ، ويشتّد هذا التفاوت إذا
كان الزوج أو الزوجة من أصل وضيع ، واحتلّاف الطبقة عامل كبير
يؤدي إلى التشكّس والتباين ، وأغلب من يرضي من الغربيات بالزواج
من الشرقيين يكنّ من طبقات متواضعة . ولقد شوهد من النساء الغربيات

من ظلمهن أزواجيـن ، وشوهـد العـكس ، والـفـريق الـأـول أـكـثـر عـدـاً .
ويـقـل التـوفـيق عـلـى كـلـ حـالـ فـي هـذـا النـوـع مـن الزـواـج كـمـ يـقـل فـي الزـواـج
الـتـجـارـي وـالـسـيـاسـي .

ونـاقـصـة التـرـبـية مـن الغـربـيات يـنـدر أـن تـرـوـقـها حـالـة أـهـل زـوـجا ، تـضـحـكـ
مـن كـلـ مـصـطـلـح فـمـ ، وـتـخـتـقـرـمـ وـمـا اـعـتـادـوـه مـن عـادـاتـ ، وـتـرـبـاـ بـنـفـسـها
عـن مـسـاـكـنـهـمـ وـمـعـاـشـهـمـ ، وـأـن رـضـواـ أـن يـكـوـنـواـ هـاـشـبـهـ خـادـمـاتـ
حـرـصـاـ مـنـهـمـ عـلـى خـاطـرـ اـبـنـهـمـ . وـقـد يـكـوـنـونـ فـي جـمـعـهـمـ أـرـقـى طـبـقـةـ
مـنـهـاـ فـي جـمـعـهـاـ ، وـيـكـوـنـونـ مـنـ نـعـمـاـ بـالـرـفـاهـةـ وـسـعـةـ العـيشـ ، وـعـلـىـ
جـانـبـ مـنـ التـهـذـيبـ وـالـرـفـقـةـ . قـد يـتـظـاهـرـ مـنـ يـتـزـوـجـ هـذـا الزـواـجـ بـأـنـهـ
سـعـدـاءـ فـي زـوـاجـهـ وـيـكـتـمـونـ أـمـرـهـ وـيـعـتـصـمـونـ بـالـصـبـرـ عـلـىـ مـاـ جـنـوـهـ عـلـىـ
أـنـفـهـمـ وـعـلـىـ بـيـتـهـمـ حـتـىـ لـاـ يـشـمـ بـهـمـ اـهـلـهـمـ وـجـيرـهـمـ .

اما مـشـكـلةـ الـأـوـلـادـ وـهـيـ اـعـظـمـ مـشـكـلةـ فـيـ هـذـا الـبـابـ فـالـغـابـ اـنـ
هـذـا الزـواـجـ يـنـقلـهـمـ إـلـىـ أـهـلـ اـمـهـ فـيـزـيـدـ عـدـدـهـ وـيـكـثـرـ سـوـادـهـ ، وـيـقـدـ
أـهـلـ الزـوـجـ ذـرـيـتـهـ اوـ يـفـسـدـونـهـ ، وـيـكـوـنـ الشـائـنـ فـيـ ذـلـكـ شـائـنـ مـنـ يـتـقـنـ
لـغـةـ أـجـنبـيـةـ وـيـنـسـيـ لـغـتـهـ ، فـيـزـيـدـ اـهـلـ الـلـغـةـ الـتـيـ التـحـقـ بـهـمـ مـتـكـلـهـ آـخـرـ
بـلـقـتـهـمـ . وـقـدـ تـحـنـ الـمـرـأـةـ بـعـدـ سـنـينـ إـلـىـ بـلـادـهـاـ فـتـكـرـهـ زـوـجاـ عـلـىـ الـلـحـاقـ
بـهـاـ اوـ تـطـلـبـ إـلـيـهـ اـنـ يـطـلـقـهـاـ وـيـأـخـذـ اـوـلـادـهـ ، وـإـذـاـ كـانـ تـأـجـراـ مـوـلـاـ تـصـبـعـ
أـمـوـالـهـ مـنـ جـظـ اـهـلـ زـوـجـهـ . وـهـنـاكـ خـسـارـتـانـ عـظـيمـتـانـ خـسـارـةـ الـأـوـلـادـ
بـنـقـلـهـمـ إـلـىـ أـمـةـ أـخـرـىـ ، وـخـسـارـةـ الـمـالـ الـذـيـ يـكـوـنـ قـدـ جـنـاهـ الزـوـجـ مـنـ
أـرـضـ أـمـهـ . هـذـهـ مـسـائـلـ مـنـ الـبـدـيـهـيـاتـ لـمـ آـتـ بـهـاـ بـجـدـيـدـ ، وـأـرـيدـ مـنـ
أـنـبـاتـهـاـ هـنـاـ أـنـ يـدـرـكـ شـبـانـنـاـ فـقـطـ أـنـهـمـ يـجـنـونـ عـلـىـ أـمـتـهـمـ إـذـاـ هـمـ اـدـخـلـوـاـ
الـبـنـاتـ الغـربـياتـ إـلـىـ بـيـوـتـهـمـ وـخـلـاطـوـهـنـ بـأـسـرـهـمـ .

قـدـ يـسـتـغـرـبـ تـنـفـيـرـيـ مـنـ الزـوـاجـ بـالـأـجـنبـيـاتـ فـيـ زـمـنـ خـفـ فـيـهـ التـعـصـبـ
وـتـحـلـ النـاسـ اوـ كـادـوـاـ مـنـ الـعـصـيـاتـ ، وـالـشـرـعـ قـدـ اـبـاحـ الزـوـاجـ بـغـيـرـ الـسـلـامـاتـ
وـتـسـاـهـيـ فيـ هـذـهـ السـبـيلـ بـاـ لمـ يـعـهـدـ مـثـلـهـ قـبـلـ الـاسـلـامـ فـيـ مـلـهـ مـنـ الـمـلـلـ .

روي عن رسول الله قوله اغتربوا لا تضروا اي تزوجوا في الأبعد ايلا
يأتي اولادكم ضعافاً اذا تزوجتم بالآقارب .

قد يأتي النسل من أبوين مختلفين في الجنس اوى من نسل من عصر
واحد ، ومع هذا كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يستنكر الزواج
بغير العربيات ودعا الله الا يريه ابناء الفارسيات . وكان يرى ابعاد العرب
عن الزواج من الروميات لأن في بنات الروم خلابة . وفي كل هذا
إشارة الى مبلغ حرص العرب على قوميتهم وتوجههم خيفة من تبليل
بيوتهم بدخول غير العربيات فيها .

كانت العرب في القرون الأولى تجاهر ببناتها تفضل من كانت أمه عربية ،
حتى أن بني العباس لما أخذوا الملك من بني أمية - بيعوا المنصور على
جلالة قدره في السياسة والعلم وتقديمه في الميلاد وبيعوا لأخيه السراج
لأنه من أم عربية وأخوه ابن أمة ، هذا والعباسيون في حدد تأسيس
ملكيتهم وهم في أشد الحاجة إلى أن يتولى أمرهم اعظم رجاتهم . ومن منع
مسلمة بن عبد الملك الأموي من الوصول إلى الخلافة الا كونه ابن أمة ،
وكان فيه من الصفات الغر ما عز نظيره في الأمويين ، على كثرة البنوة
في رجالهم ، وكان من المجمع عليه انه يمتاز عن اولاد أبيه كثيراً وهم
ما هم بسياسيتهم وادارتهم وعلمهم .

ان دعونا اليوم الى التزهد بزواج ابناءنا من العربيات فذلك لأنها تعيش
في عصر القوميات الذي بدأ في القرن الماضي وقوى في هذا القرن قوة
هان معاها على الغربيين ان يقتلوا ابناء دينهم في سبيل قوميتهم . والغربيون
اليوم ينظرون بعين الريبة الى كل مواطن لهم اختار امرأته من غير جنسهم ،
ويحظر ذلك على عمال الحكومة وخصوصاً رجال السلك السياسي فمن
تزوج من غير جنسه تنبذه الدولة . وقد كان بسماراك السياسي المشهور من
قانوناً محظر فيه على ضباط الأئمان الزواج من النساء البولونيات لأن البولونية
تصبغ اولادها بصبغتها وفي ذلك الحيف على دولة جديدة زانش القبة
من كل وجه سر

استنصح بعض نباء اليابان في القرن الماضي الفيلسوف الانكليزي سبنسر وسئلوه ان يضع لهم قواعد يجرون عليها في هشتهم فمن جملة ما نصح لهم به نصيحة اشترط عليهم الا ينشروها إلا بعد موته . أندروت مازا كانت بصيغته ؟ كانت ان يتمنع أبناء اليابان عن الزواج من الاجنبيات لأنهم يتساهمون بدخول دم الغربيات في دمهم يفسدون جنسهم ، وبهذه النصيحة يقول في اليابان عدد المتزوجين بالغربيات وعلى طريقتهم يجب ان تسير كل امة تزيد لابنائها المجد والعظمة .

المرأة العربية

في مصر والشام يكتنل المعلمات كل سنة بفضل المدارس الابتدائية والثانوية والعالية حتى كاد ما يصل اليه البنات من ضروب التعليم يوازي ما يعطى منه للبنين ، ولم يبق فرع من فروع العلم لم يشارك فيه النساء إلا الفرع الديني لأن الدينين يتشددون في قبول المرأة أن بحاليهن ومدارسهم وجواهم ، وأن تعلم الدين لا يعود على منتحلته من النساء بفائدة دنيوية . ذلك لأن جميع من يدرسون شباناً كانوا أم شابات لا يتعبون انفسهم بالدرس إلا توقعاً للمغانم والأرباح التي تنتظرونهم بعد اقام الدراسة ، وليس فيهم من يخرج الآن عن فنون ثلاثة الطب والحقوق والأدب على الغالب . وندر في النساء من يعنين بالفروع التي خلقن لها وبرزن فيها كأمراضاً النساء والكيمايا والصناعات الزراعية والطبخ والخياطة وتدبير المنزل وتعليم الأطفال وتغريض المرضى ، فعلى وزارات المعارف أن تنظر في توجيه البنات نظراً جديداً ، فالحالة العقلية تتطور في كل عقد من عقود السنين .

من كان يظن ان النساء يُقبلن على العلم بهذا الشوق وهذه العناية ، بعد ان غفلن عن تلقفه قروناً ، ومنهن من يُبرّزن أكثر من الشبان

لابن ينصرف كل الانحراف في بيتهن اى الدرس والشبان يلعبون ويلهون ويغربون في الأحياء ، ويظهرون في الشوارع ، ويستغلون بالسياسة ، ويندرجون في الأحزاب ، اى أشياء يأتونها في سن مبكرة فيضيعون جانباً من اوقياتهم مدة الدراسة .

ولقد شاهدت البيوت التي تعلم بناتها غير البيوت التي حرمت منه العلم والتذيب . وهذا ما حدا بعض الشبان على اختيار رفيقات حياته من هذا الطراز المقصول بالعلم الحديث والتربية العصرية . حتى ظهرت بضعهن امارات الخضارة على البيوت ، وشنان بين الجاهلة والعاشرة . ومن خفت مراجعات طالبات التوظيف في مدارس المعارف ، وفتق شرق الموظفات منهن في مدارسها ودوارينها ، ينقلب القسم الزائد الى الاخفاء في فنون اخرى كالتجارة العالمية والصناعات الدقيقة فيدرك القس آخر ان مستقبليمن مناط تجوييد الفروع التي لا يستغفبن عنها لادخال الكهرباء والجمال الى بيتهن ، وتربية أولادهن تربية راقية لا يدخل فيها تكذيب ولا الغش ولا السرقة ولا غير ذلك من مفسدات المقول وهادمات ايمانهم .

وكيف لا نقتطع أن وأينا منهن اى هذا جبوا من بنات الثلاثين والأربعين من لم يسعدهن الطالع بأخذ العلم الأولي ان يتوفرن على تلافي نقصهن فيتعلمن على الكبير القراءة والكتابة ، حتى يجارين العصر ولا يخلعن جلهن أمام بنات جنسهن من المتعامدات . وكل هذا لم يكن له ذر في القرن المنقضي ، فالمعارف اليوم تسير على أسرع ما يكون بالقياس الى ما عهدناه سابقاً من جهل البنات والبنين وان كان معدل المتعلمات اقل من معدل المتعلمين بكثير والأيام كثيرة بتعديل هذا المقياس .

أما ما يلقط به بعضهم من منع المرأة حقوقها السياسية فهو من القول ، لا يجدي عليها خيراً ، وبعد سابقاً لأوانه ما دام عدد المتعلمات منهن قليلاً ، اذا فليس بما يجب ان يكون ، ثم أي حقوق للمرأة في الشرق العربي والمرأة الغربية ، على تفوقها المشهور في كل فروع الحياة ، لم تحصل على الشهرة التي كانت تتوقعها من الاستماع بحقوقها السياسية .

حمد لله

ومن يتذمرون بمنع المرأة الحقوق التي تخيل إليها أنها تنفعها وتخربها من سلطان الرجل الجائر هم من يصانونها ويعيثون بصلحتها الحقيقة ، ذلك لأنهم يذهبون مذهب لا يدركون مفهوماً على البيوت ، فالمرأة لم تخلق هذا ، وقد جرب الغربيون قبلنا ، وهم في أبواب العلم أرقى مما بقرت واحد على الأقل ، فما أسفت تجاربهم إلا عن اخطراب وفوضى ، وكان من أثر هذا العمل الطائش إخراج المرأة عندهم مما خلقتها الفطرة به ويتعدى حدوده منها طالبت المرأة وشاغبت .

وبعد أن ثبتت أن في فطرة النساء نصفاً طبيعياً كيف يرضي لها انمارها أن تغادر البيت لتغدو نائبة في مجلس النواب وزيرة في مجلس الوزراء أو قاضية في المحاكم أو مديرية في الدواوين . تونى بعض النساء هذه الأعمال في شعائي أوربا وفي الولايات المتحدة ومعظم سكان هذه الدول من الغصروف الانكليزي السكوثي أرقى عناصر الأرض ، فـأي نفع تم ل مجتمعهم على أيديهن ، المهم لا اذا كانت الرواتب التي يتقاضينها والألقاب التي يلقبن بها . كل قانون غير قانون الطبيعة تنسجه الأيام ولا تبقى على غير العقول والأنساب . شارك النساء الرجال في الحرب الحاضرة ، فهل سعدن وسعدت او طلبن بهذه الخدمة ؟ وهل كانت الفضيلة يا ترى أكثر فشوأ من الرذيلة في هذا الاختلاط القسري بين الجنسين ؟ لو كتمت تستمعون الى ما يقوله علماء الأخلاق وغيرهم عند الغربيين لنفترم اي نفقة من كل من يريد الظبور على حساب المرأة المسكونة يغشاها فيما يزبنها من مظاهر جديدة ، وهي ما خلقتها بحال من الأحوال .

الشّيوعيّة في الشرق

ما انتشر المذهب الشيوعي في روسيا حداً يحب الاطلاع على قراءة
بضعة كتب عنه باللغة الفرنسية فتراءى لي ان بعض المؤلفين كانوا يزيفونه
بلباقة ، وبعضهم يزيفونه باعتدال ، وفيهم من جحود لم يصرح ، ومنهم من
نقل ما ظهر من آثار القوة في أرض الشيوعية بعد دولة القباصرة أمثال
هرييو من ساسة فرنسا فإنه أكتفى في كتابه (المشرق Orient) بوصف
ما قامت به روسيا في عهد الشيوعية من الجبود ، وشرح مواطن القوة
ليستخرج من ذلك ما يقفه على تلك النّسبة الصناعية والحربيّة .

وتلخص معي بما كتبه الشيوعيون وأنصارهم بعد ان دخل التعديل في
قانون لينين على عبد ستالين ان الشيوعية نظام يتعدى تطبيقه على جميع
الشعوب ، فيه ما تشتراك عامة الامم في الانتفاع به ، وفيه ما هو ظاهر
الخطر قليل الجدوى ، مثل استئثار الحكومة بتربية ابناء الامة واخذ كل
مال في الايدي لخزانة الدولة . وهذه تعزول الناس تعظيم غذائهم بقدر
وترك لهم حرياتهم في اتحال ما يريدون من دين ومذهب .

وسواء صح حكمي هذا ام لم يصح فان روسيا الشيوعية تحرص كل
الحرص على اخفاء أسرار بلادها ، لا تبيع لرعاياها ان يغادروا ديارهم
ولا للجانب ان ينزلوها احراراً مطلقين ، وهذا مما يشعر بأن هنالك اثناء
لا يستحسن القائون بالأمر في روسيا ان يعرفها أحد ، ولا ان يطلع
عليها شعبهم ، منها ان في ارضهم اربعة عشر مليوناً من المعتقلين والمعتقلات
- كما قال روسي مطلع - تسخرهم في أعمدها افظع سخرة .

تهمي الشيوعية او البلشفية من حيث تأثيرها في وطني خاصة والأقطار
الاسلامية عامة ، ويبدو خلال الشيوعية في تطبيقها على من ليس له
الاستعداد لقوتها ، ولا تلام مزاجهم وأخلاقهم ودينهم وبنيتهم عندما

تعود الأمور إلى طبيعتها ، وتبطل الدعاية الواسعة المنتظمة للمنصب الشيوعي
يعرف النافع منه والضار على حقيقته .

أنا لا أخاف على الشام من الشيوعية لأن من ملوكوا عده قری بيسوا
كثيرين فيها ، وإذا جرى توزيع أملاك كبار المزارعين وحددت الملكية
وعني بالاستثناء من الملكية الصغيرة ، يعود أبناؤهم وذرارتهم إلى حالة
متوسطة مقبولة من الغنى . وقد أحس الممولون من التجار بالخطر من
تضخم الثروات فنزل بعضهم من تلقاء أنفسهم عن جزء من ثرواتهم شاركوا
فيه الفقير والبائس ، وإن ما أخشى الشيوعية عليه مصر والعراق خاصة لأن توزيع
الثروة غير عادل فيها ، ذلك لأن كبار المالكين يزيد ما يملكون عاماً
فعاماً ، وحصل الفلاحين من الأرض في تناقص مستمر ، ومصر على
ما بلغت من مكانة في الأنظمة والتنظيم إذا دخل فيها القانون الشيوعي
بدها رأساً على عقب . ومنى الخللت مسألة الزراعات الكبرى وجرى امتلاك
الأرض على قانون معقول يندفع العامل الأول الذي يرغب بعضهم في
المنصب الشيوعي ، فلا يتراكم في احضانه الجبلاء نكبة بالآغنية .

أنا أؤمن بالقوانين الطبيعية في تدبير هذا الكون وأؤمن أنا منها غيرنا
نظاماً واحتربنا شرائع لنسعد العالم بأجمعهم لا مناص من أن يكون في
الخلق الغني والفقير والمتوسط ، وذلك لتبسيط القوى ، واختلاف العقول ،
ودرجات السعي ، ومن المتهم اجراء تعديل عظيم لرفع مستوى المعيشة
في الطبقات الفقيرة ، ولا غنية أيضاً عن تحديد ثروات الآغنية بطريقة من
الطرق التي تستخدمها الحكومات ، وأخذ الفضل من أموال من ضخت
ثرواتهم لتصرفه في مرافقتها العامة .

قويت الدعوة إلى الشيوعية في الشرق والغرب على العهد الأخير وأخر
ما قرأته في مجلة لاروس (حزيران ١٩٤٨) انه يمكن الحكومة السوفيتية
أن تدعو كل وطني إلى أي عمل تراه يناسبه حتى ولو ساقته إلى التغريب
في أقصى حدود بلاده وبذلك قامت مشاريع كثيرة في تلك الديار مثل
ترعة البلطيق والبحر الأبيض على أيدي كتائب من المجرمين السياسيين

وقدماء أغنياء الفلاحين من صودروا واغربوا وهم يعدون بئات الالوف
أو بليين ، عملا مع المجرمين العاديين جنباً لجنب . وقامت أعمال أخرى
بأيدي فلاحين أو عملة سخروا في أشغال شاقة على نحو ما كان الفلاح المسكين
يُسْخَرُ في روسيا على عهد بطرس الأكبر ، وتحذّث المجلة عن الظلم الذي

يلحق كل روسي بما

وفي روسيا يحرم الاضراب والاعتصاب على العمال ويؤكّد المتر
مالوني الذي كان وزيراً مفوضاً لاوسترايا في موسكو أن مدير المصانع
ورؤساء العمال الحق في أن يقتلو في بعض الأحوال رمياً بالرصاص
العامل الذي يصل متأخراً والعامل الذي يتكرر تغيبه عن العمل بدون عنبر
مقبول وإذا مسّت الرحمة قلب مدير المصنع أو رئيس العمال فله أن يخفف
عقاب العامل بسجنه أو بنفيه إلى سيريا ، وفي جريدة أخبار اليوم يقر
الاستاذ محمد التابعى (عدد ٢٢٧) انه يبلغ عدد أعضاء الحزب البلشفى نحو
مليونين من مجموع سكان روسيا البالغ عددهم نحو مائتي مليون أي أن
نسبة واحد بالمئة يحكم ٩٩ من السكان والناخبون ملزمون باعطاء أصواتهم
للمرشح الواحد ومن لا ينتخب يسجن أو يحرم بطاقة التموين . وينبع عن
الروسي السفر إلى الخارج وقراءة الصحف الأجنبية والاستماع إلى محطات
الإذاعات الأجنبية .

وبعد فإذا نظرنا إلى المذهب الشيوعي وما عاد على روسيا من فوائد
نشره أنه أصبح عقيدة لاهلها كان منها أن وقفوا في الحرب الأخيرة
موقفهم المحمود في وجوه أعدائهم فأحسنوا لأمتهم أكثر من آبائهم في الحرب
العالمية الأولى وكانوا فيها يستسلمون في ساحات الوغى بعشرات الألوف .

المحاذاة على المواجهة

فوضى المجتمع

في اليوم الذي يعرف هذا الشرق قدر الوقت ينتقل خطوة أخرى في معارج التقدم ، وفي اليوم الذي يرغب عن الفوضى وボولع بالنظام يهد ذاتافية في مجموعة الشعوب ، وما زال الشرق دون الملك الانكلوسكونية بنظامه لأن كل أولئك دخل على أهل تلك الملك وأصبح عادة مستحکمة فيهم ، حدث ان اراد المجتمع العلمي العربي اقامة حفلة تأبين لأمير الشعراء أحمد شوقي تحت رعاية أول رئيس للجمهورية السورية السيد محمد علي العابد صديق الشاعر أيام الطلب ، فلما حانت ساعة افتتاح الحفلة وتأخر الرئيس أوعزت الى القاريء ان يقرأ ، وللخطباء ان يتقدموا ويلقوا خطبهم حسب البرنامج المقرر . وجاء الرئيس بعد ربع ساعة من الوقت المعين وفهمت ان امين السراي ادعى للرئيس أن الكباراء في العادة يشخرون الى الدعوات عندما يتکامل الحشد ، فقلت للرئيس أنا أرى أن تكون فخامتك مثل انتتدى به في المحافظة على الاوقات ، وقادعة تخلف الكباراء عن الوقت المحدود تزيدنا فوضى الى فوضانا ، ونحن نبني أن نقضي على هذه الفوضى . لشدّ ما امتنعـت من تسامـح قومـي في الموـاعـيد ، وـكـنـتـ كـثـيرـاًـ ما أـسـعـهـمـ أـشـدـ التـقـرـيـعـ . (راجـعـ الفـصـلـ الـذـيـ عـقـدـهـ لـلـكـلامـ عـلـىـ نـظـامـنـاـ فـيـ كـتـابـ اـفـوـالـنـاـ وـأـفـعـالـنـاـ)

مشهود

بِهِدْهُ:

من البيوت من لا ترى الشرف إلا في خدمة الدولة القائمة لا يرثها
لبنيها العيش إلا إذا تحطوا رقاب أرباب الكفاءات فقبضوا على عمل بيان
عدم أكانوا أحراراً بقلدهم أم كانوا وسطاً فيه أو دون الوسط . ويزيد
في جرأتهم على أخذ ما ليس لهم دعوامه أنهم من أهل بيت جاء من
فلان الفقيه وفلان العامل وفلان الجندي كان هؤلاء كانوا طرازاً عجيناً
من النوابغ والحكماء ، وهم أشبال أولئك الأسود ، وما هم إلا كأجدادم
 ولو كان أجدادهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون .

عاصرت من هذا القبيل جماعات « تحطى إذا جئت في استفهمها بن »
كما قال النبي : كانوا من الجحالة بـكان مخجل ، ومن فساد الذهمة المثل
المضروب ، لا يهتمون بغير مظاهرهم ، وليس لهم ما يزهّلهم للعم
إلا دعوى شرف السابقة ، ولا من أدوات الاقدام على ما يقدمون عليه إلا
النفاق لصاحب الأمر ، ومن تعلم منهم بعض التافه من العلم خرج نصف
جاهل ، وأنت إذا خاطبته أحدهم ، فـكأنك تخاطب مخبولاً لا يفهم
ما يقول ولا ما يقال له ، ولو كنت من يحسنون الظن وذهبت بادي الرأي
إلى أن عقل صاحبك هذا صحيح لا تثبت إذا احدق النظر في عين
وتدبرت ما يبدر على لسانه أنه من فئة يجب تسجيل اسمها في سجل منشى
المجاديب ، وتستغرب كيف وصل المرتبة التي بلغها وقد تكون كبيرة
 جداً ، وكان من حقه أن يكون خادماً أو أجيراً ، ورب خادم فان
سيده بذلكاته وعقله .

ومثل هؤلاء الناقصين يعوضون ما ينقصهم من عقل بالظير الذي كتب
لهم أن يقفزوا إليه ، والعمل الذي يقبضون على زمامه . ولكل منصب
في الحكم روعة تزيد وتنقص بقدر ما يدهن أرباب المصالح للقائم عليه .

وَمَا جُرِّت العادَة أَن يُحَاسِّب النَّاس كُلَّ انسان عَلَى مَا يَبْدُو مِن حِركَاتِهِ وَسُكُنَاتِهِ ، وَلَا أَن يُؤَاخِذُوهُ عَن بَلَاهَتِهِ . وَالْأَبْلَهُ مَعَ هَذَا حَرْبٌ عَلَى ارْبَابِ الْعُقْلِ وَيَتَأْذِي بِهِمْ ، لَأَنَّهُ يَحْبُّ أَن يُمْلِي إِرَادَتَهُ الْعَوْجَاء لَا أَن تُنْلِي عَلَيْهِ إِرَادَةً .

وَكَمْ أَصْدَرَ مِنْ تَسْلِيمًا إِلَى الرِّئَاطِفِ الْكَبْرِيِّ أَحْكَامَهُمْ عَلَى مَا لَا يَعْرِفُونَ وَبَاهُوا بِمَا صَدَرَ عَنْهُمْ ، وَلَوْ كَانَ اقْوَالُهُمْ مَا يَخَالِفُ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ ، وَبَعْضُ اصحابِ هَذِهِ الْآرَاءِ السُّجْنِيَّةِ لَا يَعْدِمُونَ أَنَّاسًا مِنَ الْجَهَلَةِ يَوْافِقُونَهُمْ عَلَى آرَائِهِمْ ، وَيَكْثُرُ مِثْلُ هُؤُلَاءِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْتَّدْنِيِّ ، الْمُنْكَرِينَ فَضْلَ الْعِلْمِ ، فِي جَمَاعَةٍ يَتَوَقَّعُونَ مَا يَنْدِفِعُونَ إِلَى التَّعْرِيْجِ بِهِ إِرْضَاءَ شَخْصٍ أَوْ حَزْبٍ وَلَوْ كَانَتْ بِمِثْلِ هَذِهِ السُّجَافَاتِ تَدَارُ الْحُكُومَاتِ مَا قَامَ عَلَى نَافِعٍ فِي بَلَدٍ مِنَ الْبَلَادَانِ . وَيَالِيْتَ مَا يَنْوِي بِهِ بَعْضُ هُؤُلَاءِ النُّوكِيِّ مِنَ الْآرَاءِ يَسْجُلُ فِي آلةِ كَآلةِ الْحَاكِيِّ إِذَا لَكَانَ مِنْهَا قَصْصٌ تَفْضِيلُهُ وَتَسْلِي طَلَابَ الدِّعَابَةِ . عَاشَ الشَّرْقُ الْمُنْكُوبُ إِلَى الْيَوْمِ وَبَعْضُ مَنْ يَقْدِمُونَ وَيَؤْخُرُونَ فِي مَقْدَرَاتِهِ مِنْ هَذَا الصَّنْفِ الْغَرِيبِ فِي الْعُقَلِ ، يَتَمْبَجِدُ ابْنَاؤُهُمْ بِأَجْدَادِهِمُ الْجَهَلَاءِ وَمِنْهُمْ مَنْ اسْتَثْمَرُوا أَسْمَاءِهِمُ الْكَبِيرَةِ ، وَشَرَفُهُمُ الْمَزْعُومُ ، فِي مَعَاوَنَةِ بَعْضِ الدُّولِ عَلَى مَقَاصِدِهَا فَجَعَلَتْ مِنْهُمُ الْأَمْرَاءُ وَالْزُّعَمَاءُ يَأْتُرُونَ بِكُلِّ مَا تَأْمِرُهُ بِهِ ، كَأَنَّهُمْ بَعْضُ عَمَّا لَا يَنْجَلُونَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَلَا مِنَ النَّاسِ ، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الصَّفَاتِ إِلَّا أَنَّهُمْ يَرْدِدُونَ مَا يُلْقَى إِلَيْهِمْ مَا فِيهِ مَصْلَحةٌ سِيدُمْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُمْ يَعِيشُونَ بِمَا يَفْضُلُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْرٍ يَدْفَعُ إِلَيْهِمْ غَنِّ مِبْوَعَهُمْ وَعَبْدِيَّهُمْ .

قَالَ لِي رَجُلٌ اخْتَلَطَ كَثِيرًا بِأَحَدِ مُلُوكِ الشَّرْقِ أَنَّهُ رَأَهُ مَا أَضَاعَ مِلْكَهُ أَصْبَحَ كَالطَّفْلِ وَضَعَفَ تَفْكِيرَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ أَنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ يَوْمَ كَانَ لِهِ السُّلْطَانُ الْمُطْلَقُ فِي أُمَّتِهِ ، وَلَكِنْ عِيُوبَهُ كَانَتْ مُسْتَوْرَةً بِالْمُنْصَبِ الْعَظِيمِ وَالْقُوَّةِ الْقَاهِرَةِ . وَقَالَ لِي آخِرًا أَنَا إِذَا أَحْسَنَاهُنَا نَقْدُ رِجَالَنَا لَا يَبْقَى لَنَا مِنْ جَمِيعِ مَلَكُوْتِ الْأَرْقَابِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْقَرْوَنِ الْكَثِيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ عَشْرَةِ مُلُوكٍ خَدَمُوا بِالْخَلَاصِ ، وَخَلَدُ

التاريخ ذكره بحق . والأخبار أقل عدداً من الأشرار في كل الأمصار
والأعصار .

॥ نسبت الفتنة العرائية بصر كان قائم مقام الحديوي في القاهرة محمد
سلطان باشا رئيس المجلس فاستأذن عليه بعض رجال الثورة ومنهم عرابي باش
ومحود سامي باشا البارودي وغيرهما وطلبوه ايه ان يجمع المجلس ويقرر تبعية
الحديوي توفيق فقال لهم أنا معكم ولكن الا يجب علينا اذا قرر المجلس تبعية
الحديوي ان يعين شخصاً آخر مكانه قالوا لك ذلك ، واعتزلوا في ناحية
وأخذوا يتفاوضون ساعات فلم يجتمعوا على أمر ، ذلك لأن كل واحد منهم كان
يحاول أن يوجه هذا المنصب اليه ، وكان جوابهم بعد مناقشات حادة : إنما لم تتفق
على شخص . فبعض من طمعوا في هذا المنصب الجليل في ذلك اليوم العصيب
ما سلموا من بلاهة خصوصاً لما أخذوا يتفاخرون ويدلي كل واحد بحججه
التي تكسبه الأرجحية لتوقي الأمر .

ومثل هذا حدث في الشام ايام ولايه الصدر الاعظم مدحت باشا عليها :
جاءه بعض أعيان دمشق يشكون من رئيس بلديتها ويطعنون عليه ،
فسأل الوالي أحد أصحابه رأيه قائلاً إن رؤساء القوم أتونى يتظلمون
من أعمال رئيس البلدية فما ترى ان أقول لهم؟ قال قل لهم اذهبوا وتذاكروا
بينكم حتى اذا اجتمعتم على واحد أمضى المرسوم بتعيينه في الحال ، فعادوا
إلى الوالي من الغد يقولون انهم لم يتقدوا على أحد فالأحسن بقاء الرئيس
في منصبه ، ذلك لأن كل واحد كان يحاول ان يستأثر بهذه الوظيفة
وما قاموا لقصد شريف ، وكانت البلاهة متجلية في حركاتهم ، والغرف
باديأاً في أقوالهم .

الحزب السوري

هذا بعض خطاب لنا يوم الاحتفال بتأسيس هذا الحزب على عهد الامير فيصل يوم ٤ نوز سنة ١٩٢٠ :

كان الناس في القديم محكومين من كثرا اتباعه وجنده هكذا كانت صورة الاحزاب في الدول العربية السالفة وهكذا كانت في رومية وآئينة وكان الناس في القرون الوسطى في اوربا بين ظالم ومظلوم وهذا ما حدا الى تأليف شبه احزاب تدفع عن نفسها ظلم المعتمي عليها وتتضامن فيها بينما فلم يكن يومئذ ما يسمى اليوم بالوطنية ولا بالحق ولا بالحرية ، بل كان هناك احلاف واسياع وطبقات اخرى متضاربة .

قالوا وللوصول الى قيام احزاب سياسية يجب ان تطلق للامة الحرية في بلوغ الغرض بدون استعمال الشدة ولا بد في كل اجتماع بشري من قيام حلف من الشعب يذهب الى الاحتفاظ بالحالة الحاضرة وآخر يرى تغييرها رأساً على عقب وغيره يقف موقف من لا يبالي بما يحدث . والحزب الحقيقي هو الذي ينشر دعوته بالطرق العادلة ويعيش في ظل الحرية مدافعاً بعوامل المصلحة الأدية اكثر من المصلحة المالية فالحزب لا ينبع من مبدأ ولا من نظرية بل من مصلحة وكثيراً ما تكون هذه المصلحة معنوية أكثر منها مادية .

قال علماء السياسة لاجل ان يتيسر بجماعة من الناس تجمع بينهم المصلحة الواحدة والرأي المشترك ان يؤلفوا حزباً يكون عاماً حقيقة يجب ان يكون لهم رئيس او عدة رؤساء ويسود فيه النظام وتكون له صحف تردد أفكاره . للحزب غاية ولأجل الوصول اليها يجب له دليل وكثيراً ما يكفي حتى يقهر خصومه ينبغي أن يكون على شيء من القوة فرئيس الحزب هو دليله وصلة الحزب ، ولا يتولى الرئاسة إلا لانه اثبت مدافع

وافصح مقول فيهم وعلى الرئيس ان لا يرى استعمال الزعامة فان الحاضرين
لقوله لم يخضعوا كالجندى خضوعاً اعمى بل كان رائدهم في خضوعهم ارادتهم
المفكرة وعقولهم المقررة المدبرة ، الرئيس الذي يحمل امر مرؤوسه يتزكى
هؤلاء كالجند يتخلون عن قائدتهم في معungan الحرب ، وقالوا ان الجرائد ضرورية
لقيام الاحزاب ليكون اتصال بين رأس الحزب واعضائه ولبيتوا دعوه
وأفكاره ويجب على الحزب ان يرفع علمه على الرؤوس فإذا اخفاه من
تلقاء نفسه كان كالمتنازل عن عرشه فإذا اكره على ذلك يزيد قوة فتثور
العواطف وإذا ثارت اثرت وفعلت .

وذكرروا ان الاغراض منها مزقت الاحزاب فان لهم جامعة واحدة
وهي « الوطنية » فإذا دعا داعي الوطنية تنسى جميع المخاصمات ، وبالبؤس
امة لا يكون هذا الشعور العالى متاحلا في بنائها فانها تكون اذا ذاك مربحة
مرضاً شديداً . اما اذا كانت الاحزاب العتيدة داخل البلاد تصدر عن الرأى
العام وتتنافس كل المنافسة جباً بالخير العام فهى أشبى بمن البحر وجزره الذى
لا يفيض فلا يخرب شيئاً ولكنه يعطي الاوقيانوس حياة وحرقة .

هذا ما قلته وقد تبين لي بالعمل ضعف استعدادنا للقيام بما نقطع
به الاحزاب وايقنت أن معظم من دخلوا في هذا الحزب كان مقاصد
شخصية لهم ، ولذلك اعتزلت الا ادخل بعد ذلك في حزب منها كانت الغابة منه .

اصدح الْفَمِّ

رأينا عقلاه المصريين مستاءين من الحرية المفرطة التي نالها الناس في الدور الأخير من أيامها حتى لم يعد يقر صغيراً كبيراً ولا يحترم كبيراً صغيراً وحتى كسر بعض الفتىان والفتيات القيود وأصبحوا بلا وزاع .

ساعد على ذلك اختلال نظام الاسر حتى ان الطفل ليتعلم ما يشته ووجه الأدب (قبل ان يبلغ الخامسة من سنـه) من والديه واتراهـه وجـيرـاهـه وآخـوهـه وآخـوهـاته وساعد ان انخلـتـ الرابـطـةـ بينـ الحـاكـمـ وـالـمـكـوـمـ عـلـيـهـمـ فـماـيـراـهـ الاولـ موـافـقاـ بـحـبـ ذـوقـهـ اوـ نـيـتـهـ يـجـربـهـ وـلـاـ يـتـوـقـفـ فـيـهـ وـالـبـلـادـ عـادـاتـ وـلـكـلـ قـطـرـ آـدـابـ وـالـمـغـاوـبـ كـمـاـ يـقـولـ ابنـ خـلـدونـ مـوـلـعـ اـبـداـ بـالـشـبـهـ بـالـغالـبـ لـاعـقـادـهـ الكـمالـ فـيـمـنـ غـلـبـهـ فـيـ الـاغـلـبـ

وبديهي ان لـكـبارـ القـوـمـ الـيدـ الطـولـيـ فيـ اـصـلاحـ العـادـاتـ وـبـالـعـكـسـ ولكنـ بعضـ الـكـبـارـ الـذـيـنـ يـرجـىـ اـخـيرـ عـلـىـ اـيـدـيـهـمـ مـتـرـفـعـونـ وـبـالـأـلـفـ عنـ مـخـالـطـةـ غيرـ طـبـقـتـهـمـ لـأـشـئـزـازـهـمـ منـ سـخـيفـ العـادـاتـ وـبـعـضـ أـهـلـ الطـبـقـةـ العـالـيـةـ - وـهـمـ الـحـاكـمـونـ الـمـحـكـمـونـ فيـ الـعـوـائـدـ وـقـدـوـةـ الـطـبـقـاتـ السـائـرـةـ - اـخـذـواـ الـقـشـورـ منـ عـادـاتـ الـافـرـنجـ وـوـاعـواـ بـهـاـ عـلـىـ اـخـتـلـافـ ضـرـوبـهـاـ . وـاـنـواـ قـوـمـهـ يـعـلـمـونـهـ اـيـاـهـاـ اـسـطـاعـواـ تـلـقـيـهـاـ اـمـ لـمـ يـسـتـطـعـواـ .

وبهذه الأسباب أصبحت عادات المصريين واهل المدن منهم خاصة مزيجاً من عادات الروم والأرمن والسوريين والترك والأرناؤط والطلبيات والنساويين والإنكليز والفرنساويين. وتصور امة يدخل التغيير الى هذا المقدار في عاداتها كيف تصبح لا تعرف ولا توصف .

وبحق ما قال أحد الكتاب في تأليف له نشره منذ أشهر ان اختلاطنا بالأجانب أضر بنا أكثر مما نفع . على ان هذا الفكر لو قيل لرجل في الغرب لضحك منه واستبدل صاحبه ولكن متى شرحته له وعرفته انتا لم تلق معاشر

الشرقين من الغربيين ما كان ينبغي لنا ان نلقاء عذر وصدق ذلك بان اختلاط امة باخرى يفيدها كثيراً ويوقف كلامها على ما عند جارتها من اسباب ارتقاء فتناسى بها وتحاول الجري على مثالمها ولكن اختلاط الشرقيين والمصريين منهم خاصة بالغربيين لم يقدم الا السرف والولوع بالزخرف والبهرج وهناك جيوش من مفاسدهم ورددت على ديارنا فصادفت فيها كرم المtoى وتلقاها اهل الخلاء بتصور رحمة ونشروها مغتبطين بها بين جيلهم وقبيلهم .

ولو كنا مكان من حسن التربية لم نضع الفرصة باحتكارنا بالأجانب وكنا نأخذ عنهم الصبر والثبات والجد نأخذ عنهم عنائهم بالأمور المادية والاقتصادية ونتدارس واياهم دروساً عمرانية ليكون بعدها كل فرد منا مستقلاً بنفسه متوكلاً على جده وجدراته لا على أجداده وأملاكه . هذا ما كان ينبغي لنا اخذه عنهم وبنفس اليوم ان نتعلمه منهم ، ونطرح لهم ما وراء ذلك من أخلاقهم فانها لا تتوافقنا وخصوصاً أخلاق غالبية فليسوا في بلادهم من الطبقة العالية أخلاقاً وآداباً ولو كان كلهم كذلك ما فارقوها وأنروا يطلبون المال عندنا بكل وسيلة .

تعال معنا ننظر اين يصرف بعض الشبان ليايهم . يصرفونها في حال القصف والعزف فيما ينهك الصحة ويضر العقل ، فيما يضر بالنفس والمال والشرف فيما يغضب الديان والانسان .

يقول من يشاهد معاهد العاصمة ومجالس أنسها غاصبة بالشبان وأهل الخلاء ما سهل ضياع الوقت والمال على هؤلاء الناس فكأنهم مخلوقوا ليعرووا له قيمة او كان اوقاتهم ليست عزيزة لديهم وأموالهم مبذولة من اجلهم يتلقفها من بعث لنا الافرنج بهم نواباً عنهم في استنزاف خزائن بلادنا . وحقاً ان فريقاً من الشبان لا يألفون المكت في أماكن اللهو والطرب ولكنهم لا يقضون أوقاتهم الا في السفاسف والمراء والبذاء وهكذا يضيي الليل والنهار بل الاسبوع بل الشهر بل العام بل العمر وشبابنا لانستفيد

منهم الا انصرافهم الى ما يبعث اللذة الى حواسهم والطرب في نفوسهم كأن الشرقي مخلق الا للخفة والطيش وتضييع الوقت والغربي مخلق الا للثبات والانكماش والاقتصاد في الوقت والمال .

ولعمري لو جتنا نحاسب السواد الاعظم من شبابنا كيف يأتهم دخلهم وكيف يخرجونه هل ترى فيهم من يقدر ان يحسب ميزانية اسبوعه او شهره على الوجه المناسب في عرف الاقتصاد .

شبابنا ينقصهم كل شيء ان أردنا ايراد الحقيقة تنقصهم الاخلاق الفاضلة من مثل المروءة والوفاء ولبن الجانب والصدق والثبات ومضاء العزيمة ومعرفة قيمة الوقت والمال والصحة والنظر في العواقب وان لا يرضوا بحالاتهم الحاضرة ويدرسوا ما عند الشعوب الاجنبية المتقدمة من الصفات التي تميزها عنهم يعوزهم ان يعلموا ويعملوا وان يكون كل فرد امة بذاته ويطلب نفسه بنفسه وهناك يحسن حال الجميع .

لو استعاض شبابنا عن مطالعة الروايات الفرامية والقصص والمحاجن بدراسة الكتب العلمية والاجنبية ولو استصعبوها بدأة بهذه اذن لرأيهم مليئ بكثير من حقائق العلم ونواتيس الارتفاع .

لانتكر أن منهم من تنبه فيه هذا الشعور ولكنهم أفراد قلائل حتى ليصح أن يقال إنما لم تزل في دور الحضانة فمتي نبلغ أشدنا وفي كم قرن نبلغ مبلغ الأغيار والوقت عزيز ومنادي الرحيل يستحقنا على العجل .

نحن لانطلب الكمال ولا أن يكون كل شبابنا في الدرجة التي وصفناها وإنما نعني تكثير سواد المتعلمين المتهذبين وتعلم المبادىء التي يعرفها شبان أقل امة مرتبة وهناك تزال مصر استقلالها رغم انف كل مكابر .

هذا ما كتبت في مصر سنة ١٩٠١ فهل تبدل اخلاق معظم الشباب في هذا القطر بعد هذه الحقبة الطويلة ؟ الجواب أنها زادت اخبطاطاً مع الأسف ويمكن ان يقال ان الاقطار العربية ايضاً بقدر ما ترقى في العلوم والمعارف تعطى في آدابها وآخلاقها . ظواهر لا تبعث على غير القلق لمستقبل الامة ، فعلى المسؤولين ان يجددوا همة في سد هذا النقص الكبير .

جمعية المقاصد الخيرية

لو كل بلد اسلامي قام بواجبه قيام المسلمين في مدينة بيروت ثغر الشام ، لا ضمحلت الأمية علة العلل في هذا المجتمع ، ولزداد في بنية عدد المتعلين وأرباب الصنائع ، وعلى تلك النسبة كانت تزيد الثروة والرخاء ، ولنجا المسلمون من مشاكل كثيرة ، وبرئوا بما يتهمهم به اعدائهم من ان دينهم لا يفسح لهم مجالا للنور والثقافة .

أنس المسلمين في بيروت في سنة ١٢٩٦ هـ جمعية دعواها جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية ، وعنت مدة بتعليم النشء الجديد يومئذ ، ثم طرأت عليها طوارىء شلت حركتها ، ومن أهمها ان الحكومة العثمانية ما كانت تحب استرسال المسلمين في سبل التعليم ، على حين كانت تتغافل عن المسيحيين يتعلمون في مدارسهم الطائفية ومدارس المبشرين ما شاءوا وشاءت دول الاستعمار .

ولما اندبت فرنسا على الديار الشامية بعد الحرب العالمية ، كان أول ما فكر فيه المسلمون إعادة جمعية المقاصد الخيرية الملغاة ، خصوصاً وقد رأوا كلمة التبشير تقوى ، فهبوا إلى التذرع لاحياء جمعيتهم في سنة ١٣٣٨ هـ وأخذوا يجتمعون أموالاً ، واستوهوها أرضاً عظيمة من الأوقاف اقاموا عليها مخازن وحوانيت ومقاهي ، فكان لهم منها بأخر ربيع لا يقل عن عشرة آلاف ليرة عثمانية ذهباً في السنة يدخلون نحو ثلثها مالاً احتياطياً ، ولا يفتاؤن كل عام يجتمعون مبلغًا تتنظم به مالية جمعيتهم .

وجعل أولئك العاملون هدفهم الأساسي إنشاء مدارس ل التربية البنين والبنات ، وتقديرهم بالثقافة الحديثة التي تنطبق على التعاليم الاسلامية ، واعدادهم ليكونوا عاملين منورين أقوياء في عقيدتهم الدينية والقومية ؛ وزادوا في مناهج البنات على مناهج البنين - والعلوم النظرية واحدة في

جميع مدارسهم - دروساً عملية في تدبير المنزل ، تناول الطبع والجهاز على اختلاف انواعها ، والاسغال اليدوية والرسم والموسيقى وتربيه الاطفال .

اصبح هذه الجمعية في مدينة بيروت سبع مدارس للذكور والإناث ، منها مدرستان ثانويتان ، احداها للصبيان والثانية للفتيات ، اطلق على كل واحد منها اسم « كلية » . وقد نجح تلاميذها في السنة الفايرة بنجاحاً باهراً ، وكان منهم ثلث من نجحوا في الجمهورية اللبنانية في احرار شهادة البكلوريا ؟ هذا وبيروت مدينة المدارس ، ومنها ما يزيد عن تأسيسه إلى ستين او سبعين سنة . وبلغ مجموع مدارس البنين والبنات في بيروت في سنة ١٩٣٤ - ٣١٣٠ طالباً وطالبة ، وللجمعية عناية فائقة بدارس رياض الاطفال (هذا الكلام قبل سنة ١٩٣٤ وبعد ذلك زاد عدد المدارس وقويت الجمعية فوة يفاخر بها كل مسلم) .

ساهم المسلمون على اختلاف درجاتهم في الثروة في قيام هذه المدارس بدمونها بما تصل اليه ايديهم من المال كل سنة ، وكانت مدارسهم في هذه الازمة الخانقة اقل دور العلم تأثيراً بالحالة الاقتصادية والمالية ، ذلك لأن مدارس الجمعية تدار بأيدي رشيدة ، لا يسرف في مالها أيام الرخاء ، ويراعي في الإنفاق العام الحاضر كما تراعي الأعوام المقبلة .

ولما رأت الجمعية ان التبشير يسري بسرعة في القرى الإسلامية من عمل بيروت هبت لجنة من اعضائها وغيرهم بمعاونة الجمعية نفسها ، وكونت لها رأس مال وبدأت بإنشاء المدارس في القرى في سنة ١٣٤٠ هـ فكان لها منها الآن اثننتان واربعون مدرسة فيها ما يربو على الالفي طالب وطالبة يتلقون التعليم الابتدائي الصحيح على منهج التعليم في الجمعية .

ولم تكتف جمعية المقاصد بما اتت ، بل عمرت لها في بيروت مستشفى ذا طبقتين وبلغ ما أنفق على بنائه ٢٦١١,١٥٩ غرشاً سورياً او نحو اربعة آلاف ومائتي جنيه عثماني ذهباً ، ونشطت المدارس الاهلية الأخرى وعاونتها ، وتولت برجاتها مراقبتها وإرشادها ، ورممت بعض المساجد في

الحاضرة والضاحية ، ومنتاحت معاونات لمن يزيد التخصص في مدارس الشرق أو مدارس الغرب ، وعاونت حفظة القرآن وسهلت سبل اتقان حفظه ، كما بسطت يد معونتها للمولعين بالفنون الجميلة إلى غير ذلك . هذه الأعمال الجليلة قامت بقروش قليلة جمعت من أهل البر والخير جمعها الفئير على أبناء دينهم ، فتألف منها رأس مال لا يستهان به ؛ وبهذه الصورة يكافع البيروتيون الأمية ، ويرجعون إلى حظيرة الدين من كانوا على وشك أن ينسخوا منه ، وكل ذلك بعاونة المستنيرين من المسلمين وفضل رئيس الجمعية عميد بيروت وعين أخيه عمر بك الداعوق الذي كانت طريقة أعوانه انت يعلموا ولا يقولون ، ويبذلون مالمم ووقتهم ولا يبنون ولا يتبحرون .

قررت العيون بهذا العمل الحطير الذي كان سداه الأخلاص ، ولتحت حب الدين والمدنية ، فدفعت جمعية المقاصد الخيرية أبناء أمتها خطوة إلى الأمام ، وغدا الأمل بالمستقبل أعظم من الماضي ، في محيط تتفق فيه مدارس التبشير للأميركان والفرنسيين وغيرهم عن سعة ، وقل في الشرق الأدنى بلد ظهر فيه نشاط المبشرين ظهوره في هذه القطعة الصغيرة من الديار الشامية ، وقل أن كتب بلد قاوم المبشرين مثل سلاحهم كمدينة بيروت . ونعود فنؤكّد لو أن كل بلدة حذت حذو النابحين من أبناء بيروت لقضي مع الزمن على الأمية في المسلمين . وجواهر كل هبة في عقول الرجال ، ولا نجاح في الأعمال لغير المخلصين المثابرين .

هذا ما كتبته في هذه الجمعية العظيمة وما زالت والله الحمد مطرداً سيرها تخرج بها رجال هم اليوم قرة عين المسلمين في هذه الديار .

من آراء شيوخ المصلحين

كثيراً ماسعى الشيخ طاهر الجزائري يقول ان افضل الطرق في
انهاض شعب تشققه بثقافة العصر وثقافة الدين وهذه طريق طويلة ولكنها
امينة الفائلة لا تخرج عن طريقة النشوء الطبيعي أما القول بالثورات وطرق
العنف فقد تتجه ونجاجها قليل وليس مضونه .

كان يقول خاصته إذا أردتم النجاح فلا تلقوا آذانكم لما يقال فيكم
من مدح وقدح وسيروا إلى المهد بقدم ثابتة تفاجروا . وتوقوا أخاعة
الوقت بالقلال والقيل وما لا ينتفع فائدة من قول وعمل .
كثيراً مانصح بعض من يحب إياكم أن تخظوا في رسائلكم إلى
اخوانكم ما لا تريدون أن تقولوه جهرة وكل ما يكتب لا يؤمن نشره
ويفضح به صاحبه فيؤذيه ولا ينفعه .

سأله أحد شيوخ الحشوية رأيه في كتبه وكانت كلها كتب خرافات
وشعوذات بعيدة عن روح الدين الصحيح فقال له : يا فلان استغلوا ونحن
نشتغل وسنرى لمن تكون النتيجة .

كان يقول لبعض تلاميذه : تعلم كل يوم مسألة وابرج للنزهة ولا
تتعب نفسك كثيراً فلا خير للمرء باكراهه على معاطاة امر تضيق به نفسه .
وكان يقول لهم تعلموا كل ما يتيسر لكم تعلمه ولو لغة مالطة فقد يجيء
زمن تحتاجون إليها وإياكم أن تقولوا أنها لا تدخل في نطاق اختصاصنا
فالعلم كله نافع والمرء يتعلم ما حسنت به الحياة .

كان يقول لخواصه من سوء بخت المسلمين أن استولت الدولة العثمانية
على أجمل اقطارهم وحكمتها قرونًا بالجهل والجبرية فأفسدت الدين وما
نشرت إلا الجهل .

قال فروا من الموتورين والسوداويين فرادكم من الوحش ، فهذا أحسن

علاج لهم ولا تضيئوا اوقاتكم باستصلاح من لم يرزق الاستعداد الكافي
لقبوله ، فمن الناس من خلقوا السكة والفنان و منهم من تهأت نفوسهم
لمجالس العلم والأدب والجلاوس في مقاعد دور الندوة ودوادين السياحة .
إذا حرصتم على ادخال الاصلاح في البيوت فلا تتوانوا عن تعليم ابناء
جميع الطبقات ولتكن معظم عناياتكم مصروفة الى تعليم ابناء الأعيان
فإن عندهم المال والجاه إذا تحلو بمحلية العلم والمعارف جاء منهم رجال جد
نافعين وعم الاصلاح الذي تحاولون .

وكان هذه الحكمة مأخوذة من قانون الرهبنة اليسوعية التي جعلت
من شروطها بذل العناية خاصة باولاد الأغنياء حتى يكونوا في مستقبل
 أيامهم اعوازاً جمعتهم .

قال جماعة كانوا يتآملون لما يقع من ظلم قائم مقام البقاع العزيز وكان
من ابناء بدرخان الاكرااد : هل عندكم مسدسات تستعملها للخلاص من
هذا الجور ! قالوا : لا . قال : إذاً وطدوا انفسكم على احتمال الاستبداد
وأورد كلمة من حكم سيدى احمد زروق : « المؤذى طبعاً يقتل شرعاً » .
وكان يقول تعلموا العلم الله ولفائدة وادته ولتكن بكل واحد منكم
صناعة او تجارة او زراعة تعيشون منها احراراً حتى لا تحتاجوا إلى فرع
ابواب الملوك والحكومات فإذا احتاجوكم نادوكم والا فأنتم بما لكم من
أسباب المعاش لا تحتاجونهم .

كثيراً مارأيته يغضب على من يستبطون من الحوادث ما يخطر لهم
بادىء الرأى وكانت يشير اليهم أن يذكروا الحادث كا جرى وسعوه
ويترکوا الاستنباط والتعليق لغيرهم .

ما كان الشيخ يجوز الكذب حتى على الخالف ويحث كل من يجتمع
عليه على الصدق ولا يتقى الا من كان يخشى بأسمه ويعمل بما قبل في
المعاريض مندوحة عن الكذب .

كان الظاهر من حال الشيخ انه جبان رعديد وهو يقوى قلوب من

حوله وينشط كل من يراه أهلاً للتنشيط وأبغض الأحاديث إليه أن يقال في حضرته مايفت في عذر المسلمين كقائد يسوق الجيش بمحكمته ولا يخاطر بنفسه في المعركة لثلا يذهب الجيش بفقد قائد .

كثيراً ما كان يقول لو بلغني أن أهل هذا البلد كلهم راضون عنى ليس لي منهم عذر بعددت نفسي ساقطاً لأن من يرضى عنه كل الناس لا يكون إلا خداعاً منافقاً يظهر لكل أحد بما يرضيه والمصلح لا يخلو من أعداء وأصحاب سوء قال وأحب إلى قلبي أن أرى عشرة من العلاء من مئات الآلاف يرتاحون إلى عملي ويقرؤن .

كان يقول لو أرادني اليهود على أن أعلمهم لبادرت إلى إجابة طلبهم لأن في تعليمهم تقريرهم منا وانتقاء شرهم . وكان غرامه في تأليف القلوب بين أبناء الأمة على اختلاف أديانهم وإزالة الفوارق من بين الفرق الإسلامية خاصة ولذلك كان يعرف من أسرار جميع الطوائف ما لا يعرفه أبناء الطوائف نفسها أو ما يسر عن عامتهم على الأقل . ويقول الحمد لله لقد سالمنا جميع الفرق . أما سيخفاء أهل السنة وهم دونه علماءً وعقلاءً فيبادرون إلى تكفيه كأن بأيديهم مفاتيح الجنة .

ابشر بهم نور



موضع عجب

(في أكثر القصص التي يقرؤها أبناء هذه الحضارة وفي أكثر المجلات والصحف ، وفي أكثر ما تشهده في المسارح وعلى الشاشة البيضاء في الشرق والغرب = حب وهيام ، حب ودماء ، حب ودموع ، حب هايل ، وحب جاد ، ولكن أكثره محصور في نداء الغريرة ، وفي ارخائياً أو حكاوة ارخائية بالف سبيل وسيط ، ولو اضاف سكان الارض سكان المريخ ، لأخذهم الدهش منا نحن أهل هذا الكوكب ، ولظنوا حين يرون مانزى من الاتجار بغريرة الجنس في أكثر ما نقرأ وما نشهد - ان أبناء حواء وآدم لم يرثوا من أبويهما سوى هذا الطراز من الحب البدائي الذي لا فضل فيه لانسان على حيوان . نعم هو جزء حيواني من طبيعتنا ، لكنه ليس كل طبيعتنا وهو نوع من الحب العابر المؤقت لكنه ليس كل الحب ، ولا هو ابقى انواعه واصفه .

(حب الابوة والأمومة والبنوة - اين هو في هذا الحضم المصطبه ، من التزعات البدنية الدنيا ، انه مغرق او يكاد يكون مغرقاً في مجرجي من الشهوات ، في القصص وعلى المسارح والشاشة البيضاء او السواد .)

(حب الانسان للانسان من حيث انسانيته واحاؤه ، لا من حيث ذكرته او انوثته - وحب المواطن للمواطن والجبار للجبار والغني للغريب والقوي للضعيف - حب الجمال في النور إذا حما الظلم ، وفي الطيبة إذا زانها الربيع ؟ وفي المبدع الأعلى لبدائعه ، وفي البدائع لمبدعاها الأعلى . اين الجداول والانهار والحب الشامل ذو القنوات يجري بالعذب الترات من الرحمة والعطف الى كل قلب يتوجع وروح تظمأ ، طفت غريرة الجنس فكأنما الدنيا كلها ذكور وليس لهم الا خصائص الذكور واناث ليس لهم سوى خصائص الاناث - اما حفات الانسان المشتركة بينها ،

المسامية عن التفريق والتخصيص ، فيكاد الناس يجعلونها فضولاً لا غناه فيه
ولا حاجة اليه .)

هذا مقاله صديقي الاستاذ محمد توفيق دياب في كتابه اللمحات وله
الفضل ان سبق الى تدوين هذا المعنى الذي يتناول الشرقيين والغربيين
على السواء ، وكان الغربيون هم السابقين الى هذه المعانى وبهم اقتدى
الشرقيون . دارت القصة في الغرب على المرأة وعلى المهام والغرام يختلق
القصصيون موضوعاتهم ويدعون انها مما وقع وبلاعثهم تقطي العيوب في
كلامهم الذي يحاولون به تسلية الناس واثارة شهوتهم ، ويزيد الاقبال
على ما يكتبون كلما كان الكلام ظاهر الفجور . لاجرم ان البشر كان في
كل زمان يرتكب انواع العبث واللهو وما كان منذ بلغتنا اخباره اقل غراماً
بالنسمة منه ، اليوم ولكن كانوا يكتسون ويستترون واليوم يظهرون
ويعلنون ، كان من يأتون العهر جهراً فرادى فأصبحوا اليوم جماعات .
فلـ الحياة في الناس وما ندرى ما تكون الحال عليه بعد بضعة عقود
من الأعوام ، والبشر متتسارع في كل شيء ، وكل يوم تزيد تأثيرات القصص
والسينما أكثر من تأثيرات المدارس والمواعظ .

٦٤٩٦٥١٦٠٣٨

المدنية الحميمية

خطب بونارد شو أعظم كتاب الانكليز مرة قال : كشفت خرائب في جزيرة كريت يرد عهدها الى كذا الف من السنين فظاهر انه كان للقوم مدنية لاختلف عن مدنيتنا الحاضرة بمرافقها وترتيباتها ، فنماطل ماذا زدنا نحن أصحاب هذه المدنية الحديثة اذا على ما كان للآقدمين من حضارة ، فلم أر أحسن في الجواب من ان ما أتينا به كان عبارة عن اختراع اسلحة وقدائف يقتل بها بعضاً بعضاً ، وبذلك فقط امتزنا على اجدادنا . هذه زبدة ما روي لي من كلام هذا العظيم وقوله في الواقعحقيقة لمساها في الحربين الاخيرتين ، وكانت أمم الغرب من اوروبا والاميركيين يخترعون للتدمير والقتل ادوات من افظع ما عرف الانسان . وبهذا الصراع الدامي اثبت البشر ان الشفقة نزعت من القلوب ، والانسانية خرجت على كل قانون كانت ترعاه ولو بعض الرعاية ، وان الاديانت وجواهرها العطف على الفقراء والضعفاء أصبحت لا تذكر الا على شفاه من يعيشون بالاتسام بها .

كلا انقضى عقدان او ثلاثة عقود من السنين خطت الخارة الحديثة في باب القتل خطى هائلة ، ولا يأتي جيل آخر ان دامت هذه الاختراعات سائرة سيرها حتى يقال ان البشر أصبحوا أحط من الحيوانات ، وقد يتراحم الحيوان أكثر من الانسان . ونحن منها كددنا فرائحتنا لتجد لهذه الحرب الاخيرة مبرراً وندون ما انجلت عنه من فوائد لا نرى الا انها زادت في بؤس الانسان على ما لم يعهد له مثيل ، وكان من ذلك ان العلم وغايته سعادة البشر قد انقلب شر أداة تستعمل في شقائه .

كان يقال كل مشروع تزيد القضاء عليه حوله الى بلنة فينيسي ويهل وقد احتال بعض رجال السياسة في هذا العصر على أنهم لدوام الحرب

بان ألقوا جانباً ومحالس لانتقاء عادية الحروب في الظاهر فما أفادت الإنسانية شيئاً. أنشأوا عصبة الأمم عقب الحرب العالمية الأولى ، واخترعوا مجلس الأمن في الحرب العالمية الثانية فإذا كان من العصبة وما اسفر عنه هذا المجلس ؟ هل بطلت الحروب من العالم في الزمن الذي انقضى بين الحرب الأولى وال الحرب الثانية او بين المدنة الأخيرة حتى الساعة ؟ أم هل استطاعوا تخفيف الويلات والناس يعيشون الى اليوم في خوف الحرب الكبرى ؟ « وتوقع المصيبة أعظم من المصيبة » وهكذا ينشأ من هذه المدينة الشر، إثر الشر لا يحول دون وقوعه مجلس ولا جنة ولا مؤتمر ولا عصبة .

قام مالتوس الاقتصادي الانكليزي في القرن الماضي بفكرة الحياولة دون نو البشر وعدم الاستكثار من النسل الى أكثر مما لا تسع له الأرض فثبتت الأيام خطل رأيه وظهر ان الكثرة الأرضية تتسع لأكثر من يشي على سطحها منخلق ، فقد كان سكانها في أول القرن التاسع عشر ثمانمائة ألف مليون وأصبح في أواسط القرن الحالي عشرين الف مليون اي زاد اثني عشر الف مليون في نحو (١٥٠) سنة على كثرة ما نشب فيها من الحروب العظيمة والثورات والأوبئة ، وظل يأكل ويعيش كما كان في القرن الماضي . ولو بلغ عده خمسين الف مليون لعاش من خيرات الأرض إذا قدر له ان يتتجنب الحروب وكفي مؤونة جلب بؤسه بيده .

فعلى من تقع اللائمة ونحن نرى من يقدمون ويؤخرون في اقدار بني الإنسان ظاهرهم الحرص على السلام وهم يضمرون الحرب في قراة انفسهم ، واساليب اهراق الدماء تزيد شهراً فشهراً ؟ على ساسة الدول الكبرى من الملوك والرؤساء أم على المجالس النيابية التي توافق على اعلان الحروب مرغمة احياناً ويتغلب قليل من نوابها على افكار السود الأعظم ، وفي الامور العظام قد لا يقررون ما يقررون الا اذا صدر إليهم ايعاز من مصدر عال تضطركم الحال الى مراعاته وإظهار الطاعة له . وخضوع الضعيف القوي ظاهر لكل من يحمل عمل الحكومات .

طبقات الناس

في درس الطبقات تخليل روح الجماعة . ومن المتعذر الجمع بينها أو القضاء على الفوارق بين اجزائها ، وهي مهما تعددت درجاتها نرجع الى طبقات ثلاث أمهات : عليا ووسطى ودنيا . وقد تقسم كل طبقة إلى طبقات يكون الفاصل بينها على الأكثر الغنى والثقافة ، وليس المك أن تعد الفقر بالمال الغني بالعلم من الطبقة العليا ، ولا من الانصاف أن تحسب الغني بالمال الفقير بثقافته في الطبقة العليا ، والمثال وحده لا يكفي لرفع المرء فوق الرؤوس ، كان هذا راجحاً أيام كانت الأمية متحكمة في الامم جماء وعلى الملوك والأمراء والزعماء والحكام بل على القضاة والوعاظ والتجار والصناع .

كان المفكرون في كل عصر يصنفون الخلق بحسب ما يتراءى لهم ، والغالب انهم كانوا ينظرون إلى درجات الغنى أولًا ، وما يحترفه المحترفون من الحرف ويحسنون من عمل ثانياً ، ويعتبرون قرب المرء وبعده من الحكم والسلطان قبل كل اعتبار .

قسم المقريزي أصناف الناس لعهده في مصر إلى سبعة اقسام (١) أهل الدولة (٢) أهل اليسار من التجار وأولو النعم من ذوي الرفاهية (٣) الباعة ومتوسطو الحال من التجار ويلحق بهم أصحاب المعاش (٤) أهل الزراعات سكان القرى والريف (٥) الفقراء وهم جل الفقهاء وطلاب العلم والكثير من اجناد الحلقة (٦) ارباب الصنائع والأجراء واصحاح البن (٧) ذوي الحاجة والمسكنة . وهذا التقسيم لا يكاد يختلف عن تقسيم العصور الخالفة إلا قليلاً .

ولما احتفل أحد عمال الدولة العثمانية في القرن الثاني عشر بدمشق (١١٥٦) بزواج ابنته خص كل يوم بجماعة فكانه قسمهم إلى طبقات فكان اليوم الأول للوالى والثانى للعلماء والثالث للمشيخ والثالث للأغوات والرابع للتجار والباعة

والخامن للنصارى واليهود والسادس لل فلاحين والسابع للقيبات والموسمات . قال أحد المؤرخين أن صاحب العرس أكرم هذه الطبقة إكراماً زائداً وفرق فيهن الذهب والفضة . وكانت قبل يوم العرس عمل نهيلية تجمع شياخ الطرق حضرها الخاص والعام .

وبعد فان الطبقات بحكم العادة منعزل بعضها عن بعض لا يتزوج الحكام بالتجار ولا الفقهاء بالأجناد ولا الزراع بأرباب الصنائع الحرة من الأطباء والمحامين والمهندسين . ولذلك كان من العادات الراسخة إلى عهد قريب إلا يتزوج التاجر إلا من ابنة تاجر ، ولا تقتربن الفلاحة إلا بفلح أو ماشيتها طبقة أهلها . وابنة الموظف لا يبني بها إلا موظف ، والشريفة لا ينكحها إلا شريف . وهكذا حتى يكون الزوجان متقاربين بالثروة والعادات .

ولما كثر المتعلمون وال المتعلمات ظهرت الفروق حسوسية بين الطبقات ، ولا تصفو إلا في الندر عشرة الشع ، مع غير متعلمة او المتعلمة مع غير المتعلم وهذا ما يستنتج منه أن الطبيعة ميزت بين الطبقات . ويكتفي اختلاف حرقه الواحد عن الثاني في مجلس أن يتبع كل واحد عن صاحبه . وإذا خرج الحديث عن الأحاديث العامة وتحدث أحد الحاضرين بما لا يتذوقه الحضور يتألف بعض السامعين حتى ليظن أن المتكلم من عالم آخر يخاطب عالماً آخر غير عالمه ، وهذا من تناقض الطبقات . بل لقد تجد أهل بلد واحد اختفت طبقتهم يتباينون في لهجاتهم وفي افكارهم ومنازعهم على قرهم في الجوار كأنهم من بلدة أخرى . وكلما تناولت المنازل زاد التناقض في العادات واللهجات ، ولا يجمع شيلهم إلا توحيد اللغة والتربية الوطنية . المشتركة والتبادر يبقى اثره زمناً طويلاً ويضعف ولا يكاد يوى على ما هو حاصل بين ابن القرى وابن المدن في اوربا واميركا لاشتراك سكانها في المسائل العامة أكثر من سكان المدن والقرى في الشرق . والتعليم الإجباري هناك يضعف تأثير الطبقات في الجلة . ولقد رأينا طبقات الفلاحات هنا اذا وافين الحواضر للخدمة في البيوت يصعب عليهم بادئه بممارسة

بعض مصطلحات الحضارة التي دخلوا فيها ولا يزال الفرق ظاهراً بين القرية وابنة المدينة وبين الجبالية والسهلية لأن لكل واحدة بيته خاصة نشأت فيها. سلم يوفق عالم من علماء الملة منذ كانت الاسلام ك توفيق الجاحظ في تحليل روح الطبقات ولم يحسن أحد الانتفاع بهم والاطلاع على ما خصوا به من ميزات . اخليط بعامة الطبقات وغربلهم ونخلهم وادرك مواطن الضعف والقوة فيهم . هذا وقد ثبت أن التشابه بين اهل الحرفة الواحدة من امم مختلفة أكثر مما هو بين جماع اهل بلد واحد . وقالوا ايضاً ان اهل كل حرف وان اختلفت شعوبهم أدى إلى التقارب في التفكير والعادات بما لا يشهد في تقارب الطبقات في امة بعينها . وكثرة التباين في الطبقات في الهند أدت إلى شطرها شطرين . فسبحان من طبق الطبقات ورفع الدرجات . دعوهنهم السلام .

السبحان طاهر والصيام

طال تفكيري في حال المشايخ الفقهاء فارأيت أكثر من عاصتهم الا شبه العامة بمحرصهم على شهواتهم وتحليلهم لاقتناص الدرهم والدينار واستحلال كل ما يصلهم إلى رغائبهم وزادوا العامة بآن تلقوا اثناء من العلم يستخدمونها لمنافعهم وللبقاء على مظاهرهم فهم لا يعدون العامة في كل ذلك منها احسن الظن بهم ، ومن لا يعمل بعلمه موته وحياته سواه .

وبعد ان كان من المشايخ الى اواخر القرن الماضي من يذكر المنكر ويدعو الىالمعروف قل جداً عدد من كان على هذه السيرة وغدوا لا يتسمون لغير راحتهم ورفاهيتهم وهذا لا يتبيأ لهم الا بصناعة الملوك والحكومات بفيضوا عليهم من احساناتهم ويرقوم الى اعلى مراتبهم ودرجاتهم كان العلم لاثرة له الانفع من تعلمهم فقط لانفع من تستدعي الحال بذاته ورفع اصواتهم عند الاقتناء بما يدفع بالامة الى الامم خطوة او خطوات :

قال لي صديقي الاستاذ سعيد العرفي - وهو من القائين بما اخذ الله على العلماء من العهد الا يكتمو العلم - ماكنت اظن الشيخ طاهر الجزايري أكثر من عالم مصلح واسع العقل بعيد النظر حتى سمعت من اذاعة القدس كتابه الى معاونته حاكم العراق الانكليزية في التوفيق بين مصلحة العرب ومصلحة الانكليز وعندئذ ایقت ان الشيخ جمع الى علوم الدين علوم الدنيا ومنها السياسة على ما كان عليه بعض كبار علماء السلف . وهذا ما دعاني الى نشر هذا الكتاب النادر في هذه المذكرات وهو عندي محفوظ بخطه دفعه إلّي في أواخر أيام حياته قال :

حضرت الصديقة الجليلة الفاضلة الشهامة المصونة من « بال » دام إقامتها احبيك بخير التحايا واثني على تلك السجايا وأذكريك بالأيام المسعودة التي جمعتنا في دمشق الشام ثم اذكرنى الداعي الى المكتبة وهو امران احدهما تجديد العبد السابق والشّكر على حسن ظنك بهذا الحب الخلص فقد ذكر لي بعض اصدقائي ترجمة ما كتبته في حتى في رحلتك الى سوريا يايدل على حسن الطوية ، والأمر الثاني افتتاحه الوقت لذلك فإن هذا الزمان الذي هو اغرب الأزمنة مطلقاً يجب الانتباه فيه لما يلزم وعدم تضييع الفرص فانها نثر من السحاب . هذا ولما كنت اعتقد ان احسن من يخلص له العرب الود هو دولة بريطانيا العظمى لما خبرته من الأحوال ومقتضيات الأمزجة ونحو ذلك - والمودة لـ ما كانت واجبة ان تكون من الطرفين اقتصى الأمر ان يقع التفاهم بينها ليبتدر هذا الأمر فرأيت انه ينبغي لـ انكلترا العظمى ان تعطى بأمور ، الأمر الأول ان تؤسس في كل بلدة كبيرة ديواناً شيئاً بالرسمي لتأخذ الأخبار المتعلقة بما يحب العرب لتساعد عليه بقدر الامكان والذين يعيثون ينبغي ان يكونوا من اعظم الناس معرفة بأمزجة العرب من تلقوا بذلك عن مثل حضرتك الكريمة .

الامر الثاني ان تعطى بأمر اللغة العربية ويظهر منها السعي في نشرها كما يظهر منها ذلك في اللغة الانكليزية .

الأمر الثالث الاعتناء الزائد في المساعدة على نشر العلوم على وجه يساعد

عليه الحال والزمان .

الأمر الرابع مراعاة عوائدهم وعدم الحط من كرامتهم لاختلاف العادات فإنه قد بلغني انه كان يقع في البصرة وال العراق وغيرهما من بعض المأمورين تأهل في ذلك وهذا مضر جداً لا يشعر بضرره الا بعد ان يشتد الحال ويعسر زوال ما في النفس . نعم ان هذا الأمر دقيق يصعب القيام به كما ينبغي الا ان الاعتناء لأسبابه كثير ممكن . والعربى ألم شىء عنده

عدم الموانع .

الأمر الخامس تسهيل أمر تجارتهم وتسهيل أمر التجارة معهم بحيث يظير ذلك وتدريبهم في ذلك على كل ما ينفعهم ولا يضركم .

الأمر السادس الاعتناء بعدم منع الشعائر الدينية على وجه أقوى من الحالة السابقة ، وبما يؤيد ذلك منع أمر المسكرات ونحوها وتوابع ذلك .

الأمر السابع تدريبهم على ما يحتاجون اليه من امور اقتصادية أو غيرها أي شيء كان .

واني أرى ان هذه الامور إذا تمت هكذا تكون النتيجة حسنة جداً ويشتد التلاؤم بين الفريقين ، فإن العرب أقرب الناس إلى شكر النعمة فان وجد من لا يشكر فان في ظهور النعمة ما يقمعه عن ابراز ما ينويه من مغالطة الناس وما قلت ماقلت إلا بعد تجربة او اختبار تام ولو لأشدة انحراف . مزاجي لألفت في ذلك كتاباً مفصلاً قياماً مثل هذا الأمر الجلل الا ان في هذا الامر كفاية والله الموفق

المخلص للامة العربية والدولة البريطانية العظمى

طاهر الجزائري

م附录

الناس الذين على فكري من جهة توافق مصلحة الامة العربية مع مصلحة الدولة البريطانية العظمى كثيرون الا انهم لا يقدرون على اظهار فكرهم الا

بعد أن يروا باعثاً على اظهاره لئلا ينسب إليهم انهم خانون للامة ، فإن هذه الجلة راعت الناس كثيراً وهي جملة اخذتها الشرقي لارهاب غيره سواء كان هو مخلصاً في نفسه أو غير مخلص وكفى بما وقع لنا في طرابلس الشام حين كنا بها في المدة الأخيرة وذلك قبل دخول الأنوريين في الحرب بنحو شهرين فإن بعضهم اشاع عني اني حضرت لتمهيد الأمر لدولتكم العظمى وكان مركز الاتحاديين هناك المركز الأول ولو وقع ذلك لغيري لأهلك حالاً ولم يكن له مانع ولكن اوصوهم في حقي بان يغمضوا عينهم في المسألة رعاية لاعتقاد الجمهور باني لا اختار شيئاً فيه خيانة للامة

وإذا وقع ما ذكرناه يقل الشغب ويضعف أمر الموهين الذين لا يفهم إلا امر انفسهم ، فبادروا لذلك غير مأمورين فهذا اوانه ونسأل من بيده الامر كله التوفيق لما هو الا اوّل .

وإذا كتبت لنا جواباً فاكتبيه بعنوان الجريدة الشهورة الجزيرة الفائدية ، وهي جريدة الكوكب التي يدير امرها المستشرق المشهور صديقنا كودنيري يصلنا اين كنا .

• • •

恚憤

واني أوصيكم ببعض البلاد التي لا أسميهها خيراً ، فان فيها كثيراً من الرجال المهين الذين يعرفون قدر النعمة ويشكرونها ولكنهم غلبوا على امرهم لأنهم لم يعرفوا في وقت الرخاء حتى ينتفع بهم وبرأيهم في وقت الشدة والبحث يجلو كل شيء فينبغي الانتباه لذلك في الحال والمستقبل وقد آن الأوان لمعرفتهم ، وهذا لا يكون الا تدريجياً فليبادر الى ذلك فستعودون عاقبة هذا الامر والله الموفق .

الصفاء والكمار

كثيراً ما حاولت ان أجع بين من لم يسبق لهم أن تعارفوا وبينهم تشابه في الخلق والتربية لعلني أنهم إذا تعرفوا كان من اجتماعهم فوائد عظيمة ، أحب الشاب أن يسمع كلام الكهل والشيخ ، وأحب هذين أن يعرفا الشاب ومراميه ، وقد نجحت هذه التجربة بعض الشيء وثبتت عندي أن من تعارفوا غيروا آراءهم فيما تعرفوا اليهم والبعد جفاء . ورب عدو أزرق أصبح بالتعرف الى آخر صديقاً باراً ولا يعرف أحدنا ما عند صاحبه من مزايا إلا إذا وقف عليها بنفسه .

كانت المذاهب والطرق تفرق بين الناس في القرن الماضي . وأصبحت في هذا القرن البلية بلية الأحزاب ، ولذلك كنت أقول لبعض من أدعوم من الشبان الى الاجتماع في داري مع من لا يعرفون من أرباب المكانة وغيرهم أرجو أن لا تتأثروا إذا صادفتم عندي من يخالفونكم السياسي فيتي لكل الأحزاب ولكل المذاهب .

وما كان يعنيني كثيراً التنشئة بباب النزاهة والاقتدار لعلني بان اجتماعهم يؤلف كتلة صالحة تعمل للخير بدون ان تقيد بقيود الأحزاب والجمعيات التي تكون صحبتهم صحبة وطنية خالصة ليس وراءها غرض مادي .

قال لي صديقي الاستاذ حسن الحكيم قبل أن يتولى رئاسة الوزارة - وأنا أرجوه أن يحضر احدى الاجتماعات في داري - وهل حضوري ضروري في كل مرة ؟ فأجبته لعمري انه ضروري لأن أمثالك قلائل في البلد وأريد أن أعرض على الناس بضاعتنا الجيدة . وما كان في حاجة الى من يدل على فضله فقد شهرته أعماله المالية واثبت كفاءته في تأسيس مصارف في دمشق وفلسطين . وعلى ما يخص به من اقتدار ونزاهة حاول خصومه السياسيون الغض منه ، ولما دخل معركة الانتخابات النيابية الاخيرة

نصره الاهلون وخذلته السياسة ، فانتخبوا في حي أحد ذوي قرباه وهو دونه علمًا وتجربة ، وحجة أهل في رفضهم انتخابه انهم قصدوه وهو في رئاسة الوزارة لقضاء بعض مصالحهم فلم يعاونهم على النحو الذي كانوا يرجونه منه !

ولا أعرف في النواب من يداني الاستاذ الحكم في اختصاصه المالي والمجلس في حاجة ماسة اى سيد تجربه وبعد نظره . وكان طلب احاله على التقاعد فوافقته الحكومة على طلبه . وما أكثر افدام الحكومات على تجربة الاكفاء النزهاء يوم ينهي القانون خدمتهم ، . وفي سن التقاعد تنفتح معلومات العامل ، والمناصب الكبرى لا تتطلب من يشغلها قوة في العضلات بل قوة في التفكير واحكاماً في التدبير .

فساد الطريق

كان المظنون أن يعمد مشايخ الطرق الى إبطال ما لم يعد للزمن طاقة بتحمله من جهالة بادية ورعونة غير خافية . وذلك بعد أن طرأ على عقول العالم من التبدل ما أصبح معه رأي الجمور في المجرمين بهذه الوضاع أسوأ رأي .

استجاز بعضهم العبث بسلكات مریديهم ما طاب لهم العبث ، ولما جاء هذا العهد بعلومه وتفكيكه حاولوا أن يحتفظوا بسلكاتهم على جهل فيهم ، وما أدركوا أن ما كان يطلق عليه اسم «علم» في الماضي أصبح لا يساوي خردة اليوم .

ورأى بعضهم أن يعلموا أبناءهم ليعدوهم لضرب آخر من ضروب المعيش ، او ليكون لهم من سلاح العلم ما يقون به على بيوتهم من الدبور فلم تخنِ الامة من استعلمين ولا من الأميين إلا الصاب والخطلل . ذلك ان العلم لم يبدل من أرواحهم ، وما سلموا من جرائم منشأم

الموبوء ، كما وقع لأحدم فتلقى العلم في أرقى الجامعات الغربية وسررت له نفسه أن يتطوع في خدمة أغراض الغريب . ومن السخف أن كان بعض أرباب المظاهر يعرفون مافيته من خيانة ثم يدون إليه أيديهم يصافعونه ويتوددون إليه ، ولما سقط كان في مواطنيه أيضاً من يقيم له الاعذار ، ولا يستحيي من مصانعته .

عرضت بأخره على إحدى محاكم عاصمة من عواصمها قضية انهم فيها شيخ إحدى الطرق بالعbeit بعفاف الأبكار اللائي مختلفن إلى زاويته ، وكان أهلمن من مريديه وأشياعه ، وثبتت أنه كان يقول لهن انه يقصد بهم الشأن تنويرهن وانهن سيعدن ببركته بآبكاراً على نحو ما كُن قبل أن يلغ فيهن . هذا الدجال الأمي نفذ إلى أرواح من انضموا إلى جنته ، وبالطبع كان من جازت عليهم دعوته مثله أميين جراء .

ومن المفاسد التي تسجل على بعض هؤلاء المشايخ ما لا يصدر منه عن أدنى الأدب ، ولا يجوز ارتكابه إلا أرباب المواتير من السفاه ، وقد سمعنا على الدهر أن بعض الطرق ما كانت تتقييد بالآداب الدينية والمدنية فيبيح الداخلون فيها نساءهم بينهم حتى لميسين مشتركات بين الأخوان من غير نكير ، وكانت مثل هذه المنكرات يفتضح أمرها في بعض الحكومات الإسلامية فتذهب إلى معاقبة الرؤساء وتفرق شيل من ينتهيكون حرمة الشرائع .
سألت أحد مشايخ الطرق وكان يمت إلى الأدب بصلة هل أجدت عليه رحلته في الريف ، وكانت طاف بعض أرجائه ليجمع من أهل طريقة جعله السنوي فقال : ريالات ضئيلة العدد ، وآكياساً من الخطة خفيفة الوزن ، فقلت له : وما السر في ذلك ياترى ؟ قال إن القوم قل اعتقادكم فيما ، ونحن قادمون على المستقبل المجهول . فقلت في نفسي حق الله ظنك ، فإذا كان البشر سائراً بخطى واسعة إلى الآلاف كيف يرضى عن بدعكم وكذبكم ؟ .

نعم لم يبق من سلطان هذه الطرق على العوام غير اثر ضعيف بالقياس

الى ما كان لها قبل خسین سنة ، انهزمت والله الحمد امام قوات الخمارة .
ومن هذا ما زال بعض الدول يوقد جذورها في رؤوس السنج ، تدم بمال
ونجاتهم من غضب السواد الاعظم وتعطف على من يعلم لها بداع من
نفسه ويكتفيها مؤونة تضليل العقول كما كان شأنها في الشام باليام احد
الأحياء بأنه إله معبود بيده القبض والبسط ، وكما زينت لهذا المتهدر
بالابكار بأنه امام يهتدى به ، واوهمت ذاك المتعلم ان من تمام معرفة
الجميل خدمة مارب تلك الدولة بما تزيد لا بما تقضيه مصلحة وطنه .

وعلى سهل الفكاهة نسجل هنا ان احد ظرفاء الاميين اخترع مؤخراً
طريقة جديدة فانضم اليه حتى بعض من يلاحظ انهم على شيء من المعرفة
والذكاء وراحوا يزعمون انه يشرح لهم الفتوحات المكية لابن عربي
وما اكثر ما يدعى هؤلاء التصوفون فك المعنى من كلام متصوفهم . اشتهر
منذ نحو خمس واربعين سنة رجل فران كان يعم بعامة بيضاء شارة العلماء
فسألت عنه احد مشائخني وكانت له مشاركة عظيمة في التصوف هل حقيق
ما يقولون من ان هذا القرآن يفهم الفتوحات المكية فاجابني خاحكا :
نعم هكذا قالوا وهو أمي ايضاً . والعجب الا يضطمع بسر الطرق
إلا الاميون ولا يفهم كتب القوم إلا الجهة المشعبدون على نحو ما نرى في
الطريقتين اللتين جاءت احداهما وهي « القاديانية » من الشرق وكانت
اختراعاً انكليزياً صرفاً ، وجاءت الأخرى وهي « التجانية » من الغرب
وهي بضاعة افرنسية حضة .

ونحن كلما ملنا الى الاعتقاد بانقراض هذه الحلمات الطفالية ينشأ لنا
جيل آخر يحيى الدجل بطريقة له يتبعها فيستهوي قلوب ضفاف المدارك
ولذا حق لنا ان ننادي ان الشعرودة ما انقطعت من الدنيا ولن تنقطع ،
وكل رجائنا ان يبقى العلم على جهاده في مكافحة الجهل ، بغزوه في
بورته ، ويجتثه من اصله ، ويدفعه الى غير رجعة .

فرنسا في شهادى افريقية

من أفطع انواع الاستعمار استعمار فرنسا ، قام في كل قطر احتل على نزع الثروة من أيدي الوطنية ، وعلى نشر الجهل والفساد بينهم ، وعلى تربيتهم تربية خنوع وذلة ، ليكون لها منهم الى الابد عبيد وخول يؤمرون فيطمعون بدول أخرى ورد . قرأت منذ نشأت كثيراً من كتب الثقات من الفرنسيين في نقد سياسة فرنسا في مستعمراتها الاسلامية وتدبرت تلاعب ساستهم في تلك الأقطار مما شهدت شهد الله إلا الظلم الجسيم وإيهام الحلق باسم المدينة . وآخر ما قرأته في مجلة الثقافة المصرية (العدد ٤٣٨) مقالة للأستاذ عبد الجبار جومرد ذكر فيها تاريخ استعمار فرنسا للجزائر وأني نقلأ عن المضبطة الرسمية على نتائج فتنة الجزائر (١١ غوز ١٩٤٥) ونقل مادار في المجلس الاستشاري وما قاله أحد أعضاءه من الفرنسيين من ان الانتقام كان فظيعاً ، ذلك ان قتل بعض الأوربيين أدى الى اعدام تسعة واربعين مسجونة ، ولما رأوا أن العدد لا يكفي ويلزم لاتمامه احد عشر شخصاً أيضاً أخذوا من صفوف المسجونين من أتوا به العدد وقتلوهم كلهم رمياً بالرصاص . قال ان الوالي العام على الجزائر أجاب على سؤال وجه اليه فقال إن احدى واربعين قرية دكت بالطائرات والوحدات البحرية فلم ينج منها ديار ولا حيوان ، وبما ان معدل سكان القرية الواحدة على الاقل الف نسمة إن لم نقل الف وخمسة فلا مبالغة إذاً أن نقرر ان عدد من قتلوا من المسلمين يختلف بين اثنتي عشر الفاً وخمسة عشر الفاً ، هذا اذا فرضنا أن نصف السكان قد فروا واعتضوا بالجبال .

تلك شهادة افرنسي مسؤول في مجلس رسمي ، وهذه عقلية الفرنسيين في كل بلد نزلوه وطمعوا في استعماره . هكذا كانوا في افريقيا وآسيا

وأمريكا ، وهكذا كانوا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين . ذكرني هذا بما نقله إلى أحد أصحابي على لسان أحد أحباب فرنسا من البنانيين قال إن في الفرنسيين الصالح وغيره وانه رأى برقية بالارقام حللت بحضورته أرسلها الجنرال ديغول المسيطر على فرنسا يومئذ إلى مثلك في سوريا ولبنان عندما توترت العلاقة بين حكومة الجمهورية السورية وحكومة فرنسا قال يأمر المفوض الفرنسي أن يدمر ثلثي سوريا لتوطيد سلطان فرنسا عليها . وقال إن هذا المفوض الفرنسي أكفى باهلاك بضع مئات من الأبراء في مدن سوريا فأثبتت صاحب فرنسا أن رجالها كانوا بين ظالم وأظلم ، أما المسلمين فكانوا من هذه السياسة الحرقاء في بلاء ليس بعده بلاء ، وأنا أعتقد اعتقاداً جازماً أن بلاد الإسلام ستخرج من حكم فرنسا إن لم يكن عاجلاً فآجلاً ، ذلك لأن ظلمها بلغ أقصى حد لتطبيقه التفوس البشرية ، ومهمها استحلت فرنسا خنق الحرية في الأقطار التي استولت عليها لابد أن ينفض أهلها عنهم غبار الذل يوماً فيتعمدون باستقلالهم الذي يحبه لهم كل إنسان فيه روح الإنسانية .

كتابات ومحاجج

أقوال مقصولة

تناولت من فرنسا نشرة اسمها إيزوب (Esope) على اسم القصاص اليوناني الذي جاء قبل المسيح بستة قرون وقرأت فيها ما اعتقد أن أفراؤه في كلام من يخدمون الأغراض السياسية تحت ستار العلم ، وخلاصة ما يدعوه إليه هذا البيان الذي تدراً ناشروه وراء أسماء مشهورة عندهم ان نشرتهم هذه لسان حال الاتحاد الدولي للفنون والآداب والعلوم وزعموا أنه انضم اليهم ٤٧ عضواً عن سبع وأربعين دولة . وغايتها أن يكون الحق لكل إنسان في مراسلة المعاهد العلمية عامة ومقاؤضاة أبناء كل أمة ، وأن تطلق له الحرية في تناول الكتب والمطبوعات والروايات وأدوات الصناعة ، وأن يسمح لكل فرد بدخول خزائن الكتب ودور الآثار والأماكن التاريخية ومعامل الابحاث التي هم الطالب وتعنى بها أمنه والدول الأخرى دون اداء رسم ، وأن يمنع كل إنسان حق الترجمة والنسخ وتحليل الناذج وغيرها بما فيه فائدة للثقافة العامة ، وأن يخول الرحلة الى الملك بلا تشديد كبير، ويسمح له بالإقامة في كل مملكة المدة التي يراها ضرورية ، وأن يستمع بمحريته في الأرض التي يحملها يكتب ويخطب ويلقي من المحاضرات مطاب له ، ويقيم كذلك الحفلات الموسيقية والروايات التمثيلية والاعمال الرياضية، وينشئ المعارض ويأخذ ما يشاء من أفلام السينما ، ويقوم بما يروقه من الحفريات والابحاث . قال كاتب النشرة ان الغاية المقصودة من ذلك بلوغ الكمال وكل أولئك لا دخل للماديّات فيه .

و كنت وأنا أترجم هذا أقول في باطنني ترى هل يقتصر أحجار فرنسا وغيرها من الام اذا تحققت لهم هذه الاماني على الام المستعمرة أم بغيرها الشعوب المستعمرة فقط ، وفرنسا الفالية في دعوى الحرية وخدمنا منذ وضعت أقدامها في شمالي افريقيا تحرم على اهلها ان يكونوا على

انهال مع اخوانهم في الاقطان الاخرى ، لم تسمح لابن الجزائر ولا ابن تونس ولا ابن مراكش بان يتراصوا احراراً وينتكلموا احراراً ويعلموا اولادهم احراراً ويجتمعوا احراراً . ولم تسمح لاحد من ابناء هذه الاقطان الاسلامية الثلاثة ان يكاتب احداً من اهل الاسلام في كل بلد نزوله تحت اي داع كان . واظرف ما في هذه النشرة دعوة مؤسساها الى اصلاح كتب التاريخ في كثير من المالك لان ذلك هو المرحلة الاولى في كل حملة سلبية . وعلومنا ان فرنسا اول دولة اوربية اخذت عن العرب وغنمتهم ختم في كتابها واول دولة بدأ تعصبها على اسلوبين فكانت أرضها أتون العصب الديني ابعت منه الحروب الصليبية المعروفة وعم بلاؤها اوربا وهذا الشرق القريب مائة سنة فقط ، واول دولة أصلت من دانوا بالبروتستانية ناراً حامية وقتلت منهم في يوم واحد مئة الف انسان وشردت الباقى وهم عشرات الالوف في هولندا وانجليز وغيرها .

مختصر

أهل السنة والشيعة

لي في جبل عامل صديقان جمعتنا رابطة العلم والأدب منذ ريعان الشباب ولم يفرق بيننا المذهب واختلاف المنشأ والعادة وكانا ، بصفتي رأيهما فيها أكتب في الشيعة أحياناً في بعض كتبى ويوردان لي أشارة ليس لها ما يؤيدها في دولة إيران الشيعية اليوم ولا في أكثر من الشيعة المعتمدة عندهم . يرئان الشيعة الإمامية من وصمات اسمها بعض فرقهم . عنيت بهذه الصديقين العالمين الأديبين الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر .

وحاكم رأيها الخالف لرأيي في أمهات المسائل التي يشترى منها أهل السنة كمسائل الشيفيين ومسائل علي ومعاوية وقد ذكرت أمهات المؤمنين وغيرها مما خالفت فيه الإمامية أهل السنة ، قال الشيخ أحمد : قد نجوت في كتب منحى الأشادة بفضائل الأمويين ولم تتعرض لساواهم بل نجوت إلى نبرة معاوية من سن لعن على على المنابر فقلت « ويقول من امعنوا في درس تاريخ معاوية ان دعوى سنه لعن على عقبى كل خطبة لم يقم عليها دليل ثابت يرکن اليه وما من اثر يدل على أن هذا اللعن تقدم مروان بن الحكم وبذلك يبرأ معاوية من هذه الوصمة » تميل الى تبرئته بهذا الخبر الفرد تاركاً الأخبار التي ملأت كتب التاريخ وبلغت حد التواتر من أنه هو أول من سن اللعن وفرضه فرضآ على أهل مملكته .

« ربنا كنت تزيد بهذا تأييد بجدٍ لملك عربي من أعظم رجال الباية في الإسلام لتوبيخ به بجد العروبة ضد الشعوبية ولكن ما بالك تكتُّن من الخط في شيعة علي وهم ومن يستندون إليه في مذهبهم عرب اصحاب، تبرئ، معاوية من لعن على وتلصق بهم لعن الشيفيين بل تجعله من أركان مذهبهم استناداً على كتاب وقع في يدك بجهول المؤلف لا يعرفه أكثر إبناء الشيعة بل

هو من غلاة العجم الذين اغرقوا في تشيعهم كما كانوا قبل في تسميم
لأنهم لا يعرفون الاعتدال .

«إذا كان في غلاة الشيعة من يقول مثل هذا القول فكيف تقدفهم
كلهم بهذه التهمة وما بالك تقرفهم بقذف امهات المؤمنين ولم يقل بذلك
فائل منهم حتى من غلاتهم لأنهم بتطهيرهم امهات المؤمنين انا يطهرون
حرمة رسول الله الذي يقدسونه ويعصموه عن كل ما يشينه حتى من كل
ما ينافي المروءة وعن المعاصي كثيرة وصفيرها قبل النبوة وبعد ما يل م
يتزهون زوجات الانبياء، كامرأة لوط وامرأة نوح عن مثل هذه الوصمات
وان كن مشرّكات ومع ذلك يتهمون بغياً وافكاً بقذف ام المؤمنين التي
طبرها النص الصريح في القرآن الكريم من الافك وهذا انت تذكره يا سيدى
في كتبك دون ان تشک فيه ثم تنشره على الملا العربي كحقيقة مسامة !!
«وانت تعلم ان في الفرق الاسلامية من بحسب الشیخین وبسب الشہرین
ولم ت تعرض لتشهيرهم كما تعرضت للشیعة فلم ولماذا ؟ لأنك تأثرت باقوال
من يومي الشیعة بكل شیعة تبعاً لسياسة وقبتهم او لاهوائهم عن حسن
ظن بهم ولم تلتفت انى تحيض ما قالوا بساعتك دفاع انتهم عن نفسه إذا
نظرت في كتبه المبعثرة .

«ان التنازع السياسي القديم الذي أدى الى هذا التناحر الطائفي الذي
جرته سياسة القرون الوسطى هو الذي اسس في نفوس كثير من علماء
الطائفتين كره احدهما الاخرى وكثير الافتئات والافتراء من احدهما على
الآخرى ودارت رحى الجدل دوراناً كان ثفاماً بجد الأمة وعزها فوهنت
قوتها واستباح حماها الأعداء من كل جانب وانتقضت بلاد المسلمين من
اطرافها وضع اوضاع استقلالها » .

وقال الشيخ سليمان معلقاً على قوله : قلت ولشيعة المسوودي مدخل
كبير في آرائه لأن من جوزوا الكذب على خالفتهم وغلوا في حب
الطالبيين حتى جعلوهم فوق البشر ، وزعموا لهم الكمال المطلق وان المعاصي
حلال لهم حرام على غيرهم لا يؤثثون على التاريخ ... الخ

«ولا أراك وقد نفذ السهم^٩ واندفعت بهذا التعبير بعامل العاطفة وجري فلمك بما جرى الا وانت راجع الى وازع لك نادم على ما فرط عالم وما طرق العلم عليك بعيدة بما يعتقد الامامية من الشيعة والشيعة فرق كثيرة ومنهم كثير من الغلاة ، مالا يخالف روح الاسلام . «حاش الامامية ان يجوزوا الكذب على مخالفتهم والكذب حرام باجماع المسلمين وحاش أن تعتقد فيهم الخروج منه وهم من احرصم على تغبيه الحديث والاخبار وكتبهم في الرجال وفي علم الدرایة وما انطوى عليه من تنزيق الاخبار وتخصيص اسماء المطعون فيهم بالذكر في كتب الرجال كل ذلك من متناول الباحث .

«والامامية لا يعتقدون الكمال المطلق لائهم ولا لأحد من النبیين والمرسلين وهو لله وحده ولا يرونهم فوق البشر وهم معتقدون ان النبي وهو أفضل الخلق ما كان الا بشراً رسولاً ولا كانوا من الغلاة ولم يبرؤن منهم ومثل ذلك براءتهم من أن المعاصي حلال لهم حرام على غيرهم وهم يعتقدون كاخوانهم اهل السنة والجماعة ان حلال محمد حلال الى يوم القيمة وحرام محمد حرام الى يوم القيمة وان اعتقاد مثل ذلك خروج عن الاسلام وعتقده كافر بالاجماع .

« وهل للأستاذ حرسه الله ان يدلنا على مصدر من مصادر الامامة يؤيد دعواه هذه التي نبراً الى الله منها وهل من يعتقد عصمة الامام عن ارتكاب صفات الذنب وكبائرها لتسكن النقوس الى أدائه رسالة الاسلام حق أدائها يعتقد ان له ان يغير ويبدل احكام الله ، فبعد حرام حلاً وحلال حراماً .

«ان المسلمين سنيهم وشيعتهم عنوا اكمل عنابة بضبط الحديث وتوبیعه وبترجم رجاله وبتعدیل العدل وتوثيق الثقة وتحريج المجروح وما ادى ذلك بما يتعلق بالاحکام ولكنهم تساهلوا فيما يرجع الى المناقب والمثالب والاخبار وكان من اثر هذا التساهل مالم يسلم من الوضع والوضاعون كذلك سواء أكانوا من بعض فرقهم والغلاة منهم خاصة ام من الدسسين من

الاعداء لالقاء بذور الفتنة والفرقة بين صفوف المسلمين وهو ماندعوا الى ملفاة خطره محدثي الفريقين لتمحیصه . وفي اعتقادی ان التوفیر على اداء هذه المهمة هو من اوصل الطرق الى التقارب بين ابناء المذاهب الاسلامية الذي يعمل له رهط صالح من خيار المسلمين السنة والشيعة الامامية والزیدیة في دار الاسلام (مصر العزیزة) .

« واني لانا شدك الله والاسلام وهو على مفترق الطرق وفي زمن احوج فيه من كل زمان الى الالفة والوئام ان تكون في الصف الاول من يدعوا اليها وينهد السبيل لازاحة كل مايعرض سيرهما القوم » .
هذه نبذة من كتابین للصدیقین العزیزین وانا اقول حبذا لو كانت الشیعہ کلہم علی هذا الاعتدال .

وقال صدیقنا السيد محسن الامین من اکبر مجتہدیم في هذا العصر :
وعدة ماينقمه غير الشیعہ عليهم دعوى القدح في السلف او أحد من يطلق عليه اسم الصحابي ، والشیعہ يقولون ان احترام اصحاب نبینا علی الله علیه وآلہ وسلم من احترام نبینا فنحن نحترمهم جميعنا لاحترامه وذلك لاينعنی من القول بتفاوت درجاتهم وان علياً علیه السلام احق بالخلافة من جمیعهم .
وقال ان ما يخالف فيه الشیعہ غيرهم هو من الامور الاجتهادیة التي يجوز فيها الخطأ وليس من ضروریات الدين ولا من اركان الاسلام مثل مسألة الامامة ورؤیة الباری تعالی يوم القيمة وان العباد مجبورون على افعاهم وانكار الحسن والقبح العقليین وخلق القرآن وان صفات الله غير ذاته وهذه هي عدة المسائل الختلف فيها بين الاشاعرة والشیعہ والمعزلة ويجوز ان يكون الحق فيها مع الشیعہ او المعزلة إذ المنظر والرأی والاجتہاد فيها مجال ولا يجوز فيها التقليد .

وقال مخاطباً الشیعہ : وأنتم أئمۃ الاخوان الشیعیون عليکم ان تعملوا بما أمرکم به امامکم امام اهل البيت جعفر بن محمد الصادق من النھب
الى اخرازکم اهل السنة من زیارتھم والصلوة في جماعتهم وتشیع جنائزهم وعبادة مرضاهم وتجنب كل ما يوغر حدودھم .

يقول ابن حزم في الأحكام إن الروافض ضلت بتركها الظاهر والقول بالموى بغير علم ولا هدى من الله عز وجل ولا سلطان ولا برهان فقالت : إن الله يأمركم أن تذبحوا البقرة إن هذا ليس على ظاهره ولم يرد الله تعالى بقرة فقط إنما هي عائشة وقالوا الجبارة والطاغوت ليسا على ظاهرهما إنما أبو بكر وعمر . قالوا وأوحى ربكم إلى النحل ليس هذا على ظاهره إنما النحل بنو هاشم والذي يخرج من بطونها هو العلم .

قال العلامة موسى جار الله كبير علماء روسيا وشيخ الإسلام فيها : « وفي الكافي والتهذيب والوافي من كتب الشيعة لعنات على أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة وعلى العامة (أهل السنة والجماعة) ومم كل الأمة ، وللشيعة ادعية مأثورة في لعن الصحابة . ونقل عن الوافي إن الإمام لم يدع أحداً من يجب أن يلعن إلا لعنه وسماه وأول ما بدأ بأبي بكر وعمر وعثمان (?) ثم مر على الجماعة ولعن الكل وللباقر والصادق دبر كل صلاة مكتوبة أو رداد لعنات على أربعة من الرجال منهم أبو بكر وعمر وأربع نساء منهن عائشة وحفصة » .

« وتقول الشيعة إن الناصب حرب لنا وما له غنيمة لنا والناصب عندم من يعتقد بامامة الصديق والفاروق . يقول الصادق : خذ مال الناصب حيث وجدته وادفع البنا خمسه . والشيعة على ما في كتبهم يكفرون جميع الفرق الإسلامية ويقول الإمام في آئية المذاهب الاربعة : لا تأنهم ولا تسمع منهم لغتهم الله ولعن ملتهم المشركة ! وكل آية نزلت في الكفار أرجعتها الشيعة إلى الصديق والفاروق ومن اتبعهما » .

قال جار الله : وأول شيء سمعته وأكره شيء انكرته في بلاد الشيعة هو لعن الصديق والفاروق وأمهات المؤمنين السيدة عائشة والسيدة حفصة ولعن العصر الأول كافة في كل خطبة وفي كل حفلة وب مجلس في البدء والنهاية وفي دبابيج الكتب والرسائل وفي أدعية الزيارات كلها حتى في الأسفية ما كان يُسقى ساق إلا ويُلعن وما كان يشرب شارب إلا ويُلعن وأول كل حركة وكل عمل هو الصلاة على محمد وآل محمد ولعن الصديق والفاروق وعثمان الذين غصبا حق أهل البيت وظلمواهم .

قال فلما نقام جمعة أو جماعة في بلاد الشيعة وليس فيها قاريء للقرآن ولا حافظ له وان من الشيعة من يعتقدون ان القرآن سقطت منه اشياء امه فلنا ومن الأسف ان يصير التشيع الى ما صار اليه عند المؤمنين وقد اني اكثره من سخافات الدول الفاطمية والبوئية والصفوية ومن دول المند العادلشاهية والنظامشاهية والقطبيشاهية .

وكان في دمشق على عهد الدولة الفاطمية يطاف على الرجل وهو على انحراف وينادي عليه هذا جزاء من يحب ابا بكر وعمر ، ومنت الدولة من التكفي ابا بكر . سمع ابو القاسم بن برهان يقول : دخلت على الشريف المرتضى ابي القاسم العلوي في مرخه الذي توفي فيه فإذا هو قد حوال وجهه الى فسمعته يقول : ابو بكر وعمر ولها فعدلا واسترحما فرحا .

ودخل عليه بعض اكابر الدولة من الدليلم فساره الديلمي بشيء ، فقال له متضجراً : نعم وأخذ معه في كلام كأنه مدافعة فنهض الديلمي فقال المرتضى بعد نهوضه أهؤلاء يريدون منا أن نزيل الجبال بالريش ، واقبل على من في مجلسه فقال : أتدرون ما قال هذا الديلمي فقالوا لا ياسدي فقال : قال يتن لي هل صح اسلام ابي بكر وعمر قلت : رضي الله عنها . هذا رأي عظيم من أكبر علماء الشيعة في ابي بكر وعمر ، وقال العلامة آل كاشف الغطاء من المؤمنين في كتابه أصل الشيعة وأصولها ان علياً رأى الرجل الذي تخلف على المسلمين (اي ابا بكر) قد نصع للإسلام وصار يبذل جده في قوته واعزازه وبسط رايته على البيطة وقال ان علياً حين رأى أن المخالفين - أعني الخليفة الاول والثاني - يذلا اقصى الجهد في نشر كلمة التوحيد وتجهيز الجنود وتوسيع الفتوح ولم يستأثروا ولم يستبدوا ، بایع وسام .

وكان المصلح الامام جمال الدين الايفاني ينفر من قول سفي وشيعي ويقول : لا موجب لهذه التفرقة التي أحدثتها مطامع الملك لجهل الامة فقد اخرج الذين أهوا علي بن ابي طالب من الاسلام لأنهم ضلوا ، أما المفضلة والغلاة في محنة أهل البيت فقد دخل الاننان تحت حكم من قال بذلك فينا أهل البيت اثنان محب غال وعدو قال . وتوسع في ذلك وما آلل اليه من الضرب واقنع السنين والشيعين بالبرهان ، وهذا رأينا .

بین و بین الاستاذ الخوري

كنت منذ أيام أنش جعبي فظفرت بعدة رسائل ارسلناها الى صديقي فارس الخوري منذ خمس واربعين سنة . وكنا اذا اجتمعنا بعض الايام نقضي ست عشرة ساعة معاً نطالع خلاماً ونكتب ونتحدث ونترى ونأكل . فرأيت أن آخذ هنا بعض صورها لاستدل منها على تصوراتنا في تلك الحقبة من العمر .

أراك تعجب كثيراً^(١) ببسالة أهل اليابان وشدة تفانيهم في الذود عن حياض وطنهم وما هم على التحقيق إلا مثال حال أمة نشأت على العم النافع وربت التربية الفاضلة واني وان اعتقاد مكاتب التيس ان مذهب البوسية دخلأ كيراً في غلبة سكان المملكة المشرفة فانا لا اقول ان كل أمة اذا لم يكن في تعاليمها ما يدعو الى الوناء وضعف النفوس والزهد في العلوم يكون شأنها شأن اليابانيين .

لا جرم أنك توافقني على أن أسلافنا العرب كانوا سكان اليابان في جلادتهم ونجادتهم فكان الفرد منهم يقاوم عشرة على نحو ما ورد في الكتاب العزيز « يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا ذلك باهتم قوم لايفقهون ». هذه الآية قام العرب بمضمارها بالفعل فقضوا على مملكتي فارس والروم على قلة عددهم وعددهم .

ولا بدغ فالامة الحية لا تشبه الميته ، وذاك البدوي الفع - الذي عاش بعيداً عن السفاسف ونا مع الطبيع نو الأجسام الحية القوية متخلياً عن رفاهة العيش وقد علمه دينه أن وراء هذه الحياة حياة ثانية ضئيلة

(١) لصديقي فارس الخوري ملحمة كبيرة مطبوعة في وصف الحرب اليابانية الروسية كتبها مجده فهر أناسا وأسماء آخرين .

نها مانشئي الأنفس وتلذ الأعين إن عاش بعد الزحف عاش سعيداً وإن مات مات شهيداً - ذاك البدوي لا يشبه ذاك الفارسي والروماني الذي أشرف على نفسه وأمات الاستبداد عواطفه واسترسل إلى الجحالة . شتان بين جيش يقاتل جنده الجاهل مدفوعاً بعوامل الشهوات مسوقاً بقوة السياط والعصي مسخراً لأمر زعماهه لا يدرى ولا يتحقق له أن يدرى إلى أين يسير وجيشه يكاد رؤساؤه ومرؤسوه يعرفون ماهية الحياة وضروراتها معرفة حكمة حكيمه ينشون عن رضى ليدافعوا عن بلاد لهم حصة من خيرها ويحلقهم قسط من شرها تاله لا يستوي الاعمى ولا البصير ولا الظلامات ولا النور ولا الظل ولا الحرور .

كانت أيام العرب في عداتهم بما تبیض له الوجوه ويتحقق لهم ان يرفعوا بذكره رؤوسهم . وكانوا كيابان الآن اذا زحفوا الى العدو يخاطبهم أميرهم خطاب من لا يرجع ويوصيه ان يسلسلوا القيادة فيهـم إلى عشرة او أكثر اذا قتل قائدهم واميرهم . وما اظن طوغو وكوروكـي وكاميـورا اعظم بشجاعتهم ودربيـهم من خالد بن الوليد وفتيبة بن مسلم وطارقـ بن زيـاد . واذا قابلت بين هؤلاء الرجال فلا يغرب عنك إن للبقاء تأثيراً في الطيـاع ، فمن عاش في ديارـ العرب بعيداً عن العلوم الحربية يتذرـ أن يضاهيـ من خلقـ وسطـ العلمـ فيـ قرنـ كهـذاـ ومنـ ابنـ القرـفـ الاولـ للهـجرـةـ انـ يكونـ كـابـنـ القرـنـ العـشـرينـ لـالـمـسـيحـ .

* * *

كان لشد الجنود في رومية قوانين مقررة ولما زحف القائدان بروتوس ولينيال على المملكة الرومانية دعت جمهورية رومية للدفاع عن حوزتها جيشاً من رعاع القوم ومن الزعافـ واهـلـ الدـعـارـةـ وكانت تعاقـبـ الأـبـاقـ منـ الزـحفـ بـعـقوـباتـ شـدـيدةـ وـكـثـيرـاـ ماـ كـانـ تـقـتـلـهـمـ فـيـ مـيـادـينـهاـ . ومنـ مـلـوكـ أـورـباـ فـيـ عـهـدـ النـصـارـىـ منـ كـانـواـ يـغـفـونـ مـنـ الـجـنـديـةـ وـصـفـاءـمـ وـخـدـامـهـمـ وـرـجـالـ الدـينـ ، وـلـمـ اـخـتـرـعـواـ القرـعـةـ لـتـجـنـيدـ شـعـوبـهـمـ كانـ النـاسـ بـخـالـوتـ لـلـغـلاـصـ نـهـاـ بـالـدـخـولـ فـيـ سـلـكـ الرـهـبـنـاتـ وـالـأـخـوـبـاتـ فـرـارـاـ

من ليس صدر الجنديه وسرابيلاتها و معاطفها ، يستميسون عنها بنوب اسود وقلنسوة وجبة وغبار فكان من يغرون من الجنديه يؤثرون حل الصليب على نقل البن دقية تكون ثياب الاحتياط بغاية الالبة لهم رسما . حال تشبه حال بني قومنا اليوم الذين يسجلون على انفسهم الكتب ويدعون فراراً من ليس طربوش الجنديه انهم من انقطعوا للعلم الشرييف او ان والداتهم مطلقات وهم فائزون على اعاليهن ويغتدرون اعتذاراً بهدوء يعرفها من تعال لهم .

خطب وزير الحرب على عهد لويس السادس عشر خطبة القاها بازير ملبيكه على رجال الجيش خلال حرب السبع السنين وهي الخطبة التي انتقدتها الفيلسوف فولتر قال الخطيب : إن في الديار التي تسافرون إليها اليوم ما تشتهي انفسكم من ذهب ولؤلؤ وناس فالطرقات بها مبلطة مرصوصة والاحجار الكريمة مبذولة بحيث لا تحتاجون إلا إلى ان تندوا ايديكم اليها وتتناولوها . دعوا عنكم ما هناك من قهوة وليمون وبرتقال وقشدة وألوف من الفاكهة المذيبة النضيجه ومنها مالم يغرس كأنها في جنة ارضية . إلى ان يقول : فاياكم ان تسمعوا من يصدونكم عن سبل الحرب من آباءكم وأمهاتكم وخصوصاً أمها تهم فان البراءة لا يأكلون الاوربيين ليجعلوا اجسامهم اداماً لحبزهم القفار فمثل هذه الحشونة كانت تجري على عهد خريستوف كولبس مكتشف اميركا وروبنصون كروزي الذي فدف به الانواء إلى جزيرة مقرة واحسن استخدام الطرق ليعيش ما امكن وبنال حظاً من السعادة في وحدته فان البراءة اليوم هم غيرهم امس وهم على الجملة اصدق خدمة للأوربيين وانخضع العالمين في الارضين .

وانا اعلق وأقول إن الجندي ايّاً كان جنسه ونحلته لابد له من طعام يقتات منه ولباس يقيه لافح الحر ونافعه القر ونفقة تدفع عنه عوادي الحاجة . وسواء وجد الجندي في القاصية او الدانية في الشرق الاقصى او الادنى في جنوبي اوربا او في جنوبي بلاد العرب في رأس الرجاء الصالع او في الاسكندرية لا غنية له عما يحتاج اليه البشر . فاللهم اصلاح قوماً يأخذون

الفراب والكوس باسم جنودم ولا يفيضون عليهم منباً إلا ما يكاد يحفظ عليهم رقمهم الأخير.

سقام بلا براء ضلال بلا هدى ادام بلا ربيّ دم لا بقيمة
هذا والجندى اليابانى قليل النفقات بعيد عن الكماليات والجندى
الروسي متوفى مرفه وشنان بين المتخوشن والمتنعم.

جسرین في ٢١ شعبان ١٣٢٢

١٩٠: تشرين أول

ومن كتاب : انتشار وباء البقر في مصر هذه السنة فنفق به نحو مائة
وquinze الف بقرة وثور وتسامح من وكل إليهم الحجر على واردات مصر
فانتشر في سوريا كما انتشر الوباء البشري منذ سنتين آتياً من مصر ، تنبأ
بحلول هذا الضيف الثقيل عندما قرأت أول الاخبار ، كما تنبأ بان الوباء
تسري عدواه الى سوريا عندما أحذب به ناس في موشا من بلاد الصعيد
في صيف سنة ١٣٢١ . وفي كلتا الحالتين صدق ظني وصحت كهانتي .

وعجيب لعمري حال مصر والشام فانهما أبداً مشتركتان في الآباء
والنعماء إن الحق بالاولى شر شاطرته ايام الثانية وان اصابها خير تستفيد منه
ومازلت أفكرا في حال الفلاح وما أصابه هذا العام من نقص في
الغلال والثمرات للجفاف وفترة الري ، وأطرق مليأً عندما لا أجد في هذه
المزرعة واهلها يتتجاوزون ستائة نسمة (اهل جسرین اليوم ١٣٠٠) من
بلغته أخبار الوباء وفتكاته في القرى التي هي من هذه المزرعة على نصف
ساعة ، ولا أرى حوالي من يحذر مما احذره من تهديد الوباء لما وباء من
ثيرانه فكانت عنده او كادت اعزّ عليه من ولده ، ولا بدّع اذا استراح
جسم من كان هذا مبلغ عقله فالعقل عقال لصاحبـه .

نعم ان الفلاح وانا منهم لیحب بهائه حباً جماً ويکاد يؤثر لو قطع عنه
طعامه وشرابه ولم ينقطع عن ماستيته العلف والمراعي ، وطالما رأيت
بعض الأكتارين والحراثين ينامون في المعالف ليكونوا على مقربة من
حيواناتهم يتعهدونها في الليل بالسقي والعلوة تعهد الامهات أولادهن .

شعور تلبت به ولا خجل من الحق منذ شغلت نفسي بالفلاحة فتراني
ابداً انقض اذا شهدت ثيروني جائعة ولمونة قدرة وعلى العكس اطرب
وأمير واني لأثر دخول الزرية لاري بهائي على دخول قصر فخم
اسمع فيه ما لا يروقني وأرى فيه ما ينفع عيشي ، واختار نشق رائحة
السرفين على ما هناك من الشمومات والرياحين ، واوصي اجراء الدواب
اكثر من عهدت اليهم بتربية اخوتي من المعلمين ، ذوق غريب مضحك لا تجاذبني
فيه بالله عليك ، ولقد كان نصيبك مثله لو بقيت في مسقط رأسك ولم تخرج
من طور السياسة البارية الى دور السياسة البشرية .

جسرین : ١٤ رمضان ٣٢٢

٩٠٤ تشرين الثاني ، ٢١

من كتاب : ان هذه العوائد أليق بربات الخجال منها بالرجال وبصغار
الأطفال امثال من ارباب اللهي والسبال ولقد قضيت مع استاذنا الامام الحكم
الطاهر فرصة من الدهر احاطت بعمر خمسة نهر بليلتها كانت عالما في
اصلاحها وإيمانها يتلو على مسامعنا ما يقذف به واسع صدره من علم نافع
نصوله قلائد لاعناقنا شكرأ لفضلها مدى الزمن وكانت احاديثه علي وعلى
من تكرم بزيارتي من اخوان الصفاء مغنية عن سلافة النديم ملبة عن
نفحة العود والصوت الرخيم وكانت منها في مقام كريم بين روح وريحان
وجنة نعم . ٩٠٤ كانون الأول ٣٢٢ شوال ٦ دمشق

من رسالة :

أيها الحبيب

كتابي اليك عن سلامه وسوق عظيم وعتب طويل عريض . والفالب
ان رواج سوق « المعابدات » وارتفاع كلمة « التشريفات » والظهور في
مظاهر الابهات وتضييع الأوقات في التحيات والدعوات وكل مانصرف
على هذه القاعدة من الترهات قد حالت هذه الأيام بينك وبين كتابة سطور
تبعد على الطمأنينة من ناحيتك . وعجب من حال هذا الدهر في ابناء

يريد لقائنا من نكره لقاءه ومن نحمل بطيب لقائه تفتر نفسه اختياراً أو اضطراراً عن لقائنا وما أنت وأنا على كل حال الا كما قال الشريف الرضي لأبي اسحق الصابي .

لقد تمازج قلبانا كأنها تراضاها بدم الاختاء لا اللبن
انت الكري مؤنساً عيني وبعضم مثل القدى مانعاً عيني من الوسن
واني كلما فتشت قلبي فرأيت لك فيه الحب والوثام اضحك من عقول
الرؤساء السخفاء من همهم تفريق ما بين اجزاء القلوب ومباعدة مدى التحام
النفوس كان بني آدم خلقوا ليتباينوا لا ليتألفوا . شئشة قديمة اشتدت
وطائفها بحكم الجهل وما أزال اغباشرها غير نور العلم فأخذ الناس والمتعلمون
منهم خاصة يرجعون إلى العصور الأولى في الاسلام ويقرأون في تاريخها
دروساً نافعة من ائتلاف البشر على اختلاف الأديان والأجناس ،
إلا حيا الله زماناً كان خلفاء بني العباس يعاملون الرومي والسرياني
واليهودي معاملة المسلم السنى ، وهكذا الأمراء ومن تلاميذ من سائر
طبقات الناس كانوا يتعاملون معاملة الاكذاء منها تباينوا في المعتقدات .
ابيات المثبت كالكلام المفروغ منه أو كالحديث المعاد

وبعد فاني ما رأيتكم وخطر بيالي انك مخالف لي في المذهب ، ومن
عذبي بناء واحد ونشق هواء واحداً وعلم علمًا مشتركاً كان أقرب إلى الاتصال
من تختلفت بيناهم وتناءت أقطارهم وافكارهم وان الياباني العالم على وتنبه
لأقرب إلى قلبي من ذاك الذي لا تجمعني واياه غير كلمة الشفادة وبمخالفتي
في مذهبي ومشربي وعقلي .

وقلت من كتاب له : فإن اقل ما فينا من عيب اتنا نعمل فيما لم نخلق
له ونحاول النفع فيما فيه التلف .

كددود الفرز ينسج ثم يفنى بمرتكز نسبه في الانعكاس /
انت وانا نعد من القوالين لا الفعالين ومن المضيعين لا الجامعين ومن
المادمين لا البانين . انت وانا كمعظم ابناء المشرق نطبع بدرآ من اجل
دربيهات بل بيدرآ من اجل حبات ونختقر نهرآ في سبيل فطرات ولا نحسب

حساب العمر جـًـا بــراحة ساعات ويعز علينا التخلــي عــما نــحن فــيه من الأمور
النــافــهــات ولو ازــلــفــنا من الــبــاقــيــات الصــالــحــات ، اــنت وــاــنــا في غــفــلــة عــامــرــادــ
بــنــا وــعــمــا إــلــيــه ســأــرــوــنــ نــخــاــوــلــ النــفــعــ مــنــ الضــرــ والــســعــادــةــ مــنــ الشــفــاءــ والــغــنــىــ
مــنــ الــقــرــ وــالــحــيــاــةــ مــنــ مــيــتــ وــالــنــبــوــضــ مــنــ مــقــعــدــ وــالــبــصــرــ مــنــ اــعــمــىــ وــالــســعــ
مــنــ اــصــمــ . اــنت وــاــنــا اليــوــمــ فيــ الــثــلــاثــيــنــ مــنــ عــمــرــنــا قــضــيــاــ اــرــبــعــةــ اــخــمــ
فيــ الدــرــســ وــرــبــيــةــ النــفــســ فــأــيــنــ مــا قــمــنــا بــهــ مــنــ عــمــلــ رــافــعــ . اــضــعــنــا اــنــفــرــاــيــمــ
الــشــبــابــ فيــ الــاســتــعــدــادــ وــاســتــجــاعــ القــوــىــ فــأــيــنــ ذــاكــ الــاســتــعــدــادــ وــهــاــيــكــ القــوــىــ
لــوــ كــنــاــ تــقــولــ بــالــتــنــاســخــ وــانــ لــنــاــ عــودــةــ إــلــىــ هــذــاــ الــعــالــمــ الســفــلــيــ لــكــانــ لــاــ
تــعــزــيــةــ عــماــ ضــاعــ مــنــ فــقــدــ الــاعــمــارــ وــلــاــ يــدــ الفــائــتــ الحــزــنــ . نــعــمــ اــنــ مــا نــحنــ فــيــ باــطــلــ
اــذــ الــعــلــمــ اــســ وــالــعــمــلــ بــنــاءــ وــالــاســ بــلــاــ بــنــاءــ باــطــلــ . قــالــ رــجــلــ لــرــجــلــ بــســكــنــرــ
مــنــ الــعــلــمــ وــلــاــ يــعــمــلــ : يــاــ هــذــاــ أــفــنــيــتــ عــمــرــكــ فــيــ جــمــعــ الســلاــحــ فــمــنــ تــقــاــلــ .

فــلــامــ اــنــ لــمــ أــشــفــ نــفــاــ حــرــةــ يــاــ صــاحــبــيــ اــجــيدــ حــلــ ســلــاحــ
اــنــتــ وــاــنــاــ اــعــتــدــنــاــ اــنــ نــنــقــدــ مــاــ لــاــ يــنــطــبــقــ مــعــ الــعــقــلــ وــنــؤــاخــذــ عــلــ كــلــ
عــلــ لــمــ تــتــعــذــ اــســبــابــ إــجــادــهــ فــهــلــاــ عــدــلــنــاــ عــنــ هــذــهــ اــخــطــةــ وــاــشــفــلــنــاــ بــعــبــوبــ
اــنــفــنــاــ عــنــ النــظــرــ فــيــ حــالــ غــيــرــنــاــ . اــنــتــ وــاــنــاــ لــيــســ مــنــ حــقــنــاــ اــنــ نــفــ
عــلــ الــفــلــكــ اوــ نــســيــ الــظــنــ بــالــقــدــرــ بــعــدــ اــنــ اــيــقــنــاــ بــاــنــ عــزــائــنــاــ خــارــتــ وــارــادــنــاــ
ضــعــفــتــ حــتــىــ اــصــبــحــنــاــ نــعــدــ فــيــ غــلــةــ الــقــدــرــ اوــ الــجــامــدــينــ الــحــشــوــيــةــ الــجــبــرــيــةــ ، فــأــنــ
مــاــ يــوــرــثــنــاــ الــمــحــمــةــ مــنــ الــأــعــمــالــ الصــالــحــةــ ؟ــ هــلــ نــشــرــنــاــ بــيــنــ الــمــلــأــ كــتابــاــ اوــ
رــســالــةــ يــنــتــفــعــ بــهــ اــهــلــ جــيــلــنــاــ وــقــبــيلــنــاــ ؟ــ هــلــ أــعــدــنــاــ نــاــســةــ تــخــرــجــوــاــ بــنــاــ وــتــشــرــيــوــاــ دــعــوــتــاــ ؟ــ
هــلــ خــطــبــنــاــ الــقــوــمــ خــطــبــةــ قــوــمــتــ عــوــجــاــ وــفــتــحــتــ مــنــهــجــاــ .ــ بــنــغــ مــنــ مــثــاهــيــرــ الســانــ
وــالــعــلــمــاءــ فــيــ الــعــالــمــ مــنــ لــمــ يــلــغــوــاــ الســنــ الــتــيــ بــلــغــنــاــ فــهــلــاــ كــانــ لــنــاــ مــنــ ســيــرــمــهــاــ بــنــعــتــاــ
وــدــافــعــ وــاعــظــ يــزــجــرــنــاــ .ــ فــاــنــ كــانــتــ غــايــتــنــاــ مــنــ الــحــيــاــ اــنــ نــســتــمــعــ بــاــ بــســنــ
بــهــ ســأــرــ اــصــنــافــ الــجــيــوــانــ فــاــنــ مــعــظــمــ ســكــانــ الــاــرــضــ يــفــضــلــنــاــ مــنــ هــذــاــ الــوــجــدــ
وــاــنــ كــانــتــ بــغــيــتــنــاــ اــنــ نــؤــثــرــ اــثــرــ اــنــحــيــ مــعــلــاــ وــنــشــيــدــ مــجــداــ فــالــطــرــيــقــ الــبــيــنــ
آــخــذــوــنــ فــيــهــ لــاــ تــؤــدــيــ إــلــىــ الــقــصــدــ وــلــاــ تــنــتــجــ إــلــاــ النــدــامــ وــالــحــســرــ .ــ كــلــ بــوــمــ
مــنــ اــيــامــنــاــ الــيــوــمــ يــواــزــيــ شــهــراــ مــنــ اــيــامــنــاــ زــمــنــ الشــيــخــوــخــةــ ،ــ وــاعــمــرــنــاــ نــبــ أــبــدــيــ

الدهر صائدة الى ذبول لا الى غو فهنيئاً لنا إذا سمعنا من اليوم الى الخبر
الاحسن لنا في المغبة واغتنمنا الصحة قبل السقم والشباب قبل المرم .
هذا وذا توكلات على ما يتوكأ عليه الجناء والضعفاء من الحجج الواهية
كدعوى فساد البيئة وقلة الاسباب فأقول لك كلة اجعلها واجلبها
انا نصب العين ودرس عبرة كل حين وهي اننا اذا عملنا والظروف كلها
خادمة موافقة فاي فضل لنا ، بل يتجلى عمل العامل اذا احسن التخلص
وهو وسط المعمدة والخطر يحدق به من كل جانب والاسباب تخونه
ونسلمه . وعلى امل ان القاك اكتفي الان بهذا القدر من خطابك
والسلام عليك .

جرین في ١٣ ربیع الاول سنة ٢٢٣

و آیار سنة ٩٠٥

مقدمة الجمال

سيت في مصر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في مجلس من مجاله
الغاصة بالفوائد سنة احدى وتسعمائة وalf ، وقد جرى ذكر رأس المصلحين
في الاسلام السيد جمال الدين الافغاني أن الاستاذ الامام لاحظ يوم أن
كان في باريز أن صديقه وأستاذه يتغيب عنه كل يوم ساعتين في وقت
معين ، وكانا من قبل يتصاحبان لا يفترقان ، فبحث عن سبب تغيبه فثبت
عنه ان السيد مختلف الى بائعة زهور عليها مسحة من الجمال . قال فلم
اجرأ لكان السيد من نفسي أن أسأله عن سره هذه الزيارة المريبة ، فقلت
لعل الشيخ أخذ يتصابي ، وهو الذي لم تبعد عليه صبوة وما حفظ عنه
الا الجد في كل أمره . قال وما لبث هذا الشك في سيرة الشيخ ان
انقض وأصبح بعد ثلاثة أشهر يتكلم الفرنسيه بطلاقه . وتبيّن ان ذوق

الافغاني العالى هو الذى أمه ان يتخد معلمته سيدة بارعة المجال بمحاضرها لقتها بالعمل امام اصحاب الزهر وطاقات الورد والجو العطر ، وأثر جمال الدين ان يتصل بجمال الدنيا في ارواح مدرسة للنفس . طريقة جديدة في تلقي اللغات تنسى الدارس صعوبتها وتحفذه الى جمع قواه بامتناع حواسه . فعلى ان يجرب رجال التعليم في مصر والشام والعراق هذه الطريقة المبتكرة في تلقين اللغات فيكون للمعلم الافغاني الفضل على الشرق في حياته وبعد مماته .

اصياغ النساء

أولئك النساء منذ أزمان طويلة يصبح وجههن بأصياغ يعتقدن أنها تورثهن جمالاً . وكان الرجال في دولة الرومان كثيراً ما يخذلون حذر النساء ينتفون شعورهم ويحفون لحام وشواربهم ويصبغون وجوههم بالأبيض والأحمر والأصفر ويكتعلون عيونهم ، يستعملون لذلك المواد المعرفة في تلك العصور ، ويصرف النساء والرجال وقتاً غير قليل في اعدادها وساعات في الطلي والتزيين .

وبالغ الغربيات في العهد الاخير يصبح وجهن بالأبيض والأحمر ثم عدن يبالغن بصبغ شفاههن بالمرة ، وما لبث النساء الشرقيات ان نسجن على منوالهن وافرطن في اقتباس هذه العادة ، لما وَقَرَ في النفوس من أن الغربيات ارق حضارة من الشرقيات ، والمنحط خلائق بالآخذه من الراقي .

وما اكنتي الشرقيات بتحمير خدوذهن وشفاههن بل اقتبن من الغربيات عادة اطلاق اظافر أيديهن وطلبيها بالمرة . وترقى فن التجليل عند النساء والرجال على ما هو المشهود في مسارح التمثيل ومشاهد الصور المTUREKA . ونبي النساء ان تغيير الألوان الطبيعية قد بورث الجنس

اللطيف بشاعة ، والاصباغ على الجلة تضر البشرة وتغضن الجلد قبل الاوان
والجمال في الـزاجة لا في التكلف .

وهذه الاصباغ وما يتبعها تؤذى الصحة وتؤذى الجيوب ايضاً
لما ينفق فيها من اموال قد لا تابلي الدول الكبوري كـبرـيطـانـيا العظمى
والولايات المتحدة باتفاقها ، وهي اكثـرـ الدـولـ اـسـرـافـاـ فيـ الـازـيـاءـ وـ الـاصـبـاغـ ،
ذلك لأن اكثـرـ ما يصرف عـنـهمـ يـصـنـعـ فيـ أـرـضـهـمـ وـيـعـودـ رـجـمـهـ عـلـيـ مـعـاـلـمـ
أـمـاـ الـأـمـمـ الـضـعـيـفـةـ فـانـهاـ تـأـذـىـ مـنـ مـثـلـ هـذـهـ النـفـقـةـ لـانـهاـ لـاتـحـسـنـ صـنـعـ
الـاصـبـاغـ ، وـلاـ شـيـئـاـ مـنـ الـازـيـاءـ الـحـدـيـثـةـ ، وـكـلـاـ اوـ اـكـثـرـهـ ماـ تـجـلـبـهـ مـنـ
غـيرـ اـرـضـهـاـ وـتـخـرـجـ اـثـانـهـ مـنـ ثـرـوـتـهـاـ .

كان الناس في الدهر الغابر اذا اراد سادتهم ان يغضوا اليهم امراً
يسوقون رجال الدين لارشاد العامة الى خيرهم ، أما الان فمن يتصدى
للوعظ ، والفقهاء المشايخ في مقدمة من قبل نسائهم هذه العادات الضارة
لابختلف عن اكثـرـ اـنـوـعـلـاتـ بـالـحـضـابـ وـالتـفـنـ بـالـازـيـاءـ ، يـقـدـمـنـ عـلـىـ ذـكـرـ
راضيات حتى لا يوصن بأنهن عدوات المدينة .

حدثني أكبر أعيان دمشق في جيله أن نساء احد الفقهاء زارت
أسرته في بعض الأيام التي كانت فيها الدعوة مشترة في وجوب مقاطعة
النساء الائتـارـ بالـحـبـرـ والاستـعـاضـةـ عـنـ باـزـرـ بـيـضـاءـ ، فـرـأـيـنهـ يـلـبسـ أـحـدـ
الـازـيـاءـ وـكانـ صـاحـبـ بيـتهـنـ هوـ الدـاعـيـةـ لـلـبـسـ الـازـارـ الـأـبـيـضـ ، وـجـعـلـ
الـأـكـتسـاءـ بـهـ مـنـ الدـيـنـ ، حـمـلهـ عـلـىـ الـجـهـرـ بـهـذـهـ الدـعـوـةـ أـنـ كـانـ فـيـ حـانـوـتـهـ
مـنـ هـذـهـ الـازـرـ مـقـدـارـ عـظـيمـ أـصـيـبـ بـالـكـسـادـ فـرـأـيـتـ زـيـنـ لـبـسـ لـلـنـسـاءـ مـنـ
طـرـيقـ الدـيـنـ ، وـحـثـ اـزـوـاجـهـنـ للـعـدـولـ عـنـ الـجـهـرـ الـأـسـودـ وـغـيـرهـ ،
وـلـمـأـبـعـ مـاـعـنـهـ خـفـتـ بـلـ خـعـفـتـ الدـاعـيـةـ لـلـبـسـ الـازـارـ .

قلت لمن استغرب تشدد أهل نجـدـ في استعمال التدخين ، وـحـظرـ
ماـيـخـهـمـ عـلـيـهـمـ طـرـيقـ المـذـهـبـ استـعـمالـ الدـخـانـ عـلـىـ اـخـتـلـافـ أـصـنـافـهـ :
لـاـسـعـرـبـوـاـ عـنـيـعـهـمـ هـذـاـ فـانـ القـومـ هـنـاكـ يـدـقـقـونـ فـيـ تـقـدـيرـ دـخـلـهـمـ وـخـرـجـهـمـ

ويدركون انهم اذا سمحوا بدخول الدخان أرضهم وهي فقيرة يخسرون كل سنة مبلغاً عظيماً من دخلهم ويجلبون الى ابنائهم مايفسد صحتهم وتفرغ به جيوبهم .

من المتعذر في الاقطاع التي يغلب عليها اقتباس كل ماتراه جديداً (كمصر والشام وال العراق) ان يرد النساء قانون مادام القائلون على التنفيذ اسبق الطبقات الى نقضه ، وما بلغ النساء عندنا درجة من العقل تؤهلن الى ان يبنزن من تلقائهن انفسهن مثل هذه البهرجات الضارة .

و بما يسر ما شهدناه في العهد الاخير من اخذ بعض العقائين والاواني بالرجوع بعض الشيء عن الافراط في الزينة . وعدن بوافر من انفسهن يأخذن بعادة السذاجة في اللباس ومنهن من يبدزن أنفسهن على قص ضفائرهن تشبهاً بالغربيات في جعل الضفيرة شبراً وكانت من قبل ذراعاً، ابطلن الشعور المسترسلة على نحو ما بطل صبغ باطن الكف والقدمين بالحناء ، تنفسن النقاشة النساء والصبيان والبنات كما يقص النساء اليوم شعورهن عند القصاصه ويفعلن ذلك احياناً في حوانيت الحلاقين والمزينين .

مخطوطة

سخافة مؤرخ

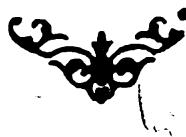
شارل سنيوبوس من عظامه مؤرخي هذا القرن في فرنسا تعلم التاريخ وعلمه سبع سنّة كا قال عن نفسه وما تحرر من لوثات التصب الدينى فقال ان رسول الله كان جباناً سوداويأً تنتابه عوارض من الحمى وتعروه نوبات عصبية ، كلام أقل ما يقال فيه انه ضرب من المذيان لا يقول به من له ادنى مسكة من العقل .

أخذ سنيوبوس عن تقدمه هذا الحكم السخيف على أعظم رجال قضية مسلمة ، ولم تخدنه نفسه ان ينظر فيها وصيده به اعداؤه نظر المؤرخ النقاد ، على حين كان في كتبه يميز بين الطيب والخبيث في أقل المسائل التاريخية ، وترجمة النبي الكريم ما استحقت ان ينظر فيها النظر المجرد عن اغورى ساعة . لاجرم ان رأيه في صاحب الرسالة من الآراء التي لقتها في عباء عن رهبان من الصعب ان ينصفوا خصمهم ، ومنهم اليسوعيون وغيرهم ، والناس كلهم ماخلقوها فلاسفة يستمدون في قول الحق .

الشعوب اللاتينية من أشد الشعوب الغربية تحاماً على الاسلام ، وإذا شهدتم من بحكم العقل من أبناءهم في آرائه فأيقنوا أنه من الشواد ، وأنه درس في غير مدرستهم ، وتنتف بغير ثقافتهم ، وفتح الله عليه باباً من الفهم فCHAN قلبه عن الكذب ، وبرهانه من الخلط . وقد فطن لحقيقة محمد عليه الصلاة والسلام كبار علماء الانكليز السكسونيين خاصة ، وألقموا أصحاب رومية حجراً وكذبواهم وسفهواهم .

ஹוּלְיאָת מִצְרַיִם

لما استقبل صديق الاستاذ علي عبد الرزاق باشا في مجمع فؤاد الأول اللغة العربية في القاهرة عضواً عاملاً خلفاً للدكتور علي ابراهيم باشا كان المعرف به أحد أعضاء الجمع رصيفي الاستاذ عبد الوهاب خلاف فقام يعدد نواعي تناقصه وذكر ماله من آيات بيضاء على الأدب واللغة وأغفل ذكر مكان آية نبوغه الا وهو تأليفه كتاب (الاسلام واصول الحكم) وهو الكتاب البديع الذي احدث خجولة في مصر وقرر العلماء من اجله اخراج الاستاذ عبد الرزاق من سلكهم ، اغفل السيد الخلاف ما يفخر به رصيفه وذكر له ما يشاركه في معرفته كثيرون في مصر وما أنى المرحباً بما أنني الانزواً على حكم السياسة ورعايتها . وعجب ما حدث في الأول وما حدث في الآخر . فإذا كان حكم العلماء الرسبيين على ابن عبد الرزاق صحيحاً يوم صدر كتابه في الخلافة كيف ساغ اليوم أن ينتخب عضواً في أعظم مجمع مصرى . تناقض مالنا الا السكوت عنه



تحيز الفقير

قلت ذات مرة للأستاذ المازني تعال معي الى وزارة الصحة أعرفك الى صديقي الدكتور علي فؤاد (رحمه الله) فقد يقصدك من ترى من المروءة معالجة اسقامهم فيكون لك من الدكتور النطاسي خير معاون . فلما دخلنا على الطبيب الحبيب أوردت على مسامعه ما قلته للأستاذ المازني فقال : حقاًني أحب القراء وقد جمعت من أموالهم مالاً قليلاً بارك الله لي به . وكان من عادني اذا دعاني الأغنياء لأطبّهم أتهل وأنلّاكا حتى يكرروا طبّي مرتب وثلاثاً . وبهذه المناسبة أقص عليكم قصة وقعت لي لتعذروني في عطفي على القراء فقال : جاءتنى امرأة تصحّبها ابنتها وكانت هذه ذات سمة من المجال الريفي فقالت لي : ان ابنتك خلفت ولداً ، فاتسع على اثر الولادة مكان خروج الطفل بحيث لم تعد صالحة للرجال^(١) وان زوجها عزم ان يتزوج من غيرها . قال فأخذت بمعالجه الجزء المنفتق بالطرق الطبية المعروفة ومنها التخبيط ، حتى تاکدت الفتاة من نفسها ان ذاك الجزء من جسها راجع الى سالف عبده ، واتقدمت أمها وقالت لي ها هي ثلاثة جنبيات ، وهي كل ما قدرت ان أجمعه لك ، ورددت عليها دراهمها ، وقلت لها اصرفها على ابنتك . والتقت الى الفتاة مازحاًها بقولي : نحن يا سترعون كما المخرج ان نحيطه (والتخبيط معنيان المعنى المعروف والمعنى الآخر يعرفه العوام في مصر) فضحكـت الام وأبنتها وانصرفـتا شـاكرين مـغبـطـين

(١) وقعت لنا خلال هذه المذكرات بعض معان أو الفاظ لا يقرنـنا على استعمالها بعض المتزمـفين وما زـلا نستقرـب انـكارـمـنـدوـنـ مثلـ هـذـهـ الـأـمـورـ ولاـ يـنـكـرـونـ ماـ يـنـشـرـ كـلـ يـوـمـ مـنـ القـصـصـ الفـرـامـيـةـ السـاطـعـةـ وـالـصـورـ المـفـرـيـةـ الـفـاتـنـةـ فـيـ الصـفـحـ وـالـمـجـلـاتـ وـالـكـبـرـ كـأـنـ هـذـاـ الـأـدـبـ الـذـيـ يـسـمـونـهـ الـأـدـبـ الـكـشـفـ يـفـتـنـ إـذـاـ كـانـ لـلـفـنـ وـمـاـهـوـ بـفـنـ بـلـ هـوـ الـفـتـةـ بـعـبـنـهاـ

ونسبت الحرب العامة الاولى بعد حين ، وعز وجود الحبز ، لانصل
الايدي اليه الا ببطاقات وفي ذات صباح قيل لي ان بالباب رجل يسوق
جملأ يريد مقابلتي ، وتقدم وعرفني بنفسه قائلًا انه زوج الفتاة التي اجريت
لها العملية المعمودة ، فحاولت أن أظهر اني لا أعرفها فقال الريفي ان معرفتك
عظيم : وقفت الطفل الذي وضعته امرأة من التشتت ، وصنت بيتي من
الحراب ، ووفرت على مالاً كان لا معندي من صرفه في زواج ثان ،
فارجوك أن تقبل هذه المدية التي لا تفي ببعض أياديك على . فسأل
الدكتور عن نوع المدية فقال : كيسان من الحنطة وأوزة وخاروف
وصفيحة سمن وصفحة عسل ، واستخبرته عما كانت تساوي يومئذ ،
وقدرت ثمنها ظناً بعشرين جنيهاً قال : كانت تساوي أكثر من ثلاثة .
وعندها أقسمت له أن هذا المعروف الذي أسداه للريفية لو كان زوجها
غبياً ما فكر فيه فضلاً عن أن يقابلها عليه بثله ، قال : لذلك أنا أحب الفقراء
وأعطف عليهم ، وأعتقد فيهم الخير ، ثم سأله وهل كان صاحب المدية
موسراً ؟ قال أنا سألت هذا السؤال كان يملك بضعة فدادين فقط .

كتاباتي في مصر

اليهود في فلسطين

كتب إلى هذا العام أحد المستعربين من علماء المشرقيات يقول :
والعجب العجاب في كل هذا أن وراء كل هذا التحاسد في الباطن (بين الدول
الكبيرى) اليد الطولى لليهود الذين انتشروا منذ الفي سنة في العالم الحضري
مثل القمل في البدن الصحيح وتعلمون كيف ثاروا في القرون الاولى على الروم
في فلسطين في الحرب التي حصلت في اخراب الثاني المقدس وكذا في القرون
التالية والآن هم في ايامنا يملكون في اميركا الذهب والاعمال المالية وفي
روسية هم رؤساء كثير من الاشغال العمومية وكذلك حالمون عندنا
- وانتم تعرفون ما يقع في فلسطين - لا يجسر وزير ولا مدير جريدة
أن يلوم يهودياً في أي عمل عمله وكذلك وراء البحر المتوسط . ومن المعلوم
ان اخلاق اليهود في الأكثر فاسدة وهذا الفساد يحمل عداوة لا رحمة فيها
وهم يملكون الجرائد والسينما والمواخير وما يشبهها حتى في الصين والبرازيل
يجلبون الآنسات من الاقطارات كما كانوا يتجررون بالخصبات والجواري في
القرون المتوسطة . ولو نظرنا فيها يكتب هذه الأيام في جرائد بلادنا
بشأن المساعدات للبلاد التي افتقرت في الحرب ، لوأينا أن وراء كل هذا
الحرص على الربع الفاحش اذ ليس في قلوب الذين يقدمون هذه
المساعدات حبة من كرم الاخلاق وما غایتهم إلا الربع الزائد ، وكل
هذا يلاً قلبي باليأس من مستقبل الامم وأنا أحمد الله على أنني رأيت في
سبعيني العصر الذهبي الذي لا رجاء لعوده الى ان أرجع الى حياة أصلع من هذه.

اللهم و الشوارب

في سنة ١٨٩٨ زار الشام الامبراطور غليوم الثاني الالماني فأعجب
شبابنا بهنداهه و تبرجه و هالم حفنه شاربيه بحيث لم يبق من طرفيهما الا
قليلًا غمراها بعد فتلهم ما بدھن مطيب وما هي الا أيام حتى اقتدوا به في
شواربهم وعدلو عن السبلات المسترسلة وكانوا يمشطونها ويرطّلونها كما يمشط
أهل اللحى لحام ، وبطل زى الشوارب على ماقدر الله وقضاء .

كان الناس يبقون على اللحى في العادة وتعلموا على الأيام حلتها ، اقتبسوه
من الأتراك والافرنج والى القرن الماضي كانوا يستفظعون حلتها . ولما جاء
السلطان سليم الى مصر ليضمه الى ملكه كا خصم الشام عجب المصريون منه ومن
جنده وضباطهم ، لأنهم كانوا يحلقون لحام ، واللحى عندهم مثل الحكمة
والتعقل وعلى ذلك كان ينظر اليها عند الكلدان والاشوريين والعربانيين
وقدماء فلاسفة الهند ، ومشى على آثارهم فلاسفة اليونان والعرب في الاسلام .

في الحديث أنهكوا الشوارب واعفوا عن اللحى ، وفيه : خالفوا
المشركيين : وفروا اللحى واحفووا الشوارب . ولما بعث باذان عامل كسرى
على اليمن الى النبي عليه السلام رجلين من قبله نظر اليهما وقد حلقا
لحاما وشواربها فقال : ويلكما من أمركم بهذا قالوا : ربنا ، يعنيان كسرى
قال لكن ربى امرني ان اعف عن لحيتي وأقص شاري .

وما فتى الحال في الشعوب الاسلامية والنصرانية والوثنية بختلف
بين حف اللحى واطلاقها حتى عصرنا هذا ، وقد متعد فيه كل انسان
بحريه التصرف بلعيته يبقيها او يزيلها ، ومنهم من كان يقتصر على فبغة
ومنهم من يصلح الى قبضتين . ورأيت شيخاً من مشايخ الطرق اطلق
لحيته حتى تجاوزت حد الحالين وكان موضع استغراب النساء والولاد
بلغطرون فيه وبسخرون كلها رأوه . وكنت اذا وقع نظري عليها اذكر

لحة ضياء الدين القزويني (المتوفى سنة ٧٨٠) وكانت طويلة جداً بحيث تصل الى قدميه وما ينام الا وهي في كيس ، وكان اذا ركب يفرقها فرقتين . وكان عوام مصر اذا رأوه قالوا : سبحان الحالق . فكان يقول : عوام مصر مؤمنون حتى انهم يستدلون بالصنعة على الصانع .

وبعد فالخطب سهل في لحى الرجال فما قوله اذا كانت النساء لحي ولحي طويلة . كنت قرأت في صحيفة افرنسية ان النساء في بعض مقاطعات فرنسا - أنسنت اسم المقاطعة - تنبت لهن لحي كالرجال ، ورسمت صورهن وكانت اقصر قليلاً من لحية شيخ الطريقة ذاك . فتأمل امرأة بلحية تتجاوز القبضتين .

واللحى على الدهر عزيزة على من يطلقونها ، ومن ثم بلحنته فكأننا ثم بأعز عزيز عليه . فقد أراد بطرس الاكبر قيسار روسيا ان يكره شعبه على قص لحام فلكلاد يفقد عرشه ، ولما أمر أمات الله خان ملك الافغان بحلق لحي رعيته فقد عرشه ، وعذر اعمله تعدياً على شرفهم . وفي أدبنا أشياء في اللحي ومن أجمل ما قال ابن الرومي في هجو صاحب لحة ان نطل لحية عليك وتعرض فالمخالي معروضة المحمير علق الله في عذاريك مخلدة ولكنها بغير شمير لو غدا حكمها الي لطارت في مهب الرياح كل مطير

الجمع بين المقاولات

قالوا ان كل لسان بانسان اي ان لكل لسان ثقافة تختلف من بعض وجوهها الثقافة الأخرى ، فإذا انضمت الثقافتان كان الكمال الذي يصعب الحصول عليه بلغة واحدة ، وانا اذا أمعنا النظر في تفكير من لم يتعلم غير لغته تجده منها بلغ من أحكام الثقافة متى جئته بأمر يتوقف على معرفة شيء جديد موسّع النطاق حائراً يشعر هو بنقصه كما يشعر به مخاطبه كأن هناك عالماً ما دخل فيه وأرضاً غير أرضه ذات حواجز يتذرع عليه تحديها .

جرت عادة أكثر شعوب اليوم أن تدرس من اللغات ما يعوزها وعلى هذا كان العالم منذ أقدم العصور ، وكان في الدراسة الملا migliحة كثير من الفوضى وفي دراسات اليوم نظام وتنسيق ، فالمهولاندي يدرس لدينا منذ الطفولة مع لغته الالمانية والإنكليزية والفرنسية ، والروسي يدرس الالمانية والفرنسية ، والإيطالي الالمانية والفرنسية ، والبولوني الروسية والالمانية والإنكليزي الالمانية والفرنسية ، والفرنسي الإنكليزية والالمانية وهكذا يأخذ كل شعب ما يعينه من اللغات على كسب رزقه وعلى مطالب أخرى ، وانتشار كل لغة على مقدار قوتها سياستها واسع تجاراتها ورواج صناعتها .

والأمة كيف كانت الحال لا تضرها قلة المتكلمين بلغتها بقدر ما يضرها جهلهم وتأخرهم ، فمن يتكلمون البرتقالية والإسبانية او فر عدداً من يتكلمون الفرنسية ، والفرنسيين ارقى من يتكلمون لغتي جيرانهم في أوربا وجنوبي أميركا ، والسويديون والزوجيون والبلجيكيون والهولنديون والدانكيون والسويسريون والفنلنديون ارقى من أمم يعد سكانها بئات الملايين كائفون والصينيين والاندونيسيين .

وعني العرب منذ القديم بتلقي بعض لغات غير انهم فنهم من كان يتكلم الفارسية والسنديه ، ومنهم من اختص بالرومية والتركية والنبطية والبربرية ، ومنهم من تكلم القشتالية واللاتينية وغيرهما من الالسن الراجهة وما افقطت من جسم الهند العظيم في القديم امارات اسلامية راجت فيها الفارسية والعربية ، وما توطدت اركان مملكة فارس في العهد الحديث راجت الفارسية بين الشعوب التي خضعت لها من العرب والاكراد ، وكذلك شأن التركية مع العناصر التي اندمجت في الدولة العثمانية ، وما انفصلت رومانيا واليونان وصربيا وبلغاريا والبانيا ثم بلاد العرب عن دولة آل عثمان نسيت في تلك الممالك لغة الترك في مدة قصيرة ، لأن التركية ليست لغة علم ولا سياسة ولا تجارة ، وأكثر من كانوا يتتكلمونها من العناصر الأخرى غير التركية كانوا يقصدون من تعلمها الدخول في الوظائف ، وأموظفون فئة خشيلة بالقياس إلى جموع كل عنصر . وما تحضرت اليابان واهنده بالخمار الانكليزية راج في بلادها اللسان الانكليزي وما عهد الانتداب في العراق وفلسطين وشرقي الاردن الى انكلترا راجت فيها اللغة الانكليزية ، وما كان الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان زادت فيها العناية باللغة الفرنسية حتى اذا انقضت أيامه أخذت الانكليزية محلها لأنها أنسع للشاميين في تجاراتهم وعلاقتهم مع اميركا وانكلترا والشرق الاقصى واوستراليا وكندا وجنوبي افريقيا ، وبقيت الفارسية والتركية في العراق والشام مقصورة استعمالها على افراد وعدد من تعلموها ينزل سنة عن سنة في القطرتين العربيتين .

ولا مناص لكل امة صغيرة كانت او كبيرة من تعلم لغتين على الأقل ، ومن الأمم الصغرى في الغرب من يتكلم بنوها ثلاث لغات فأكثر ويسهل عليهم تلقي لغات غير لغاتهم لما اهتدوا اليه من الاساليب السهلة في التعليم فيخرج الطالب في أشهر قليلة بما يلزمه للتتفاهم باللغة التي تعلمها وقد يصرف سنتين أو ثلاثة فيتقنها بما يقرب من اتقان أهلها وبحكمها كل الاحكام اذا كتب له ان يختلط باهلها زماناً .

ومن المجمع عليه في الغرب ان البولونيين كالشاميين من الشعوب التي تتقن لغات شتى لأن لسانهم مجهز بالبراءات الازمة ، وخارج الصوت تامة عندهم ومن السهل اتقان لغة اصولها واحدة مع لغة اخرى كالمولاندية مع الالمانية والفرنسية مع الايطالية والاسبانية مع البرتقالية والسويدية مع النرويجية والبلغارية مع الصربيه . والانكليز والفرنسيين أقل الامر تعلمأً للغات ويتعذر عليهم النطق الصحيح بلغة اجنبية خلافاً للالمان والطلبان .
يساهم العرب لعذنا باتقان لغة الفرس كما تساهل الفرس باتقان لغة العرب منذ القرن الثامن من الهجرة وتاريخ الفرس والعرب متلازمان ، وعسى ان تزيد العناية بتلقين هاتين اللغتين في الجامعات العربية : (الاسكندرية ، القاهرة ، دمشق ، بيروت ، بغداد) كما يعني بتدريس الاسبانية والبرتقالية حرصاً على الروابط القديمة والحديثة بين الشعوب العربية والفارسية ، والعرب والشعوب البرتقالية والاسبانية .

يقول مهاتما غاندي ، ليست دراسة منظمة للثقافات الآسياوية باقل وجوباً في اكتساب التربية الكاملة من دراسة علوم الغرب ، فينبغي أن نبحث عما في السنكريتية والعربية والفارسية والبابلية والمجاودية من كنوز ثمينة لنظر باسرار المؤبد الوطني ، يجب ان نبني ثقافة جديدة على ثقافات الماضي التي نمت واثرت باختبارات العصور وتكون هذه الثقافة مركباً من مختلف الحضارات التي فعلت بالمهند وانفعت بروح الاقليم ولا يصنع هذا المزيج على النمط الاميركي والثقافة المسيطرة في اميركا استغرقت كل ما عدتها وقضت عليه ولكل ثقافة حقها ومكانتها والبعد هو التآلف والوفاق لا اصطدام وحدة عنوة وجبراً اهـ

العيار العالي

يحكى على عظمة امة بوفرة من نبغ فيها من العيار العالي في العلوم والآداب والسياسة . وقبل هذه النهضة العربية لم يكن في افطارنا من هذا العيار إلا افراد قلائل في كل قطر وزاد العدد على قدر اممان العرب في الاخذ من علوم الغرب . فنا أبناء مصر من العيار العالي لسبتها غيرها الى تلقيف العلم الحديث ، وقبل النهضة المصرية الأخيرة كان يندر ظهور العيار العالي في المصريين كما يندر في غيرهم .

العيار العالي في القطر المصري يظهر القرن بعد القرن وعيارهم عال بالقياس الى زمنهم لا بالقياس الى هذا الزمن . كان الحال في مصر على ذلك منذ عهد الفراعنة فالروماني فاليونان فالعرب وما عرف منهم الا من خلفوا آثاراً عملية في الهندسة والتشريع .

وعدوا من رجال العيار العالي في الاسلام من اتقنوا علوم الشريعة وما اليها . وما عهد ان زاد عدد رجال الفكر والعلوم المادية في قطر من الاقطان العربية بقدر ما كان يزيد عدد رجال الدين ، وكان من يتعلم علمآً غير ديني فبدافع شخصي وبعامل من العوامل التي تخرج الرجال رغم ارادتهم احياناً . وما كل من اشتهروا هم اهل الشهرة وما بكل من خلت اسماؤهم لا يستحقون من المكانة اكثراً مما وصلوا اليه .

قد ينبغى في بعض الأعصار والاقطان رجال احربياء ان تقرن اسماؤهم الى اسماء العظام وامتاز من سينامهم النبغاء في مصر من كانوا رجال عمل على الأكثر يظهرون بالملوكي الذي يجب ان يظهروا فيه وفي الزمن الذي تحتاج مصر الى ظهورهم وقد اشتهر في وادي النيل زمرة تعد مفخرة في الفلك والطب والجراحة والقضاء والهندسة وكان اشتئار بعضهم باتقانهم معرفة السلوكي طرق الشهرة ، ومنهم من شهرتهم احوال خاصة ،

ومنهم من دانوا بشهرتهم لسياسة ، ومنهم من انقص استغالم بالسياسة من مكانتهم العلمية .

وكان معظم من ذهبوا بفضل الشهرة في مصر لعهدنا من رجال الحماة ربحوا من مهنتهم هذه ارباحاً عظيمة واغتنوا ، ومن اغتنى كان على جانب من تقوب الذهن وسعة الحيلة جاء منه العيار العالي ، ومن اعتاد حل المضلات فوي عقله ، وفي المران على الخطابة ما يساعد صاحبها على التأثير في نفوس العامة ، وكان من هذه الطريق يصل رجال الحماة الى دكات النيابة ومقاعد الحكم بما لا يكتب مثله لمهندس ولا لطبيب ولا لزراعي وصناعة هؤلاء عملية وتستلزم صنعاً وتلك تقوم بالبلاغة والتحليل لاسقاط حجة الخصم . ومن الاعلام من كانوا على صفات عظيمة تؤهلهم للتأليف والبحث في فنون فحالت مناصبهم دون نشر ماجموده في علمهم من تجارب . ومنهم من اذا اجتمعت اليهم سمعت من احاديثهم مالا تقرأ مثله في اعظم التأليف امتاعاً ، يللون عليك في ساعة ما لا تقع على مثله في المؤلفات المنقحة . وليس اصحاب هذه الطبقة التي يبهرك استحضارهم وبديهتهم اذا تكلموا أقل عدداً من الفتة التي دعنها الحاجة الى التأليف والتصنيف وتحضرت له بحكم عملها

خطر في بيتي وأنا أكتب هذا عشرات من الرجال في مصر خاصة لو انهم كانوا في ابراز تجاربهم لاغنووا الخزانة العربية ببنات افكاراتهم واغنوها عن الرجوع الى كتب الغربيين في معظم ما يهمنا الجولان فيه . ولا اقول ان المال والجاه شغلا هؤلاء الجماعة عن كل أمر آخر سطراً كبيراً من حياتهم فتكلعوا في وضع ما يجب عليهم اصداره بل اقول ان الافدار تصرفت بقرارائهم هذا التصرف فجاء منهم ماشاء القدر لا ما شازام وشاءت امتهم منهم ، فضاعت بعض الفائدة المرجوة من نبوغهم ، ولو تعلقت القدرة باتفاق جانب من عنياتهم بكتبت ما اهتدوا اليه من امراء لكان منهم النفع للعلم وللمجتمع العربي .

لابنسع عمر المرأة حتى يأتي منه الكمال المطلق في رعييل الرجال

النابغين مادامت الطبيعة تقوى في الإنسان بعض المذకات وتضعف فيه أخرى على ما لا يتعلّق بها اختياراته . وقد تعدد في قرن من القرون في سكة كبرى منه من النوابغ في الفنون المختلفة لايشتهرون كلهم شهرة يسمى لهم بها معاصر وهم ، فقبلهم كذلك يازى ، ام العناية لاحظت عيونها بعضهم قدمتهم وغفلت عن بعضهم فأخرتهم ولا يتتفوق الاول عن الثاني الا بسبب من اسباب الاستهار ، ويتدار الشهور عن المعمور بأمر لاتدركه الأبعاد ولا يضطه حساب ولا يدخل في قياس .

كما اردنا التنظير بين رجال العيار العالمي من العرب وامثاله من امم الافرنج تتضح لنا صعوبة التشبيه كما يصعب الجمع بين نقشين فـ . نعده مزية نادرة في نابغتهم قد لا يكون مماثلها في نابغتنا . وما ندرى هل يعود قسم من هذا التمييز الى ان العلم تسلل في الافرنج على ما لم يتسلل في العرب . والعلوم التي عانتها الأمم الحديثة غير التي درسها العرب . وقد لا يتشابه علم وعلم كما لا يتشابه أدب وأدب ، وعلى كل منها يطلق اسم العلم وأسم الأدب . وإذا رجحت كفة علوم الدنيا في الأمم الغربية وكان للعلوم الدينية في العرب الشأن الاول ابداً أخذت الأولى بسباب الرقي وتدنت الثانية بما اكتفت به من اساليب لم ترتفع من عقول بناتها ، ثم أصابها التدني ايضاً في الذي ما حرصت على حفظ غيره وكان اخبطاطها في الشق الآخر داعياً الى اخبطاطها الانحطاط الشامل .

وفي العصور التي تمرق فيها ملوكنا وانقسم الى امارات ودولات لم يبق لنا مركزاً منهم يفرغ اليه أرباب العقل بل ان المراكز التي ظهرت الآن بنهايتها كالقاهرة ودمشق وبغداد كانت تصبح كالقرى ، وفي القرى لا يرجى ان يبيث العلماء دعوتهم ولا يجدون فيها من يحميهم ولا من يقدر عملهم قدره .
ليت لنا طرف زرقاء اليمامة لنبصر ما مستكرون عليه ديار العرب بعد
جيدين أو ثلاثة ، ايكثر النوابغ منا على مثال مانرى من العيار العالمي
عند الافرنج يخالدون باعماهم العظيمة لا بالقياس الى ثروة امتهم وكثرتهم
سكنها ، ام ينقلب العلم كله عملاً لاشان فيه لغيره من المطالب .

(١)

رحلة الى المدورة المفورة

البلقاء

على نحو مائتين وأربعين كيلومتراً من جنوب دمشق بين نهر الاردن غرباً وزملة العليا في طريق الحج ثرقاً ونهر الزرقاء شمالاً ووادي الموجب جنوباً اقليم واسع خصبة سهلي جبلي اسمه البلقاء طوله من الشمال إلى الجنوب ١٨ ساعة للفارس المجد وعرضه من الغرب إلى الشرق ١٦ ساعة أو نحو مئة كيلومتر في مئة كيلومتر ، وقد حد القدماء اقليم البلقاء بأنه بين الشام ووادي القرى وقالوا أن فيه مدنًا عظمى كثيرة وأن قاعدته عمّان وقيل إن السلط أوالصلت هي راموت جلعاد احدى مدن الماجا ومدن اللاويين المذكورة في الكتاب المقدس وربما استق اسمها الحاضر الصلت من لفظة لاتينية « سالتوس » ومعناها الجبال المشجرة وكانت فيها مضى مدينة أسقفية في العهد المسيحي وقد دك المغول قلعتها ثم أعاد بناءها الظاهر بيرس البندقداري .

والصلت على منحدر بين جبلين متداوгин أشبه بدينة زحلة في لبنان وكانت خالية من الحدائق والبساتين ف توفرت همة أهلها على استئثار الأشجار والبعول فجاد أكثرها بما عندهم من العيون التي تروي زروع الوادي أما ما كان وراء المدينة من التلعات والآكام فقد كان حراجاً إلى عهد قريب وآثار بعض سنديانه وملوله ما برأت مائة للعيان ولكن القوم قطعواها واستعواضاً عنها بزراعة الكروم التي يبعد عنها وزبيها أجمل ما تحمله هذه الشجرة المباركة في سوريا وقد يكون العنقود الواحد رطلاً ثاميناً وأكثره بلا بذر . يصدر من زبيها ما تقدر قيمته كل سنة بنحو خمسة عشر ألف ليرة

(١) في هذا الفصل زبدة ما كتبته يوم رحلت الى المدينة قبل نحو أربعين سنة .

وفي جوار الصلت قليل من شجر الزيتون سأله أحد شيوخهم عن السبب الذي دعا إلى عدم استثمار القوم من غرسه فقال لاذدكتنا بضاوتنا فقد حلنا سعيد باشا شهدين أحد متصرف نابلس أيام كان قضاونا تبعاً لنابلس على أن نغرس في هذه الأودية التي تراها مائة ألف زيتونة فوق في اقتصادنا ان في الأمر دسيسة من الحكومة تريد بها وضع الضرائب الفاحشة على أملاكنا وتجيل أراضينا على صورة لا نعود معها ملاكها الحقيقيين فصدعنا بالأمر في الظاهر وغرست الوفاً من شجر الزيتون ، ولكن أندرني كيف تخلصنا منه بعد ؟ كان أحدهما يحيى ، ليلاً إلى غرة الزيتون فيعرّكها حتى لا ينسو جذعها وهكذا يبيت من كل ما غرسه الصليتون إلا ما نشاهده اليوم في جوار القصبة وفي كل ما هم عجيبة تبدل تصورات الناس في رجال الحكومة بالأمس كانوا يحمرون الناس على زرع الأشجار ويزينون لهم اقتداء الأرضي للزراعة واليوم يطلب الاعلان في هذا الفضاء وفي غيره الأرضي الموات ليحيوها ولا يعطون طلبهم وكذلك الحال في كل مكان تزلزله في طريق يثرب فإن الأهلين أحسوا بفوائد الأرض هكذا رأينا أهل الشراة من أعمال الصنفية ومعان وهكذا سمعنا شكرى أهل الكراك وتبوك ومدائن صالح ، اجمع على طلب ذلك الحاضر والبادي وفي قانون الأرضي إن كل من يحيى أرضاً موائماً تبعد عن القرى والدساكير مقدار مابسعي الصوت فهي له .

قرأنا سطوراً مهمة ونشاطاً في وجوه الصليتون مسليمهم ومسعيهم وإن كانت القاعدة في سوريا على الأغلب أن يكون انبغيون أكثر نشاطاً وتعلماً من أخوانه في الوطنية . وبالمقدمة هذَا ساعدته الطبيعة فساعدها أهله أيضاً ودخل في طور العبران ويؤشك أن يعد في جلة العظيمات من المدائن والبدان .

وسكن مدينة الصلت اليوم (يوم زرناها) نحو ١٦ الف نسمة يبلغ المسيحيون منهم على اختلاف الطوائف نحو أربعة آلاف ومعظمهم إلى

اليوم يلبسون زياً كزى أهل حوران وهو كوفية وعقال وعبامة وجزمة حمراء وعادات القوم هنا أشبه بعادات البدية مع أنهم حضر . وفي الصنف قليل من الصناعة وتجارتها واسعة مع القبائل النازلة في البلقاء والرحلة في تلك الارجاء . وبين عمان على الخط الحجازي والصلت نحو خمسة وعشرين كيلومتراً جعل بعضه من جهة الصلت طريقاً معبداً ومن أكمل تألف العربات والسيارات بين الصلت والخط الحديدي في ساعتين وهي الآن أربع ساعات على الدواب وإذا تم اتصال الصلت بالقدس بطريق معبدة تسير عليها اندر كبات أيضاً تعم الصلت عمراناً مهأً وهي على بعد ٤٠ ميلاً الى الشمال الشرقي من بيت المقدس و ٤٠ ميلاً الى الجنوب الشرقي من نابلس و نحو ١٨ ميلاً شرقاً الى الأردن

ومن سوء حظ هذا القضاء ان معدن الفوسفات الذي نال امتيازاً بتبعدينه من جبل السرو في منتصف الطريق بين عمان والصلت المهدى نظيف الحالدي المقدسي على ان ينشيء فرعاً بالخط الحديدي من الصلت الى عمان يتصل بالسكة الحجازية ومرفاً حيغاً – من سوء الحظ ان فد حبوا نفقاته فوجدوها لاتفي بها وارداته ولعل الحكومة تتساهل بعض الشيء في شروطها لتقوى عزيمة تلك الشركة على استثمار هذا المعدن من قضاء الصلت فيتنسى لها أو لشركة أخرى تعدين سائر المعادن التي جبها بها الفطرة .

على نحو ساعة من قصبة الصلت منظر من أجمل مناظر سوريا ونعني به جبل يوشم الواقع على علو ١٠٩٦ متراً عن سطح البحر وهو مشرف على جزء عظيم من فلسطين يمتد أمامك وادي الأردن كأنه بساط ذو الوان كثيرة ومن خلال ذلك نهر الأردن تراه كالمية بتلويه حتى يصل الى البحر الميت أو بحيرة لوط . ومن النبي يوشم تشاهد جبل الزيتون في الشمال الغربي ويقابلك جبل عبيال وجرسم ثم جبل الطور وما يناديه من الجبال الخجولة ببحيرة طبرية ومن بعيد جبل الشيخ وبه تنتهي هذه المنظرة من الشمال

ويقول العارفون من الافرنج ان الاعتقاد بالنبي يوشع الذي يذبح له البدو ويقتربون اليه هو من التقاليد الاسرائيلية القديمة وان بناء قبره يعود الى زهاء ثلاثة سنة . وليوشع مقام أيضاً في جبل نابلس قرب قرية حارث . وجبل يوشع في البلقاء أشبه « بيوشع تبصي » أي ذروة يوشع في قرية بکوز المطلة على بحر مرمرة وخليج القسطنطينية . هذا منظره بجري وذاك منظره بري . ومن غريب التقاليد ان البدوي يخلف بالله ولكنه لا يخلف بشعيّب . ومقام شعيّب على ساعتين من الصلت أيضاً . كانت عمّان قصبة البلقاء فانحاطت في اواخر القرن الماضي بما توالت عليها من الزلازل وغارات البايدية حتى جلا عنها بقايا سكانها الاصليين فانزالت فيها الحكومة سبعة عشرة أسرة من الجركس من عشائر مختلفة هاجروا الى البلاد العثمانية من ولاية كوبان الروسية وأخذوا يردون غارات البايدية واعتمدوا في عرانيا على مخاهم وشجاعتهم وبنوا على التقاضي مدينة خجنة قرية لهم وساعدتهم مياه نهر الزرقاء فغرسوا الاشجار وأشاؤا الحدائق وأتوا بضربيتهم المألفة لهم في الزراعة ببلادهم وقد هلك منهم أناس كثيرون بالفن والامراض حتى توطردت اقدامهم واغتنوا واصبحت الحكومة بعد أن كانت تأخذ من عمان مئة ريال في السنة تقاضي نحو ثلاثة آلاف ليرة ولا تلبث أن تزيد بزيادة عمران عمان واتساع تجارتبا على أيدي النشطين من النابلسين والدمشقيين ومعظم تجارة البلقاء في أيديهم اليوم .

نقول إنها كانت مدينة عظيمة والدليل ان انقاض دار تمثيلها كبيرة جداً تكفي جلوس ثلاثة آلاف نسمة وفي مسرحها ٤٥ صفاً على شكل نصف دائرة وفيها آثار قلعة مهمة ومعظم بيوتها بنيت باحجار المدينة القديمة وكذلك قرية رأس عمان الحديثة الواقعة على قيد غاوة من عمان الحديثة وسكانها جراكسة أيضاً .

لا جرم أن الجركس ادخلوا روحًا جديداً الى هذا الفضاء من التوفّر على الزراعة والنشاط المستمر وان الاهلين تعلموا منهم بعض الشيء الا ان غالبية الحكومة أساءوا الاستعمال فسلبوا ما كان للاهلين من الارضي

والزارع العاصمة ليعطوها المهاجرين الجركس والشلن والتركان كما فعلوا
بعين صويلح وعيون الحمر وكانتا مسجلتين باسم أصحابها فاعطتها الحكومة
للمهاجرين وأخذ المهاجرون الناعور ووادي السير والزرقاء والرصيفة وغيرها
صبر الناس على هذا الجور زمناً حتى صحت عزبة بعض عشيرتي الحرسان
والجبور على أن يزرعوا المؤقر والعليا والنقيرة وهي على نحو ثلاث
ساعات من شرق معان يسير في اراضيهاراكب عشر ساعات كما ان
بعض الصلتبيين يزرعون اليوم في سهل الكبد في الغور وهذا السهل جيد
التربة جداً لا حجر فيه ولا مدر ولو احبت الحكومة احياء الموات
حقيقة لأوغزت للأهلين ان يحيوا اراضي المؤقر والعليا كلها فان فيها
زهاء الف بئر معطلة تحيا بعنابة قليلة .

وأعظم عثار هذا القضاء بنو صخر وهم يتقلون بين الغور في الشنا،
وأراضي البلقاء العالية في الربيع وفي الصيف يتوفرون على حصاد
الارضين التي لهم في جهات الزيزاء ومادبا وهم مدريتان تابعتان للصلت،
كما أن عمان مديرية تابعة لها أيضاً ، ونفوس قضاء الصلت المحررة ٤٢ ؟
ولو أحصي بنو حسن وبنو صخر والبادية لبلغ سكانه مئة الف أو يزيدون
ولو ارتفع فيه علم الامن كما يجب وأعطيت الارض الموات للأهلين
وسجلت عليهم بحيث لا ينزعهم فيها منازع لأن أكثر المنازعات ثور
على الارضي - لبلغ سكان هذا القضاء نصف مليون نسمة بعد عشر سنين .

وأهم العاديات التاريخية في هذا القضاء قصبة مادبا فقد كانت كاحدى
الحرب منذ نحو ستين سنة فهاجر اليها جماعة من مسيحيي الكرك أعطنهم
الحكومة ايها خربة فعمروها بما هو الا أن وجدوا فيها آثاراً مهمة
مثل سوق طوله ١٤٠ متراً له عمدة على الجانبين وبينما كانوا يحفرون في
انقاض الكنيسة ليقيموا كنيسة جديدة عثروا سنة ١٨٩٧ على قطعة من
الفيسبا في الصحن فرفعوا عنها المعابر وأذروا ما كان عليه بنوا على

الابام من التراب والاحجار فاذا هو اثر عظيم من آثار القدماء ، هو مصور فلسطين وما فيها من المعاهد المقدسة والكنائس ولو سلمت كلها من معامل الذين حفروها لبلغ ثمنها المليونين والثلاثة من الملايين ولكن الفطعة الصالحة الباقية منها تدل على تلك المدينة القديمة التي تعمت بها ماديا قديماً منذ عبد الاسرائيليين الى الموابين الى العرب النبطيين الى المكلبيين وكانت في عبد هؤلاء قلعة مهمة واستولى عليها هيركان ملك اليهود قبل المسيح وأصبحت على عبد الرومانيين جزءاً من بترا او العربية الصغرية ، وآثار الفسيفساء كثيرة في هذه القرية رأينا بعضها في الدور الخاصة تلمع فتأخذ بالابصار ، أما انتقاض دورها ومعابدها وأحوارها مباهها فحدث عنها ولا حرج وقد دخل اهلها في المدينة اليوم وليس بين سكانها أنس من المسلمين الا بعض باعة وحراثين .

قال ابن خرداذبة ان ظاهر البلقاء كان كورة من كور دمشق كما ان جبل الغور وكورة مأب وكورة جبال وكورة الشراة وكورة عمان كانت كل منها اقلها برأسه قال الشاعر :

سلم على دمن أقوت بعمان واستنطق الربع هل يرجع ببنيان
قال ياقوت ان مدينة جرش هي شرق جبل السواد من ارض
البلقاء وعرف السواد بانها نواح قرب البلقاء سببت بذلك لسواد حجارتها
وفي ارض البلقاء عدة بلاد ورد ما ذكر في التاريخ العربي ، مثل قرية
جادية التي ينسب اليها الجادي وهو الزعفران ، وقرية مؤتة من المشارف
التي كانت بها تطبع السيوف المشرفة ، والموقر الذي كان ينزله يزيد
بن عبد الملك قال كثير :

سفى الله حياً بالمؤقر دارهم الى قسطل البلقاء ذات المحارب
والمقسطل نزله الوليد بن يزيد وهو قرب البلقاء وخلفه فيه عمه العباس
وكان الوليد يستوطن الزيزاء ، وفي البلقاء قصر الأزرق ، والفالدين
قريب من حصن الأزرق والفالدين قيل انه من عمل حوران ومعظم
الروايات على أنه من عمل البلقاء .

العمران والسكك الحديدية

ان كان دور الاستبداد حسنة فاعظم حسنته سكة حديد الحجاز التي
مدت في عهد الخلوع وبتقدير قرينه أحمد عزت باشا العابد وانتهى منها حتى
الآن القسم الاعظم من دمشق الى المدينة المنورة وطوله ١٣٠٣ كيلو متران
ومن حيفا الى درعا ١٦١ كيلومتراً فانفق عليها فيما بلغنا ثلاثة ملايين ليرة
ونصف مليون صرف قسم مهم منها في مدينة دمشق فانتفع منه المترمرون
والتجار والزراع والعملة وبعض أرباب الصناعات والفنون وانفق القسم الاعظم
في ثمن أدوات وفاطرات ومركبات وحديد من معامل اوربا
وما كاد ينتهي الخط الى المدينة حتى نهضت البلاد بعض الشيء ولا سيما
دمشق والمدينة وحيفا نهضة اقتصادية لا يستهان بها وحسن حال الناجر والمزارع
وسارت الامور الاقتصادية على نسق مرتب معقول فلم يعد في التجارة
ذاك الكساد الذي نعده في دمشق ولا التقهقر الذي كان في حيفا ولا الغلاء
الفاشي في أسعار المدينة وهكذا انتفعت المخالطات على طول الخط من
دمشق الى المدينة وعددها ٧٥ محطة ومحطات حيفا ودرعا وعددتها ١٥
فأخذت كل محطة بقدر حظها من العمران وانتفعت منها في الأكثـر ما كان
له أثر قديم في الارتفاع

نعم ان من المخالطات ما لا ينبع في شيء بحسب الظاهر ولا يخطر في باله
الاساعات غير معلومة في السنة ولا سيما بعد أرض البلقاء وهو أوزانها جاف حار
حرق وعمرانها متوقف على عمل كثير طويل ومال غزير فاماثل هذه المخلطات
ترك الآن وينشط كل من يود اعتمار الأرض الموات قرب المخلطات وانشاء
دور وحواينت فيها ولو فعلت الحكومة لاستغفت مع الزمن عن حرارة
هذا الخط بكتائب من الجنود ترابط على طول السكة واقامة ائتمان عشرة
قلعة من المدينة الى المدينة وهي اليوم تجعل في كل قطار يسافر من بعلبك
حوران الى المدينة جملة من الجناد النظامي المسلح لحماية الركاب من عبث البداية
اذا حدث حادث

نقول عيت الباية ولو أعملت الحكومة الفكر منذ اليوم الذي نوت
فيه تدميد هذا الخط الحريي الديني التجاري لأوسعوا لهم من تلك السهول
الحصينة في لواء الكرك ما كانوا استغفروا بزراعته عن شن الغارات واينماه
السابلة طمعاً في اقتناص ما يتبلغون به ولتوفروا على تربية مواشיהם وزروعهم
كما يتتوفر اليوم بنوحسن في قضاء عجلون وبنو صخر في قضاء الصلت والمحويات
في معان والمجالي والضمور والطراونة في الكرك وغيرهم في غيرها وكل
هؤلاء من العرب الرحل يتأنسون بقدر ما يدخل النور على أولادهم ويستمرون
ارياح الزراعة والماشية ولاشك انهم يعدلون بتة عن الغارة كلما أسكنت
الاصقاع التي في جوارهم وخف الاعتداء عليهم .

بعض اعمال الكرك

قال الظاهري واما المملكة الكركية فليست هي من الشام وهي
ملكة بمفردها وتسمى مأب وهي مدينة حصينة معقل من معاقل الاسلام
بها قلعة ليس لها نظير في الاسلام ولا في الكفر تسمى حصن الغراب
لم تكن فتحت عنوة قط واما فتحها المرحوم صلاح الدين يوسف بن
أبي بوب بعد فتح القدس في سنة ثلاثة وثمانين وخمسين وكانت بيد البرنس
ارنلطي وكان يتعرض الى حاجاج بيت الله الحرام . وقال ان الشوبك
كانت مدة بيد الافرنج وهي مضافة الى الكرك وحصينة أيضاً ومسيرة معالمة
الكرك من العلى الى الزيزاء مقدار عشرين يوماً بسير الايل وهي بلاد عدية
ها فرى كثيرة ومعاملات والمسلك اليها صعب في منقطعات قليلة الماء
حتى انه اذا وقف أحد على درب من دروبها يمنع مائة فارس اه .

بلدان في لواء الكرك طالما سمعنا بها وها قصبة الكرك وقصبة
الصلت فالاولى كما نتوهها اهم مما رأيناها والثانية رأيناها اهم مما سمعنا
به من وصفها . وأذرح خربة لاساكن فيها وكانت من المدن العاشرة قبل
الاسلام وبعده . وذكر القديسي انها مدينة متطرفة حجازية شامية وعندم
بردة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعهداته وهو مكتوب في أديم وبذلك

يُسْتَدِلُّ أَنَّهَا كَانَتْ عَامِرَةً فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ لِلْهِجَرَةِ بَلْ عَامِرَةً إِلَى عَهْدِ
فَرِيقٍ وَكَانَتْ هِيَ وَمَآبٌ مَدِينَتِي الشَّرَاءُ
وَأَرْضُ الشَّرَاءِ مِنْ الشَّوْبَكَ إِلَى رَأْسِ النَّقْبَ كَمَا يَحْدُدُهَا الْأَهْلُونُ الْيَوْمَ
أَيْ مَسِيرَةُ يَوْمٍ طَوْلًا وَعَرْضًا سَاعَتَانِ وَهِيَ الْأَرْضُ الْمَفْلُوْحَةُ مَوْلَفَةُ مِنْ
تَلَعَّاتٍ وَأَوْدِيَّةٍ وَفِيهَا عَيْوَنٌ غَزِيرَةٌ لَا تَقْلُلُ عَنْ أَرْبَعِينَ عَيْنًا لَا يَنْتَفِعُ بِاَكْثَرِهَا
وَقَسْمٌ مِنْهَا إِلَآنٌ فِي عَمَلِ قَضَاءِ الْطَّفْيَلَةِ وَالْآخِرُ فِي قَضَاءِ مَعَانِ وَعَلَى جَنُوبِ
الشَّرَاءِ بَلَادُ طَيِّءٍ أَوْ جَبَالٌ طَيِّءٌ وَهِيَ الْحَدُودُ الْجَنُوْبِيَّةُ لِسُورِيَّةَ كَمَا عُرِفَتْ
الْعَرَبُ قَالَ حَاتَمُ الطَّائِيُّ وَقَدْ اغْتَرَتْ طَيِّءًا عَلَى ابْلِ الْمَعَارِثِ بْنِ عَمْرُو
وَقُتِلُوا ابْنَاهُ لَهُ :

وَمَا ذَاكَ مِنْ حُبِّ النِّسَاءِ وَلَا إِلَاثَرٌ
إِلَّا أَنِّي قَدْ هَاجَنِي الْمَيْلَةُ الْذَّكْرُ
وَلَكِنِّي مَا أَصَابَ عَشِيرَتِي
وَقُوَّمِي بِاقْرَانِ حَوَالِيْهِ الْصَّبَرِ
نَشَاوِي لَنَا مِنْ كُلِّ سَائِنَةِ جَزَرٍ
لِبَالِي نَسِي بَيْنَ جُوزٍ وَمَسْطَحٍ
يَقُولُ لَنَا خَيْرًا وَيَنْضِي الَّذِي اتَّسَرَ
فِيَالِيَّتُ خَيْرُ النَّاسِ حَيَاً وَمِيتًا
فَانَّ كَانَ شَرُّ فَالْعَزَاءِ فَانَّا
عَلَى وَقْعَاتِ الدَّهْرِ مِنْ قَبْلَا صَرَ
سَقَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ سِحَا وَدِيَّةً
جَنُوبُ الشَّرَاءِ مِنْ مَآبٍ إِلَى زَغْرَ
بَلَادِ اُمْرِيَّهُ لَا يَعْرِفُ الْذَّمَ بَيْتَهُ
لِهِ الْمَشْرُبُ الصَّافِيُّ وَلِلْيَسِ لِهِ الْكَدرُ
وَفِي أَذْرَحِ عَيْنِ مَاءِ غَزِيرَةٍ فَرْقَ أَرَاضِيْنِ وَاسِعَةٌ يَكْنِي تَشْجِيرَهَا كَلَّا
وَلَهَا قَلْعَةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَرْمِيمٍ خَفِيفٍ وَهِيَ عَلَى أَرْبَعِ سَاعَاتِ إِلَى الْفَرْبِ
الشَّمَالِيِّ مِنْ مَعَانِ وَعَلَى ثَلَاثِ سَاعَاتِ مِنْ وَادِي مُوسَى . وَانْقَاضُ دُورِهَا
وَعَقُودُهَا وَعِدَّهَا مُوجَوَّدةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى بَنَائِينَ فَتَكُونُ مَدِينَتُهُ ثَمَّةُ
الْأَدَوَاتُ فِي بَضْعَةِ أَسْبَاعٍ وَفِيهَا يَوْمٌ انْقَاضُ ثَلَاثَةِ طَوَاحِينِ

تَنْقِبُ النَّفْسُ مِنَ الْكَرَكِ عَلَى جَمَالِ طَبِيعَتِهَا وَهِيَ تَطْلُلُ مِنْ جَهَنَّمَ
الْأَرْبَعَ عَلَى مَنَاظِرِ لَطِيفَةٍ وَمِنْهَا الْبَحْرُ الْمَيْتُ وَوَادِي الْأَرْدَنُ إِلَى أَعْلَى
جَبَالِ أَرْيَحا وَذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي مَعْظَمِ أَدْوَارِهَا التَّارِيْخِيَّةِ ظَالِمَةً مَظْلُومَةً
وَأَشْتَهِرَ أَهْلُهَا بِحُبِّ الْفَارَّةِ عَلَى عَهْدِ الْأَسْرَائِيلِيِّينَ وَالْمُوَآبِيِّينَ وَحَارِبُهَا شَاؤُلُ
وَدَادُ وَقَارِمَتْ قَلْعَتِهَا حَوَارِمُ وَمَلَكُ الْيَهُودِيَّةِ فَرَجَعَا عَنْهَا مَدْحُورِيْنَ وَاضْعَفُهُ

الموآبيون في القرن الثاني قبل المسيح واصبحت الكرك مفتاح تلك البلاد على عهد الصليبيين واستولى عليها روندي شاتليرون الذي يسميه مؤرخو العرب البرنس ارنلط وذلك لأنها حاكمة على طرق قواقل مصر ولبلاد العرب القادمة إلى الشام ولذلك حاربها صلاح الدين يوسف بن أيبوب حرباً عواناً وأقام الإيوبيون فيها وحصنتها وما زال ملوك مصر والشام يحاصرونها ويقتلون واهلها عليها وأخر أعمال الكركيين ذبحهم عسكر إبراهيم باشا المصري ثم فتنتهم الأخيرة المؤومة . ويبلغ المسيحيون في الكرك نحو أربعة ألف نسمة أكثرهم روم وفيهم لاتين وقليل من البرتغاليين وفيها مدارس حقيقة لذكورهم وأناثهم ولئن كان المسيحيون اليوم على مستوى جيرانهم المسلمين وكانوا نحو ١٥ ألفاً قبل الحوادث الأخيرة أو أرقي بقليل في المدينة فيكون مستقبل هذه البلاد لهم .

ولم تبق الفتن من العادات القديمة ما يذكر في هذه المدينة اللهم إلا انفاس دائرة وجميع هذه الديار كانت عامرة وهي اليوم مأوى الغراب وناهيك بأن الملاجون الواقعة على ساعتين من الكرك كانت بحسب ما رأينا من انفاس ارتختها الضخمة من المدن المهمة فاصبحت اليوم والحكومة نسكن فيها طائفة من المهاجرين وتعمّر لهم دوراً فلا يلثنون أن يحلوا عنها إذ رأوا تنافس نفوسيّهم فيها بسبب الماء والهواء وتركوا منازلهم خاوية .

العربية الصفرية

طريق الكرك من القطرانة وطريق وادي موسى من معان يبتدائ بتراب كثي مزوج بصلصال لا استعداد فيه للزراعة ولذلك تظنك اذا توصلت تلك السهول وعرضها نحو ثلاثة ساعات من الخط الحديدي تظنك في قفر بلقع حتى اذا انتصف الطريق تتراءى لك بعض عيون وزروع والمسافة بين معان ووادي موسى سبع ساعات للراكب كما هي بين القطرانة والكرك : ووادي موسى هو قرية الجي وعلى نحو ساعة منه بترا او

العربية الصخرية كما يسمى بها الأفرنج وسماها العرب سلعاً ، والسلع الشهقة في الجبال ، والغالب أن سلعاً قسم من العربية الصخرية وهي عبارة عن جبال إذا (رأها الرائي من بعد ظنها متصلة فإذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها) وحدثنا من زار خرائب الحجر أو مدائن صالح أنها دون خرائب بترا بمكانها .

وكان ليترا هذه أيام غز طويل على عبد الأدوميين والنبطيين العرب وقدماء الرومان والمكابين وأمتد حكمها إلى دمشق وكان بيدها زمام التجارة مدة قرون في هذا الشرق الأقرب ولم تنحط إلا بارتفاع مملكة فارس وانبساط ظل سلطان تدمر ولما جاء الإسلام كانت خرائب كما هي اليوم والغالب أن بقايا مجدها أنت عليها الزلازل فدكتها كما دكت غيرها من المصنع والآثار .

إذا أشرف الراكب على قرية وادي موسى يرى روح النعيم فيه خصوصاً ويكون قد قطع ساعات في صنع أجرد أمرد ليس فيه من الأشجار إلا الزعور ولا من الغلات إلا قليل من الخنطة والشعير لكن في وادي موسى حدائق بد菊花 تسقى من العيون الدافقة عليها من المضاب المجاورة حتى تخال نفسك لما تراه من بهجة الحضرة إنك في صنع عمر زاهر فإذا قصدت إلى عاصمة بترا وتحجلت في السبك أي دخلت بين الجبلين المتناوحين العاليين وكل قطعة منها تبلغ ألوفاً من الامتار المربعة علوها من ٣٠ إلى ٥٠ متراً وانت تسير في طريق لا يقال عرضه عن خمسة أذرع ولا يزيد عن عشرة ليس فيه إلا الأحجار والحصا أو مساليف ماء لا ينبع فيها إلا الرتم والطرفاء تشاهد في الاعالي التواويس والقصور والمسلاط محفورة في الصخر وينفرج الطريق مسيرة نحو ثلث ساعة وينقسم قسمين ذات اليمين وفيه تتمة المدينة والقسم الآخر جبال طبيعية تند إلى بعيد وتتصل بجبل هارون من أجمل المناظر المشرفة على تلك الأودية والجبال .

وهنا يتمثل أمامك قصر فخم يسميه الناس خزنة فرعون والغالب انه كان معبداً لایزيس أشيء على عبد الامبراطور ادريانوس الذي زار هذه المدينة سنة ١٣١ وفي واجهة هذا القصر رواق يتقدمه بستة أعمدة كبيرة وفوقها ثلاثة أعمدة اصغر منها ونقوش وتبجان وربما كان يقصد الى العلبة بلوبل من الصخر بدليل ما يشاهد في الحائط من اثر الادراج واذا دخلت هذا الرواق ترى على اليمين قاعة كبيرة تلمع احجارها وتتوهج كأنها خرجت الا琨 من يد نقاشها وفي الجهة اليسرى قاعة مثلا وفي الصدر القاعة الكبيرة او الردهة المدعشة وكل هذه العمدان والسواري والتبيجان والقاعات والرواق محفور في الصخر او في هذا الجبل قطعة واحدة فكان الحجر كان بيد صانعي هذا اهيكل وغيره من الهياكل والنوابيس والقصور كالطين يجعلون منه ما يشاؤون والذي يزيد في الدعشه ان الحجر احمر في هذه الجبال او من نوع الحجر الرملي ولكنه ببنائه كالصخر الاصل ثم ترى عليه ذلك المعان فمن موجة حراء الى اخرى زرقاء الى مثلاً بيضاء الى جانبها دكناه فسبحان من انشأ هذا الصخر هنا منقطع النظير ورزق بانيه يداً صناعاً تتفنن في تقطيعه ونقره بما فاق به البناء في سائر عاديت الشام فان كانت قلعة بعلبك تم عن ذوق سليم وعلم واسع في نقش وجر الانتقال فان هذه العاديات الخالدة الازلية تنادي بلسان حاماً هذه عظمة الديان الى جانب عظمة الانسان .

وترى الى جانب الآثار قساطل الفخار في جانب السبك الذي يشبه من بعض جهاته الفج الواقع في شمالي مدخل قرية معلولا في جبل سير (قلمون) وذلك على علو القامة استحوذت مع الصخر حتى كأنها بعضه وهناك على بعض دقائق من خزنة فرعون كان في الغالب مخزن ماء هذه العاصمة برمتها وعلى مقربة من مخزن الماء وهو منقول في الجبل ايضاً ملعب التمثيل نظر في الصخر وله ٣٣ مشى جلوس المتفرجين وبسع ٣٠٠ نسمة وفي هذا الجوار اقدم النوابيس وامها وبعد ذلك يجيء

قصر البناء وهو بناء من الحجر رصفت حجارته كما ترصف الابنية الضخمة من قلاع وابراج وأسوار ونحوها والغالب انه كان للماتأخرین شبه دار للحكومة وهو ما عمر قبل الاسلام وهناك ولا سيما في خربة النصارى آثار بعض اديار بدل اسمها ورسمها على أنها من عمل المسيحيين عندما كانت هم حكومة هنا على عهد الرومان واليونان وعلى مقربة من تلك الجبال الشوامخ والمنفرجات والاودية بعض نواويس وآثار ولكنها دون آثار بترا في المكانة وفي جبل الصبر ملعب او صورة تمثل قتالاً بين سفن حربية .

ويقول علماء الآثار ان معظم القبور التي حفرت على مثال قبور الحجر يرد عيدها الى الملك الحارث الرابع أحد ملوك بترا اي ٣٠٩ سنة قبل المسيح وبعده وليس في وادي موسى أعمدة من قبل الحكم الروماني عليها ، وأن ما يشاهد من صور أبي الهول وايزيس ورؤوس الملائكة يدل على أن هذه البلاد تأثرت بالمدينة المصرية والمسلتان الموجودةتان في النجر تثلاث ربي النبطيين اللات ودوزارس وأنها كانت مركز عبادة النبط قبل العبد اليوناني بستة قرون على الأقل ، وان المدينة اليونانية دخلت وادي موسى على عهد البطالسة فاختلط العنصران المصري والثاموني وظل القول الفصل فيها بالمدينة اليونانية الى عيد الحارث الرابع وفي بترا ٨٥١ مصنعاً من القبور والمعابد والمذاياح .

ومن أراد أن يتسع في درس هذه المدينة الأزلية وجوب عليه أن يصرف أيامه في خراباتها كما يفعل بعض سياح الافرنج وعلماء الآثار منهم فيقصدونها يضربون فيها خيامهم ويصرفون في امتعة النظر بها الاسبوع والاسبوعين وعلى من يحب التوسع في البحث أن يستعين بما كتبه علماء الآثار من المصنفات في وصف هذه المصانع .

في جوار هذه العadiات انبثة مدينة راقية جداً ينزل نحو الف نسمة من العرب يأتون أياماً قلائل الى الجي او وادي موسى لتهجد زروعهم

السي ثم يتنقلون في الصيف والشتاء في جبال الشراة على ساعتين أو ثلاثة أو أربع من بلدتهم في خيام الشعر وهم فرقان تؤلف الاولى من عرب الشور وبني عطا والثانية من الملالات والعبيدية والعلايا ويغلب عليهم الفقر ومنهم من يزرع في أراضي الحويطات والنعيمات على مقربة من بلدتهم بالخمس وليس فيهم من يقرأ أو يكتب ويجلس أهل وادي موسى الكوفية والعقال ويسمونه المزير أي الفتول والعباءة وقطاناً مسدولاً بدون سراويل وفي أرجلهم نعل يعملونه من جلد البعير وينوطون به حبلة يدخل منها باهم الرجل تتعلق وفي الفاظهم بعض فصح مثل قولهم سري لسرى الليل وقولهم المدوم للثياب العتيقة وقولهم الريف للاراضي الخصبة . ويعنون كثيراً بتربية البقر والغنم والماعز ، ولا ابل عندهم مثل بني صخر . وهم على فقر ظاهر .

سألنا أحد كبار شيوخ وادي موسى هل زرت يا عمه مدينة دمشق في حياتك فأجاب اني لم ازرتها نهراً ولا أحد من أهل بلدي وأني لم يزورتها والطريق عشرة أيام لراكب المطايا وفي السكة الحديدية احتاج الى اجرة لم أملكتها حياني فتأمل .

من اجمل المناظر اذا خرجت من السبك او من الصدفين اي جانبي الجلين وفارقت تلك القن والقلل تتحدى الى عين موسى صعداً في هضاب عالية شاهد واطلت على تلك المدينة التي يستحيل على اي جيش من جيوش العالم ان يفتحها ويستبيح حمى من فيها اذا ارادت الدفاع . تشرف من ورائها على اراض واسعة جداً تذهب بحراً من أشعة الشمس وهي وادي العرب طوله ثلاثة أيام الى الغرب وعرضه الى الشمال أربعة من العقبة الى الغور وفي تربته حصا وأحجار ورمال واملاح وينابيع قليلة وبالقرب منها بعض الحضرة كما تجده هنا وهناك بعض الاشجار البرية ويقصد البدو هذا الوادي في الشتاء لانه غور يرعون فيه مواشיהם كما يقصد آهالي الطفيلة والكرك والصلت مجاور لهم من الاغوار الى الغرب من ديارهم ويقصدون جهات الشرق في الربيع وينتوسطون في الشتاء والصيف .

في صدمة الرسول

ما زال راكب القطار الحديدي ان يراه ليصفه والقطار يسرع في سيره مواصلاً الليل بالنهار وكل بقعة من البقاع بين دمشق عاصمة الاسلام الثانية ويثرب عاصمة الاسلام الاولى تحتاج الى عدة علماء يتوفرون على دراسة ما فيها من الآثار العادلة والتاريخية والطبقات الارضية والاحاديث الجوية والمواليد الثلاثة الطبيعية او المملكة النباتية والحيوانية والجاذبية وعبر سبيل يدر عليهم منطقاً لا يطالبه مثل ما يطالبه الباحث محققاً مدققاً فمعذرة الى من يتوقعون ان يروا في رحلتنا هذه قائمة تخرج عن حد ما وقع عليه النظر في أيام معدودة .

ركبنا من محطة القطرانة في الكيلو متر ٣٢٦ الى المدينة فوق بنا القطار ساعات في المحطات الكبرى وهي معان في الكيلومتر ٤٨٩ وتبوك في الكيلومتر ٦٩٢ ومدائن صالح في الكيلومتر ٩٥٥ ثم المدينة في الكيلومتر ١٣٠٣ وكانت المناظر تختلف علينا اختلاف الاهوية وكلما تقدمنا نحو الحجاز نشعر بالحرارة . وكان الوقت شهر آذار والطريق الذي سلكها الخط الحجازي غريبة تدل على حذق في الهندسة وتقنن . وهي لا تبعد كثيراً عن الطريق التي كان يسلكها الركب الشامي مدة ثلاثة عشر قرناً فيما نعلم اللهم الا ما اقتضته الهندسة من التعارض كما شاهدنا ذلك في محل المسئ ببطن الغول وغيره

والجبال غريبة التكوين في الطريق من بعد تبوك . وبعضاً هرمي الشكل والآخر اسطواني وبعض متساوي الاضلاع ، وآخر زاوية منفرجة او حادة او قائمة جعلت في بسائط منظمة منفرجة ، تسير ساعات بل اياماً بسير الجمال ، ولا ترى الا رملاً وصخوراً وليس من الغابات الا المثلث (الميشه) في بعض الاصقاع او السلم والسمير وهو أكثر شجر الحجاز . والجبال مصورة حمراء او كما قال البكري في وصف الجبال بين مكة

والدّيّن إنّا كُلّاها تضرّب إلى الحّرّة تنبت الغرب والفضور والثام .
وان المرء لتجده نفه وهو يطوي البيد طي السجل للكتاب من دمشق
إلى المدينة كيف كان الحاج قبـل السكة الحديدية يقطـعون هذه الأودية
والتلـول والجـبال والحرـات والبرـقات في ثلاثة أيام كان حـرياً
والحـيل ، ومن يتـعب وهو راكـب في القـطار الحـديـدي ثلاثة أيام كان حـرياً
بـأن يـهـلـك وهو عـلـى ظـمـور المـطـابـاـ أوـ فـي المـخـفـاتـ وـالـموـادـجـ وـالـمـخـارـاتـ ثلاثة
يـومـاً يـضـافـ إـلـيـهاـ عـشـرـةـ أـخـرىـ مـنـ المـدـيـنـةـ إـلـىـ مـكـةـ ولـكـنـ هيـ العـادـةـ تسـهـلـ
الـأـشـيـاءـ وـالـتـعـبـ يـنـالـ الرـاكـبـ فـيـ الـأـيـامـ الـأـوـلـىـ ثـمـ يـدـمـنـ وـيـنـرـنـ .

أعلى نقطة في هذا الطريق العقبة تعلو ١١٥٣ متراً عن سطح البحر
والمطالع تعلو ١١٤٢ متراً وفي بعض هذه الرمال يمكن انباط المياه وفي
بعضها مياه يستقي منها العرب الرحالة هناك وابناء السبيل فان عشرة
القراء ومنازلها من تبوك الى مدائن صالح لا تقل عن ثمانمائة بيت وقبيلة
بني عطية تنزل من ان دور الى المضم وهي تزيد عن الفي بيت فلو صرفت
عنـيـةـ الـحـكـوـمـةـ إـلـىـ اـسـكـانـ هـاتـيـنـ العـشـيـرـيـنـ وـاعـطـاهـاـ الـأـرـاضـيـ بـجانـاـ وـالـصـالـعـ
منـهـ لـلـزـرـاعـةـ كـثـيرـ لـمـ أـنـتـ بـضـعـ سـنـينـ إـلـاـ وـدـخـلتـ هـذـهـ المـوـامـيـ وـالـمـقـارـاتـ
فيـ دـوـرـ عمرـانـ تـغـيـيـرـ سـاـكـنـيـهاـ عـنـ شـنـ الغـارـاتـ أوـ مـدـ الأـكـفـ لـأـبـنـاءـ السـبـيلـ
فيـ اـسـتوـكـافـ الصـدـقـاتـ .

ومن آسف ما رأينا في الخط الحديدي ولا سيما بعد بلاد الشام ان الاولاد
والبنات والرجال والنساء يأتون يلقطون ما تجود به أكف الراكبين من
الخبز والادام يتهمونه التهاماً وقد كاد يقتلهم الجوع كما صارت شمس
الحجـازـ اـبـداـنـهـ ، وـانـكـ اـذـ اـعـطـيـهـمـ نـقـودـاـ لـاـ تـرـضـيـهـمـ بـثـلـ ماـ يـرـضـوـنـ
بـكـسـرـاتـ مـنـ الخـبـزـ القـفارـ ، فـكـانـ القـفارـ لـاـ يـنـفعـ فـيـهاـ إـلـاـ الخـبـزـ القـفارـ.
وـعـنـدـنـاـ أـنـ أـعـظـمـ صـدـقـةـ يـتـصـدـقـ بـهـاـ قـاصـدـوـ الـبـقـاعـ الطـاهـرـةـ فـيـ السـكـةـ الحـجازـيـةـ
أـنـ يـحـمـلـوـاـ مـعـهـمـ مـاـ تـسـمـيـهـ بـهـ نـفـوسـهـمـ مـنـ الخـبـزـ وـالـادـامـ يـوزـعـونـهـ فـيـ المـحطـاتـ
عـلـىـ هـؤـلـاءـ الـمـخـاوـيـجـ الـمـدـعـيـنـ وـذـلـكـ رـيـنـاـ تـصـحـ عـزـيـةـ وـلـاـ الـأـمـرـ عـلـىـ تـهـيـئةـ
أـسـبـابـ المـعـاشـ لـهـمـ .
م (٩)

ليس من الرأي السيد أن يعلم شعب أو أكثره على الشحادة بل أن يعود العمل والاعتداد على النفس ولكن أرضاً لم تشقق عليها سماها حرنة بان يكون لابنائها عناء من حكومتها فان معظم ما نسمع به من الغزوan والغارات منبعث عن جوع مذيب والجوع كافر ، يساق الغازون الى الموت أو ينالون ما يتبلغون به لسد رمقهم ، وكل من قطع الطريق من مكانة بالمدينة فدمشق يحد ذلك من فقر عرب تلك الاخاء ما هو العجب العجاب .
ولا يستهان بعدد السكان فان جبينة وبلي والحوبيات لا تقل عن سبعين الف رجل و اكبر قبائل المدينة حرب وهي خمسون الفاً في الوجه ويلمع والعلا والعقبة من اعمال المدينة مائتا الف محارب كما قدر بعض العارفون وفي قضاء السوارقية عرب مطير وهتم . وهتهم بقدر مطير في المدد والعدد وحدود المدينة تند الى الفرع من جهة مكة وسكانها بادية كلهم وفيها قرى واسعة وقرى جوار المدينة اثنتا عشرة قرية . والفرع لانحکمبا مكة ولا المدينة وقد انشأت الدولة العثمانية من العلا الى المدينة اثنتي عشرة نكتة انفقت عليها ١٨٤ الف دينار عثماني ليستب بها الامن وقوت العرب كلهم الارض المendi والدقيق والتمر واللبن والاقط وأقل العرب وأشرم في اطراف هتم ومطير . ومع كل ما في هذا القطر من الفقر تصدر منه بعض المحاصلات كالجلد والصيغ والتمر والاغنام والجمال والخيول والصوف والسمن . ولو مد الخط الحجازي الى مكة فالبحر الاحمر ومن مكة الى صنعاء اليمن لتضاعفت صادرات الحجاز واليمن والشام ووارداتها وأمن الناس ولا بآها الحجاج من تعدى البدو بين الحرميin .

يعيش كثير من سكان المدينة ومكة من الصدقات والاوقياف ورواتب الحكومة وربما غالى بعضهم في هذا الاتكال ولكن كيف السبيل ونجارة بلادم ضعيفة لا تروج الا أياماً مخصوصة من السنة في موسم الحج وتقاد زراعتهم تنحصر في بعض البساتين الضئيل ريعها التي تروي من مياه الآبار بالدلاء ثم ان العلوم التي تبعث الهمم على الاعمال الاقتصادية مفقودة من بلادم لندرة من يعرفها منهم وبلادم لا يدخلها إلا المسلمون وربما كان

فِينَ يَزُورُونَهَا طَبَقَاتٌ رَاقِيَّةٌ وَلَا سِيَّا الْمُنْوَدُ وَالْمُصْرِبُونَ وَلَكُنُّهُمْ لَا يَطْبَلُونَ
مَقَامَهُمْ إِلَّا بَقْدَرٍ مَا يَزُورُونَ أَوْ يَجْعَلُونَ الرَّاقِونَ مِنْهُمْ وَلَا عَمَلٌ لَهُمْ إِلَّا التَّجَرُّدُ
عَنِ الدِّينِ لَا يَخَالِطُونَ وَلَا يَعَاشُونَ .

لَا جُرمَ أَنَّ السَّكَّةَ الْحِجَازِيَّةَ قَدْ نَفَعَتْ سَكَانَ يَثْرَبَ كَمَا نَفَعَتْ سَكَانَ دَمْشَقَ
لَانَ الْزُّوَارَ كَثُرُ عَدْهُمْ عَلَى طَولِ السَّنَةِ وَالْتِجَارَةُ دَبَّتْ فِيهَا رُوحُ جَدِيدٍ فِي الْجَمَاهِيرَةِ
وَالْأَخْتِلاطُ بِالْأَمْنِ بَلْ أَفْكَارَ سَكَانِ طَبَقَةِ الْأَصْلِيِّينَ إِلَى قَصْوَرِهِمْ فِي مِيدَانِ الْعِلْمِ وَالْتَّعْلِمِ .
نَقُولُ السَّكَانَ الْأَصْلِيِّينَ وَعَدْهُمْ لَا يَكُادُ يَلْفَعُ ثُنَّ السَّكَانِ وَالْبَاقِونَ شَامِيُّونَ
وَمَصْرِيُّونَ وَنَجْدِيُّونَ وَعَرَاقِيُّونَ وَتَرْكِيُّونَ وَجَاوِيُّونَ وَيَمَانِيُّونَ وَزَنجِيَّونَ
وَسُودَانِيُّونَ وَجَزَائِرِيُّونَ وَتُونِسِيُّونَ وَمَرَاكِشِيُّونَ وَسِنْغَالِيُّونَ وَصِينِيُّونَ وَهَنْدِيُّونَ
وَقَفَاقِيَّونَ وَطَاغِسْتَانِيُّونَ وَجَرَاكِشَةَ وَأَكْرَادُو كَرْجِيُّونَ وَإِيْرَانِيُّونَ وَافْغَانِيُّونَ
وَبَخَارِيُّونَ وَبِلُوْجَسْتَانِيُّونَ وَغَيْرُهُمْ مِنْ شَعُوبِ الْإِسْلَامِ يَأْتُونَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ الطَّيِّبَةَ
يَنْقَطِعُونَ فِيهَا لِلْعِبَادَةِ فِي مَسْجِدِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

لِلْمُسْلِمِينَ مَعْرِضَانِ دِينِيَّانِ مَهَانَ احْدُهُمَا وَهُوَ الْأَكْبَرُ فِي جَبَلِ عَرَفَاتِ كُلِّ
سَنَةٍ مَرَّةً وَالآخِرُ فِي مَسْجِدِيِّ مَكَّةَ وَيَثْرَبُ طَولَ السَّنَةِ وَلَذِكْرِ تَسْعَ فِيهَا مُعْظَمُ
الْلُّغَاتِ فِي آسِيَا وَأَفْرِيْقِيَّةِ وَتَرَى فِيهَا كُلَّ السَّحَنَاتِ مِنْ أَبْيَضِ وَأَحْمَرِ وَأَصْفَرِ
وَأَسْوَدِ مِنْ تَفْرِعِ مِنْ الْجَنَّيْنِ الْأَرَى وَالسَّامِيِّ وَلَذِكْرِ تَجَدُّدِ الْمَدِينَةِ الْمُنْوَرَةِ أَقْرَبَ
إِلَى أَنْ تَكُونَ بَرْجَ بَابِلَ لِاِخْتِلاطِ الْلُّغَاتِ وَالسَّحَنَاتِ وَالْعَادَاتِ مِنْهَا إِلَى أَنْ
تَكُونَ عَرَبِيَّةً وَهِيَ بَلْدَ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ وَفِي صَمِيمِ دِيَارِ الْعَرَبِ . وَالْمَدِينَةُ بِطَبِيعَتِهَا
تَشَبَّهُ أَحْدَى مَدِينَاتِ الْأَرْبَافِ فِي مَصْرِ لَانَ نَحْوَ رِبْعِ سَكَانِهَا مَصْرِيُّونَ صَعَادِيَّةَ وَنَصْفَ
الرِّبْعِ مَغَارِبَةَ وَالْبَاقِونَ بِجَنْسُونَ عَلَى مَا يَخْمَنُ الْخَمِنُونَ لَاعْلَى مَا يَحْصِيُ الْعَادُونَ .
لَانَ الْبَلَادُ الْعَمَانِيَّةُ كَلَّهَا لَيْسَ فِيهَا احْصَاءٌ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ بَلَّ كَثِيرٌ مِنْ اسْقَاعِهَا لَيْسَ لَهُ
اَحْصَاءٌ بِالْمَرَّةِ كَالْحِجَازِ مَثَلًاً .

كُنْتُ نَازِلًاً فِي الْفَنْدَقِ الْوَحِيدِ الْكَبِيرِ الَّذِي بَنَاهُ أَحَدُ الْوَطَنِيِّينَ خَارِجَ السُّورِ
بِالْحِجَرِ الْأَسْوَدِ طَبَقَاتٍ وَكَلَّفَ نَحْوَ عَشْرِينَ الفَ لِيَرَةً ، وَهُوَ عَلَى قِدْمَ غُلْوَةِ مِنْ
سُورِ الْبَلَدِ ، أَسْهَرَ عَنْدَ بَعْضِ الْأَحْبَابِ إِلَى أَوَّلِ الْمَزِيزِ الثَّانِي مِنَ اللَّيْلِ ، وَمَعَ أَنَّ
الْحُكُومَةَ الْإِتَّحَادِيَّةَ كَانَتْ أَصْبَحَتِي بِلَا طَلْبٍ مِنِّي بِشَرْطِيَّنِي إِقْبَانَ أَعْمَالِيِّ اِرْهَابَالِيِّ ،

فان أصحابي كانوا يتکلفون ايصالی الى النزل كل ليلة خوفاً من اللصوص ، أما أنا فكنت أعد الخطب سهلاً مع قطاع السابلة أكثر من الخطب باولئك اللصوص الطعام في صور حكم ومن يكتفي بمال ومتاع ويفوض عن قطع الأعنق لا يسمون بقدر من يسرق ويقتل ، والقتل أنواع ومنه القتل المعنوي الذي ارتكبته عصابات المول والارهاب وبلغت القمة في استعماله حتى في البلد الطاهر في حين أن من دخله كان آمناً .

تأملت كثيراً في مسجد الرسول أثناء الصلوات وغيرها مما رأيت الاخشواعاً من جميع من يختلفون إلى الحضرة النبوية الشريفة ولا سيما من غير الناطقين بالعربية فقلت في نفسي - وقد سمعت خطبة الجمعة وهي لا تخرج عن حد التزهد في العمل والاعراض عن الدنيا كسائر خطب الجماع في بلاد الاسلام خلافاً لما كانت عليه ستة السلف الصالح ولكن «لبس الاسلام لبس الفرو مقلوباً» كما قال علي كرم الله وجهه فوارحمته لغربة الاسلام .

لو أدار هذه القوة المعنوية رجال دين سليم وعقل راجح لكان فوائد هذا الاجتماع من حيث الدين والمدنية أضعاف أضعاف فوائده اليوم فكما أرسل عليه الصلاة والسلام شعاعاً من نور حكمته قلب به العالم وغير بشر يعتنطه الظاهره الارجاء هكذا يحمل دعوه دينه والمؤمنون على توانه وسياسة المتهدين يهدى ما تستوي به العقول في هذا المجتمع ويعم ضياءً سكان الخافقين وهذا من القوى المهمة التي أضاعناها وكم أخعنَا مواهب وقوى .

وأهم خزائن الكتب في المدينة خزانة خزانة السلطان محمود العثاني وخطوطاتها ومطبوعاتها تافهة لا شأن لها وأكثرها من المشهور ونظمها وسط وأحسنها وربما كانت خير خزانة في البلاد العثمانية كلها بنظامها وانتقاء امهانها هي مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت أفندي فيها نحو عشرة آلاف مجلد كتب بخطوط المشهورين من الخطاطين كان تجد الكتاب ذا العشرين جلداً مكتوبياً بخط مشرق بديع في مجلد أو مجلدين وفي هذه الخزانة من التسهيل من المطالعه والعناية براحتهم ما لا تكاد تجد مثله في دار الكتب بمصر وما ذلك الا لكونه دينها وانفاقه في سبله واختبار القيمين عليها وادرار المنشآت الكافية عليه .

وبعد فان مسجد الرسول على كثرة عناء ملوك الاسلام بأمره في كل دولة وحكومة ليس من السعة وجودة البناء باكثر من جامع السلطان احمد او اياصوفية من جوامع الاستانة وان يشبهها في بناؤها فهو اقل سعة من جامع الازهر بالقاهرة والجامع الاموي بدمشق . كان هذا المسجد الشريف والمسلمون قليل عددهم لا يتتجاوزون عشرات الالوف ثم كبره بعض الملوك بحسب ما اقتضت الحال ، ولو نظرنا اليوم الى عدد المسلمين وهم لا يقلون عن ٣٠٠ مليوناً وعدد من يحج ويزور منهم كل سنة لاقتضى لنا أن نجعل سعة الحرم المدنى اربعة أضعاف ما هو الآن على الأقل وتنزيته بجميع أسباب المدينة الحديثة التي لا يحتملها الشرع ولا تتم عن اسراف .

قال ابن قتيبة ان مسجد انديةة كان على عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنيناً ببلن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً وزاد فيه عمر ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كبيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة وبالنفحة وجعل عمداته من حجارة منقوشة وسقف بالساج وواسعه المبدي سنة سبعين ومائة وزاد فيه الأمون زيادة كبيرة وواسعه .

كتاب عنوان

بطء الادارة

قلت من تقرير قدمته لرئاسة حكومة دمشق (سنة ١٩١٩-١٩٢٠) أليس من الغرابة يمكن أن ادارة المعارف منذ انشئت لم يتيسر لها أن تشد ابنيه جديدة لمدارسها اللهم الا بناء مدرسة الحقوق في دمشق وبعض ابنيه ضئيلة لا يؤبه لها في بعض المدن والقصبات . والمدارس حتى في العاصمة ماتت في أماكن غير صحية في الجهة ومن مدارس القرى ما يشبه سجون القرون السالمة لأنوافذ ولا طيقات ولا شمس ولا هواء ولا ساحة للعب ولا شيء من أمور العنا والمروضات للذهب والعيون والداعيات الى التعلم . وما زالت ادارة المعارف مع هذا تصرف كل سنة مبلغاً لا يستهان به لقاء أجور منازل تقيم فيها مدارسها لوصرف على اقامة ابنيه للمدارس وحمل الاهلون على المعاونة في بنائها بمحض فائز التعليم الابتدائي لاصبحت اليوم معظم مدارسنا تأوي الى دور صحية خامدة يرتzinها وتحسنها وتتقشها وترصفها كاتشاء وتشاء المدنية الحديثة .

ان نقل المدرسة كل سنة من مكان الى آخر يضطر ادارتها الى صرف مبلغ ليس بقليل تنفقه على النقل وتشغل ادارتها بتعمير ما خرب وترميم ما الدها من اثاث فضلاً عن تشتت الطلبة هذا اذا وجد محل مناسب من بعض الوجوه لاخذها مدرسة فان ادارة المعارف تبحث منذ ثلاثة أشهر عن دار يجعل فيها المدرسة النموذجية النازلة في المدرسة الظاهرية بدمشق التي جعلت دار الكتب العربية ولما تجد حتى الساعة في ذلك الحي العاصي مكاناً يناسبها مع ما أغلقت من الاجراء لأن من الناس من لا يرضون أن يكرروا دورهم لجعل مدارس منها أعلموا ان الأجر الفاحش خاصة تخربها خصوصاً ومعظم البيوت من طين وخشب بشع إليها البلي أكثر من دور الحجر القديمة .

فالواجب قبل كل شيء ان تفتح الحكومة اعتداناً كبيراً من المال كل شئ تخصه لاقامة ابنيه جديدة صحية للمدارس واصلاح الموجود منها وبذلك تخفف

ال المعارف خطوة كبرى الى الامام فتجهز هذه الديار بالجهاز الذي يلزمها من المعاهد في بضع سنين .

قلت وبعد مرور نحو تسع وعشرين سنة لم مختلف الحال عما كانت وما بني من المدارس حتى الآن مع ضخامة الموازنة لم يبلغ واحداً من عشرين من المطلوب بلاد الجمهورية وهكذا كسل الشرقين .

اصحاط المجتمع العلمي

هذه صورة ما كتبته إلى وزير من وزرائنا في ١٠ شوال ١٣٣٨ - ٢٥ حزيران ١٩٢٠ لما قاوم المجتمع العلمي العربي

كأن من امارات الوطنية الكذابة ، ان يومه دعاتها المتجررون بها في كل ما يعرض لهم مما لا ينطبق مع هوى نفوسهم . عرفت من اخلفك منذ عرفتك ايام كنت تعشى بجلسسي مستفيداً انك مفظور على الحسد ، حريص على الشهرة ، تتوخاها من كل طريق ، وتعد من الوسائل إن ذلك الغض من ذهبوا بفضلها . ولقد كنت كلما أمني النفس باستصلاحك في هذا الشأن بالتجربة والقدوة أرى تلك الصفات تزيد فيك على الايام تأصلاً . وبعد فما كان يخيل لي انك تقوم في مجلس الوزراء وتناقش في مسألة ارجاع المجتمع العلمي العربي تحاول بشفاسشك انفوهودة ان تسلبه ما تم على يده من الفوائد المادية والمعنوية وتذكر ما قام به على الأقل من انشاء داري الكتب والآثار مدعياً ان المصلحة مراعاة الاقتصاد في مثل هذه الأحوال وكان الأولى بهذه العناية لو انصفت وزارتكم التي لا تحتاج لكل هذا الامر افال المضحك المبكي .

وكيف لعمري تزعم ان المجتمع العلمي غير مفيد وقد كنت قبل بضعة أشهر تمني لو تعدد عضواً فيه . لو كنت من تحب بلادك حقاً وصدقأً لو قفت غير موقفك هذا وراعيت العدل فطلبت بقاء بمعنا على أن بتولى

رئاسته غيري اذا كنت تراني غير كفوء لها واجداد رجال له لا يصعب على من استتبع الغاية وعدم جماع القوى وادعى أن الفضل مقصور عليهم . لست آسفاً للآخر الناتج عن سعيك في اقصائي عن رئاسة المجمع فان لي كل جزء في داري وحقي من صفة الأصدقاء بمعاً مستقلاً ينفصل عن فوائد جهة دع من أفاوضهم الحين بعد الآخر من علماء المشرقيات في الشرق والغرب ، وما كنت لأجنح الى الازكال وأقيد النفس بقيود الموظفين الثقيل لقاء عرض قليل .
ولقد أكد حتى خصومي ان المجمع يطلبني أكثر مما أطلبه وهم على مثليتين في غناه الامة ، أما أنت فقدت الى اقناع من حوالك كما قلت لي ذلك مرر اني خدعت اوربا بهذا المجمع وهذا جل ما أسمى اليه . أنا لم أخدع أوروبا بل جهدت لافهامها اننا أمة ذات مجد قديم تزيد أحياه فخدمت بذلك الحكومة العربية لأنني حسنت سمعتها مع اخواني رجال المجمع وخدمنا العلم المجرد عن الغايات البريء من وصية التعصبات ومؤثرات المعتقدات .

فحة دعت صاحبها الى التمويه في البديهيات ، وأنانية مجسمة شأنها التبعع وانكار المحسوسات ، كان من أثرها ايثار الجهل هذه البلاد التعسة التي هي في أشد الحاجة لمن يدفعها ولو خطوة ضئيلة الى الأمام حتى يثار ذو ضعفية لفه من أقدم من عرفوه ، وما قط أثرت عنهم اساءة اليه بيد أن الحقد أكل قلب فراح يبعث بشخصياتهم ويرمي بضاعتهم بالكساد .

بهرك المنصب فأسألت حتى الى أقرب الناس اليك من صبروا على سوء العشرة استبقاء للصدافة ، وما أنس لا أنس ما كنت تشه من الأدوار المخزنة فتحاول اقناعي بغضار أمر ولا تستحي من الغد أن تزيمه للابصار وتأتي مثله من دون حرج اذا كان فيه حظ نفسك فتدعوني الى ما كنت عنه بالأمس تهانى .

نعم اننا ممن لم تخف عليهم قصة ذاك الكرسي الذي أجلسوك عليه الآن فاذذلك عن كل شيء ورأيت من أسباب بقائه لك أن تتظاهر بالفناء في محنة عظينا الذي كنت تلعنه أمس علينا حتى أخرجت الصدور وقال لك في النادي العربي منه أشهر أن الامة لاترقى ، حتى يستغل من كان مثلك بما يعلم ، يقصد بهذا أن البناء لم تخلق لها ولا استعدادت للخوض في مضمارها . ضعيف المدارك لغير الحق من

- ٧٩٣ -

بندعه بريق المظاهر المؤقتة الخلابة ومن يؤخذ بسلطان العواطف ولا يجعل للعقل
عليه سلطاناً وستريك الأيام نتائج أعمالك محسنة ومن يعش يرَ .

لرئاسة اللغة العربية

أخذ تقرير لجنة تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة بمحظ وافر من الإجادة ، وإذا جرى العمل به يسهل تلقيف العربية ، ويتم لها بعض الاصلاح الذي طالما تناه ها عشاها وخدأها .

إن حذف بعض ما لا يتعلق على حفظه كبير أمر من النحو والصرف والبلاغة خطوة كبرى في تبسيط اللغة ، وقد رأينا الكتب المدرسية في العهد الأخير ، على كثرة العناية بتحريتها لا تزال تحمل تعليقات وتطويلات قد يستغنى عن بعضها جمهرة الطلاب ، بيد أن كثرة القواعد لم تعم اللغة عن الانبعاث اللازم بقدر ما عاها عدم العناية بالجزء العملي منها ، وهذا لا يتم إلا بان يسمع الناشيء هذه اللغة منذ أول عهده بالمدارس خالصة من العجمة ربنا يعم التعليم فيسمعها من أبيه وأمه فصيحة لا شوب فيها ، وأول درجات الوصول إلى هذا التطور في تعليم اللغة يجب الا يتكلم المدرسوون والمدرسات جماعات المتعلمين ، من حدائق الأطفال إلى آخر مراحل التعليم ، بغير اللغة الفصحى . وهذا يسود منذ الآن إذا حُظر على أصحاب التعليم التكلم باللغة الدارجة ، وأريد الضعيف منهم في العربية على حضور حاضرات في بعض فصول السنة ليسدّ بما يتعلمه بعض عجزه ، ولا يرقى من المدرسين في درجته إلا من أبان عن كفاءة في اتقان التخاطب والتكتاب بهذه اللغة ، ولو كان معلم تصوير ورياضة بدنية . ويكتفى بتعلم اللغة الأجنبية من أول سن الدراسة الثانوية ، ولا يضر الأطفال تأخيرهم في تحصيلها وهم في أشد الحاجة إلى احكام لغتهم أولاً .

ثم إن الواجب على الحكومة أن تُعنى باصلاح لغة دواوينها ثنتيما من كل غريب ودخول ما أمكن ، وتشدد في كل ما ينشر ويعلن الا باللغة الفصحى ، ولا تسمح بتصور صحف وكتب باللغة العامية ، وتنعم دور التمثيل والسينما والراديو من نقل كلام لا تكون الفصحى سداه ولحمته ، هذا على أن تخفي السهولة في التعبير الى الحد الاقصى .

والحق ما قاله اللجنة من أن أدبنا يحتاج الى كتب تلاميذ طور الشباب وما أصابت شاكلة الصواب في قوله أن الواجب ان تترجم هذه الكتب عن اللغات الاجنبية ، والترجمة لا تقيد في هذا الباب كثيراً لأنها تنقل لنا أوضاع أمة تختلف أمتنا بروحها وثقافتها واجتماعها وحياتها وتاريخها وأدبها فالأولى اذاً أن نأخذ بأساليب الأجانب ونطبقها على لغتنا ونستمد من أدبنا ما يهذب ويعليم وما اخال أنه يصعب على أرباب الأقلام منا ، متى أخذت وزارة المعارف بأيديهم ، أن يضعوا لناشتنا ما يلائم طباعهم من الكتب والرسائل ، ويجري مع مستواهم العلمي والأدبي ويحبب اليهم أدب قومهم المملوء بكل طريف ممتع .

إذا تحقق هذا الاصلاح لا تنقضي ثلاثة سنون حتى تكون الفصحى في كل لسان ، وترسخ ملكتها في قلوب العامة والخاصة ، ويسمعها الناس في البيوت تكلم بها السيدة خادمتها ، وفي الشارع يتخاطب بها الرجل المثقف مع معامله . وفي الحقل يتقصّح بها المزارع وفلاحه . وما دام امتداج الشعوب العربية بعضها بعض يزيد يوماً في يوماً ، وهذا الرadio تصل موجاته الى الوف من الكيلومترات يحمل ضروب النبرات والأصوات وينشر كل المعاني فان هذا الاصلاح يتم على أيسر حال وفي زمن قريب ، كما تزعم العربية أن هضت في المئتين السنة الاخيرة هضة ما كان يرجى بعضها فاصبحت على الألسن والأقلام عذبة سائفة ، ولو راعى المؤاخذ اليوم الاعراب في كلامهم بعض المراعاة لرجعوا بها الى قرون المجد العربي ، ولا نهزمت العامية أمامها بضمهم آخر الدهر .

اني مازلت اسمع من زمن طويل من الغباء ويتبعهم المقلدون من

ابناء العرب ان اللغة العربية صعبة جداً وأن لغات الأجانب أسهل وأقل كلفة ، ومعظم من يقول بهذا القول هم من قضاو سنين طويلة في تلقي احدى اللغات الأجنبية ، وصرفوا وقدم في أخذها عن أهلها بأساليبهم المستحدثة السهلة ، وما أعطوا العربية بعض عنايتهم ، وما منحوها كلهم لتمتعهم ببعضها ، وهم لو صرقو بعض ما صرقوه من الوقت في تعلم لغتهم لكان درجتهم أرقى بكثير من درجتهم في تلك اللغة التي هي مدرسوها لها جميع ضروب الرغبات .

اللغة العربية ، ولا نكران للحق ، واسعة بفرداتها ، لكن الجمود الذي يحاول ان يكتب ويخطب فيها ، وان يستظر من الفاظها مقداراً لاغنية عنه لكل من يدرس لغة من اللغات ، وهو لا يزيد على خمسة آلاف لفظة ، هذه اللغة لا تتكلف ، من تصح عزيتها على تعلمها من المنشق ، ما تكلفة اللغات الأجنبية لكل راغب في تعلمها ، حتى ولو كان من صميم ابناءها . هذا على شرط الاستفقاء بعض الشيء عن القواعد والاتجاه إلى الطرف العملي في تدارسها ، والسير على دريقية اهل العصر الحاضر في تعلم لغات العلم الحديثة ، وحذف ما يقال له عام البيان والبديع ، فإن الناس كانوا يرثون في منظوم هذه اللغة ومنتورها وهم خلو من معرفة المعاني والبيان وهذا البديع المريع .

وبعد فقد ثبت بالاختبار في كل الاعصار والأمسكار ، ان العمل هو الطريقة المثلثي في اتقان اللغات ، ورأينا الجاحظ سيد البلفاء يعلمنا في كتابه البيان والتبيين بالشاهد لا بالقواعد ويقول لطالب النحو في كتابه رياضة الصبي : « وأما النحو فلا تشغل قلبك منه الا بقدر ما يؤديه الى السلامة من فاحش اللعن ، ومن مقدار جهل العوام في كتاب كتبه ، وشعر ان أنشده » ، وشيء إن وضعه ، وما زاد على ذلك فهو مشغلاً عما هو أولى به ، ومدخل عما هو أردّ عليه من رواية مثل والشاهد ، والخبر الصادق ، والتعبير البارع ، وأستدللنا بذلك أن الشكوى من تطويل النحو قديمة يرثها عهدها الى القرن الثاني وان مثل الجاحظ بعلمه وعقله يرثها ويدعو الى الاكتفاء بالبسير من هذا العلم اه .

هذا ما كتبته عملاً باشارة أحد جهابذة وزراء المعارف المصرية بهي الدين باشا بوكات ، والى الآن لم ينفذ سوى اثناء قليلة منه لاتوازي بعض رغبات البجان وأرباب الاختصاص ، وما اكثراها واكثراهم في مصر ، والزيدة أبداً قليلة لا توازي بعض ما ينفق من نمال ، وما شغلت به اذهان الرجال ، كان الشرق كتب عليه ان يقول ولا يفعل .

الطيب حبيب الله

قيل ان ربع سوريا كل سنة من الحشيش ثانون مليون ليرة سوريا (ثمانية ملايين جنيه مصرى) هذا والقانون يحظر زراعته والاتجار به وظير أن من أعيان الزراع من يزرعونه ويجعلونه تجاراتهم يساعدهم على ذلك ما عمن النفوذ في البر والمدن ، و منهم من جمعوا منه ثروات وما تعفروا عن تجارة خارة بالعقل . وكانت مصر وسداً مكافحة الحشيش والمخدرات عامه إلى رسل باشا مدير الأمن العام فحاربها حرباً عواناً وأبان عن غيره على مصلحة المصريين وهو يعرف أن من رجال امته من هربون الحشيش او مصر مقتنيين فرحة وجودهم في الخدمات العسكرية والمدنية . ولقد خطب رسل باشا في مؤتمر الافيون في سويسرا مرة أن وزير سوريا يزرع الحشيش ويتجه به وقد كتبنا الى المفوض السامي في سوريا ولبنان نلت نظره الى ما يجيء فاعل ذلك على الإنسانية فلم نأخذ جواباً ، والغريب أن الجاني مازال في منصبه . وأغرب الغريب أن يجيء رسل باشا الى متخصمه ويضطر أن يده اليه يصافحه . وفي السياسة قد يصافح ابو قاتل أبيه ويسم له بيته المكاييد . والانكليز جداً حراس على حرمة التجارة وقد عهد أن سلحو بالسلاح اللازم جماعة هم حلفاؤهم في الظاهر بواسطة تجارة وما وجدوا في ذلك حرجاً كما حاربوا الصين لأنها حرمت تجارة الأفيون فاستحلوا قتل مئات الآلاف من الخلق في سبيل رواج تجارةهم ،

السکوت من ذهب

طلبت أودي إيجار مزرعتنا كل سنة إلى أن ابنت ان المطالب بالوقف لا يحق له أخذ شيء، مما مادامت أرضنا أميرية تدفع خراجاً وعشراً . وما دام ماسي وفقاً هو اقطاع ليس الا . ولما امتنع عن الاداء امتنع اهل القرية عن تسييد ما كانوا يغرونونه إيجاراً سنوياً اذا قطعوا حطبًا من أرضهم . وعلني أحد اصحابي وكان مارس القضاء الشرعي كثيراً أن أقول كلما دعيت إلى المحكمة الجملة الآتية : أرضنا أميرية ندفع عنها الأموال والعشور ، ابتعاه أي بماله ، وبأندinya سندات تليلك ، وما أبعده من حطبها هو مما غرسه أني وغرسته أنا . » فكان صاحب الوقف اذا قرؤا له ما كتبت تغيب طلعته عنا عشر سنين ثم يعود فيطالبه بوقفه في صورة أخرى ، ونرده بكتابه تلك الجملة الذهيبة في سجل المحكمة .

وقدر الله ودخلت في السياسة فطبقت فيها بعض ما استفدت في مدرسة الحياة من التجارب . واتفق ان بدا لرئيس وزارتنا أن يتحيني وينحي رصباً لي فلم يوأفع من أن يضع علينا من الوزراء من ينشئ بهارته ما نكتنه صدورنا نحوه ، فما رأيت احسن من أن أنسج على منوال تلك الجملة التي تعلمتها من المحامي الشرعي وانفذتني على ايجازها من تعجيز المطالب بالوقف ، فكان جوابي كلما سئلت عن الرئيس جملة سهلة لطيفة وهي ان الرئيس تفضل واستدعاي الى معاونته في وزارته فله الشكر على ثقته بنا ، فاذا رأى أن يستعين عنا بناس اكفاءانا فانا مستعد للاستقالة لأفرغ كرسي الوزارة لغيري لأنني أريد نجاح الرئيس وبنجاحه نجاح بلادنا ، وارجع الى بيتي وانصرف الى موري الخاصة .

وأما زميلي فكان يطلق لسانه في الرئيس وأبيه ويدرك افضاله عليه في معاونته بمال ليصل الى الحكم ، ويتابع ذلك بباب وقدف ليس من شأن

من يشتعل بالعموميات ان يعود لسانه التفوّه ببنتها، ويدرك أموراً تسقط من قامها قبل ان تستطع من قيلت فيه . كنـت ألقـي هـذا الدرس الوجـيز ست مرات في الأـسـبـوع ، والـازـمـة الـوـزـارـيـة دـامـت مـدـة ، وـماـغـيـرـتـ فـيـهـ ولاـبـدـلـ ، وـكـذـكـ كانـ منـ صـاحـيـ مـاـغـيـرـ شـيـئـاًـ ولاـبـدـلـ . وـانتـهـتـ الـازـمـةـ باـخـراـجـهـ منـ الـوـزـارـةـ متـهمـاًـ بـأـمـورـ رـبـاـ كـانـ مـنـهـ بـرـيـئـاًـ ، نـسـبـتـ إـلـيـهـ لـيـرـضـيـ أـهـلـ الـحـلـ وـالـعـقـدـ بـتـنـجـيـهـ ، وـأـنـابـيـقـتـ فـيـ الـوـزـارـةـ ، وـكـانـ الـمـظـنـونـ إـنـيـ اـقـرـبـ إـلـىـ الـإـفـالـةـ .

وبـهـذـهـ الـأـلـعـوبـيـةـ عـرـفـتـ حـكـمـةـ مـاـحـفـظـهـ فـيـ الـكـتـابـ (ـسـلـامـةـ الـإـنـسـانـ فـيـ حـفـظـ الـلـاسـانـ)ـ وـكـرـرـتـ درـسـاًـ فـيـ اـخـلـاقـنـاـ أـحـبـيـتـ نـقـلـهـ إـلـىـ أـبـنـائـنـاـ ، وـبـنـتـ فـيـ إـنـ مـنـ الـأـمـورـ مـاـيـحـلـ بـعـضـهـ بـعـضـاًـ لـتـشـابـهـ الـأـشـيـاءـ وـمـنـهـ مـاـيـقـاسـ عـلـىـ غـيرـهـ وـانـ الـاعـتـادـ عـلـىـ الـإـيجـازـ فـيـ مـعـظـمـ الـمـوـاـقـفـ اـدـعـيـ إـلـىـ السـلـامـةـ ، وـالـمـكـثـرـ عـرـضـةـ لـلـعـثـارـ ، وـرـبـاـ كـانـ فـيـ الـثـرـثـرـةـ خـرـمـ يـدـخـلـ مـنـهـ الـحـصـمـ فـيـرـبـعـ ، وـأـنـرـ ، مـاـخـوذـ بـأـفـرـارـهـ .

الألقاب والرتب والدوسمة

ماـلـيـ رـأـيـتـ بـنـيـ الـعـبـاسـ قـدـ فـتـحـواـ
وـلـقـبـواـ رـجـلـاـ لـوـ عـاـشـ أـوـلـهـمـ
مـاـكـاتـ يـرـضـيـ بـهـ للـحـشـ بـوـبـاـ
هـذـاـ فـأـنـفـقـ فـيـ الـأـقـوـامـ الـقـابـاـ
قـلـ الدـرـاـمـ فـيـ كـفـيـ خـلـيـفـتـنـاـ
(ـأـبـوـ بـكـرـ الـحـوارـزـميـ)

الـحـشـ (ـلـامـؤـاخـذـةـ)ـ مـثـلـتـهـ ، الـخـرـجـ لـأـنـهـمـ كـانـواـ يـقـضـونـ حـوـائـجـهـمـ فـيـ الـبـسـاطـنـ .

الـقـامـوسـ الـمـحيـطـ

كـانـ بـاـخـترـعـهـ بـنـوـ الـعـبـاسـ (ـ١ـ)ـ أـيـامـ ضـعـفـهـمـ اـطـلاقـ القـابـ عـلـىـ مـنـ كـانـ
مـقـبـلاـ فـيـ دـوـلـهـمـ ، وـجـرـتـ أـكـثـرـ الدـوـلـ بـعـدـهـمـ عـلـىـ طـرـيقـهـمـ حـتـىـ إـذـاـ

(ـ١ـ) رـاجـعـ مـاـكـبـنـاهـ فـيـ الـأـلـقـابـ وـالـرـتبـ فـيـ الـجـزـءـ الثـانـيـ مـنـ كـتـابـناـ (ـالـإـسـلـامـ وـالـخـارـجـ)
الـعـرـبـيـةـ)ـ صـ ٢٦١ـ - ٢٦٣ـ وـصـ ٢٩٩ـ

كانت الدولة العثمانية غلَّت في اعطاء الرتب والأوسمة والألقاب غلوًّا لم يسبق له نظير، فدخلت مسألة التشريف في طور من المزبل غريب، والأمور تبدأ صغيرة ثم تكبر، وربما كانت نافعة اذا جرى الاقتصاد فيها، ولا تلبث أن تتوسع في النهاية وتكون منها مضر، وعلى الألقاب والأوسمة تصدق هذه القاعدة. وظل العثمانيون على هذه الطريقة في رفع الناس وخطفهم، يعدّلون في مصطلحاتهم ويزيدون وينقصون، حتى إذا كان عبد الحميد الثاني بلغ أُمر الرتب والألقاب حد السقف فزادت الأخلاق فادًا وشغل الناس بالعبث وأقيمت بينهم المنافسة في أمور لاقع فيها.

ورثت مصر هذه العادة الضارة من دولة العثمانيين وراجت في أيام الخليوي عباس حلمي الثاني رواجاً مضحكاً حتى كان لها سماحة يجتمعون جمادات كبيرة من يحرض على التشرف به، ولا نزال نرى في قلوب المفرجين بهذه الأمور في مصر بقايا يوثى حال من أصيروا بها. أما مملكة شرق الأردن الصغيرة فأوغلت في منح لقب الباسا حتى حازه عشرات من أهل الطبقات الثلاث وعد من حسّنات العراق والشام (سوريا ولبنان وفلسطين) الغاؤها الألقاب وقضاؤها على الرتب وقد اخترع بعض حكوماتها أوسمة تجود بها على الإجانب وعلى من توّضى عنه خدمة أسدتها لوطنها. ويحيط بعض العقلاة في الدولة المصرية اليوم إلى الغاء الرتب والألقاب على أن لا يبقى فيها إلا رتب الجنديّة لتجوّز مصر من مصطلح يفسد التربية ويعلم الناس التعجّل والزهد في الكرامة بما لا ينطبق مع جلال مدينة هذا القرن وترقى عقول أهله.

ولقد دخل التفاخر بالألقاب والرتب والأوسمة في بعض ممالك العرب أيضًا في دور سخافة عجيب حتى صرنا نرى المالك التي لا تعرف الألقاب كسويسرا مثلًا أرقى بأخلاقها من فرنسا وأسبانيا وقد أرغتنا أي إلغال في هذا الشأن. وهكذا الحال في جميع الدول الجاربة على قوانين قديمة

بالية يبعث ولاة أمرها بعقول رعاياهم ويشغلوتهم بأمور تليق بالاطفال
لا بالرجال .

بعد كتابة هذا اطاعت على بلاغ عام نشرته حكومة الجمهورية السورية
على دواوينها واليكم بنصه :

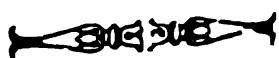
جرت العادة ان تضاف الى الأسماء ألقاب أعيجمية ولما كان من
المستحسن صرف النظر عن هذه العادة نرجو الرجوع الى استعمال كلمة
السيد بدلاً من كل ما يقابلها من الألفاظ الأخرى ودمتم .

رئيس مجلس الوزراء

سعد الله الجابري

وكان الاكتفاء بلفظ السيد قراره مجلس الشوري السوري بعد خروج
الأتراء من ديار الشام بأشهر قليلة فاستراح أهل البصيرة من هذه العادة
وبقيت الحجاز ونجد واليمن الى اليوم على عادة العرب في اغفال هذا
الغرب من التشريف .

ذكرت وأنا أكتب هذا كتاباً خاصاً اطلعني عليه أحد وزراء العدل
في عهد الانتداب جاء من قاض جر كسي الجنس في حمص أطلق فيه انواع الألقاب
على وزيره فكان يقول له تارة فخامتكم ودولتكم ومعاليكم وسعادتكم
وعزتكم ورفعتكم ، وطوراً يحليه بالألقاب المصطلح عليها في تلقب
رجال الدين فيقول له سماحتكم فضيلتكم غبطتكم نيافتكم سعادتكم بحيث
لم يبق لقباً من الألقاب الا منحه لخاطبه . فان كان هذا القاضي لا يعرف
الفرق بين هذه الألقاب فهو أبله لا يصح أن يقضى بين المتخاصمين وان كان
يريد المزء بصاحبها فهي جرأة منه يستحق عليها الترقية في نظري لأن هذا
شيء جدير بالمزء ولا اقول انه غير مؤدب بل أصفه بأنه فكه مداعب .



شاعر المرجع

أقامت وزارة معارف سورية برعاية رئيس جمهوريتها حفلة تكريم في الجامعة السورية يوم ٦ كانون الثاني ١٩٤٩ دعتني إلى الاشتراك فيها فقلت ما يأتي :

الى ضيف سورية العزيز .

الى الشاعر الاجتماعي الكبير ابيه أبو ماضي .

اذا شهدت الحكومة والشعب هنا بحرصان كل الحرص على الاحتفال بك فذلك لأنك أهل لكل تعظيم وتكريم . وكل من قرأ شيئاً من شعرك العذب أو اطلع على أفكارك العالية منشورة يعجب بك ويعد ما يقام لك في كل مكان من بلادك هو بعض ما يجب لك عليها فأهلاؤ سهلاً بالعربي المخلص أهلاً بالرجل الذي بيض الوجه ورفع الرؤوس . وانا لرجو أن تطيل مقامك بين أظهرنا ليتسنى لك الاختلاط بكل الطبقات فتحقق بنفسك مبلغ اعجاب السوريين بك وما أنت في الحق مفخرة السوريين فقط بما بذلت من جهد للنهوض بهم بل أنت مفخرة من مفاخر العرب في عصرنا ولذلك كان من الانصاف أن يكتب الى جانب جوازك الذي تحمله لتجاوز الحدود (جنسيته : عربي) فقط .

أحييك وأحيي بشخصك الكريم مئات الألوف من اخواننا المهاجرين الأعزاء من تركتهم وراءك وهم يتلهفون شوفاً لوطنم الاول وقد اثبتوا في مواطن كثيرة حرصهم على قوميتهم وتناسغهم بوطناتهم وعربتهم . ولطالما استحليت من أسعدي الحظ بالاجتماع اليهم ألمهم من ان من أولادهم من حرموا معرفة اللغة العربية لقلة المدارس ورأيتم كيف يعنون في شمالي اميركا وفي جنوبها بتأسيس معاهد لتلقين لغتهم ومنهم من كان يرسل ولده

الى الديار الثامنة ليحكم فيها لغة ابيه وامه . كل ذلك حتى لا يقطعوا
صلاحهم بأهلهم ووطنهم وهم قادرون على ان يبقوا مطردة دائمة .
ابها الأستاذ العظيم

مني عدت بالسلامة الى اهلك وراء البحار قل لهم ان سوريا ولبنان
اليوم غيرها بالأمن وان النظام الجمهوري قائم فيها على ماحبب انصار
الديمقراطية وان حركة الأعمال الزراعية والصناعية سائرة سيراً لم يبعد ما
مثله في الماضي ، قل لهم ان عشرات من المعامل أنشئت في عهد الحرية
على مثال ما في الغرب منها وان الناس يعملون ويكسبون ويغدون وينعمون
بما انت به الحضارة الحديثة ، فاقاموا الدور المنجد والقصور المشيدة والمصانع
الجديدة والمرافق العظيمة بما لا يقل بعظمته عما عند الغربيين منها ، قل لهم
ان قبس المدينة سرى الى البوادي سرتاه الى الحواضر ، وان السكان
يتمزّرون ما حملت من مباحث ويتذوقونها لا يخافون الا انفسهم ويعيشون
سلام كلّهم . قل لهم ان الوطنية انت على ما كان في بعض الأزمان
من عصبية جاهلية وان كل وطني اخذ يدرك ان اجتماع القوى المترفة
اجدى من عمل فردي ضعيف ، قل لهم وانت خير رسول ان بلادنا هذه
تتسع لابواء عشرة ملايين من الانفس على الأقل وان الربح من استثمارها
واستعمارها لا يقل عما يرجحه المجد في خير الأقاليم . حدّثهم أن عندنا أراضي
كاراضي الوجه شرق الصفا مثلًا تعطي جبّتها مئة جهة من غير ماحت
ولا كثر وان مناخ أرضنا يصلح لمعظم حاصلات الأرض وشجرها وان
عنانك أنهاراً عظيمة يمكن استخدامها للري على أيسر سبيل . وكل ذلك
بحتاج الى رؤوس اموال اذا اجتمع بعض ما لدينا منها هنا بعض ما لدى
اخواننا في المهجـر كات منها ما يأتي بالعجائب . ورابطة المال من أقوى
روابط البشر .

يا أخي إيليا :

أكثر الناس لا يعرفون من بلادهم الا ما نظروه في الخربطة ونأمهـه
في كتب الجغرافيا ، معاومات لا تُشعـع من يريد كنه الأشياء وان يتعرف

إلى حقيقة الواقع فهل ذلك أن تقترح تأليف لجنة من مهاجري الشمال والجنوب على أن يكون فيهم الزارع والصانع والتاجر والمهندس والكيميائي والطبيب يرحلوا إلى سوريا ولبنان في الربع القادم ويبحثوا بأنفسهم مما في أرضنا من خيرات مدفونة تعوزها العناية حتى تغنى من يستشرها . وأنا على ثقة أن مثل هذه الرحلة يأتي منها خير كثير ولا يقوى حب أرض في النفوس أكثر من رؤيتها ودرس خصائصها وميزاتها .

قالت العرب : أرسل حكيمًا ولا نوصه . وقالت أيضًا : أرسل حكيمًا وأوصه ونحن نقول بالمثل الثاني نرسل إلى العرب في الأمير كثرين معتمدين على وطنينك الباهرة ونفسك الحساسة الشاعرة ونوصيك وإن كنت في غير حاجة إلى نوصيتك تصدق أخوانك الخبر وقل لهم طالت غربتكم ووطنكم في أشد شوق إليكم حيام الله ربناهم وجعل التوفيق حليفك في حملك ومرتحلك .

سُوْرَةُ سُوْرَةِ

حدث أن اجتمعت في أحد رجال الدولة العثمانية أخذت إليه في أمر يهني فراح يتكلم ويحاول إشغاله بمحدث تافه من مثل البحث عن صفاء الجو وجودة الموسم ، فرأيت أن أسأله في موضوع قريب من موضوعي كان أسأله عن شخص في قصته شبه من القصة التي أحاول الوصول إلى معرفتها وذلك على سبيل المزح ، فتبدل على لسانه كلمات تنفعني في تلمسي ما أبغضي لفظ عليه ، واضفت إلى قوله أشياء من غندي وتم الخبر المطلوب ونشرته في الجريدة فقامت قيمة محدثي واستغرب كيف وصلت إلى معرفة ما يعده من الأسرار التي لم يطلع عليها انسان . وربما عاد على كلام أسراره فقرعه على كف ماستره بزعمه عن الشمس والقمر .

وأنما الصحفيون من أقدر الناس على استقصاء الأخبار إذا نوروا كشفها ، وإنما لم استعمل هذا الأسلوب مع الوالي الغبي إلا مرة واحدة غفر الله لي .

بعض الناس لا يحب أن يسمع مدحه ويعد مادحه متزیداً مما اعتد
في مدحه ، وربما فاته بعض نواح ترفع قدر صاحبه إلى أكثر مما قال فيه
وأنا خلقت من الكارهين للدح لعلمي بعدم فائدته للمدح ولا للسامعين
والقائلين . وما فتئه بعض من يحسون الظن بي يريدونني منذ اعوام على
الرضا باقامة حفلة لي يذكرون فيها ما كان حظي من المشاركة في خدمة
الآداب وأنا أجيبهم إن هذا لا يليق وانا حي ومن بعدي انتم احرار
لتقولوا ما يرضيكم .

* * * *

كان لي صديق من الأعياط على جانب من الوفاء والرزانة متوسط
الذكاء ، وكان كثوماً جداً يؤمن بقاعدة (استعينوا على قضاء حوائجكم
بالكتنان) عقد عقده على ثيب حسناً وهو في سن الشيخوخة دون أن
يستشير أحداً من أصحابه وفيهم من لا يخفى عنه ما يعرف من سيرتها إذا
استشاره . فرأى صاحبي من المهارة أن يكتم كل ما يحاول إتمامه حتى عن
أصدقائه ، ولسان حاله : اذا أنا لم ابادر الى الاقتران بنظرت
بها افلتت مني واستمع بها غيري . وكانت زواجه العامل الأكبر في
خراب بيته في مادياته ومعنىاته .

* * * *

قد يغفل المرء أو يتغافل عن شيء إذا حوسـب عليه يخرج بعد الحساب
خاسراً ويكون من ذلك عبث بالحق بين وقصور بما يوجه العدل والانصاف .
حدث أن ألقى صديقي الأمير شبيب ارسلان حاضرة في دار المجمع العلمي
العربي في نهضة الأدب في الشام على العهد الأخير عرض فيها بذكـر من
قاموا بـكـبر هذا الأمر من الصغار والكبار وكـنت حاضـراً فلاحظ بعضـهم
أنـ الأمـير لمـ يـذـكـرـ المـجـعـ وـهـوـ مـنـ أـعـضـائـهـ ، وـلـمـ يـقـدرـ ماـكـانـ لهـ مـنـ بدـ
فيـ نـهـضـةـ الـعـلـمـ الـعـرـبـيـ . وـقـالـواـ أـنـ كـانـ مـنـ بـابـ الـلـيـاقـةـ أـنـ يـذـكـرـ صـدـيقـهـ
رـئـيسـ المـجـعـ وـلـوـ بـكـلـمـةـ .

ولعل سياسة ذاك العهد والكتلة الوطنية مسيطرة ومن اعضاها من يكرهني وهي تبغي ان تأتي بالأمير لرياسة الجميع دعته الى هذا التفاصي ، وقلت لمن أبدى تلك الملاحظة : دع هذا ورجع حسن الظن ، وما ضرك لو قلت ان الامير نسي فقط ، وانا لا أعتقد انه من يغطي حقي ، وقد صدقته الود طول عمري . وما أُعجب بأحد من ارباب الاقلام اعجا بي به وربما لم يخدمه احد من معاصريه كما خدمته (راجع فصل وطنية الامير شكيب في الجزء الثاني من المذكرات) واذا جنحت الى التوسع في التحليل فقل ان شكيباً بُلي بصحة بعض الزعانف ، بسائق من سلامه صدره ، يوسع لهم في مجلسه كما كان منه مع رجل لازمه ملازمة الكلب لاصحاب الرقيم مدة مقامه الاخير في دمشق فكببر له أنساً وصغر له آخرين ، وعادت وشاياته على الامير بالضرر اما هو فلم يخسر اكثراً من بيع خميره ولطالما باعه لمن يساومه ومن لا يساومه .

كثيراً ما قلت لشكيب اني أحبه اكثراً مما يحبني فكان يتسم لغولي ويستحي ان يحببني .

وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ

المراد الناجع

تلوث أرباب السلطة التنفيذية في الشام ومصر بالرشوة فذهب وفار
الحكومات واحتقر المحکوم عليهم من عينوهم واهماوا النظر في أمرم ،
ويستحيل ان تكون عقلية شرطي كعقلية قاض مثلا والقاضي تعلم في الجهة
والشرطي او الدركي اقرب الى الأمية والعامية . ومن دها، بعض الشرطة
والدرک انهم جد أمناء لكل حکومة تتسلم زمام الحکم ، ولكل حزب
يسطير وتنشر دعوته . والداهية الباقة منهم قد يخدم عدة احزاب من باب
لا ترسل الساق الا هسكا - افأ . اما في مسائل الرعية فبعضهم على الموى
ويسلبونها كأنما يأخذون من مالهم ، ويحكموه في أهل بيتهم . ومنهم من
يسأل أرباب المصالح جهرا ان ينعوا عليهم بشيء لأن رواتبهم لا تغدو
بأودهم واؤد عيالهم ، ومنهم من يرتفون الى أعلى من ذلك فيساومون
على الجعلة ، يسلبون ماوسعهم السلب . ولطالما خاءت الجرائم بذرءها
يدفعها الجرم لمن بيده التحقيقات الأولية التي عليها يبني الحکم ولذلك
لم ينقطع دابر الأشقياء لأن أرباب الشحنة يغضون الطرف عنهم أحياناً ، ومن
المتهمين من يحمل للدركي والشرطي حصته من الغنيمة ، وبهذه الشركة
السرية بين الشقي ومن يبغض راتبه من الدولة لمطاردته ومطاردة امثاله
خاءت الحقوق وزالت المحبة ومن رجال الامن من اذا قرت الاحوال
وکسد عدم سوق الانتفاع من الناس يخترعون مسائل لأهل لها او
يجسون مالديهم من الواقع ليملأوا جيوبهم من جيوب الأبرية .

ولا دواء فيها نعلم لهذا الداء الا تفتيش كل ديوان وكل شعبة من شب
الادارة وتنفيذ تقارير المفتشين الأمناء من دون امهال ولا امهال وبذلك ينزل
معدل الفساد ويستريح الناس باخراج كل من يسرق من الخدمة على ان
لابعد أحد مكانه وبهذا يقصد مبلغ عظيم يضم الوفر منه على مشاهرات

أرباب الرواتب الصغيرة فلا تتفخم الموارزنة ولا تبقى معدرة لمن يسيرون
الاستهان من العمال بدعوى قلة رواتبهم .

ربما يقول بعض من يحبون السلامة أن هذا الرأي خيالي لا يتنافى نظيره
لما يحدث منه للحكومة من الاتعاب وربما كان منه ما يدخل بالأمن ونحن نعتقد
أن أفراداً فاسدين ويعرفون انفسهم أنهم فاسدون تستغنى عنهم كل حكومة
نجب الاحتفاظ بكرامتها وإذا تم هذا الاصلاح تصفق الرعية وتقتبط لأنها
متبرمة بالفاسدين وتلعن أبداً من يخرجون عن جادة الحق ولا ينبعها من
آهلائهم الاتكريم ما يلبسون من بزة وأخواف مما يحملون من سلاح .

ونلخص بعد هذا - (وقد سبقت لنا هذه المعاني في هذه المذكرات)
دعوتنا في كلمات : صرف المأمورين المستغنى عنهم ، تقدير دقيق على الخائنين
وطردتهم من الخدمة بلا هوادة ، التوسعة على أرباب التزاهة من الموظفين
واعطاؤهم مثابرارات جيدة .

وهذا الاصلاح يحتاج إلى بضع سنين حتى يتم على ما يجب وتنظر منافعه
من السنة الأولى وهو النجع دواء .

متحف

خزانة عظيمة

ارادني صديقي العلامة ابو عبد الله محمد الزنجاني من علماء ايران عليه رحمة الله ان اكتب الى العالم الكبير الميرزا محمد علي خان فروغی رئيس وزارة ایران والى العالم الميرزا علي اصغر خان حكمت وزير معارفها أطلب اليهما عمل فهرست لكتبة قصر کلستان في طهران وقال لي ان كتابي اليهما تؤثر اثراً محموداً لأنها يعرفانك حق المعرفة ويستمعان لافتراك . فتعجس و كتب اليهما فجاء جواب العلامة فروغی رحمه الله بالعربية وهذا نصه :

حضررة العلامة الاستاذ الأکبر دامت معاليه

تناولت كتابکم الكريم الحاوي حسن ظنکم بي وعواطفکم الجميلة نحوی ونحو بلادي فارجوکم أن تقبلوا فائق شكري وامتناني على ذلك وبحسن بي أن أحبط علمکم الشريف أنه قد سبقت أيضاً الى السمع ذكری فضائلک وما تبذلونه من الخدمات الصادقة للعلم والاسلام فارجو الله أن يؤيدکم لذلك ويبقیکم ذخراً للعلم وأهله .

اما ما افترحتموه من وضع فهرس للخزانة الملكية بقصر «کلستان» فقد بوشر بالعمل منذ زمن ونرجو أن يتم أمر التنظيم قريباً والشرع في طبع فهرس يتضمن ما احتوت عليه الخزانة من المؤلفات واذا طبع فانکم سترفون عليه ان شاء الله . هذا مالزم وتفضلو في الختام بقبول جزيل سلامي . والغالب ان حوادث الحرب الماضية وما لقيته ایران المحبوبة من ارهاق الدول المحاربة اخر انفاذ هذا المشروع النافع وعسى أن يكون الأخلف على ما كان الأسلاف عند حسن الظن بهم ،

الوطنيّة العربيّة

ما عهدنا طائفة الروم الأرثوذكس الا متضامنة مع السواد الاعظم من سكان البلاد الشامية في كل نازلة وها هي تقدم برهاناً آخر على عروبتها ووطنيتها في المسألة الصهيونية بلسان بطريقي كها العلامة الكسندروس طحان فقد شرّ بياناً في قضية فلسطين دل على شعوره وشعور طائفته . وما قال ماطباً رجال الدين والدنيا من ابناءه :

لم يفت علمكم ما منْ به المولى سبحانه على جميع البلاد التابعة روحياً لكرسينا البطريقي الانطاكي من نعمة الاستقلال بعد الاستعباد والمانع بعد العنا فاضحت بلادنا تلك امر نفسها يسوسها ابناؤها البررة الاخبار . غير ان هذه الحالة الطيبة التي متّع الله بها امتنا العربية وكذا نأمل دوامها قد تنقصت بالقرار الجائر الذي صدر في الآونة الاخيرة بتجزئة فلسطين الارض القدس الى منطقتين يهودية وعربية – التجزئة التي يقصد منها خلق دولة يهودية مستقلة في بلاد عربية عريقة في القدم – والذي يحمل في طياته خطراً مبيناً على مقدسات الشعوب العربية المسيحية والاسلامية في فلسطين الغزيزة ويكون جواً دائم الاخطراب ربما ادى الى تعكير السلام العالمي لما لذلك المقدسات من الاحتراام العميق عند اصحاب الاديان مسيحيها ومسليها وقد كان نرجو قبل صدور هذا القرار الجائر ان يتورع مصوروه من العبث بمحقق اولئك الشعوب الذين لم يأتوا امراً يستوجب التهجم على بلادهم التي مرّ على سكانهم فيها عدة قرون وهم فيها آمنون متضامنون . ولكن خاب الامل ووقعت الواقعه فدامتنا ايام عصبية هي اعظم ما حل بالبلاد العربية من محنة سوداء لم نجد معها مناصاً من ان نهب الى الدفاع عن حقوقنا وصيانة حرمة مقدساتنا . واي شعب من شعوب الارض كلها تتوفّد في صدره جذوة الدين لا يبذل النفس والنفيس في سبيل الدود عن معابده

وما كانه وحرمانه التي هي اعن ما يعلمه في دنياه ؟ وما كاد القرار الجائر ينشر خبره المؤلم في الاصقاع العربية حتى قامت التعذيبات الصهيونية على حياة السكان وعلى معابدهم وبيوتهم ومتاجرهم بصورة فظيعة تجبره عن مهالك ميتة للرجال والنساء والاطفال ليخلو الجو لثيرها فيسعنوا في املاك الديار كما يشاؤون .

ولم تقاعد الشعوب العربية الذين أخذوا على حين غرة ورأوا المطر المدام عن الذود عن نفوسهم وعن كل ما له شأن في حياتهم الدينية والاجتماعية اندفعوا بمحون ذمارهم ويدافعون عن حرماتهم غير ضابن بكل ما لديهم من عزيز في سبيل تحرير فلسطين العزيزة .

واذ كنا أبناء الكرسي البطريركي الانطاكى تؤلف جزءاً من البلاد العربية فمن واجبنا أن لا تقاعد عن المبادرة الى المساعدة الفعلية في الجلاء القائم أمامنا للدفاع عن فلسطين المقدسة والى التضامن مع اخواننا العرب بكل ما نملك من قوة وعزيمة ماذبة لنصرة الحق وخذلان الباطل .

مرقة آثار

زارني في داري الدكتور عبد الرحمن الكيالي وزير المعارف والعدل في وزارة السيد جميل مردم بك الكلتولية (نسبة المكتبة الوطنية) وقال لي انه اتصل به من مصدر وثيق ان الأمير جعفر الحسيني مدير دار الآثار يتجر بالعاديات بصورة غير مخللة اي يسرقها فتأثرت لهذا الكذب الصراح وقلت : ان الأمير يقل من يضارعه في نزاهته من عمال الجمهورية ولو كان يستحل أن يسيء استعمال وظيفته لعد اليوم من كبار الأغنياء ، وإذا أنا سرقت فيكون جعفر قد سرق . وسراق الآثار والمتجرون بها هم يتهمون الاستاذ الحسيني بهذه التبعة الشنعاء لانه سلم بعضهم الى القضاء لحاولتهم اخراج آثار سوريا الى خارج الحدود .

وأعل الكيالي حاول الصاق هذه التهمة بالامير يوم حاول مع رئيس حكومته ان يهدى أيضاً أحد المهربيين من الارمن التآمر كبن الاسدين الرخمين الرابضين الى اليوم في محل المنسوب اليها (ارسلان طاش) من الجزيرة ومنع الفوض السامي يومئذ اخراجهما من ارضنا بعد ان نشر خبر هذه المبة العظيمة في الجريدة الروسية . فبدأ الكيالي ان ينتقم من الامير جعفر باتهامه بهذه التهمة الدينية ووقع في نفس الكيالي بعد المنع ان يقنع مدير دار الآثار بالتوسيط لدى الحكومة المنتدبة حتى تغض الطرف عن الاسدين وناذن باخراجهما من سوريا فأنهى .

ولما لم يستطع الوزير الكيالي ان ينال من الامير جعفر اضر له الحقد هو ورئيس الوزراء وانضم اليهما مؤخراً رئيس الجمهورية فما شق صدورهم من الامير جعفر الا اقصاؤه عن دار الآثار فاحيل الى لجنة تأديبية جزاً، أهلية واستقامته . ومن طبيعة الكتلوين انهم يشق عليهم مشاهدة أرباب الزواحة في الحكومة لأنهم يحاولون أن يكون الناس كلهم كاسنان المشط في الاستواء هذا مثال من ذمة من طلما زعموا ان الوطنية وقف عليهم وعلى من يرثون عنه احتكروها لأنفسهم وباعوا واشتروا باسها ، وكان ألم موادها التزيف والظلم .



العلم يعني

كان الأدب العربي إلى أواخر القرن الماضي لا يدر على صاحبه ما يسد به الرمق لأن الولايات العربية كانت تحت الأحكام التركية غارقة في الجهل ، والأتراء ليسوا من العربية في ورد ولا صدر ، ومصر ما كانت في درجة من الحضارة تعرف قدر لغتها . فكان بعض المتأدبين يجعلون من الأدب حلية يظرون بها اذا كفوا مؤنة العيش ، ومنهم من اذا بَرَأَ بهم العوز ينظمون القصائد في مدح الأكابر والحكام فيجيزونهم اجازات ضئيلة . وكان في مدرسة اللغازارية بدمشق استاذ للعربية اسمه أمين الحلبي تعرفت اليه عندما كنت أختلف الى ذاك المعبد أتلقى الآداب الفرنسية فكان لفروط غيرته على أدب العرب كثيراً ما يعذلني على ولوعي بادب الفرنج وأهمالي الأدب العربي ويدرك لي مافي هذا من البدائع التي خلت منها آداب الفرنسيين .

ثم انتقل صاحبي الى بيروت وحرر جريدة الأحوال مدة والفالب أنه سُئِّم المراقبة على الصحف يومئذ وما كان صاحب الجريدة عليه من التنصب الذميم وملأ أيضاً العيش من شق القصبة على غرامه بالعرب والعربية وهاجر الى جنوب إفريقيا فاشتغل بالتجارة واغتنى في سنين قليلة .

ومن حال صديقي الاستاذ أمين الحلبي تستخرج مسألة روحية نازجاً حالة اقتصادية ذلك أنه لو لم تشتد منافسة البرتستانت والكاثوليك في ساحل الشام في القرن الماضي لما ظهر الرعيل الأول من علماء العربية . أنشأوا المدارس لنشر مذهبهم وعنوا بتدريس العربية فظهر الأعلام من خدامها أمثال بنى البازجي وبني البستاني والخوراني والأسير والأحدب وغيرهم .

الصحف والكتب

يقول غستاف لبون ان الصحف والكتب تؤثر في نشوء الآراء وفي سرارتها تأثيراً عظيماً ولكن دون تأثير الخطاب . وتأثير الكتب أقل من تأثير الصحف لأن الجمود قلما يقرؤها ومن الكتب ما استهوى العقول فادى إلى أهلاك ألوان من البشر كما وقع من كتب روسو فانها كانت توراة تشع بها زعماء الإرهاب ومثل ذلك كتاب « بيت العم توم » الذي ساعد كثيراً على نشوب حرب الانفصال الدامية في اميركا ، وقد أثرت رواية روبنسون كروزى وقصص جول فرن تأثيراً عظيماً في عقول الشبان وفتحت لكثيرين طرق الكسب . وقوة الكتب كانت شديدة عندما كان الناس يقرؤون قليلاً فان تلاوة التوراة في زمن كرو ومثل أنشأت في انكلترا عدداً كبيراً من المتعصبين . وفي العبد الذي كتبت فيه رواية « دون كيشوت » ، كانت قصص البطولة ذات تأثير سيء في العقول كلها حتى لقد اخطر ملوك اسبانيا أن يحذروا بيعها أما اليوم فان تأثير الصحافة أشد من تأثير الكتب . وقد ظهر في الصحف اليومية في كثير من الحوادث الخطيرة بعدنا شيء من الاستهواء والاغواء ، وتبين الآن أن حرب الولايات المتحدة مع اسبانيا كان النافع في ضرامها بعض الصحف ولو فرض وهذا الفرض غير عيب التحقيق ، ان صاحب مصرف متوسط الثروة ابناء جميع صحف مملكته يصبح سيدها الحقيقي يعلن الحرب ويعقد الصلح على هواه . وقد رأينا الماليين يتعاونون القسم الخاص بالبورصة في جميع الجرائد آملين أن يعلنوا عن مشاريع من شأنها أن تأتي على الثروات التي جمعت من التوفير لترجمها . وما من حكومة تجهل هذه القوة القاهرة للصحف وغاية ما يحمل به السياسي المحترف أن يتخد لنفسه جريدة منتشرة تنطق بلسانه وقد كان من وزارات الامبراطورية الالمانية أن حبوا للرأي العام معظم اعلام

بواسطة صحف غزوها بأموالهم فاستالت لهم الرأي العام . ان سرعة تصدير القراء لما يقرؤنه في جراند م عجيبة من العجائب » .

هذا رأي الحكيم غستاف لبون في الكتب والصحف وهو كلام لا يصدق على الافتخار العربية المتمدنة وقراء الصحف ما برحوا قلائل وقراء الكتب أقل بكثير من قراء الصحف . ثم ان القراء عندنا يسيئون ظنهم بباب الصحف ويزعمون أن الصحافة تضل العقول وتکذب وتخليق وتسير مع أغراضها وأحزابها ، سامت سمعة الصحف فرميت بما رميت به وكانت الحكومات هي التي جنت علينا ، تنفق عليها وتفسدها بمال تقوم لها بدعایات ملقة ، ومن أحسن ما تم في عهد الثورة الأخيرة في سوريا الفاء نحو ثمانين صحيفة والاكتفاء بعد قليل فقط . وبما أبقوها عليه من الصحف المحترمة يرجى أن تحسن منازع الصحف وأن تصدق ولا تتحامل ولا تخليق وأن تحمل للقراء كل ما يفيدهم .

أما الكتب فهي في بذلة لا يشبهها بلاء لا عراض القوم عن تناوغاً إلا مكرهين ، فالكتب المدرسية تؤلف للمدارسين ولجيل خاص من الناس ، ومهمها سرت درجتها لا يتناولها الجمهور ، وعلى الجمهور وما يتغذى به من الأفكار المعلول الأول . والجمهور عندنا يتغذى كثيراً بالقصص والروايات ومنها ما لا يفيد في دين ولا دنيا وكتب الدين مقصورة على طبقة بعينها لا تتعداها إلى غيرها وأكثر رجال الدين يستعيرون الكتب اذا حفظتهم الحاجة إلى مطالعتها وقل فيه من يطيل النظر فيها .

بقيت طائفة من الناس تحب كتب الثقافة وهي ضئيلة لا يعول عليها في نشر الكتب لأن عددها أدى اليوم لا يتجاوز المئات وإذا وصلت بعض الاسماء إلى أن يطبع منها ألف فهذا من الكتب التي ألفها أرباب النفوذ أو من يحسنون عرض بخانعهم على القوم بأساليب هم تفردوا بها . والمؤلفون في هذا الصنف من الكتب الشريفة لا يستطيعون أن يكونوا مؤلفين وتجاراً . وما برح الوراقون يبحون من الكتب أكثر من المؤلفين .

ومن أجل هذا نقول ان الكتب والصحف لم تبلغ المبلغ الذي كان

يجب لها في الشرق العربي ولعلها تصل الى ما يرجى منها من التأثير بعد جيل أو جيلين لأننا نكتنر من نشر المعرف ولا سهل الى رواج الصحف والكتب بغيرها ولا بد من قضاء الوقت اللازم لنضج الأعمال وتأثرة العقول . قال أحد سفراء اميركا وهو من هواة الكتب ان لأرباب الملابس في أمريكا مخازن كتب جليلة والبلد لا يعد مثقفاً ثقافة حقيقة الا اذا كان فقراءه يقتنون الكتب .

الصداقه والسياسة

اعجبتني كلمة قاتها الدكتور عبد الجبار جومرد من نواب المعرفة في مجلس نواب العراق : اذا كانت السياسة هي الاشتغال للصالح العام فالسياسة شيء والصداقه شيء آخر ، اذا تكلمت بالسياسة لا ارى امامي صديقاً واذا قابلت صديقاً نسيت السياسة . وانا احس بان هذه القاعة - قاعة المجلس العراقي - محراب سياسي للامة فالكلام فيها بأدب والمعاملة بالرفق ، ومن احترم هذه الندوة احترم امته فإذا نظرت الى النقد في السياسة والنقد من ، فارجو الانقضب على احد واذا غضب فلا أبالي .

صاحب هذه المذكرات جرى على هذه الحطة ففرق بين الصداقه والسياسة وقد لا يجيد عن قانون الصداقه لخدمة السياسة ولا يتخل عن واجبه في النقد مراعاة للصداقه . قال لي بالامس احد خلاني الاعزه لقد بالفت في المذكرات في الثناء على صاحبك محمد علي بك العابد رئيس الجمهورية الاول ، فقلت له هذا ما عرفته فيه بعد طول العشرة ، وما ذكرته شهد الله الا بما فيه وأشارت الى ما حمد منه والى ما انتقد عليه . وصاحبك اللذان جاءاً بعده هل قاما بمحق هذا النصب الجليل اكثر من صاحبي هذا ؟ ماذا كان من صاحبك الثاني وهو بالاجماع لم يضر ولم ينفع على ما اনطوى عليه من اخلاق حسنة وعفة عن المال . وهل في مقدورك ان تذكر ان الثالث ساقنا بسوء سياسه

وفساد طريقة الى الحزب حتى آل امره الى ذاك المصير المخزن .
هذه هي عينات رجالنا لم تتعلق الأقدار بان يتولى هذا المنصب العظيم
ارقى كعباً منهم او ان الخاطح حظهم بلغوا درجة من الظهور كان غيرم
احق بها واهلها . انا ياصاح اصف المترجم لهم بما يتراوھ لی منهم في مرآي
وبما يحكم عليهم به عقلي ورويتي فاختلط ، وأصيـب ، وقد يكون صوابي عند
نفسي اكثـر من خطأي . وليس لـي من المقدرة ان اخلع على من اذکـر
حللاً من الثناء فضـاضة برقة ولا ان أعزـيزـهم لما ثبتـ لهم من الصفات
فأشـورـها وأـسودـها ، والحب لا يـؤثـرـ في تصـوـيرـي لهم فالـرئـيسـ الثالث اخـتهـرـ
منـذـ اولـ نـشـائـهـ وـاقـيمـ لهـ بـعـضـ العـذـرـ فـيـاـ كانـ يـأـتـيـ عـلـيـ يـدـهـ فـلـماـ توـلـىـ زـامـ
الـاـمـةـ وـاصـابـهـ الغـرـورـ فـارـتـكـبـ ماـارـتـكـبـ منـ خـرـقـ القـوـانـينـ وـالـسـيـرـ بـيـرـةـ
الـظـالـمـينـ نـفـضـتـ يـدـيـ مـنـهـ . وـمـنـ طـبـعـيـ انـ انـفـرـ مـنـ يـبـانـ الـحـقـ وـبـطـلـ الـحـلـقـ
وـكـتـتـ اـزـهـدـ فيـ صـدـاقـةـ مـنـ يـدـوـسـونـ الـمـلـحـةـ الـعـامـةـ مـنـ اـجـلـ مـلـحـتـمـ الـحـاجـةـ
وـلـوـ كـانـواـ اـقـرـبـ النـاسـ لـيـ .

كتـتـ اـوـدـ لـوـ صـحتـ عـزـيـةـ صـاحـيـ النـاـقـدـ وـرـمـانـيـ بـالـتـشـيـعـ للـرـئـيـسـ الـاـولـ
أـنـ يـكـتـبـ سـيـرـةـ صـاحـيـهـ الـأـخـيـرـ اوـ سـيـرـةـ الرـؤـسـاءـ الـثـلـاثـةـ وـهـوـ مـنـ اـقـرـبـ النـاسـ
بـيـهـ يـعـرـفـهـ كـمـاـ يـعـرـفـ نـفـسـهـ وـكـانـ عـشـيرـهـ وـرـصـيفـهـ . نـعـمـ اـنـ مـبـنـيـ بالـصـراـحةـ
وـقـدـ اـمـدـحـ عـدـوـيـ وـاـذـكـرـ مـساـويـهـ صـاحـيـ لـاـتـعـمـيـنـ السـيـاسـةـ فـأـسـلـ هـذـاـ
أـوـ اـعـطـيـ ذـاكـ عـلـىـ هـوـايـ وـقـدـ اـجـامـلـ بـعـضـهـ اـلـىـ حدـ مـحـدـودـ وـاـنـ مـوـقـنـ اـنـهـ
لـوـ كـانـتـ لـهـ القـوـةـ لـعـمـزـيـ غـمـزةـ مـسـمـوـةـ وـتـعـذـرـ عـلـيـهـ اـنـ يـذـكـرـ فـيـ الاـبـلـجـعـةـ .
ـ حـاـوـلـتـ مـنـذـ اـخـذـتـ اـوـلـفـ وـاـنـشـرـ اـنـ اـجـعـلـ لـلـتـارـيـخـ الـمـكـانـةـ الـتـيـ لـهـ عـنـ
ـ الـفـرـيـقـيـنـ وـاـنـ اـتـوـخـيـ فـيـ كـتـابـهـ الـحـقـ وـالـاـرـشـادـ لـاـ الـارـضـاءـ وـالـعـبـثـ قـفـضـ عـلـيـ
ـ مـنـ غـضـبـ وـرـضـيـ عـنـيـ مـنـ رـضـيـ فـاـ تـضـرـبـتـ بـالـغـضـبـ وـلـاـ تـنـقـعـتـ بـالـرـضـاـ ،ـ وـاـغـبـطـ
ـ كـلـ الـاغـبـاطـ اـنـ اـرـضـيـتـ ضـمـيرـيـ وـمـاـ بـالـيـتـ .ـ وـهـذـاـ فـيـاـ اـظـنـ الـفـرـقـ يـدـ
ـ مـاـ اـكـتـبـهـ وـيـكـتـبـهـ غـيـرـيـ مـنـ يـنـظـرـونـ قـبـلـ كـلـ شـيـءـ لـمـلـحـتـمـ وـيـهـزـأـونـ مـاـ
ـ اـتـوـفـ عـلـيـهـ وـيـعـدـونـهـ نـقـصـاـ حـامـ اللـهـ مـنـهـ !

المدخل المدینی

منذ عهد بعيد جاء قريتنا الشيخ محمد الدندراوي الصعيدي ينشر طريقة «الرشيدية» وسارع بعض سراع التصديق من الفلاحين الى تلقينها عنه . وبعد سنين جاءهم ابنه أبو العباس يتولى من القرية ما كان أبوه يتولاه ، وربما كان على شيء من العلم أكثر من أبيه ، قيل انه دخل الأزهر ، فكثر مريدوه وكان على ما يظهر يوصيهم وكلهم أميون بعدم الاختلاط بغير جماعتهم واتخروا لهم عامة جديدة يتأذون بها عن غيرهم وهي عبارة عن طربوش ابيض ثلاث عليه . عامة بيضاء ذات عذبة طنبلة واو صام الـ " يحلقوا لاحم فطال حني ليروتك بها صاحبها عندما يباشر اعماله الرزاعية . ولم يعلمهم ولم يفهموا راكثرهم لا يحسنون تلاوة الفاتحة . وفتن مريدوه بكل حركة تصدر منه ، وسحرهم بسكونه أكثر من كلامه ، وكانوا لفريط اعتقادهم فيه يجوزون أخذ ماء وضوئه وغسله يشربونه ويتركون به ويزرون انه شفاء من الامراض وكانوا اذا ارادوا الاقتراب منه ركعوا وسجدوا وقبلوا الارض ورجعوا الى الوراء ومن سعد بتقبيل يده حاز الاجر العظيم . وسمعتهم في ذكرم ولانا في حديقة مجاورة يصرخون يا أبا العباس اغفر لنا ويستغيثون به كما يستغيث المؤمنون بالموسى تعالى .

وما راعنا الا والجرائد المصرية ترمي صاحبنا بأنه نبي كذاب ووصفت مقر دعوته في قرية من قرى قنا فكان ما يأتيه جماعته هناك عين ما يأتونه هنا من خالفة الشرع . وأصدر العلامة مفتى مصر فتوى في تكفير كل من يقول بما اشترى عن أبي العباس وجماعته . وعلى الاثر وافى أبو العباس دمشق واجتمع الى قاضيها ومفتتها فأقرراه على طريقته وقالا انها لا تخرج عن سائر الطرق الصوفية ليس فيها ما يكفر به . والواقع ان دعوى النبوة بعيدة عن الشيخ

القاوی ولكن طریقہ دنیویہ یکلّف بھا الداخل لنفقات اکله ورفاهیتے ما لاتسع له جیوب الفلاحین القراء . وقد بنوا له بیناً فی دمشق سیوه الزاویہ وآخر فی عین الحضرة لاصطیافه وكل ذلك من أموالهم وبأيديهم . ولو فکھم وعلمهم لنجا من الملامة لكنه احب ان یسلّمهم کا استلمهم .

لا سطّر الشیخ القریۃ شطربن تعذر علیّ وعلى أصحابی من نبھاء أهلها ان اقوم بما کنت انبیه من تعليم اهلها وتدینهم وجلب المرافق لهم فقلب الجبل العلم وكثیراً ما كان منه ذلك .

الجامعة العربية

انشئت الجامعة العربية منذ بضع سنين وكان بعض المفكرين ينشئون منها لأنها مما أوحى به السياسة الانگلیزیة ، والانگلیز خدام منافعهم لو أمكنهم أن یسخروا البشر کله لصالحهم ما تلکؤا عن امضاء ذلك ساعة ، وكل محظور مباح في سیاستهم .

وكان ما شغل الجامعة عن اقام ما ألفت له مسألة فلسطین المژوّمة وسعیها مع الحكومات العربية السبع لحفظ حقوق العرب في القطر المنکوب . ومع أن الجامعة وعلى رأسها صدیقی الاستاذ عبد الرحمن عزام باشا لا ینقصها شيء من أدوات النجاح لم توفق الى تحقيق ما كانت ترمي اليه من الدفاع عن حقوق الفلسطينيين على ما یحجب ، لأن نجاحها ليس بما تملکه الجامعة الجديدة ، فكيف بالنجاح وامام الجامعة دول کبری اعتادت أن تلی ارادتها في سیاست العالم والعرب منهم وهؤلاء ما وسعهم الى اليوم أن یلوا ارادتهم على أحد .

فاما اذا لم یکتب للجامعة التوفیق في سیاستها على ما كان یوجی فما أحرارها أن تجدد همة لانفام الباقي من برامجها ومنه الغاء الجمارك بين الأقطار العربية الداخلة في الجامعة ومنه توحید الثقافة والنقد والبريد وغير ذلك

لنشر العربي أنه وأخوانه في القافية والدانية متعدد في بعض ما يجمع الدول من الروابط ويؤلف منها كتلة تكفيها من رفع صوتها وحماية ذمارها . والرجاء ألا تصاب الجامعة بما ابتليت به أعمال الشرقيين من اظلم النشاط في بدء كل مشروع ثم الضعف فيه رويداً رويداً حتى لا تكاد تجد له أثراً يذكر في الآخر ، خلافاً لاعمال الغربيين تبدأ بنشاط قليل ثم يزيد على مر السنين .

ولا مندودة من التصريح هنا أن على الجامعة ان تشغل نفسها بما يدخل في الصميم من برنامجهما تأخذ المباب وتحل محل القشور وتبدأ بالفروض قبل التوافل . وأذ قد انقضت مهنة الجامعة في فلسطين او كادت نرى ان نلفت نظرها الى انفاذ سائر ما دون في جدول اعمالها لتثبت للامة أنها تخدم جهدها وأن ما وقع من قصور كان غير مقصود وفي وسعها تلافيه .

جرت عادي اذا رأيت الخلل في عمل ان ابادر الى اصلاحه بكل ما عندي من حيلة اما ان اهدمه على أمل ان اجد من البناء الجديد خيراً اكثير فلا اقول به لأنه من شأن العاجزين والمدامين . وما ابنته الأيام ان من الأوضاع ما اذا زهدت نفسك فيه فقضبت عليه والفتيه لا يتنى لك ولا من بعدك ارجاعه .

مختصر

الكتب المقرؤة

يظهر ان الامم مولعة بالقصص الغريبة ، و بما ترثاه اليه كثيراً كتب النقد والرحلات ، ولذلك راج هذا النوع من الاسفار في كل العصور ، و مثل هنا بكتابين كانا ولا يزال لها شأن عظيم في الغرب . الاول كتاب الاخلاق للابروبيير ، وصف فيه اخلاق من كانوا مختلفون الى قصر لويس السادس عشر فأجاد من وراء الفایة ، وصار كلامه دستوراً يسترشد به . والكتاب الثاني كتاب دون كيشوت لسرفانتس صور فيه المجتمع الاسباني في القرن السادس عشر ، صوره ببنبلائه و فرسانه و شعرائه و ظرفاته و قساوسته و سوقته وباعته و غانياته و عاشقاته و طاهياته بما لم يبق بعده غاية لمبدع . و سخر في جهة ماسخر بالخاصة من فرسان ذاك العهد كمسخر ربليه من رجال القرون الوسطى وكل المؤلفين ترجمت رواياتها الى اللغات الاوربية وصادفت من الرواج مالم تصادفه قصة الف ليلة وليلة في الشرق والغرب .

راج كتاب الكاتب الافرنسي و كتاب الكاتب الاسباني لوقوع الجبور فيما على وصف من اتصفوا بهذه الاوصاف والقوم متبرمون منهم حانقون على كبرائهم فنطق المؤلفان بلسانه و رددا نغمته و خربا على سنانه . والكتب من البضائع التي يروجها ذوق من يقتنيها والشعوب يتناولونها مقلدا بعضهم بعضاً بالعاده والعدوى .

وانا لنرى اليوم كتب الساسة المشهورين تصيب رواجاً عظيماً يوم ظهورها ويطبع الطابعون من مذكرياتهم مئات الالوف فيعني اصحابها لكثره رواجها كما نجد رواجاً عظيماً لروايات المشاهير من المعاصرین فتنقل الى اللغات الجبة الكبرى ، وتمثل رواياتهم التمهيلية بعدة لغات ، وكلما مثلت كان للمؤلف الأول حظ من أرباحها . وما برح تأليف بعض ادباء فرنسا و انكلترا و اميركا والمانيا وغيرها مثلاً باهراً من هذا الرواج . وان الغربيين ليتنافسون اليوم

في ثلاثة فحص بوناردشو أكثر مما يتنافسون في تصفح أي كتاب في الموضوعات السامية . ومن الكتب من يشترك الخاصة وال العامة في ثلاثة منها ما يكون وفقاً على الخاصة فقط أو على العامة فقط .

قال كلبيان فوتيل في جريدة جرنجوار مرة : اجمع النقاد والادباء على ان الكتب الصالحة لاتبقى مجهمة أبداً وان ما من عمل الاجيال القادة من بظيرها ولا يخفى ، على حين تراكم الآثار ذات القبضة التي خانها المطر في ظلام الدياميسي الادبية . وقل جداً في الكتب التي احرزت اعجاب القوم ونعيدهم ما كان نصيه النبيان والاهمال . لنقل قوله حراً من يقرأ الى اليوم كتب فولتيير (ماعدا قصصه) ومن يتأثر جان جاك روسو (ماعدا اعترافاته) ومن يتضمن شاتوريه بان (ماعدا مذكرةه عما وراء القبر) ومن ينظر في جورج ساند وتيرس وجيزو وميشله وبالزالك ولوبر . فاذا كان الحال هكذا مع هؤلاء الصدور فما مبلغ كتب غيرهم من المؤلفين في باب الرواج . الا بحسب كتبهم غبار النبيان حتى تستحصل تلك الكتب غباراً . وعنابة الحلف باسفار السلف من الامور الشاذة الموقنة وما ارى مئة كتاب افرنسي من كل ماتنتجه الماضي تعيش الى اليوم عيشة حقيقة اه .

ولابد ان يتتسائل القاريء ويقول ان هذا ما عرفناه عن امة مولعة بالقراءة اشتهرت بتفانيها في الادب وولوعها بالجديد فما هي ياترى الكتب التي خلدت عندنا على مر الدهور ? . وارى ان ما خلد من كتب الشريعة خلد على رفوف الخزائن اكثر مما خلد في الصدور ، وندر ان يرجع الخاصة منها اليها وهي بكتب الخواص أشبه . اما كتب الجمود فمنها ماعتق فسئت القوس النظر فيه ومنها ما أصبحت حاجة الناس اليه غير حاجتهم في القرن الماضي الى ما يشبهه فاقتضى ان تؤلف له كتب تروقه وتنفعه في آن واحد سمعها واظن اكثر من وهبهم الله ملكة التأليف لايفكرون كثيراً في هذا الأمر ^{عمرها} ^{العلم} . ولو وضعوا ما يدعون القراء الى الفرام بالمطالعة لاتي الجيل الجديد على غير هذه المخطة من التفكير . قالوا قل لي من تعاشر لأقل لك من انت ، ^{رس} ^{رخن} نقول قل لي مانطالع لأقل لك من انت .

يقل، جداً المؤلفون الذين نبغوا بين اظهروا حتى اليوم في الموضوعات الالذى نهضنا في الآداب حديثة العهد ومن اخذوا انفسهم بنشرها قلائل جداً ليس لهم ولا خجل من الحق مكانة المؤلفين الغربيين سواء كان بجودة الانتاج وكثرته وتنوعه او التحيل لاستالة عقول القراء للاقبال على ما أخرج لهم . ولندرة القراء ندرت الكتب الصالحة ولا تكاد تجد للقدماء، الاتاليف معدودة لها طلاب يتداولونها على توالي الاحقاب والحدثون من المؤلفين يقلدون الغربيين في تأليفهم وهم لم يصلوا الى أولى مراتبهم ايام كانوا في مبدئ نهضتهم . وقانا غير مرة ان من رأى مؤلفاتنا في القرن الماضي ورأها الآن ادرك ما بلغناه من درجات الرقي الذي نرجو ان يطرد حتى لا تختلف في ميدان الافكار الحرة والعلم الصحيح .

ذكريات الفرميبيين

اذكرني احتفال مدينة لشبونة في العهد الأخير ببرور ثانية فرون على خروج العرب من البرتغال بما للغربيين من الذكريات التاريخية الكثيرة عندهم . يذكر البرتغالي معاذرة العرب دياره بعد أن حكموها نحو ثلاثة سنّة وما جاروا عليها ولا ظلموها وأنوتها كما أتوا إسبانيا بمحضارة فيها عدل وفيها رحمة لم تشهد جزيرة ايبيريا مثلها من قبل . وكان سكت أهل البرتغال عن احتلال العرب أرضاً زماناً طويلاً فلما كتب لأجدادهم التغلب على أعدائهم قام احفاد احفادهم اليوم يرددون صدى تلك الغلبة التي ثلبت لها صدور أجدادهم . وما نسي البرتغاليون وطأة الغريب وعادوا يعيدون ذكري أنت من تسلل الفكر فيهم وسعفهم الى كل ما يورثهم المجد والعظمة .

بعد خروج الشام من أيدي العثمانيين كنت أضع ورصفائي في الحكم جريدة باسماء الأعياد الرسمية التي يجب أن تختلف بها الأمة كل سنّة ولفت نظرهم الى المجرة النبوية فما وافقني زملائي على وضعها في قائمة الأعياد

حتى نهت افكارهم الى عظمة ذاك اليوم الذي كان مبدأ كل مجد سجله العرب في الاسلام . فانظر الى الفرق بين الغربيين والشرقيين : البرتغالي يختل بدفعه صالح المحتل عن بلاده وهو لا يخاف عودة العرب ثانية وال المسلم يتناسى ذكر المخطة العظمى في تاريخه وكان الخروج منها سعادة عظيم له . من عظام رجالنا من يجب علينا ان نختل بذكر اهام العظيم لما أسدوا علينا من خير كنور الدين وصلاح الدين ونحن ننسى جميلهم لاننا بلينا بعدم تقدير رجالنا قدرهم .

كھیم المسائیر

رأى الحكومة الجديدة في سوريا ان تعزل نواب العشائر في مجلس النواب عن نواب المدن والقصبات لأن للعشائر مطالب اذا جرت مناقشاتها بينهم تكون اقرب الى التفاهم . وكان نواب العشائر مغبونين في الماضي مع رصفائهم من اهل الحضر لأن لهجة هؤلاء غير لهجتهم واكثر ما يعرض في مجلس النواب مما لا يدركون الغاية منه وليس لهم الارفع ايديهم مع جماعة حزبهم فقط وفي الغالب انهم لا يدركون على ما وافقوا وعلى ما خالفوا . وقد يصعب تعيين العشائر على قرب منازلهم من الحضر الا بعد ان يتعلم ابناءهم وتكون نسبة من خرجوا من الأمية فيهم اكثراً من انفسها ، وذلك في مدارس سيارة تتنقل بتنقلهم . وهناك مطالب لهم لو تحققت لاصبحت بادية الشام قری عامرة وذلك باعطائهم الاراضي الموات يستمرونها على الطرق الحديثة ، وتحفر لهم آبار ارتوازية يستقون منها وتنشأ مستودعات في الأماكن الازمة من البوادي يدخل فيها العشب اليابس والعلف لأيام الشتاء وتشاد لهم بيوت من الخشب يأوون إليها في الأيام الباردة الى غير ذلك من ضروب الاخلاصات وعندئذ يقتربون من الحضارة ويتفاهم اهل الوبر مع جيرانهم من اهل المدن .

كرة الضرم

قال احد ساسة الاجانب في حفلة حضرها في الشام وقد رأى بدوياً يعرض نفسه ليخطب القوم والظاهر من حاله انه من العامة : ان اهل هذه الديار مولعون بالخطابة كأهل كندا فقد رأيتهم اذا اجتمعوا لأمر يحاول كل من في الخفل ان يخطب قومه سواء كانوا في حاجة الى سماع قوله أم لم يكونوا خلق الانسان ملولاً ولا علاج لملله الا تنويع الاساليب والابداع فيها والجديد محظوظ والقديم مما يزهد فيه على الأكثـر . ومن لم يرزق طبيعة مؤاتـية للخطابة او الكتابة او الشعر كيف له ان يدعـيمـها ويـطـمـحـ الى التـائـيرـ في الجـمـاعـةـ والـخـطـابـةـ حـعـبةـ المـنـالـ لـاـنـهـ اـبـنـهـ الـبـدـيـةـ وـالـعـلـمـ الغـزـيرـ ، وـيـتـعـذـرـ عـلـىـ مـنـ اـعـنـادـ حـفـ الـكـلـامـ فـقـطـ اـنـ يـؤـثـرـ فـضـلـاـ عـنـ الـخـواـصـ . وـمـنـ ثـوـرـ وـمـاعـرـفـ ماـيـحـبـ اـنـ يـقـولـ كـانـ كـلـامـهـ كـهـذـيـانـ الـمـحـمـومـ وـمـنـ قـالـ كـلـامـاـ لـاـ مـحـصلـ لـهـ كـانـ الـخـرـسـ اـوـلـىـ بـهـ وـأـجـدرـ .

كان المشاعرون الى عهد قريب يزجون بأنفسهم في غمار كل نادٍ ومجتمع ويغرضون على الناس التصديق لشعرهم البارد فلما ظهرت الحاجة الى الخطابة وأصبح لنا مجالس نيابية وموافق لا بد من التكلم فيها قام من قام في اقسام اتهم خطباء أبيناء وادعوا ما ادعاه المشاعرون في الماضي من التفرد ب المجالس الكلام وانهم اذا لم يقوموا هم بهذا الواجب لا يرجى نجاح الامور . أما رجال الدين وبعد أن خانتهم فرائحةهم في خطب الجمهور على البدائية عادوا الى تلاوة من وضعوا لهم الخطب في دواوين بحسب عصورهم واغراضهم يقرؤنها في المناسبات فلا تحدث تأثيراً في النفوس لأنهم تكتب لمن تلقى على مسامعهم .

عملطة كبير

لما اصدر الاستاذ محمد علي علوية باشا كتابه مباديء في السياسة المصرية انتقدت عليه، في مجلة الجمع العلمي العربي قوله لا ارى الحاجة ماسة الى ما يقول به البعض من التفكير في موسوعة عربية تجمع بين دفتيرها جميع المعلومات الانسانية مدنية وعلمية وفقية ورياضية وكيمائية ذلك لأن الموسوعة بهذا الوضع تتطلب نفقات طائلة ووقتاً طويلاً والعلوم متعددة متقدمة اه.

فقلت في نقاده وعلى مصر من الآن القيام بمثل هذا المشروع المفيد للامة العربية جلاء فاذا كان النقص يبدو فيه بما يتواتى من تقدم العلم السريع فان الطبعات الثانية ستجيء امتع بالطبيعة . أما النفقات الالازمة فلا تعد شيئاً بالقياس الى ثروة مصر واسرافها في اتفاق المال ، ثم ان جميع الدول العربية نسام في انشاء هذه الموسوعة ونشرها والامر متوقف على الشروع والشروع ملزم . وكتاب كهذا افید لمحر من كثير من المطبوعات التافهة والاموال الطائلة التي تصرفها في الدعاية . والاخصائيون الذين سيضعون اساس هذا العمل الخطير غير قلائل في مصر وغير مصر .

هذا ما قلته وأضيف عليه هنا أن صدور هذا الرأي الضعيف يستغرب من عظيم من علماء مصر وساستها وفي تضاعيف هذا الكلام من ضعف الثقة بالنفس ما لا يلائم همة صديقي الباشا وهو الجلي المعروف بنشاطه الممتاز وكان مثال العالم المصري الحازم الموفق الى أبعد حدود التوفيق .
وإذا كان الأمر كما يقول ان العلوم تتعدد وتتقدم كل يوم فمعنى ذلك أننا يجب أن نقف حتى تقف حركة العلم وعندها نأخذ ما نشاء ونطرح ما نشاء من العلوم والأداب وسواء عمدنا الى الترجمة أو الى التأليف وهو الأولى في معلمتنا العربية فإن ما سننشر من ذلك الناس يفيدهم جداً وإذا أحسنا بنقص أو عدم اجاده في وضع هذا التأليف فإن ذلك يصح في

الطبعات التالية ، وأي كتاب صدر تماماً من أول نسخة أو طبعة . ويعلم البائ
ان الأمم الصغرى التي أصدرت الانسكلوبيدات كانت أحط من العرب اليوم
ثا أصدرتها فما زالت تتعاولها بالتصحيح والتتقيق حتى تمت على ما تزيد .
ثم قوله ان المعلمة يستلزم وضعاً وقتاً طويلاً وهذا لا يهمنا كثيراً لأن
التجويد في الاعمال كان أبداً يستدعي زماناً لينضج على ما يجب وهذا علـى
جماعة لا عمل فرد يخشى أن يموت قبل أن يتمه ، أما القول بأن وضع
المعلمة يحتاج إلى نفقات طائلة فالوزير العظيم ادرك مني بما تتحمله خزانة
مصر للإنفاق في هذه السبيل وأمة تتفق على البذخ وتصرف في التوافه أسرافاً
عجبياً لا يعز عليها أن تبذل في طريق يشرفها كثيراً .

أستاذ حبيبي الباشا ، وأنا المعجب به وبمحياته الحافلة بحملات الاعمال
أن يسع لي ان افتخه بأن ما قاله بشأن تأليف المعلمة العربية لا ينتـد
منه الا ضعف همنا عن معاناة الأمور العظيمة ، اتنا نطلب الجهد رجعاً
ولا ننخدع له أسبابه .

ذكرني هذا الرأي المنتقض من كل جانب بما قاله لي مرة أحد رفقاء في
الوزارة وهو يريد أن نعدل عن ارسال شاب موسيقار موهوب إلى الكونسرووار
في باريس ليتقن فيه على الأصول الجديدة ويعود فتوسد إليه النظر في دروس
الموسيقى في مدارس الحكومة : أراك تحرص على ارسال هذا الموسيقار
ونحن في غيبة عنه وعن درسه لأن عندنا فلاناً العواد - المحترف الشيف الفرم -
إذا احتاجنا إلى من يطربنا نستدعيه فيضرب لنا بعوده مقابل ريال واحد
ولا نتحمل باهظ النفقات على هذا التلميذ ، وأنا بالطبع سكت لأن هذا الكلام
لا يستحق ان يتبع المخاطب الاجابة عليه .

اما كلام الباشا فله وزنه والبالغ التي ستصرف على هذا الكتاب
العظيم ويعدها هو خسارة ستصرف في مصر على أبناء مصر وفي اعطاء رزقهم
ومن فوائده أيضاً القاء الرغبة في نفوس طلاب العلم بأن ما يشغلوه ؟
في شبابهم سيكون لهم منه ربح ان أحبو الانصراف الى العلم ولا اريد
ان ازيد على ذلك فالوزير المصري اعرف مني بما هنالك واعرف مني بما يبذله
الغرب من الأموال في خدمة العقل والعلم ونحن نعد ما يبذلونه أسرافاً .

احسان واعتذار

شاهدت صديقي العلامة فيليب طرّازِي في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) يطوف طول النهار أزقة بيروت ويقدم بنفسه خبزاً ولبناً وطعاماً لنسكوي الجاعة ، وكانوا بحالة تفطرّ لها الأكباد عراة جياعاً لم يبق على أجسامهم إلا الجلد والعظم .

وكان بعضهم يستغرب كيف يحصل صاحبي الكرم على هذا القدر العظيم من الحبوب يطحنه ويختبزه ويزعجه وهو متوسط الثروة لا يبعد من كبار الأغنياء ويضيف إلى ذلك التبرع سراويلات واقصية يعطيها من لا ثياب له تستر عورته . وكان يتناولها من ثياب بيته وفرشه حتى لم يبق في داره شيئاً اسمه فماش ويضم إليه ما يمكنه ابنياعه من الخازن .

تلك حسنة من حسنات طرّازِي شاعرتها بأم عيني في أثناء الحرب المذكورة . وكثيراً ما كان يبذل المساعي وينفق المال لأجل معالجة المرضى ودفن الموتى المساكين وينقل صغار القراء إلى المأوى ويعتني بنظافتهم وطعامهم حرضاً على حياتهم . زد عليه أن فريقاً من الأدباء تعودوا الاختلاف إلى بيته فكان يرحب بهم كأنهم هم أصحاب البيت وهو ضيفهم .

وبعد الحرب عُيِّن الاستاذ الحبيب باشا دار الكتب اللبنانيّة عام ١٩٢١ وعرف عليها من ماله ووقته وصحته . وهو اليوم يصنف التأليف المفيده وينشرها خدمة للآداب والعلم . ولم يجب أن تخلو شيخوخته المباركة من نفع أمه فأجرى الله الخير على يده في الحرب والسلم وفي شبابه وكهولته وشيخوخته .

وشاهدت شاباً من أكبر أعيان الروم في بيروت اشتراك فيما قبل مع احمد جمال باشا قائد الجيش في الحرب العالمية بالحبوب يأخذ مقادير عظيمة بالأسعار التي يعنها لنفسه . ولعله اشاع انه شريك جمال باشا ليلقى الرهبة في نفوس

المعرضين على هذه التجارة المحرمة زمن الحرب . وقد عرض عليّ مرة ان يعطيوني مايلزمني من الحنطة ، لأنه رآني من جماعة الباساولي جريدة منتشرة فقلت له : ان عندي في الدار من الحبوب مايفيض عن حاجتي وعندي في انبار مزرعتي مقدار لابأس به يزيد عن بذاري ومؤونة عملي .

وما هي الا اشهر حتى هلك شريك الباسا بالتفوس بعد ان طعن في مروءته وتزق ماجمعه وما اسف عليه انسان .

وكان في بيروت خلال هذه الحرب أسرة مسلمة من قدماء التجار اتفق ان كان في مستودعاتها بضائع عظيمة ارتفعت أسعارها ارتفاعاً فاحناً ، وأضافت الى مستودعاتها ماتسوقته من مدن الشام من البضائع . ثم بداعي ان توظف الاموال التي جنتها في احتكار القوت لان الربع منه مضمون ووافر ، فاحتكرت كل ما يخطر بالبال من اصنافه حتى الترمس "نقل القبر وغذاؤه ، وهو من أدنى المأكولات .

ومن جهة مادرعت به لاكتساب المال ان ملأت مركباً من الاحجار وضمنته عند احدى شركات الضمان على ان فيه بضائع ، واوعزت الى التوفيق ان يغرقه في ظهر البحر فأغرقه ، وعادت على الشركة تطلب منها ثمن المركب المغرق فأرسلت الشركة غواصين اكتشفوا الحلة التي دبرها المطاليون بضمان السفينة .

وما ان عقدت المدنة حتى هبطت أسعار البضائع التي جمعها اوائل المحتكرون هبوطاً ربياً فاق ذاك الصعود ، و AFLست الأسرة عن مليوين جنيه إثناي ذهباً . وبلغت بها الحاجة أن أصبح أفرادها لا يصلون الى القوت الضروري الا بالاستخدام في اعمال حقيقة ، واستد الدائتون من هذه الامرة اجهزة نسائمها وحليبيهن ، ومنهم من مات قهراً لم تبك عليه عين لانه طالما ابكي العيون بجاعة القوم بل باهلاكم .

وهذا ايضاً اراد ان يوشيني ولكن لا بالحبوب كما كان من شريك القائد العام بل بدعوني الى داره مع احمد جمال باشا والخطيب بالحضور

بواسطة عزيز علي (مختار بك بيه) فأبىت قبول الدعوة ، وقلت للوسيط اني مازلت اهبط بيروت منذ ثلاثين سنة ، وانا اعرف صاحبك من زمن بعيد فلماذا لم يدعني على الاقل الى تناول أكلة حمص بطعينة في قهوة الحاج داود على البحر (وهي قهوة متواضعة والأسعار فيها متزايدة) والآن يحاول ان أجيب دعوته وهو مادعاني الا ليظهر أمام الباصا اني صديقه ومن حملة عرشه ، وقلت : في جيبي دراهم من فضل الله وطعامي في الفندق ينتظري .

* * *

قصّ علي اصحابي ما كان من هؤلاء الأغنياء من الشرافة في جمع الثروة وما تأذى به الفقير من تحكمهم في قوته فكتبت سلسلة مقالات في جريدة الشرق نعيت فيها على المحتكرين سيئاتهم فوقع ما كتبت الموقع الحسن عند الحكومة وعند الأهلين وشكري عليها والي بيروت عزمي بك وبعث همي على متابعة الكتابة في هذا الموضوع لأعاونه على حل رابطة المحتكرين ، وكان يفهم من مقالاتي اني انتقد الوالي واثبت عجزه عن حل الاحتكار ، ولما رأى جاهرت باعلان حملة على المحتكرين لم يسعه الا استحسان ما كتبت واستزادي من الكتابة .

مختار بك بيه

زعم ديني يسرف هذا الاسراف ولا يتخرج من أن يقبض الزكاة بافقار
بيته ويتنعم هذا النعيم على حساب أتعس خلق الله ومنهم نوذجات تؤلم
القاوب في سلَّمية وجبار العلوين من الديار الشامية . آغا خان اليوم في
الثامنة والسبعين من عمره لم يترك باباً من أبواب المرح الا وجله ولسان حاله
الدنيا زائلة ومن لم يغنم فرص الحياة فاته نصيبه من الدنيا . أما نظام
جبار آباد فما أثر عنه كصاحب أنت ندت يده بشيء المسلمين وهو المسلم
المخيف القاتل !

الجهل في القديم والحديث

سبحان الله كيف تتبدل العقليات وتتجهل حماعات وتتعلم جماعات ، كان
العلم منحصراً في خدمة الدين عند المصريين والإشوريين ومحكرآ في أبناء
الأشراف عند الغرناطيين والرومانيين وخاصةً باعداد من الشبان المنتخبين
عند الهنديين واليونانيين حتى جاء العرب بعد الاسلام وأطلقوا حرية التعليم
واباحوا تناول العلم لكل متعلم فانتقل إلى أوروبا حراً ، ومع هذا أنت
عليها بضعة فروع وهي ترسف في جهالتها ، والعرب ينفحون العالم بعلمهم
وعلمائهم ومكتشفاتهم وليلالي الجمالة الجبلاء تعم الغرب بظلماتها .

ذكر روبرتسون الانكليزي في مقدمة تاريخ شارلكان أنه وجدت عدة
قرائن ووثائق صادرة عن أعيان من أصحاب الدرجات الرفيعة يستبان منها
أنهم كانوا لا يعرفون كتابة اسمائهم ولا توقيع ما يوقعون ، ولذلك كانوا
يضعون صورة صليب على الوثائق التي يكتبونها تكون بمثابة توقيع لهم .
وكان الكونت هريو رئيس المحكمة وأعظم القضاة في القرن التاسع لا يعرف
كتابه اسمه وكذلك دوغسلين رئيس الجيش الفرنسي وأعظم رجال الدولة
وأكابرها في القرن الرابع عشر أميناً أيضاً . قال روبرتسون ولم يكن
هذا الجهل مقصوراً على العوام بل كان اغلب القسيسين ارباب الرتب العالية

لا يستطيعون كتابة اسمائهم على القوانين التي كانوا يقرؤونها في مجالسهم ،
ويسأل كل من يطلب ان يتقلد منصباً او وظيفة هل يعرف ان يقرأ الانجيل
والوسائل ويفسر معناها ولو كلاماً كاماً من غير نظر الى تفسير الجملة ام .
وانقلبت الحال بعد قرون ففرق الشرقي المسلم في الجهل وتقدم القراء
السيحي الى ساحات العلم ، وعاد المسلم العربي بعد ذاك السبات العبيز
يدرك ماضيه ويحاول استرجاع بعض ما كان له فيه ويعتمد على الحكومات
في تعليم ابنائه وبناته على الاكثر ، وما برح المسلمين مقصرين عن جيرانهم
السيحيين في البلاد الاسلامية في انشاء المدارس الابتدائية الاهلية (راجع
تقرير معارف الجمهورية السورية عن سنة ١٩٤٦ لواضعه صديقنا مالك كور
جميل حلبي) ، وكان في تلك السنة عدد المدارس الاسلامية (٦٥) وعدد
المدارس الكاثوليكية (١٠٠) وعدد الارثوذكية (١٠٧) وعدد
البروتستانتية (٢٢) وعدد الاسرائيلية (٤) فليس توزيع اندارس الاهلية
على المذاهب المختلفة موارباً لعدد افرادها ، فعدد الطوائف المسيحية من ز
اقل من عدد المسلمين بخمس مرات ولكن عدد مدارسهم يزيد على عدد
مدارس المسلمين الاهلية بثلاث مرات ونصف من مجموع سكان يبلغون
في الاحصاء الرسمي ٢٦٩٤٩٦٨١٥ ونعتقد انه ينقعه بضع مئات من الاف
خصوصاً والمشهور ان عدد اعراب البادية في هذه الجمهورية لا يقل عن مئات
الآلاف ، وفي هذا التقرير ان نسبة مجموع التلاميذ في سوريا كلها الى
مجموع السكان ٥ بالمائة اي انه يقابل كل الف من السكان (٥٠) طالباً
فقط ، وهذه النسبة معادلة لنصف النسبة الطبيعية لأننا نقدر عدد الطلاب
الذين هم في سن التعليم الابتدائي في سوريا به ٩٠ في المائة من مجموع السكان
اي ان عددهم يبلغ ٢٠٠,٠٠٠ تقريراً فاذا كان عدد تلاميذ المدارس
الابتدائية الرسمية والاهلية والاجنبية معاً ١٥٠,٢٥٠ كان عدد الاطفال
الذين لا يتعلمون في المدارس ١٤٩,٧٥٠ تقريراً ، فنصف الاطفال اذاً بنعم
في المدارس فقط .

اما تعليم البنات فما زال يحتاج كثيراً من العناية ، فقد جاء في هذا

التقرير أن عدد مدارس البنين في عام ١٩٤٥ - ١٩٤٦ (٦٠٧) وعدد مدارس البنات (١٣٠) وعدد المعلمين (١٨٠٢) وعدد المعلمات (٦٩١) وعدد التلاميذ (٧٣٦١٣٧) وعدد التلميذات (٢٦٦٤٦٦).

أما في لبنان فنسبة المتعلمين فيه أرقى من سورية فقد سألنا أيضاً صديقنا الدكتور صليباً عن معارف لبنان فأجابنا بما يأتي :

كان عدد المدارس في لبنان خلال العام الدراسي ١٩٤٦ - ١٩٤٧ كالتالي :
المدارس الرسمية في جميع الدرجات ٦٣١ ، المدارس الأهلية ٨٧١ ،
المدارس الأجنبية ٣٠٦ . المجموع ١٨٠٨

وكان عدد تلاميذ هذه المدارس (١٨٠٣٥٨) طالباً وطالبة منهم :
٥٣١٩٠ طالباً وطالبة في المدارس الرسمية و ٧٧٠٥٧ في المدارس الأهلية ،
٥٠١١١ في المدارس الأجنبية .

والمدارس الرسمية تنقسم إلى قسمين : ابتدائية تكميلية ومسلكية ،
وليس في لبنان مدارس ثانوية رسمية . والبيان الآتي يوضح عدد المدارس
وعدد التلاميذ في التعليم الرسمي .

٦٢٣ في المدارس الابتدائية التكميلية تلامذتها ٥٢٤٢٢ ، و ٨ في
المدارس المслكية تلامذتها ٧٦٨ .

والمدارس الأهلية تنقسم كذلك إلى قسمين : ابتدائية وثانوية وأعدادها كالتالي :
٨١٥ المدارس الابتدائية الأهلية وتلامذتها ٦٤٧٦٩ ، و ٥٦ المدارس
الثانوية الأهلية وتلامذتها ١٢٢٨٨ .

أن تلاميذ المدارس الرسمية موزعون على مختلف الطوائف وفقاً
للحجول الآتي :

طلاباً وطالبة	٣٥٣٨٩	المسلمون
= =	٢٣٥٥٣	المسيحيون
= =	٤٠٧٩	الدروز
= =	٢٩	الاسرائيليون
= =	١٤٠	طوائف أخرى
	<hr/>	
	٥٣١٩٠	المجموع

والبيان الآتي يوضح لنا ايضاً توزيع المدارس الأهلية على الطوائف المختلفة :
عدد المدارس

<u>المجموع</u>	<u>الابتدائية</u>	<u>الثانوية</u>
١٢٩	١٢٢	٧
٧٠٧	٦٥٩	٤٨
٢٢	٢٢	٠
١٣	١٢	١
<u>٨٧١</u>	<u>٨١٥</u>	<u>٥٦</u>
<u>المجموع</u>		٥٦

اما عدد البنات في المدارس الرسمية المختلفة فهو (١٢٦٩٩) وعددهن في المدارس الأجنبية (٢٦٦١٩) .

وليس عندي احصاء لهن في المدارس الأهلية
عدد سكان الجمهورية اللبنانية بلغ في عام ١٩٤٦ (١١٦٥٢٠٨) منه
(٥٩١٦٦٩) رجال و (٥٧٣٥٣٩) امرأة ،

ان نسبة عدد الطلاب في جميع المدارس الى مجموع السكان هي ١٥٪
تقريباً وهذا يدل على ان الأمية تكاد تكون غير موجودة في الشban .
ذلك لأن النسبة الطبيعية للتلاميذ في سن التعليم الابتدائي لا يزيد على ١٢٪ وهي توجب ان يكون عددهم بالنسبة الى مجموع السكان (١٤٠٠٠)
على الاكثر في حين ان عددهم في المدارس الأهلية والرسمية وحدها
(١١٧١٩١) . واذا كان في لبنان اميون فهم من الذين تجاوزوا سن
التحصيل الابتدائي او من ابناء القرى الفقيرة النائية .



كلام سعيد

نشر حزب البعث العربي منشوراً اماط اللثام عن تعليل ثورة الشعب

الأخيرة بقوله :

ترويج الانتخابات ، وافساد الحياة النيابية بشراء خمائر بعض النواب واستعمال الضفت والارهاب مع البعض الآخر لمنعهم من حق المناقشة ، ومناؤة الاحزاب المعارضة وتسخير الدولة لخدمة انصار الحكم واحزابهم المصطنعة والتعطيل المتكرر لصحف المعارضة بقصد الجائئها الى التوقف واغدام الاموال على الصحف الاجرى وقتل خمائرها حتى تصبح ادوات مسخرة للسلطة ، وجعل الاذاعة التي هي ملك الأمة بجميع هيآتها بوقاً محتكراً للسلطة القاتلة وأداة لتضليل الشعب ، وجعل وظائف الدولة وفقاً على الانصار بصرف النظر عن الكفاءة والأخلاق ، وتحويل الميرة من مؤسسة تضمن الجزا للشعب بأيسر ثمن ، الى مؤسسة تضمن لكتبار المزارعين أوفر المرابع وللموظفين من انصار الحكم اضخم الرواتب ، والاستهتار بقضية رئيسة قضية النقد ومعالجتها بالكذب والمالطة والمالطة ، وتحميل الطبقة المتوسطة والطبقة الفقيرة اكبر قسم من الضرائب وخاصة الضرائب غير المباشرة التي تسبب الفلاء الفاحش في أسعار المواد الغذائية والضرورية للحياة ، وحصر القطع النادر ورخص التصدير والاستيراد بفئة محدودة من التجار المتحالفين مع رجال الحكم من اصحابوا يستأثرون وحدهم بعظم الثروة ، وفتح باب الرشوة والسرقة والخيانة لكتبار الموظفين في الادارة والجيش دون مسؤولية او محاسبة ، والاستهتار بالسياسة العربية والخارجية ودفعها في طريق الانفصال والانانية الشخصية والتأمر مع الاستعمار ، وأخيراً سد الطريق سداً تماماً في وجه اي امل في الخروج من دائرة هذا الحكم الفاسد وفي امكان تبديله او اصلاحه ، وذلك بطفیان السلطة العليا على السلطات جميعاً وتعطيل

الحكم الدستوري بالفعل رغم قيامه في الشكل ، تلك هي المفاسد التي ثار الشعب عليها وناضل من أجل القضاء عليها ^{٥١} .

وليت هذا الحزب وهو مؤلف من رجال علم وأدب وقانون يتولى الامر بضع سنين لنرى ما يتحقق من منهاجه خير هذه الجمهورية الفتية .

اونيسكو

الاوبيسكو او منظمة الامم المتحدة للاتربية والعلم والثقافة . جمعة جرى التفكير في تأسيسها سنة ١٩٤٥ في لندن وسرى الى الولايات المتحدة الاميركية ودخل فيها ثلاثة واربعون دولة ، تولت بريطانيا العظمى دعوة المؤتمر التحضيري الاول في لندن ، وفي باريس سنة ١٩٤٦ عقد المؤتمر العام الاول وعقد الثاني في المكسيك سنة ١٩٤٧ والثالث في لبنان سنة ١٩٤٨ وقد اجتمع المؤتمر في بيروت في السنة الماضية واختار الاوبيسكو مح اجتماع كل دورة في بلد من بلاد الدول المشاركة فتارة يجتمع في بلدة شرقية وأخرى في بلدة غربية .

وبنامج الاوبيسكو مطول يتناول معظم ما يدخل في موضوع العلم والثقافة ومن اعماله ترميم البلدان التي دمرت في الحرب وتبادل الاساند واحباراء و الطلبة بين الدول والاتصال بالجماهير عن طريق الصحافة والذباع والسينما ودور الكتب وتعليم الاميين وترقية الجامعات واصلاح الكتب المدرسية وبسط العلوم الى غير ذلك .

كل هذا يقصد به ان تتفاهم الشعوب وتتعارف من طريق العلم والثقافة حتى ترتفع الحرب بشرورها عن رؤوس العالم . وفي دستور الاوبيسكو « ان الحرب تولد في العقول والواجب ان يقوم اساس الدفاع عن السلام في العقول ايضاً » . قال مندوب الولايات المتحدة : « اني على ثقة ان منظمة الأمم لن تنفع اذا فشلت الاوبيسكو واعتقد انه ليس في وسع مؤس

سياسية او عسكرية لها بلغ من قوتها ان تفرض السلم الا اذا قام الى جانبها ماينشر المحبة والتفاهم بين شعوب الارض ، وهذه هي مهنة الاونيسكو» و قال مندوب ايطاليا : « والكافح من أجل السلم من طريق الفن والعلم والثقافة باعتبار ان هذه السبيل هي الاداة الناجعة لتحليل اسباب الاختلاف بين البشر انا يعني اعطاء هذه القيم معناها الحقيقي بنقلها من عالم المجردات الى عالم المحسوسات بغية انشاء عالم نزغب في ان يكون اكثر انجاماً وتفاهماً وتعاوناً ». وطلب مندوب البرازيل في المؤتمر الى جميع الامم ان تجد العزم في تطبيق مباديء الاونيسكو الذي انشيء على انتهاج حروب وآلام متصلة رافقت الانسانية منذ الحروب الصليبية في الشرق الى الحروب العالمية الاخيرة في الغرب . »

فكرة الاونيسكو فكرة كل عاقل في البشر ولكن التنفيذ يصعب على مايظهر .

رجال الوزارات

ما اهتم رجال الانتداب على سوريا ولبنان بانتقاء الكفاءة المناسب بقدر اهتمامهم بتقريب من كان قلبه مربوطاً بهم و كانوا من يحسنون مصانعتهم ، كان فيهم اصحابهم الأكفاء وكان فيهم دون ذلك . جعلوا من سمار صعلوك وزيراً للمعارف و اخذوا من مستخدم صغير في الاستخبارات ومن مطرود من شركة ماسكينا وزيرين . وأكثراهم لم يتخرجوها في مدرسة وكان منهم رؤساء وزارات لا يحسنون فناً من الفنون ولا يتكلمون لغة من اللغات . كان هذا أيام الانتداب فما عذرنا اليوم في تولية الجهة الفاسدين أرق المناصب ، ونعتذر عن خطأنا بان الحق على الحزب الذي اختار الوزير فولى بلا خجل (الحاج حدو) وزارتين وهو عاجز عن ادارة ديوان صغير ولا ترن في أقل وظيفة ادارية او سياسية خالي الذهن من معرفة القوانين والفنون ويزيد الى ذلك فساد ذمته .

نكتة ذكرتها وانا اكتب هذا الفصل : كان على عهد الانتداب في دمشق مدير داخلية ماهر في القوانين والادارة أخذ مرة ينافش مستشار البلدية وهو افرنسي في فتح شارع فكانت براهين المستشار براهين الجامل الذي يتكلم سقياً ورعياً وبراهين المدير براهين العالم العارف بصناعة . وما قاله المستشار للمدير ان هذا الرأي الذي تبديه سعادتك لا يمكن تطبيقه فـاً ، فأجابه المدير ومتى كنت يا صاحبي تعرف الفن ؟ أما كنت أنا على عهد الترك قائم مقام في يافا و كنت أنت بها صاحب حانة و كنت ارسل خادمي الى حانتك فابتاع منها ما يلزمني من الأشربة ؟ فمثلثك وصفتك هذه مـاذا يحق له أن يدعي من معرفة الفن .

ويصدق هذا الشاهد على بعض من تولوا الوزارات في عهد الانتداب وبعده . ومنهم من يضيرون الى غبائهم قلة اماتتهم وقلة الامانة على ما يظہر من مستلزمات الجھول . ومثل ذلك يقال في (ابو كعود) وهو وزير ابتليت به هذه الامة منذ نحو خمس وعشرين سنة ولیست له مزية من المزايا الا الاحابيل التي تعلمها ، هذا ان كانت الاحابيل تعد مزية يوم وزن الرجال . ومن اعظم العار أن ينقل هؤلا ، الوزراء المنحطون من وزارة الى وزارة كما ينقولون هم أنفسهم من حزب الى حزب كأنهم اعلاق نفيسة لا يستغنى عنها قصر ولا ندوة ، يرتكبون التزوير ليوسدوا اليهم أشرف الأعمال وهي النيابة ، وكأنهم من الدعائم في كل بناء اذا نسل حجر من الاساس تداعى وانهار . كان من جملة النقمة على احدى الوزارات المتحلة أن من افرادها من كان يتناول رواتب وخصصات من عدة وزارات ورياسات خلافاً للقانون حتى بلغ راتبه فيما قيل ثلاثة أضعاف راتب اعظم رئيس ، ولسان حال من ابتدع هذه البدعة « من أحيناه أغنيناه ورفعناه ومن أبغضناه حرمناه ونكباه » وبدون العدل ينقض كل بناء وتضمحل اعظم امة .

لابحسن انتقاء الوزراء الا بالبحث عن ماضיהם وحاضرهم فمن ثبت لنا ولغيرنا ذكاؤه وأمانته وكفاءته نصبناه والا فتشنا في الطبقات الأخرى فهي ما خلت فقط من الصالح الذكي ، وملائين من الخلائق منها انحطوا لا تخلو من عثرة

وثلاثين رجلاً يصلحون أن يديروا بالعدل أمور دولتهم ، ولا نعود إلى
نجدية من جُرِّب ففي أمثال العامة « من جُرِّب المجرَّب كان عقله مخبرياً »
ونحن لا غضاضة علينا إذا بدلنا من لا يصلح بنـ يصلح ، نعتبر الصفات التي
تطلب من الوزراء ولا نعتبر كثيراً بجزئية الوزير ، فالحزبية ما كانت يوماً
من الأيام عنوان الكفاءة ومقاييس الأخلاق ؛ ولكم شهدنا وزراء لا يحسنون
حل أقل مسألة من مسائل وزارتهم ، وكان جلـ اعتمادهم على الضعف من
رجال دواوينهم يصرّفون لهم أمورهم لأنهم من جماعة (حاج حدو) و(أبو كعوب)
ولو فحصتهم ما وجدت مداركـم تعلو عن « أجير شيخ حارة » أو « فراش
قديم في ديوان » .

وأقول في الختام لمن بأيديهم البـت في الأمور : لا تعتمدوا بعد الآن على
أجهل الوزراء وأعطلـهم ولا تغتروا بكلـامـهم وهم على الكراميـ فأنـتم الذين
كـبرـتمـهم في الانـظـار ولوـلاـ الكرـاسـيـ لـكانـواـ سـالـبـةـ كـلـيـةـ ، أـمـاـ هـمـ فـسـيـانـ عـنـدـمـ
رضـيـ النـاسـ عـنـهـمـ أـمـ غـضـبـواـ مـاـ دـاـمـواـ آـمـنـيـنـ عـلـىـ مـاـ فـيـ جـيـوـبـهـمـ وـرـئـيـسـهـمـ رـاضـيـاـ
(كـتـبـتـ فـيـ خـرـيفـ سـنـةـ ١٩٤٩) عـنـهـمـ .

عمره المائتين

قال لي والدي في معرض تفضيل جيده الأول على جيده الثاني متلهفاً على مآفاته من سالف أيامه وهكذا اعتاد معظم الشيوخ : كنا خمسين رجلاً جمعت بيننا الصدقة وألتفت بين قلوبنا العشرة وتقرب الجوار ، وكان اكثراً من طبقة التجار فخرجنا من المدينة للاصطياف في قرية المهامة من جبل سنور. نزلناها أول يوم عيد الفطر وغادرناها خامس يوم عيد الأضحى اي صرفنا فيها شهرين ونصفاً . وكان نظامنا تماماً في كل أمر من أمورنا ، لم يلبس أحدنا نعل غيره ولا تختلفنا في شيء وكان أحدنا ينزل الى المدينة مرة في كل أسبوعين ينظر في أمور مخزنه ويحيط على ماورد عليه من رسائل في البريد. فقلت له : وكيف كنتم تصرفون هذا الوقت الطويل ؟ قال : كنا نقضيه في العزف على ما كان لدينا من أدوات الطرف ، وكانت الموسيقى والغناء والانشاد ورقص السماح من أهم ما كنا نلهو به ، ثم نلعب الالعاب الرياضية المألوفة وفيها قفز ونط وحركة ، وتنافش في ايراد القصص والحكايات وحل الالغاز والمعيبات وفي ضروب من الم Hazel والدعابات . وكنا اذا صلينا نطيل الصلاة و اذا جلسنا الى المائدah نطيل الاكل ، وهكذا يمر الوقت بدون ان نشعر . فقلت له وهو يفخر بفرط ادب معاصريه : ان كسلكم وعدم حسابكم للمستقبل وقناعتكم بالقليل كانت بما جلب علينا الويلاط ، فقدونا نسوع لنتحقق العاملين المقدمين ، ولا نزال بعيدين عن الغاية . وما قلت له ولو كتب لي أن أكون شريكتكم في هذه النزهة لدخل الملل على قلبي من اليوم الاول وعندتني افخي العمر الثمين في تافه المهميات لالذلة تتوقع منها ولا فيها للنفس سلوى .

ولو كان يجوز التوسع في الحديث مع والدي لقلت له : ولماذا لم يصحب كل منكم عاليه بيكتوري هن داراً فيأنس الرجال بالرجال والنساء بالنساء

ساعات معلومة من الليل والنهار ، اذا لم يبع قانون تلك الايام اختلاط الرجال بالنساء ، ولو فعلتم لكان الأسرة تصطاف كلها وتستفيد بالعشرة ، ومعظم جماعتنا الى اليوم لا يفكرون في بنات حواء ، فتلتهم الأثرة وحب الذات . وفاني اسأل أبي يومئذ وهل كان في جماعتكم واحد يستطيع ان يقرأ لكم في كتاب ويشرح لكم ما غمض عنكم حله وفهمه ، وبذلك كتم تضون ساعتين مفيدين من كل وجه . والغالب ان هذا الطلب كان في غير محله لأن كل هذا الجمع هو من تغلب عليهم الأمية فكانوا بذلك متألين ، وهذا نت أنتهم ولم يشد عنهم عقل عن عقل ولم تحدث أحدهم نفسه أن يعززها عن اخوانه بشيء على ما جرت عادة المتصاحبين ، وأعتقد الى هذا ان هؤلاء المصطافين لو كانوا من يقرأو ويفهم ما يقرأوا ما أخاعوا شهرين ونصف شهر من حياتهم في مهازل لا تعود عليهم بغير تقطيع الوقت سدى .

وزنت أحاديث المجالس بيزان النقد ، وقارنت بين أمس واليوم ، فاستبان لي أن البون شاسع بين الآباء والأبناء وأكثر منه بين الأحفاد والأجداد ، فما كان يرضي الأسلاف من الأحاديث لا يرضي أبناءهم وما كان يُعد من مباحث الحياة يحسبه أهل العصر مخيّبة للوقت بل سرفاً وسفباً . ومن أجل هذا نرى بعض البيوت الى اليوم خالية من الكتب على غنى أصحابها لأن صاحب البيت الأول ما كان يقرأ ولا يكتب فيخرج أبنه على غراره الا قليلاً هذا الكتاب منها كان نوع تأليفه أعظم محدث ومسلمي وليس الكتاب بالعزيز المنال بعد انتشار الطبع هذا الانتشار ، وكانت الكتب بالأمس خطوطاً يعز وجودها وهي في موضوعات مملة لا تستفيها كل الاذواق والكتاب اليوم منوع الابحاث جم الفوائد ، يروح عن النفس ولا يدخل الملل عليها منها طالت عشرة الماء له .

معلمۃ الاسلام

او دائرة المعارف الاسلامية او الموسوعات الاسلامية او الانسیکلوبیینا الاسلامية من أجل التأليف والاعمال التي قام بوضعها علماء المشرقيات في الغرب وأصدرتها مطبعة برويل في ليدن من بلاد القاع في ثلاث طبعات ألمانية وانكليزية وافرنسية وانفقت على تأليفها وطبعها ونشرها جمعيات علمية ودولية غربية واشترى نحو خمسين عالماً غربياً في هذا التأليف النفيس ولم يشترى فيه غير عربي واحد وتركي واحد وهندي واحد واميركي واحد وما آثر فيه اسباني ولا برتقالي مع كثرة الموضوعات التي كان يفرض أن الاسبان والبرتغاليين يعرفونها عن بلادهم معرفة احاطة ، وقد وقع الكتاب في أربعة مجلدات ضخمة مع ملحق صغير ضم ما ظفر به الباحثون من المعارف عن ديار الاسلام ورجاله وما الى ذلك .

وتعلقت همة بعض الشبان في مصر بنقل هذه المعلمة الى العربية فاجادوا في ترجمة بعض مقالاتها وكتبوا في ترجمة الآخر . وتوقف الاجادة في النقل على ان يكون المترجم من أحاط بالموضوع احاطة تامة . وكان الواجب أن تشرف على الطبعة العربية لجنة من كبار الاساتذة فتعجلوا العمل واستسلهوه فتضروا ، على مساعدة وزارة معارف مصر لهم . ثم بدا لهم ان يعلقوا على بعض مقالات المعلمة بأفلاط فئة من الأدباء والعلماء ما زارادوا به اصلاح بعض النقص الذي جاء في الاصل فأحسنوا في اكثراها . وقد وهم بعض المعلقين أن نطلبوا من مؤلفي المعلمة ان يكتبوا معلمتهم من حيث النظر الاسلامي لامن جب نظرهم م .

و كنت لاحظت على ادارة هذه المعلمة اشياء كتبت بها الى صديقي العلامہ هوتسما الهولاندی رئيس تحریرها منها أنه فاتت المعلمة ذكر كثير من رجال الاسلام المتقدمين والتأخرین ومن هؤلاء من هم احریاء ان يتربعوا نم باطrol بما ترجموا وان في بعض المقالات نزعة من التعصب لا يليق ظهورها في صفحات

مثل هذا الكتاب كمقالات للجعفي لامن و الروسي غراتشковسكي و مقالات هوار الفرنسي الموجزة ابجازاً مخللاً اليق بها ان تكون فهراً من ان تنشر في معلمة بقصد بها التقصي - فاعذر عما وقع و ارادني على ان اتولى كتابة بعض المقالات في المعلمة فلم أجد طلبه ذلك لأن معظم مقالاتها سبقني إليها بعض علماء المشرقيات وقد صدرت في جيل غير جيلي .

فات هذه المعلمة ترجمة كثير من القدماء والمخدين من رجال الاسلام ومنهم عبد الحميد الكاتب واحمد بن يوسف الكاتب واحمد بن يوسف المعروف بابن الداية وعمرو بن مسعدة وعبد القاهر الجرجاني وعلي بن عبد العزيز وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو هلال العسكري وأبو أحمد العسكري وصالح بن جناح وابن الخطاط الكفيف وابن خاتمة الاندلسي وابن عنين وابن الصيرفي والوهري ومالك اليمين المؤلف عمر بن يوسف وعمارة بن حمزة وابن طولون الصالحي وابن عبد الهادي وغيرهم من المتقدمين .

وترجمت المعلمة لحمد بن عبد الملك الزيات وابن العميد ترجمة مختصرة من فلم كلبان هوار سابق الحلبة في اقتضاب الترجم التي لم يظهر عليها ادنى بحث وتعب ، يكتب مثلها اقل الطلبة بتصفح اي كتاب من كتب الترجم القديمة . وفات المعلمة من المعاصرين ترجمة الشيخ طاهر الجزائري واحمد تيمور باشا واحمد زكي باشا والسيد محمود شكري الآلوسي واحمد القباني (أبو خليل) والسيد محمد عابدين والسيد محمود حمزة والسيد عبد الرحمن الكواكبي واحمد شوقي بك وحافظ ابراهيم بك ومحمود سامي باشا البارودي واسمااعيل باشا صوري وامثالهم من العظام والأموال ان تنظر ادارة نشر المعلمة الاسلامية نظر تجييس اكثراً ما نظر فيها ومحض ، وان يعاد طبعها طبعة جديدة مضافةً إليها النص الذي ظهر في بعض فصولها وان تضم إليها الترجم التي اغفلت . وادا عرضت هذه المعلمة على كبار العلماء منذ الآن سدوا بعلمهم نقها وحذفوا ما كان فيها نابياً عن الحق مفهوماً بالتعصب والرعونة ، واضافوا إلى صفحاتها ما اكتشف من آثار العرب وخطوط طائرتهم منذ صدر الجزء الاول اي منذ أربعين سنة .

اضل الله على علم

ادركته شاباً مكبباً على النسخ والجمع في دار الكتب ، وذهو الشاب وزهو المعرفة مائلاً فيه ، اصحابه العجب لتقديمه ابناء طائفته بمعرفة اللغة العربية وكان تخرج بأعظم علماء التهزة . واستشرب منذ بدأ بنشر ابحاث ومقالات في بعض المجالات الادبية حشاها بعمان في الاسلام والعرب لانقل بسفاهتها عن مطاعن لامنس اليسوعي . اما مزيته فكانت في انه لم يقصد من الادب التكسب به وجعله حلية له و زينة ، ثم واسطة للتشفي من فطر على بغضهم من المسلمين ، كسب عطف المتعصبين من اهل نحلته وفقد عطف السواد الاعظم من قراء العربية .

وحاول في عهد الانتداب الافرنسي ان يظهر التوبه مما اجترح ويتقرب من رؤساء العلماء والادباء في بلده ليجعل منهم سلماً للوصول الى مظهو علمي كان يطبع فيه ، فما اعarrowه انتباهاً وكانوا اذا نسي احدهم او تناهى ماضيه الاسود ذكره به اخرانه وذكروا له قلة انصافه فيما خاص عباده من الابحاث العربية . وما زال وهو اليوم في عتبة التسعين على كثرة اجتهداته بعيداً عن النور الذي يسير بين ايدي العلماء محروماً الذوق الادبي لانه عاشر الكتب واصطحب الرهبان وهؤلاء لا يدركون من امور المجتمع والبيوت شيئاً يعتدُ به . قام بالقحة سلاحه بحملات غير رشيدة على الاسلام وبعث بتاريخه وآخره المعتمي الفشل . وأي اعتداء افظع من ان يحمل كاتب على دين بعد اشياعه بئات الملايين واي سلطة ان يحاول بعد الهرم تلقي مافات ولكن الصيف خبعت اللbn .

المؤيد والمقطم

حوالي سنة ١٩٠٧ فقصدت في القاهرة صديقي الدكتور يعقوب صروف أحد صاحبي المقطف والمقطم لأزوره في مكتبه فلم أسعد بلقياه ولقيت شريكه الدكتور فارس نمر فسلم ثم قال كاتبكم : أنا استغرب أن يحرر مثلك في جريدة المؤيد . وقلت ولم لا لأؤازر فيها وهي أوسع الجرائد المصرية انتشاراً وأهم الصحف الإسلامية في العالم . والفالب أنه بدرت مني كلمة في الثناء على المصريين وأشارت إلى مطالبتهم بالاستقلال فاغناط وقال لهم لا يليقون للاستقلال وان أقل جاويش انكليزي ارقى من اعظم رجال مصر . فتألمت لجرحي هذا الجرح وقلت له على البدية : لا ينبع السوق الا من ربع ، تقول ذلك لأنك تتبع من الإنكليز هذه البخاعة ، وتشتم أبداً أبناء مصر . وكدنا نتهاشك ونتضارب لو لا ان دخل علينا داخل قطعنا الحديث وانتهى المجلس على هذا القدر من التشاحن .

وأذكر اني دخلت ذات اليوم على الدكتور صروف في وقت الظيرة فشاهدته يقرأ التجربة الأخيرة من المقطم ويحذف مقاطع منها و كلمات . فلما انتهى من النظر فيها التفت إليَّ بكليته وقال : ما ادرى كيف نجحوا في ستم المصريين في جريتنا ونحن نعيش بين اظهارهم ؟ . وصروف يحرر المقطف وغر يحرر المقطم ، وكان صروف رحمه الله الى الاعتدال يغلب عليه جلال العلم وتؤدة المحققين والمفكريين ، من تبرأ من عياله سمعان

اكرام الغريب

قال لي أحد شركائي في الزراعة انه كان في ضيافة أحد معارفه في قرية من قرى الفوطة وسهر عنده جمود من اهل القرية كان بينهم رجل من وجوهها . فلما كاد المجلس يتقوض في المزيع الثاني من الليل قال هذا الصدر : أوصيكم يا اخوانى بالغريب ، اكرموه ما استطعتم ، وابذلوا جهداكم لادخال السرور على قلبه ففي ذلك فوائد لكم ولقربيتكم . فقلت للراوى : وأنا سألت ذات يوم معلمي عن رجل من ابناء البيوتات في بلدنا وكانت له نسبة الى العلم : اراكم ترفاعون من شأن فلان وهو على ما بلغني قليل العلم لا يستحق هذا الاعلام . فاجاب ان للرجل مزية جميلة يجب لاجلها احترامه . ذلك انه دأب من سنتين طويلة على اكرام الغرباء القادمين علينا يكرمهم ويدعو اصحابه لاكرامهم يُزَوْدُهم الجامع والمدارس والمزارات المقدسة والمصانع الاثرية ويعرفهم الى صفوه الفقهاء والوجهاء فيعود الغريب الى بلده شاكراً مغبوطاً بما رأى ووعى . قال : اليس هذه مزية تستوجب اكرامه ؟ فقلت لو كان لي يد في وضع موازنة الدولة لخصلت لبضعة اشخاص من ارباب المكانة مبلغاً عظيماً ينفقونه بعروفتهم على اكرام الغريب وتحسين سمعة البلد فيعود ذلك على الحكومة والشعب بمنافع سياسية واقتصادية .

عقل محبة

سمعت دعياً من ادعية الفهم يطعن على أحد كبار العلماء لعدم عنائه ببياته وهنادمه وبعد ذلك منقحة فيه ، والمطعون فيه ملا الدين خيراً والطاعن لامزية له الا معاذنة كل صاحب قوة ، هو يتذرع بمسألة لاتقدم ولا تؤخر في عظمة الرجال . وفي الأمثال الافرينجية الناس كالمدخن فالدخنة التي يكثر دخانها ليست ذات هندام حسن في العادة . وكان القادح يحاول ان يتدرج من حكمه على اعظم عظيم في قومه ليشير من طرف خفي الى ان بزء اهله هو كانت جميلة وهم جهلة ساقطون ليس لهم الا المظاهر البراقة وابنهم السجيف لا يؤثر الا الجميل الثياب ولا يخفى بما تحتها من خزي وخبث . في العالم من يخلو لهم ان يحرّكوا السنّتهم بمعنى وبلا معنى يبدون الكراهة مما لا يدركون سره ولا يلتئم مع اذواقهم كان اذواقهم المعيار الاكبر في الحكم على كل شيء . وسمعت من يخرج ويقول أي فائدة لنا من العلم ونحن كنا أسعد حالاً قبل عهد علمكم هذا أيام كان آباءنا أميين وكانت أشعارنا موقفة وكنا نكتب وننعم من دون أن نتعب في تحصيل العلم ويتبعجرون بان من الجهلاء من وصلوا الى مناصب في الدولة وهم أجهل من قاضي جبل ويقولون ان أناساً جمعوا ثروات طائلة وهم لا يقرأون ولا يكتبون ويزيدون على قولهم ، أنتعلم حتى نصير كفلان استغل بالعلم الذي تدعون اليه طول عمره وما اغنى كلامي جاره الأمي ، وبماذا تحيب مثل هذا الغبي وعقله بهذا الضيق الذي ترى . انكم مها بلقتم في تحاملكم على من لا تساونون قلامة ظفرهم لا تعودون بغير الخزي في حماولتكم اسقاطهم ومن تتطلبون اثبات فضائلهم بالطعن في أفضل الفضلاء هم أجهل الجهلاء .

المسلموه يتعلمون

كان أبناء الاغنياء على عهد ازدهار الاسلام يأخذون العلم في بيونهم على أيدي المؤذين ، وكان الفقراء يهرعون الى المساجد يتلقون فيها مانطبع اليه نفوسهم من الآداب عن علماء ما قيدوا انفسهم الا بواجبهم الدينى ، وما قصدوا الا نفع قومهم . وكان للمدارس في فارس والعراقين والشام شأن عظيم في نشر العلم الاسلامي والمدارس الكبرى في نيسابور والري والازهر والزيتونة والقرويين مكانة ليست للمدارس التي أنشأها الأفراد . وعادت مدارس العجم عامة بأعظم الخيرات على الاسلام والعربية سواء منها الصغرى أو الكبرى وظل نور المدارس الجامعية التي ثبتت على محن الدهر يسطع العصر بعد العصر ، حتى اذا كان القرن الماضي وبدأت نهضة مصر أخذت العلوم الاسلامية التي كانت تنبثق من الجوامع ينضم اليها ما تنتجه المدارس الحديثة فيتساند القديم والحديث ، وباصر ميزة خاصة بازهارها كان العالم الاكبر فيه كونها بقيت دولة او شبه دولة وساعدتها أيضاً غناها وتوسيطاً بين الاقاليم الاسلامية وكونها ابنة مدنیات عظيمة تسللت فيها فرونا . واثبنت مصر بعد زوال دولة الترك عنها أنها ذات كفاعة للعلم وفيها كان على الدهر بقايا منه في كل زمان وما لبث العراق والشام في العهد الحديث أن طلباً إلى مصر انجادها بمدرسين مصريين يلتقون ابناءها على الطريقة التي تقدم المصريون فاقتبسوها من الغرب ومزجوها بما كان عدم من بقايا العلوم القديمة ، وقد بلغ عدد المدرسين المصريين في الافطار العربية خمسة استاذ يدرسون في الثانوي والعلمي ، وانتهى عدد الطلاب الوافدين على وادي النيل للدرس الشرعيه والعربية والعلوم الحديثة الى ثلاثة آلاف فيهم الصيني والجاوي (الاندونيسي) والهندي والافغاني والقافقي والتركستاني والعربي والشامي والمغربي وغيرهم من العناصر الاسلامية . ومذ بدء النهضة تتجلى العناية بنشر العلوم على الطريقة الحديثة في

المدارس المدنية أكثر من المدارس الدينية حتى لقد ضعفت في بعض الارجاء. العلوم الشرعية ، وعلى نسبة الرغبة في الجديد كان الزهد المحسوس في القديم ، وكان للحكومات يد في هذا التبدل عاون فيه الطلاب وأباء الطلاب لأن السواد الاعظم منهم يطلبون علمًا يكسبون به معاشهم وعلوم الدين لا يعيش بها طالبها إلا في ذلك خصوصاً بعد أن جعل القول الفصل للقوانين الغربية في معظم الاصناف الاسلامية ، وما نجت من هذا التجدد الا اليمن والحجاز ونجد والامارات العربية في الجزيرة .

في خمسين سنة تطور العالم الاسلامي تطوراً ملماً و كان أحباب الاسلام يتوقعون أن يتقدم خطوات أوسع من التي خطتها و تعتذر ذلك لتوقف الاضطلاع به على بواعث ، منها ما هو مفقود ومنها ما يحتاج الى الزمن فيحصل ما يعقل ويرذل ما يرذل . (وسيتلو القاريء الفصل الذي كتبناه في النهاية الثامنة الاخيرة في مكان آخر) ويسرنا ان كانت العراق و الشام أسرع الأقطار الى الاخذ بذاهب الترقى لما كان متأصلًا فيها من الصفات الصالحة لتفوق العلم . و كان هذان القطران أكثر الأقطار انتفاعاً بنهاية مصر ، و امتازت العراق عن الشام ب أنها ما ابتدأت بليلة التقسيم كما ابتدأت الشام فسلخ عنها لبنان ثم شرق الأردن ثم فلسطين ثم لواء الاسكندرية ، وكانت وحدة العراق السياسية عوناً لها على الوحدة العلمية .

وعلى شدة العناية بنشر التعليم في مصر ما زال من يقرأون و يكتبون أقل بكثير من كوفحت أميتهم وأنشأتهم المدارس وقد أخرجت مصر هذه السنة من الأمية البغيضة اربعين ألف ، وأعدت العدة لمكافحة خمسين وخمسين ألفاً من قابل ، ولا بد من قضاء جيلين حتى ترفع غشاوة الجهل المطبق عن عيون البنين والبنات في مصر وغير مصر .

عرش غريب

صاحب هذا العرش « انطوان دي طونن » من بيكو (فرنسا) ذهب سنة ١٨٦٠ الى ياتاغونيا في اميركا الجنوبيّة وكان فيها قبائل من الزنوج صعب على حكومة الشيلي اخضاعهم لسلطانها فتقدم وداخلهم وجمع شملهم وعاهدمن على ان يدافعوا عن استقلالهم ونادى بنفسه ملكاً على ياتاغونيا واروكانيا ومنع مملكته دستوراً مأخوذاً من الدستور الفرنسي . وفي السنة التالية قضى الجيش الشيلي على هذه المملكة المستحدثة ولم يرض الملك اوريلي انطوان الاول ان يتنازل عن الملك ولا ان يعترف بهزيته ، فسجنه الشيليون اشهر ثم رحلوه الى فرنسا فمات تاركاً وصيحة ذكر فيها من يخلفه في الملك فكان لوالده ان يتقلده اولاً ثم لاخوه وفي الدرجة الثالثة يحيى ابن عمه واذ اني ااب وابن اولاده تقلد هذا الملك قبل ابن العم الا أنه لم يرحل للقبض على زمام مملكته واكتفى بتأسيس مفوضية لياتاغونيا واروكانيا كان يبيع فيها القاب الشرف وطوابع بريدة المملكة ونقوداً رسم عليها شعارها فتجزحت هذه التجارة ونصب الملك قناصل لمملكته ونال بعضهم براءات بناصبهم ولا سيما في ايطاليا وغدا قناصله يدعون الى المقابلات الدبلوماسية .

قال راوي هذا الخبر « اندريه موروا » : وهكذا كان الزهو البشري لمن يحسن اللعب به منبعاً لاينصب لرئيسي يدر على ثاني ملك لياتاغونيا واروكانيا يعيش منه في باريز وما يعيش الا من غلة مملكة موهومة . وقد انقرضت هذه السلالة الملكية بوفاة هذا الملك ولكن براءات الشرف ونقود المملكة ما زالت عشاق الم GAMM ا يطلبونها . قلنا وبعض عروش الشرق الحديث لم تخلي من غرابة في تأسيسها وسياستها وهي سخيفة بالقابها وبرئتها ومصطلحاتها .

بِاسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شهد العصر الذي نحن فيه مالم يكدر يشهده العصر الذي سبقة من تبدل واختلاف وكان دور الانتقال ذا الوان واشكال يشبه ذنب الطاوس بمحاله وسخام القدر في اسوداده . كان أهله متباهين في صفاتهم تباينهم في سخنانهم وغلب الشر الخير فيه واصبح الرباء والكذب من معناد الازياء . والقانون الطبيعي يجري على رقاب الناس كافة لا يفلت منه أحد حتى من باعوا واشتروا باسم الدين .

قال لي صديق عاقل ان المطران فلان جمع حتى الآن مئة وخمسين الف دينار جناها من ابناء طائفته في اميركا وطائفته هنا كما تعلم كثيرون فقراؤها وهو لا يوجد عليهم ببعض ما يجب عليه لهم فقلت : أين يا صاحبي ان ماله سيدهب ويبقى عليه انه وعاره . فقد عرفت المطران ... - وكان يتبعه الله يبغض المسلمين في الغيبة ويدهن هم في الحضرة - جمع بأساليب رجال الدين عندكم اربعين الف ليرة عثمانية ذهباً وهاجأ ثم بدا له في آخر أيامه ان يعطيها لأحد ذوي قرباه ليشرها له في مصرفه فما هي إلا أشهر قليلة حتى افلس المصرف وتبخّرت ثروة المطران في جملة ماتبخر فيه ، ولم يعش المسكين بعدها إلا قليلاً وراح آسفًا على مالقي من نصب في بيع الغفرانات ومنح البركات . واعرف شيخاً داس على الامة ستين سنة وجاز على العامة وبعض الخاصة تدليسه وجمع مالاً كثيراً من طرق شتى ومن دول رأت استهانه فما ان دلي في جفنته حتى استولى أولاده على ارثهم وبددوا ما ورثوه في الطرق التي يبذرون فيها المستهرون اموالهم وفي أقل من أربع سنين اضمحل الارث وتفقد القانون الذي يعاقب على الشر وبه يعاقب الشیخ والمطران لخالتھما روح دینھما .

بنزيف اموال الاشرار تغبط نفوس الاخبار .

الاخوان المسلمين تأرون

«تألفت منذ سنوات جماعة اتخذت لنفسها اسم «الاخوان المسلمين» وأعلنت على الملأ أن لها أهدافاً دينية واجتماعية دون ان تحدد لما هدفها سياسياً معيناً ترمي اليه ، وعلى هذا الأساس نشطت الجماعة وبذلت دعائياً ولكن ما كادت تجده لها أنصاراً وتشعر بأنها أكتسبت شيئاً من رضا بعض الناس عنها حتى أسفر القائدون على أمرها عن أغراضهم الحقيقة وهي أغراض سياسية ترمي الى وصولهم الى الحكم وقلب النظم المقررة في البلاد .. وقد اتخذت هذه الجماعة في سبيل الوصول الى أغراضها طرقاً شنيعة سوداء طابع العنف فدربت أفراداً من الشباب أطلقوا عليهم اسم الجوالة ، وأنشأت مراكز رياضية تقوم بتدريبات عسكرية مستترة وراء الرياضة ، كما أخذت تجمع الأسلحة والقنابل والفرقعات وتخزنها لاستعمالها في الوقت الذي تخربه ، وساعدتها على ذلك ما كانت تقوم به بعض الم هيئات من جمع الأسلحة والعتاد بمناسبة قضية فلسطين وأنشأت مجالات أسبوعية وجريدة سياسية تنطق باسمها ، وسرعان ما انعمت في تيار النضال السياسي متغافلة عن الاغراض الدينية والاجتماعية التي أعلنت الجماعة انها قامت لتحقيقها ...

«الجمعية ليست جمعية دينية بالمعنى الذي يفهمه الجمهور وإنما هي جمعية سياسية دينية اجتماعية تنادي بتغيير القرآن وأساليب الحكم الحالية وان الخطب الدينية لا تقييد في توجيه الجمهور الى تفهم غرضها الحقيقي وأن الوسيلة لبلغ هذا هر اثارة الجمهور بطريقة طرق مشاعره وحساسيته لاعقله وتقديره » .

هذا ما ورد في بيان الحكومة المصرية بعد ان قيل ان هذه الجمعية ارتكبت اجراماً كثيراً من قتل ونسف واحراق وآخر كل ذلك اغتيالاً رئيس حكومة مصر محمود فهمي التقاشي باشا الذي أمر بحمل جثثهم ثم اغتيال أحد الاخوان رئيس جمعيتهم لأن اخوانه شعروا بأنه سيدل الحكومة

على ما لدى الجماعة من سلاح وعتاد وقد اختلف فيها قليل وقد ظهرت أو كار
الجمعية كبيرة في القاهرة وغيرها من الاقاليم فيها من العتاد والسلاح
ما لا يوجد عند دولة عظيمة . لا جرم ان جمعية الاخوان المسلمين من اعظم
ما فام من الجمعيات السرية في مصر وغيرها من بلدان الشرق العربي ويحق
لناس أن يبالغوا في تقدير مكانتها . هذا وقد سرت دعوة هذه الجماعة الى
من يحبون التقليد على العبياء فدخل فيها كثيرون من يتحمسون للدين في
الشام وغيرها ولا كشف أمر جماعتهم في مصر تواروا وعمدوا الى التقبيل
والبرامة من عمل اخوانهم في وادي النيل .

الاستاذ اكيه في مصر

الاستاذ عبد الرحمن البيئي بك من وزراء مصر ومن رجال المحاما
فيها رزقه الله الغنى فأحسن التصرف به ، وخرجت منه التجارب والدرس
اشتراكيًا معتدلاً ، لامن الحarf الذي يدعى الى الاشتراكية باللسان وهو
في ذاته من أقسى ارباب الأموال . هو يشارك فلاحيه في نعمته مشاركة
لاتنقض من ماله ، وتزيد في دينه مزرعته . هو من طبقة تنظر الى المستقبل
بعين البصيرة وتدرك ان الغنى اذا لم يعطف على الفقير فالعقاب عليه وخيمة .
وآخر ما ذكرت الصحف من اعمال هذا الدراكة ان اخذ من يوم النصف
من شعبان من كل سنة يوم برق وجعل من برّه تزويج خمسة شبان من
ابناء قريته على نفقته الخاصة يقدم لهم هدية العرس من ماله وهي مسكن
صحى لطيف مع جهازه وادواته وفرشه وبقرة حليب . يعمل هذا ويقول
نحن في عصر جديد يجب ان تكون فيه محبة الزارع للملك هي الرأية
الشرعية التي تنضوي تحتها القلوب .

لا جرم ان الاستاذ البيئي هو المالك الحقيقي للارض بما يصنع من
خير لزارعيه بنفعهم وبنفعهم ويسقط هو واولاده ثرة ماتجود به

على الفقراء يتعمد بهم يجبرهم صنعه إلى حالة من العيش لو حصل عليها جمرة أرباب الزرع ما كان الفرق كثيراً بين فقير وغني ولما خشي الأغنياء غدرات النظم الجديدة ووللاتها .

وبعد فقد دعا النائب المشار إليه إلى المذهب الاشتراكي وقال إن الدول الكبرى ومنها بريطانيا العظمى أم الديمقراطية وحضرها الحصين تدعوا الآن إليها وإن بريطانيا انتدبت مائة وخمسين عالماً من أكبر علماء الاقتصاد والاجتماع لدرس ما يمكن أن تنتهي إليه المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي يواجهها العالم من سين ف قالوا لا بد أن تؤدي يوماً إلى انقلاب عنيف لاسبيل إلى تقاديه إلا إذا اعدت الانظمة الاقتصادية في العالم بحيث تضمن للناس جميعاً مستوى الحياة يتفق مع القراءع الإنسانية وتحي هذه الفوارق المخالفة بين مستوى المعيشة عند الأقلية الموسنة والأغلبية التي لا تكاد تظفر بعيش الكفاف .

قال إن ثلاثة أرباع المصريين أي اثنا عشر مليون من الفلاحين والعمال وصغار الزراع يعيشون في فقر مدقع يفتلك بهم الجوع والمرض أي أن اثني عشر مليوناً من المصريين لا يجدون حتى عيش الكفاف بل لا يجدون جرعة من الماء الصالح للشرب وإن أجور العمال في الزراعة قد بلغت من التفاقة حدأ يهبط بهم إلى مستوى الحيوان أو ما هو دونه بكثير ، وإن الثروة الزراعية في مصر موزعة توزيعاً عجيباً فيينا تجد ملاك الأراضي يقرب عددهم من مليونين ونصف مليون تجد أن من هذا العدد نحو مليونين لا يزيد متوسط ما يملكون الواحد منهم على عشرة قراريط في حين أن أصحاب الملكيات الكبيرة لا يزيد عددهم على اثني عشر ألفاً يبلغ متوسط ما يملكون كل منهم مائة وسبعين فداناً أو يزيد أه .

ومازلت أقول للمصريين إن في مصر تسعة عشر مليوناً يشقون أبداً لينعم بتعمدهم مليون من السكان وأنه من السيف أن يصرف مليون جنيه على فتح شارع في القاهرة أو الإسكندرية للتباكي ولا يصلح ماء شرب الفلاح ومسكنه ولا تعنى الحكومة بتعلمه لتخريجه من البهيمة إلى الإنسانية .

هذا وقد ذكرت الصحف المصرية أن صاحب الدولة إبراهيم عبد المادي باشا رئيس الوزارة سبقه إلى البرالان ببرنامجه استراكي ، فانتهت مصر بذلك أنها سايرة في نظام حكمها مع الزمن وكل ذلك بفضل بعض رجالها الاعاظم ووحيهم أمثال عبد الرحمن البيلي بك .

وآخر ما قرأته للاستاذ البيلي بك في جريدة المصري اثناء كلامه على ضرورة الإطيان الجملة الآتية : وفي سبيل هذا المدفرأيت ان أتناول موضوع الضرورة على الأطيان من وجه آخر يربط بينها وبين ما تقتضيه حياة الغالية العظمى من أبناء البلاد وهم سكان الريف — من همة ترفع بهم إلى المستوى اللائق بكرامة الإنسانية والذي يجعل منهم مجتمعًا سليمًا وكائنًا وطنىًّا منيعًا وإذا قلت سكان الريف فاما أعني مصر باجمعها اذ هم يثلون ٨٠٪ من مجموع السكان وتقوم على اكتافهم وسوا عدهم النسبة الزراعية والصناعية والثقافية والمعمارية ، ومن بينهم ينبع القادة وجنود الوطن وعدده في الدفاع وفي النشاط التنفيذي والمهنى وفي كل ميادين العمل ومدارج الكفاية البشرية ، وبناء مصر الحديثة الناهضة يقوم على دعامة أولى هي النسبة بالريف وتهيئة وسائل الحياة الكريمة لساكنيه وفي هذا الميدان ينبغي أن تتجه جهودنا جميعاً وفي كل بقعة من بقاع الريف وكل قرية من قراه يجب أن توافق المرافق العامة الاتاجية والاجتماعية والصحية والثقافية والمعمارية الغرض .



هميت النعمة

قال لي مدير التمليك : منذ خروج هذا القطر عن الحكم العثماني لم يسجل احد من الاعيان ملكاً جديداً على اسمه الا ما كان من التناقل في الملك الواحد بين الاسرة ، ومن يسجلون الاملاك على اسمائهم من جديدهم من البايعة والطبة الرضيعة من يلبسون الثياب الزرقاء وينتبلغون في يومهم بليمة سوريية او ليرتين .

سامي هذا البا لان في اغتناء هذه الطبة وخروج الاملاك من ايدي حضر التحير من كانت تنتقل بين طبقتهم اجيالا اي فقر الاغنياء واغتناء الفقراء ، ثورة المسماة للرعن لا تحمد كثيرا لان فيه قطع ارزاق الوف من الخلق كانوا يعيشون من الطبة لامصارية العالية التي افتقرت وهي على الاكثر من الطبقات التي تنفق دخلها واجهنا اكثر من دخلها لعيش عيشاً رغيداً وتظهر بظاهر لائق بين اهل حبها ومن تعاصرهم ، أما الاغنياء الجدد فانهم اشقاء ، وبالشح جمعوا ما جمعوا على الاغلب لا ينفقون الا جزءاً ضئيلاً من دفع املاكهم ، والمدينة لا يقيسها الا الاغنياء والطبة الجديدة منهم تؤخرها بجمودها وبخالتها .

والسر في انتقال الثروة هذا الانتقال الفجائي كون الجدد عملوا وما جدوا وغامروا وقادموا والاغنياء الذين ورثوا غناهم تناسلوا كثيراً وتفرق املاكهم ثم اسرفوا وما حملوا الى بيوتهم مالا جديداً وجدوا وما تمسوا الطرق المؤصلة الى الغنى مكتفين بالتوظف ، والتوظف قلماً اغنى حاجبه ، ومعظم الموظفين يعيشون ويتوتون فقراء منها سرقوا وارتضاوا

من عادة الثرواث التنقل وفي هذه الحرب اغتنى بعض التجار واشادهم غنى فاحشاً ومنهم من حدثتهم انفسهم بالتوسيع في معاشهم وbadروا الى تعلم اولادهم بحملون أن يظهروا للاغرين على ما كان يظهر أهل السعة سابقاً واخذنا نسمع باسماء اغنياء ماسينا بهم من قبل ، وكانت من الطبة الدنيا قبل عقد واحد من السنين . ومنها من حاز الغنى بطرق غير شريفة وظل بعد غاه يزور ويفتش لا يرى جماحه شيء .

طبقات الوزراء

عمل الوزير عظيم لا يضططع به الا من جمع الى العلم مغريناً والى السياسة خلقاً . ويتخرج الوزراء عندنا في مدرسة الاحزاب والمحافل والاندية وأروقة المجالس النيابية ومن كانت هم دراسة خاصة وتجربة سابقة هم الصدور المقدمون . والاحزاب قد تخثار نوابها وتجيد الاختيار وبالعكس . والنائب قد يصل الى كرسي النيابة بكفاءته وفي الاكثر بجزئته وواسع حيلته ، ومعظمهم يطلب رضا المحافل الماسونية ، وما زال مفروساً في العقول ان الماسونية قوة لا يستهان بها يصل منتحلها الى المناصب وبها يحمي نفسه من القوانين وسيطرة الرؤساء . المستوزرون الا من كان على شيء من عزة النفس يتحسنون المرجع الفعال في تنصيبهم فيقتربون اليه بما يقنعوا بحسن بلائهم ويحمله على استدعائهم في حالة شغور المنصب وعندنا ان من تقلد الوزارة مرّة حق له ان تكون له الأولوية أبداً ، والعامل الاكبر في تكرر مجيء الوزير الى الحكم أن يرضي عنه من بيده تعيينه والامة تختلف درجة حظوظه عندها وفي الاغلب أنها لا ترضى كل الرخي عن الرجل مادام قابضاً على السلطة فاذا اعتزل أو أقيل برد حقدها عليه ، وربما عادت فاختلت له المحامد . وما برح الرأي العام في ديارنا يتحرك بحركة الاغراض لا يعرف الثبات والاستقرار ، والمرخي عنه اليوم مغضوب عليه جداً ، والناس أبداً اقرب الى الطعن المبرح فيمن كان لهم نصيب من الحكم منهم الى المدح العقول .

ورأينا بعض من اختارتهم السلطة المنتدبة للوزارات في سوريا ولبنان من الاكفاء لمناصبهم وكذلك من جاؤا بعدهم على عهد الجمهورية ، وتولى الوزارات من تقصهم أشياء كثيرة واهم ما كانت تعوزهم الاخلاق ومنهم العجزة الذين لا يستطيعون ان يحلوا مسألة واحدة بأنفسهم وقد اعتادوا لا يسيروا الا تحت پد من سيرهم ، وغرامهم ابداً بقضاء مصالحهم الخاصة وقلا

تهم المصلحة التي جاؤا لمعالجتها ومعظمهم يصلون الى هذه المرتبة بقدرة الاحزاب وقل فيهم من نالوا الوزارة بقوتهم الشخصية وقل فيهم جداً من كانت لهم تقافة لاباس بها ومعظمهم اذا عدلوا مع انفسهم لا يكون منهم اكثر من موظفين من الدرجة الرابعة او الخامسة .

نختار المكرمات للوزارات من يوافق سياستها من بعض الوجوه وتحصل الوزير على علاته وهي تعرف مواطن الضعف فيه وتدرك جبله وعدم تراوته . ولليست الأحزاب والمحافل أقل تساهلاً من يعينهم مكتفية منهم بمعية خاصة تراها فيهم . وعندنا ان من اهم ما تظهر به كفاءة الوزراء دوام مهمتهم ثلاثة او أربعاً من السنين اما الاشهر القليلة فلا تكفي لاعظم ذكى ان يدرس متشعبات وزارته وتكتشف له حركة الخبيث والطبيب من سقط عليهم من الثابتين من موظفي دواوينه وعماله . والغالب ان صاحب الشأن لا يهمه نقص كبير يشهده في اخلاق الوزير بقدر ما يهمه خدمة غرضه وتطبيق سياسة .



حسنات الأزهر

مها قيل في خلل طريقة التعليم في الأزهر وهو خلل دام الى الثالث الأول من القرن الرابع عشر من المجرة فانه خرج رجالاً خدموا الشريعة ونشروا اللغة العربية . نشأ في او اخر القرن الماضي عالمان جليلان شامي وعرافي درسا في الأزهر واحكما ما درسا ثم صار كل منها شيخ رواق الشوام وشيخ رواق البغداديين فلما ارتويا من العلم رجعوا الى وطنهما يجددان فيه ما عفا من رسوم الشريعة . عنيت العلامة الشيخ عبد القادر القصاب من جبل قلمون في الشام والعلامة الشيخ حسين العزى من عرب سقي الفرات ، وكلاهما قعد لافراء الناس في عودته الى بلده ، فيخرجا الاول وعاظاً وفقهاء وتخرج بالثاني في العلوم الدينية كثيرون في ارجاء الفرات ومن انبعهم اليوم الشيخ سعيد العRFI واتم هذا التلميذ ما بدأ به استاذه من بث روح العلم في أبناء تلك الديار وكانت بلده دير الزور في جهلها كالبادية او اجهل من بادية قبل ان يقوم فيها ذلك الأزهري العظيم . ولو لا عمل هذين العالمين لاضمحل الاسلام في هذه الاصقاع العظيمة ، فانظر الى قضل جامع الأزهر واعجب بما به وبيته من الأنوار في القاصية والدائمة .



عذر اقطع من ذنب

لما بدأت الجيوش الالمانية في الحرب الأخيرة تتغلب في الاراضي المصرية
أيقن الانكليز بالخطر الدام اذا استولى الالمان على مصر ، فلم يروا لتلافي
النهاية احسن من اكراءه ملك مصر على القبول بتوصيد الوزارة المصرية
إلى مصطفى النحاس باشا رئيس حزب الوفد المصري أكبر الاحزاب المصرية
سوداداً . دعا الانكليز الى المطالبة بمثل هذه الوزارة لانه سمع في بعض
المظاهرات من ينادون (الى الامام يارومل) وروملي قائد الجيش الالماني
في افريقيا ، ويستشم من هذا النداء ان مصر تحب استيلاء الالمان على مصر
وربما عاونتها للوصول الى غرضها لتنقض يدها من يد بريطانيا العظمى وتتمتع
باستقلالها تماماً .

فجاء القائد الانكليزي الى سراي عابدين بدباباته يفرض النحاس باشا على
صاحب الناج فرضاً فآثر جلالته ان يرضى بالوزارة المقترنة لثلا يكون من
رفضه سبب حدوث فتنة تهرق فيها دماء المصريين . وهكذا انقض الأمر
بسلام وما عاد يسمع في الشوارع « الى الامام يارومل »

الانكليز على تهذيبهم قد يسيئون الى من يرون في اساءته فائدة لهم ثم
يعودون فيعتذرون ، وكذلك كان حالهم مع صاحب مصر عاملوه هذه المعاملة
الخشنة لا كراهه على ما لا يحب وتقدموا ليعذروها .

لون من الوان السياسة لا تقدر دولة منها بلغ من سلطانها ان تقلد فيه
بريطانيا العظمى .

الأكل مسؤولون

اعتداد بعض أرباب الزراعات العظيمة في غوطة دمشق ان يأدبوا كل سنة مأدبة كبيرة في مزارعهم يوم خمان المشمش او القنب او الكرم او الزيتون وغيرها من الآثار والغلال فيجتمع لديهم مئات من فلاحي القرى ومن ينضم إليهم من العمالين وهم في ظاهرهم من الضمانة وفي الحقيقة انهم بحضور السوق ليطعموا من طعام صاحب المزرعة وينسلوا بروزية من حضر وسباع أقوالهم . وجاءت هذه الطائفة هذا العام الى سوق عقد في مزرعة كبير لبيع مشمسه فما ان رأى الحضور الطعام يقدم على السطاط في القدور والاروااني والصوانى حتى أخذوا يلتهمون الطعام بشرابة و منهم من كانوا يدون ايديهم اليه قبل نوبتهم ويحملون منه في عبائهم واما منهم بل في سطول يحملونها ومنهم من يتعمدون أذى من ينتظر نوبته في الأكل او من تقدم فأكل . وافسد بعضهم ماوضع من الطعام بالقاء التراب فيه ثم أخذوا يتضاربون ويتناطون ويكسرون الصحاف والاطباق والزبادي والكؤوس فأبانوا بما اجترحوا عن دناءة وهمجية فطردهم المتلون تنظيم الضيافة قبل ان يتم الآكلون أكلهم . وقد انكر أعيان الفلاحين هذه السلطة وخرجوا من وقوع هذه القحة في بيت يجب على الأمة ان تحترمه . فقلت لهم لاتعجبوا وتصدوا حكمكم بهمجهتهم وابحثوا قليلاً في اصل هذه العلة وما كان الداعي الى تأصلها ، ولم لم يفكروا انفسهم في استئصالها ، فان أرباب الاملاك لم تخدتهم أنفسهم يوماً في حمل النور الى الفلاحين يوم ما يرون من خرق وسفه ساعة ما يقع ثم يغلقون باب التفكير فيه . فلو قد بدأوا بتعليم أهل الزرع والضرع منذ أوائل هذا القرن جاء منهم جيل مهذب يستحميل ان يرتكب مثل هذه الرعنونات ، ولو بمحنة في درجة تهذيب المجتمع ذاك اليوم لرأينا من ارتكبوا هذه الفظاظة غارقين في الأمية من فرقهم الى قدمهم

ومن ظهروا والأدب باد عليهم كانوا من درسوا في الكتاب شيئاً هذب أخلاقهم . نحن نريد شعباً رافياً بخلقه الله لاجل خاطرنا خلقاً دون أن نعمى أدنى سعي لتهذيبه وتعليه . ولو كانت أمانتنا مصلحة غيرنا كما أمانتنا مصلحتنا لأنني من الشعب المذهب الذي نرجوه .

الأعيان مقصرون ، والشayix مقصرون ، والمدنيون مقصرون ، والقردibون مقصرون ، وكل مستنير العقل متصر ، والجرم في الآخر يقع على الجاهل السكين الذي لا يدرك عقله أكثر مما تدرك ذاته ، نحاول ان ننتفع دون أن نتعب وان يعامل الجاهل بالقوانين الدستورية مع اعتقادنا أن منه سنة لا تكفي لأن تخرب من متواحشـي هذه الأمة شعباً يفهم ماله وما عليه . كثيراً ما كانت قرينتي رحمها الله تقول لي : إلام تهم بأمر الفلاحـين هذا الاهتمام ، تشـقـقـ عليهم ونـحاـولـ رـفـعـ الـظـلـمـ عـنـهـمـ ، وـتـعـملـ عـلـىـ فـتـحـ طـرـقـ وـكـتـابـ لـهـمـ ، وـمـاـ هـمـ إـلـاـ غـارـدـةـ لـوـ أـغـفـتـ الدـوـلـةـ ظـهـورـهـمـ مـنـ ضـربـ العـصـىـ وـالـسـيـاطـ لـمـ اـسـطـعـتـ آـنـتـ عـلـىـ مـكـانـتـكـ أـنـ تـذـهـبـ إـلـىـ مـزـرـعـتـكـ آـمـنـاـ عـلـىـ دـوـرـكـ ، فـكـلـ ظـلـمـ يـنـاهـمـ يـسـتـحقـونـهـ وـيـسـتـحقـونـ آـكـثـرـ مـنـهـ ، وـلـوـ اـسـتـبـدـاـدـ بـهـمـ مـاـ اـسـتـقـامـ لـكـمـ أـمـرـ مـعـهـمـ .

فـكـنـتـ أـجـبـهاـ إـنـيـ أـتـحـمـلـ كـلـ هـذـاـ العنـاءـ لـيـسـتـنـيرـ عـقـلـ الـفـلاحـ وـيـنـثـأـ منهـ جـيلـ أـصـلـحـ مـنـ الـجـيلـ الـحـالـيـ لـلـحـيـاـهـ ، يـدرـكـ أـنـ مـصـلـحـتـهـ مـنـاطـ تـدـبـيـهـ وـانـ لـاـ سـعـادـهـ لـهـ إـلـاـ بـتـعـلـيمـ الذـكـورـ وـالـأـنـاثـ مـنـ أـوـلـادـ التـعـلـيمـ الـأـوـلـيـ ، وـانـهـ لـاـ تـخـسـنـ حـالـهـ بـدـوـنـ الصـدقـ فـيـ عـمـلـهـ وـبـعـدـ عـنـ الرـذـائـلـ .

هلال رمضان والعيوب

كل سنة تحدث بلبلة في بلاد الاسلام من أجل اثبات هلال رمضان وسؤال وذى الحجة ، والمحاكم الشرعية حتى بعد ارتقاء علم الفلك واتقان المراسد الفلكية ، لازال مصرا على اثبات الهلال بالعين المجردة لا تعتمد على الارصاد لأن الماضين ما عرّفوا اهلة بهذه الطرق الجديدة فلا بد من شهادة شاهدين ، وقد يكونان من العُمّص العُمّش ، يشهدان أنها رأيا القراءة ساعة ولد فيتناولان ما جرت العادة باعطائه من جعل لمن يشهد هذه الشهادة وعندها يصوم المسلمون أو يفطرون .

وتناقض أصحاب الفتيا في هذه المعضلة ففريق يقول بروءة العين في الاثبات وآخر يوافق على رصد القمر في المرآمد ويؤكد أنها أقرب إلى الثقة ، وألفوا في هذه المعضلة الخطيرة كتاباً ورسائل ، وظل كل فريق مصرأ على رأيه . وقد قبلت مصر سيدة العلم الاسلامي في الشرع نظرية المراسد وإنقذت بلادها من الفوضى ، ولا تزال الشام متعنتة لا يعنيها ان جعلت من مسألة الرؤية مهزلة يضحك منها الأجانب .

حقيقة نحن جامدون إلى حد السخف لانزع القديم البالي بالسرعة الواجبة ، ولا نزع إلى الجديد النافع بدون جدال لا طائل تحته .

هذا كلام من ملخص كتاب العلوم الشرعية

كتاب العلوم الشرعية

دمشق

قال احد ارباب المدارك ان لدمشق طابعاً خاصاً في طبيعتها وروحاً ومرافقها لا تشبه المدن الداخلية ولا المدن الساحلية . وهذا الكلام يصدق على هذه العاصمة منذ فتحها العرب المسلمين . وانتقلت دمشق في أيام بنى أمية من حاضرة صغيرة الى عاصمة كبيرة يتد حكمها مسافة تسعه أشهر في أوربا وافريقيا وآسيا . عاصمة تهيي اليها ائمة ملايين من الشعوب لابد ان يكون خلفاؤها قد هيأوا فيها اسباب الراحة والنعم لمن يتزلونها واصبحت في مئة سنة سيدة المدن والعواصم في الارض كلها .

ـ روما اقامه الامويون في دمشق من اعمال العمran تعد على السفاج والنصر من خلفاء العباسين ان يتضروا عليه كله يوم فتح العباسين . وكان الرشيد والمأمون مختلفان اليها في الاحالين ويعجبان بآثار بنى أمية فيها . ذلك لانه كان في فطرة الدمشقيين الاحتفاظ بحاناتهم وعادياتهم على ما تبين من تاريخهم في القرون التالية فان جامعهم أو جامع بنى أمية وهو أعظم جامع في الاسلام خرب بالحريق والزلزال مرات وأهل دمشق يعودونه كل مرّة الى سابق حاله وكذلك المدارس التي أنشئت من القرن الخامس الى القرن التاسع وهى لاتقل عن مائة وخمسين مدرسة لتعليم القرآن وفقه الثافعي والحنفي والمالكي والحنفي عدا الرباطات والخوانق والزوابيا والتكتاب والمستشفيات ودور الزمني والمجذمين وكانت كلها تدار ادارة حسنة ويدرس فيها اعظم العلماء ولها اوقاف ذراة ، فلما جاء العثمانيون في القرن العاشر اخذوا الحراب يدب فيها ولم يغادروا دمشق الا وفيها ثلات مدارس خربة لا غير . وبقدر ما احب الدمشقيون اهل الدول الذين رتعوا آمنين في ظلمهم كبعض العباسين والسلجوقيين وفي مقدمتهم الرشيد والمأمون وطفتكين ونور الدين وصلاح الدين ابغضوا الفاطميين الذين اعمهم التعصب الديني وعاملوا الدمشقيين

بالسوة والجبروت ، وفي ايامهم خربت دمشق وضاحتها . وكان عهد الملك خيراً وشراً ، خيراً في ايام عقلاه ملوكهم مثل المنصور قلاوون وشراً في عهد بعض من خلفوه وتقدهم حتى اذا جاء الاتراك العثمانيون أصبحت دمشق من اول عهدهم تئن من سوء ادارتهم حتى اضحمت اضحلاً كادت تشبه به قرية كبيرة فيها جرائم عظيمة وبقايا هندسة نشأت بفضلها فصور ومصانع في الماضي .

وما كانت معاملة الفاتح سليم الأول العثماني دمشق اقل قسوة من معاملة تيمورلنك التترى لها قبل قرن ، والاتراك كتيمور وجنكىز وغازان اميل الى تخريب ما يسلكون عليه منهم الى عماره . فقد اخذ تيمورلنك من دمشق جميع ارباب الصنائع وحملهم معه الى سرقند . ولما استولى العجم على دمشق قبل الاسلام كان اول ما فكروا فيه ان ساقوا امامهم ارباب الصناعات نقولهم الى فارس كما حبوا وحمل الفاتحون ومنهم سليم الاول ما كان في هذه المدينة العظيمة من النفائس والعاديات وجميع ما يحمل من انواع الثروة المنقوله .

ومن دواعي خراب دمشق تسلط الاعيان على سياستها في معظم القرون وخلف الدولة من ولاتها تارع ابداً الى عزلهم حتى لا تختذلهم انفسهم بالاستقلال . هكذا كان شأن الملك وهكذا شأن العثمانيين بعدهم ، فالوالى الذي لا يقيم في ولاته اكثر من سنة واحياناً شهراً او شهرين يستحيل عليه ان يعرف البلد الذي تقلد حكمه اشهرأ قليلاً منها بلغ من ذكائه وتجربته فضلاً عن ان يفكر في اصلاح يدفع به الظلم ويقيم العدل . والوالى العاظل يشارك الاعيان ومعاول التخريب تشغل من كل جانب .

ولولا ان في طبيعة الدمشقيين حيوية عجيبة في الصنائع والتجارة لاصبح اهلها بادية لكثرة ما افروا من الشدائيد . ولقد اتبتوا في جميع الادوار انهم في صنائعهم آية وان الاتقان دأبهم ، وصنائعهم منوعة تبدأ من هندسة المباني

وتشهي بالفرش والآنية ، وتجارتهم كانت منذ القديم تتد من الشرق إلى الغرب فإذا ساعدتهم الاحوال السياسية ووقفت الحروب حقبة من الزمن ارتأشوا واغتنوا وإذا اختلت الحال ضروا باموالهم وخزنوها في صناديقهم . وكانوا إلى أواخر القرن الماضي إذا أمن التاجر شريكه وقد يكون بدويأً نجدياً يسله ألوفاً من الدنانير بدون سند وينظره أعواماً حتى يتم تجارة على مايحب ، فالثقة كانت على إنما بين التجار بعضهم مع بعض وبين التجار والمستهلكين . وفي كل بلد نزله الدمشقي للتجارة اغتنى في سبع قلبة هذا إذا كان على استعداد لمعاطاة التجارة ولا ثم جو الأرض التي حل فيها صحته وفي الأمثال العالمية (اعرج الشام وصل الصين)

في قارة إفريقية مستعمرة بريطانية غنية اهتدى إليها الدمشقيون ووارواها متجرين وكان سببهم إلى الاتجار فيها جماعة من تجارة الانكليز فرأى الدمشقة ان البريطانيين كان من عادتهم اذا خرجت البضائع من البحر ضموا عليها خمس في المائة ربحاً وخمسة في المائة قيمة ما تقرره الفيران منها في السفن ، فارتوى الدمشقيون الاكتفاء أولأ بربع خمسة في المائة فما عتم التجار الانكليز ان عادوا إلى بلادهم وتركوا الدمشقيين يتجررون في المستعمرة وحدهم . ولم من ذلك حكايات تدل على صبرهم وحنكتهم وكذلك يقال في نسائهم فان المرأة الدمشقية لا تبالي بالسفرة ، هاجرت في عصرنا إلى الهند واليابان والعراق وسائر الدول العربية وهاجرت إلى أوروبا وإلى أميركا وحيث حلت ظهر شخصيتها ، وهي مقتصلة تعنى عنابة فائقة بزوجها وبأولادها وتصرف من وقتها ساعة في عمل الخير وتتصدق على الفقراء ولا تخرج عن قواعدها في الاقتصاد وتتجمل أبداً . وإذا ساعدوا الحال تتكرم على الضياف وإذا تأخرت حال زوجها ، وهي تشاركه في كل شيء ، قبضت يدها حتى عن شراء ثوب تنزيه به امام جارانها وأهلاً . وللدمشقين والدمشقيات في المهاجر روابط متينة ليست لهم اذا كانوا في البلد الذي خرجوا منه ، ولذلك تحترمهم الأجانب ويتجاوزون على كثير من الشعوب المهاجرة ومن هؤلاء من يعتمدون عليهم في حل مشاكلهم وتعيد الطريق أمامهم للاتجار والاغتناء .

وفي الحرب الأخيرة ظهر اقتدار تجارة دمشق وكانوا استعدوا الدخول
بمدان المضاربات منذ أكثر من سنة ولمم أموال أو دعواها مصارف الدول
الكبيرى كالمند وإنكلترا والولايات المتحدة وغيرها في طروا على التجارة
في قسم عظيم من بلاد الشرق القريب واغتنوا اغتناءً ما شاهدوا ولا شاهد
أجدادهم بعض بعضه ، فلما وضعت الحرب أوزارها هبوا بداعف من وطنيتهم
ودينهم يعطون بما كسبوا حق الوطن وحق الله فأعطوا الدولة أموالاً
استعانت بها على الظهور بظهور دولة عظيمة وأعطوا حق الله بأن أنشأوا
مستشفيات ودور احسان وعبادة وتعليم . وأنشأوا إلى ذلك معامل على
النمط الغربي من كل صنف حتى كادت بعض أراضي غوطة دمشق تشغل
المعامل والدور التي أنشأوها لنزل العاملين فيها وأنشأوا من أرباحهم
القصور الفخمة وأدخلوا مدينتهم في طور عاصمة غربية كبيرة ومن زاد
دمشق اليوم وكان زارها منذ عشرين سنة لا يكاد يعرفها .

ولدمشق في باب العلم أيام غدر كانت محجاً لطلابه منذ عبد الصحابة
إلى يوم الناس هذا ، وعلمهم كان الكتاب والسنة أو علوم القرآن والفقه
والأصول والكلام والحديث ثم اللغة والأدب والطب والتاريخ والفالك
والرياضيات والهندسة وغيرها ، وكان المشغلون بعلوم الشرع والأدب أكثر
عدها من المنصرين إلى علوم القدماء أو ما نسميه العلوم العصرية ، ومن
كان يظن أن دمشق كان فيها إلى أواخر القرن التاسع أربع مدارس
طبية ومدرسة هندسة ، واشتهر من أبنائها رجال في جميع الفنون ومنهم
من اشتهر واشهره عالمية كابن تيمية ، وهو في الإسلام كاثر ثيروس في النصرانية ،
وامنأرت دمشق بكثرة محدثها كما امتازت بكتاب مؤرخيها ، والعلاقة
بين الحديث والتاريخ معروفة ، خرج منها مؤرخون ومحدثون من العيار
العالي لم تخرج مثلهم مصر ولا غيرها ، خرج منها ابن عساكر وابن خالكان
والذهبي وابن كثير وابن أبي أصيبيعة والصفدي وابن فضل الله العمري
وابن القلاني وغيرهم . وهذا الأخيران كانوا من رجال السياسة ولهم
مكانة عظيمة في دولتي الفاطميين والmailik . وخرج منها شعراء عظاماء

حفظيان الشاغوري وابن حيوس وابن عنبين وأخواهم ، وما خلا عصر من عصورها من شعراء مجيدين ومؤرخين ححقين وأطباء ماهرين ومهندسين بارعين ، وقل "فيهم الفلسفة كما قلوا في مصر . وما خلت دمشق في كل عصر من رجال قولين بالحق من علمائنا يحرثون على الملك ويردونهم إلى صراط الشرع ويضيقون عليهم الخناق في التحديد من الجبائية حتى لا يرهق الناس بأسرافهم ، ومنهم العز بن عبد السلام والنوروي ، وكان السلاطين والولاة ترتفف أعيادهم منها يخشونها كخشبة الله ، ولما مات العز بن عبد السلام قال الملك الظاهر بيبرس : الآن ملكت وفي حياته ما كنته آمن على نفسي لأنه في مسكنه أن يخلعني كل ساعة لما له من منزلة في قلوب الناس . وكثير من العلماء من كانوا يقفون موقف المرشد الناصح مع الملك لا ينتون في الحق ومنهم من رضوا أن يكونوا تحت جناح أرباب السلطان لتسليم لهم مظاهرهم ودنياهم .

وفي العهد الحديث أنشأت دمشق بمعهاً علمياً وجامعة وأصلحت التعليم بكل فروعه وأخذت روحها تسري إلى الديار الشامية كما كانت منذ القدم . وقد أصدر بجمعها وجماعتها ورجال التعليم تأليف عظيبة في الفنون المختلفة ووضعوا الفاظاً لمصطلحات العلوم وادخلوا كتب التدريس في الابتدائي والثانوي في طور جديد لا يقل بمكانته عن كتب مصر . ومن تلاميذ هذه المدارس من تخصص في العلوم اخذوها من فرنسا وسويسرا وبلجيكا والمانيا وإنكلترا والولايات المتحدة وغيرها وانبغت دمشق مئات من الاخصائين ما كان لهم فيها اثر قبل ثلاثة سنين ، وحضرانة العلم ثلاثة سنين كما قال نابغتنا عبد الرحمن الكواكي .

ومن أخلاق الدمشقيين انهم يستسلمون لرؤسائهم على الأكثر ويعطفون على الفقير ويكرمون الغريب ، واحقادهم ضعيفة بالقياس إلى غيرهم من الشعوب ، وسرعان ما يقلدون في اقتباس ما يقربهم من الحضارة ، ويتآذبون مع الكبير وقد يصدرون عن رأيه ، ويحبون الطرف ويفهمون النكهة ولم ينفعوا بباب المزد يد طولى ويوم الجdem من يفاخر بهم ، ولم استعداد

خاص لتلف اللغات الغربية وم شعب اقرب الى الدين منه الى الاحد ،
ويعيش اهل الطبقة الوسطى عيشاً قريباً من عيشة اهل الطبقة العليا . والطبقات
عندم ثلاث لا يكاد احد ابناء طبقة تحدثه نفسه بالتساق الى مساواة واحد
من طبقة اكبر منه . والمواطنون على اختلاف اديانهم يتحابون كما يتحاب
أهل الدين الواحد ، وفي الوطنية كلهم سواء لانخراج الافلية عن رأي الاكثرية .
ويعجبني من دمشق انها تخيل الى اليوم انها في حكم بني أمية مسؤولة
عن كل ما يحدث في العالم العربي اذا نزلت كارثة بسامي الصين كانت في
مدمة من يؤاسفهم وان حل بلاء بابن مراكش ولم تجد اليه يد المونة خجلت
من قصورها ، وهي في الثورة اول من يرفع علمها وفي السلم الكل في الكل ،
فاذا كانت الحال تدعوا الى الوحدة السورية ترفع صوتها اول الصارخين
وفي الدعوة الى الوحدة العربية تنادي اول المنادين وفي الدعوة الى الانحاد
الاسلامي هي أمها وابوها وفي كل دعوة جديدة تتقدم لاتتأخر وتحمل من
الاعباء ما يفوق طاقتها وتقوم بواجبها وبأكثر من واجبها كما كان منها في
الحرب الفلسطينية فاحتضنت اللاجئين اليها من الفلسطينيين كما تحضن ابناءها وبناتها .
هذه دمشق وانا عندنفسي اني ما وصفت الا ما شاهدت وما حدثت
الا بما علمت وقلت فيها ما قلت برأياً من التعصب والعصبية .



اعمال الاداريين

على رجال الادارة توقف سعادة كل بلدة ، وهذا في نظر من ينظرون في الأمور الى أبعد من أنوفهم ويعتقدون أن العناية يجب أن تصرف في الريف كما تصرف في المدن ، والريف مادة المدن وتحسنه كمال النهضة . وما يكتتب له أن هذه الطائفة من الاداريين لا يعرف أكثرها وظيفته ، ولا تخدعه نفسه أن يوجد عملاً يعود بالخير على من يديرون شؤونهم ، ويعذر بعضهم على فتورهم ذلك لأنهم لا يقيمون طويلاً في منصبهم فإذا بدأ الواحد بعمل لا يتسم ويجيء من بعده يخربه على ما جرت به العادة ، والعده من رجال الادارة يتموت أبداً ما بدأوه مثل صديقي مصطفى الشهابي وعارف النكدي فقد بني الأول دار كتب حلب ودار كتب اللاذقية مدة ولايته عليها وأقام الثاني ميتين للذكور والإناث في السويداء في جبل حوران ووقف عليهما أملاكاً بناتها بجدداً هذا الى ما أحياه من وقد الامير السيد في عبيه من عمل لبناء وما بني من المدارس والخوانق والمصانع المال لا يعوزنا وإنما الذي يعوزنا حسن التصرف به ، وتدبيره التدبير أشمر وانفاقه في المنافع والمصالح .

مكتبة جريرا

رأي عادل

عن مناقب العلامة

جاءني وأنا في الوزارة استاذ من جامعة شيكاغو تصحبه قرينته وترجمان مؤمن من أصحابنا فاستقبلته في داري ، وعرفت أنه يقصد من زيارته ارشاده إلى مصادر يأخذ منها مدة لكتاب موضوعه (الانتداب) فقلت له هل اجتمعت الى الامير شكب أرسلان ؟ قال : حاولت ذلك فلم أوفق ، وقيل لي انه شخص لا قيمة له ، فقلت له لقد غشك من قال لك ذلك فان في يد الرجل الذي أسقطوه من نظرك توكيلاً موقعاً عليه من سبعة وثلاثين الف رجل من أبناء سوريا على ما بلغني ، وأنت اذا لم تجتمع اليه ولم تأخذ من أفكاره يصدر كتابك تافهاً ، فشكب أقدر مما كنا على معاناة هذه المسائل . ثم التفت اليه وقلت له : أذكر لك على سبيل النكتة ، ان عالماً كبيراً من علماء الدين عندنا (البطريرك السكندروس طحان) جاءه جماعة من الشبان المنعدين بالسياسة - قبل أن توافي اللجنة الأميركية المعروفة بلجنة كراين أرض سوريا ولبنان تسأل اهلها عن الدولة التي تودان ان تنتدب عليهم - وطلبوه اليه ان يرشدهم الى الدولة التي يختارها لذلك ففكر قليلاً ثم قال : من الطبيعي ان نقول فرنسا ، ولكن لي رأياً خاصاً أرجو ان لا تنشروه عني وهو انه اذا كان الانتداب لاميركا تعلف هي البقرة ونحن نأكل لبنة ، واذا كان لإنكلترا نعلف البقرة ونتقاسم درها معاً ، واذا وسد الانتداب لفرنسا نحن نعلف وهي تتناول خيرها .

فلما سمعت العقيلة قرينة الاستاذ الأميركي كلامي هالت وصفقت كأنها في دار تمثيل وقد أعجبتها القطعة التي مثلت ، وزوجها بالطبع اهتز طرباً ، والتفت اليه وقلت له : اكتب هذه النكتة في كتابك الجديد ولو كلفتي خروجي من الوزارة .

بِقَابِيَ الْطَرْفُ

في مصر والشام بقايا من عادات الطرق هي مجموعة بدع مقونة تراكمت بفعل قرون الجهالة وعدها الجاهلون من الدين ، وكانت الاناضول مهد الطريقة المولوية انتشرت قرونًا في أرجائها على العهد العثماني فلما أبطلها الكماليون مع ما أبطلوا من الطرق عد العقلاء ذلك من حسناتهم . ييد ان هذه الطريقة مازالت قائمة خارج الجمهورية التركية وطريقتها عبارة عن رفع وتواجد وغناء ونادي ونقارات الى أمور ينكرها الشرع يأتونها في مجالهم بل في مراقصهم .

ومن الظريف اني ما سألت فقيهاً عن حكم هذه البدع الا انكرها وطلب المداية لمن يمارسونها فاذا قلت له فلماذا لا تتجهز بانكارها زاغ مني وولي ، كان انفاذ أحكام الشرع بما لا يدخل في برنامج المشائخ ، ودب هؤلاء فقط أن ينافقو من يخالفون ومن لا يخالفون .

مسكين شرع محمد بن عبد الله يبعث به عليناً في أرقى بلاد المسلمين أمام من وكل إليهم بحسب الظاهر القيام على خدمته لا يتكلمون ولا ينصحون ، والبدع تنخر العقول وتنحر الأرواح ولا تجد لها ولباً مرشدآ .

سليمان مطرف

الفقراء وكسوة حرام

من اجمل ماقام به الكماليون خلفاء العثمانيين الاتراك من ضروب الاصلاح سوق كل من يدعى العلم من ارباب العالم الى دخول الامتحان يتميز الجاهل من العالم . وقد وسدوا للعلميين المناصب الدينية وساقوا الجاهلين الى الاعمال الصناعية والزراعية ، وحذروا عليهم طلب العيش من طريق لم يخلقوا للسير فيها . وقام البهلويون مثل ذلك في فارس وعززوا من ارتكضوا علمهم في ناحية لا يتعدونها لينقرضوا مع الزمن . وكان لهذه الطغمة في ايران وتركيا مواسم في الدجل والشعوذة تذكر فلا تذكر . والظاهر أن الشام تعذر عليها سوق دجاجلة الدين الى الفحص فرأت أن تخصل العلماء الحقيقةين بزي خاص فصعب عليها أيضاً انفاذ ما ارتأت ، ذلك لأن حكومتنا تحاول ارضاء كل الناس وبهذا الاسلوب يستحيل قيام الاصلاح .

وما برجت فوق كسوة الرؤوس مائلاً في أرضنا وكلها لا تناسب اجوانا في صيفها وشتائها ، فمن طربوش الى بيروه الى قاليق الى سداره الى كوفية بعقال وكوفية لاعقال لها الى قبعة الى عمامة بيضاء او خضراء او سوداء الى عمامة مزركشة (أغباني) الى غير ذلك من الكساوي المضحكة .

اصلاح كسوة الرأس واجبة والواجب قبلها اصلاح الرؤوس ، وذلك يكون بعزل الجهلاء عن العلماء ، والتتوسيع على طلاب العلم وتتوسيط المناصب الى ارباب الكفاءة والنزاهة ، وحرمان الجهلاء من اوقاف الجوامع والمدارس ، وترفيه ارباب الوظائف الذين يقيسون الشعائر بالفعل ، وحبس اموال الاوقاف عن الجهلة الذين لاحقة لهم الا ان يأكلوا ويشربوا على حساب قدماء المسلمين بلا عمل يقومون به ولا مزية ظاهرة يمتازون بها . ولو فتشت اوقاف المسلمين في كل صفع اسلامي لشوهد الاسراف في امتناع الجهلة بأموالها ولتوفر من ذلك اموال كان الأجدر بها ان تتفق على التعليم لا على من كان وجودهم ضرراً كله على اهل الاسلام .

السواند الـ عـظـمـ

زرت بعض السنين مع اصدقائي امير الشعراء احمد شوقي والاسنادين
احمد فهبي العمروسي وعارف النكدي ضريح امير الغرب الامير جمال الدين
عبد الله التونسي في عبيه من قرى لبنان فأثرت هذه الزيارة في نفسي
واذكرني هذا القبر والراقد فيه اموراً ذهب اخيال في تأويلها كل مذهب .
ذكرت كيف يخرج العصر بعد العصر من كل بيته ومن كل نحلة نوابغ ما كان
يتوقع ظهور أمثالهم في بقعة خيبة وفي قرن مظلم . وذكرت كيف ينشأ
الاتقياء الصالحون في قوم يستغرب قيام رجال منهم يصفي النفوس من
كتافاتها ويحبب الى من يستمعون اليه الخير ويبغض اليهم الشر .

نشأ الامير السيد (٨٨٤) - وهذا لقبه الذي كان يلقب به - في بيت
بجد واماارة ، وأبىت نفسه العظيمة الا ان يجمع الى الامارة علماء ، فجاء مرشدًا
دينياً وأميرًا سياسياً معاً . كان أجداده قبلوا الدعوة الفاطمية التي حل
القائلون بها لما جلوا عن مصر الى الشام ، في لبنان الغربي ولبنان الشرقي ،
وظل أهل بيته على طول عهد الدعوة الاولى يتطلعون الى الاصل الذي
صدروا عنه تطلع صدق وففة (ج ٢ ص ٥٩٤ من المذكرات) . ولم يقف
السيد عند حد الاخذ عن من يسهل التخرج بهم من اهله وجيرانه ، ورجل اى
دمشق يتخرج بعلمهها في علوم الادب واللغة والتفسير والحديث والاصول ،
وحفظ القرآن وكتب فيه تفسيراً ، ودرس في الجامع الأموي مدة . وكانت
له مواقف غضبت عليه دمشق في بعضها فعاد الى مسقط رأسه وما لم يجعل
الى بث تعاليمه في بلده على ما تحدثه نفسه عاد الى البلد الذي فقهه وأدبها .
وكان الامير السيد يحرص على ارجاع قومه الى السنة ويحضهم على تلاوة
القرآن وحفظه ووقف لذلك وفقناً عظيمًا يصرف ريعه في تحقيق هذه الأمانة .
وقال من ترجموا له انه كان محباً لابناء وطنه حسناً اليهم من غير تفريق

بين الاديان والمذاهب وقد اخترع لنفسه جماعة من النصارى في بلادته عبيه وأوحي لأحدهم وصيحة الرجل لذويه بما لا يفعله رجل دين من أي ملة كان في عصرنا فضلاً عن عصر الامير .

كان يقيم العدل بين الاهلين وينصر المظلوم ، ويصر المساجد وينهى عن تعاطي المسكرات . ودأب على وعظ الناس في المجالس الحاشية وكثيراً ما كان يطوف قرى الجبل ينشيء المدارس والجوامع ويؤسس أمور المداية إلى نهائ تلاميذه ، وكان لا يتناول من طعام ذوي قرباه ولا يستصحب جزائهم ، حفافة أن يكون دخل في ثنه شيء من مال السلطان وفي مال السلطان شبهة حرام ، وكان ينيل إلى السذاجة في طعامه ولباسه وينفع في قومه روح التجدد ويبعدهم عن التعصب ويحثهم على التمسك بالدين الصحيح ويدعو إلى محاربة البدع والخرافات التي نشأت من الجهل وفساد السياسة ، وما كان يتقيد إلا بالنص الصريح لها ورد في كلام الله إلى غير ذلك من صفات العلماء العاملين .

مشهود

الرستماني البريطاني

منذ صدور وعد بلفور (١٩١٧) بفتح الصهيونيين حق تأسيس الوطن القومي في فلسطين واليهود يبنّاعون فيها الأراضي ويقيّمون الحصون وبنشئون المستعمرات . وانكلترا وهي المشهورة بدقة استخباراتها تتجاهل ما يجدهن الصهيونيون . وتخلت انكلترا عن انتدابها عن فلسطين وتركت العرب يتخطبون مع الصهيونيين وكانت تخلت عن الهند في السنة الماضية وخرجت من أكثر مستعمراتها مثل بورما وسيلان وكندا وجنوبي إفريقيا اي ان بريطانيا تنازلت طوعاً او كرهاً عن معظم مستعمراتها ، وكان علّها قبل سنة يوفّر على خمس سكان العالم . ولو لا تعاهدها مع الولايات المتحدة واعطف هذه عليها للروابط الكثيرة التي بينهما لاختارت دولة بريطانيا العظمى من الدول الصغرى .

اذكرني حال انكلترا اليوم والخلال امبراطوريتها على اهون سبب بما كنت قرأتة لأحد عظاء مؤرخيها من ان بريطانيا كانت تحسن لنفسها لو لم تزوج شعبها في الاستعمار ، وكانت تحقن ما أهرقته من دماء ابنائها في هذه الغاية لو انها عمدت الى ابتياع ماتحتاجه من المواد الاولية بماها وكانت اكتسبت حب الامم كلها . ولكن هذا الرأي السديد كان يوم صرح به مؤرخهم من الآراء التي يستهزأ بها وكان كل انكليزي يحرض يومئذ على بقاء العلم البريطاني خفاقاً على ارجاء الهند ليغتنى منها ابناء الجزر البريطانية وقد حققت انكلترا ما طمحت اليه من ذلك .

ولا يسع المنصف الا ان يقول ان انكلترا في حرصها على استعمار الاقطاع كانت عاقلة وكذلك كانت يوم تخلت عنها وربطتها بنظام الدومنيون ، ولكل وقت حكمه واكل جيل سباسته . وانكلترا التي حازت الشرف الاعظم ببطل الرقيق من العالم وكانت اول من نادى من الدول بتقييده

وافتت باديء بدء عشرات الملايين من الجنسيات لهذا الفرض الشريف
لابليق بها استعباد قسم عظيم من البشر الى الأبد . واذا حدقنا النظر
في الاقطار التي حكمتها مدة نجدها ولا نكران للحق قد نهض بها
وما اصرتها ووضعت لها أسس حضارتها وعلمتها حتى الدعوة لقوميتها والولوع
بلقتها خلافا لسائر الدول ماعدا الولايات المتحدة .

ذكرى العظام

الامة الاسلامية من اكثرا الامم قصوراً في الاشادة بالجده العظيم الذي
خلفه لها عظماء رجالها في السياسة والعلم . وما كان ذلك الا للجبل الطارىء
بعد القرن الخامس وتسلسله في آبائنا قروننا لم نسلم من عقابيه الى اليوم .
امة خدمها بروحه، وجسمه مثل ابي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد
وعمر بن العاص ومعاوية ومروان وعبد الملك وسلمان والوليد وعمربن
عبد العزيز وهشام ومسامة وعشرات من رجال بني أمية وقوادهم خلائق
بها ان تردد ذكراتهم في كل سى ومصب .

وامة قام فيها ملكان عقمت الأيام ان تلد مثلها وهم نور الدين
وصلاح الدين ، ولو لاجهوا لقضى الصليبيون على الاسلام وحلوا محلنا في الحرمين
الشريفين ، من فروض العين على كل مسلم ان يعلم اولاده تقديسها كما
يعلمون سورة الصلاة .

وامة أنشأت من الخلفاء المنصور والرشيد والأموي وطائفة من الملوك
والامراء ما اشتهروا بغير السعي لسعادتها حري بابنائها ان تذكرهم
ولا تنسام على الدهر .

مثلنا بهؤلاء الأفراد ويتحقق بهم عشرات ليسوا دونهم بغيرتهم على امتهن ،
واذا جئناا ننظر في طبقات علمائنا نظرنا نظر بنات يحب علينا اعظمهم وتردده
أفضلهم علينا وعلى العلم في كل شارقة وبارقة ، ولم تخلي ارض حل فيها

العرب من عالم واديب ، فتحوا لنا باباً لهم الكريمة مغالق الحضارة فاصبوا
أهل الاسلام سادتها وسدتها في الارض .
وبعد فان من الواجب قلب تاريخنا رأساً على عقب وان يعهد بكلبه
إلى عقول نافعة نقادة . فالتاريخ القديم دوته اصحابه بقدر ما كان لعصورهم
من معرفة والتاريخ الحديث كتب جزء منه وهو المهم مستمدأ من آراء الغرباء
وقد يكونون من اعدائنا الذين يتبعدون الله ببغضه العرب وبنبيهم وشروعه

يسرقون ولا يدرؤون

كم في الناس وهم في ظاهرهم من أهل الكمال يسرقون ولا يدرؤون ان
ما يأتون هو السرقة بعينها . وكم فيهم من يسرقون ويغتلون أنفسهم بلا علم
بان ما يرتكبونه لا ينافي الكرامة ولا ينابذ التقوى . كان لي صديق في احدى
دور الكتب العامة وكل اليه أمر افتقاء المخطوطات فكان اذا جاءه من يريد
بيع مخطوطة يستأذن صاحب الكتاب ليقيمه عنده ليلة ينظر فيه ثم يسارع
فيدفعه الى المصوّر يصوّره له بالاسود على الابيض ومن الغد يبدأ الشاري
بساقم البائع على الكتاب فيدفع فيه الثمن الذي عينه له فإذا أبي البائع
أن ينزل عن المخطوط بالثمن المدفوع ادعى الشاري ان لهذا الكتاب نسخة
في احدى الخزان وانه يعرف أخرى مصورة بالتصوير الشمسي ، وبهذه الحيلة
يأخذ المخطوط بالثمن الذي يروقه ، يسرق عامداً معتمدأ خدمة للخزانة ،
والخزانة ملك الدولة والدولة لا تعطيه مكافأة اذا هو اقصد من موازنتها
على هذا الوجه . ومعنى كل هذا ان صاحبنا يتحيل لأخذ كل كتاب بالقبة
المينة وليس له في ذلك أقل حق .

ومنهم من يسرق ويفتي نفسه بحمل سرقته كأن يأخذ من القوة الكهربائية
في بلده مثلاً وذلك بان يضع سلكاً في الجدار الموصل الى منبع القوة
ويحاول الاستباح منها فإذا قلت له انك يا هذا تسرق الشركة بما لا يجوز
لك اجابك ليست الشركة تسرق ماء نهرنا ، فانا آخذ من حقنا ؟ فإذا فلت

ل لا يجوز سرقة السارق قال لك : اتركها الله ، وهكذا أكثر السارقون من سرقة شركة الكهرباء بلا نكير ، أما سرقة التجار من الجمارك وتهريب بضائعهم بلا رسم ، مقابل جعل يجتازونه للعامل الصغير فهي مما عمت به البلوى وبشتك فيه أهل المتاجر الاتقياء الا من حماه الله من طعنة الحرام ، وكاهم مواطنون على استحلال مال الدولة بما يجوزون لأنفسهم ، يفتاتون على العقل والشرع ويتناهون سوء أثر عملهم الآخر .

حكمة حكيم

ابن الأثير في معجم العادات ١٩

حدثني ثقة عليم قال : كان في بعض بلاد الشام رجل يدعى في الطبقة الأولى من الأغنياء ، وكان بخيلاً جداً حتى ليضرب المثل بيخله ، مرض مرضاً أعجز نطم الأطباء شفاءه ، وكان ذلك أيام الحرب العالمية الأولى ، فوصف له طيب الماني كان ينزل حلب زعموا أنه يشفي من جميع الأمراض ، فوقع في نفسه أن يرحل إليه يستطبه .

وكان الطيب عندما استأنفه في نزول الثري عليه سأله العارفين عن ثروته فعدوها له بأعيانها فوعدها بذلك فلما اجتمع إلى الغني المريض سأله عن أملاكه وذكرها هو له واحداً واحداً ، فائلاً له ألسنت ملك القرية الفلانية والسوق الفلانية والحمام الفلاني والحي الفلانى ودخل ذلك عظيم جداً وتعذر أثني غني في بلدك ، ثم قال : أما وأنت ملك كل هذا فما هي صدقائك على القراء فأجابه : أنا كل سبعة نوزع عليهم من مائتين إلى ثلاثة قرش ، فقال له الطيب : وهل هذا كل ما تسمع به نفسك ؟ ألم تمر جاماً ألم تنشيء مدرسة ألم تعلم أطفالاً على نفقتك ؟ فكان جوابه سلباً بالطبع . فقال الألماني ما دمت على هذا الشع لابنفع أحد من حياتك فالموت أولى بك وأنا لا أطبق ، فرجع البائس الثري خجلان إلى بلده .

وهذا من أبلغ ما سمعت من حكمة ، لو صارع علاء الناس الأغنياء هذه المصارحة لاستلوا منهم أموالاً ينفقونها في أغاثة البائسين ، وتعليم الجاهلين ومداواة المعلولين .

وَقْتَةُ سُوداً

في العادة أن تقدس المجالس النيابية لأن في احترامها احترام من تعلم
من أبناء الأمة ، حدث أن غلت الحدة على حزبين حزب الأقلية وحزب
الأكثرية في مجلس نواب سوريا فتلسان المخالفون أولاً ولم يشف ما
الا الشائم المقدعة ثم التضارب بالأكف والكراسي . دعا الى الخصم مخالف
في مسألة دستورية اجتهد فيها الأكثرية فما أعجب الأقلية اجتهدوا . تجري
في بعض مجالس النواب ببلاد الغرب ملائكة وقد يتشارم المخاضون ،
ولكن لا بهذه البداءات . نحن مبتدئون بالحياة النيابية وإذا أعزنا العلم
بما يرجى منه النهوض بالوطن فيجب الا تقوتنا معرفة الأصول من الأخلاق .

أَفْرَقَ الْمَرْبِينَ

حمل من أرض العرب الى بلاد الترك طفلاً فنشأ نشأة تركية واقتبس
أخلاق من عاش بينهم وسرى على طرائقهم ، ودعا الى قوميتهم ولغتهم ،
وعاد الى مسقط رأسه وهو في الكهولة أعمج طمطم لا يعرف العربية
ولا تثقف بثقافة الاسلام ، وقصاراه ان ينقل عن احدى لغات الافرنج في
الموضوع الذي تحض له نقلًا لا تعرف مبلغه من الصحة .

ولقد حاول أن يتعلم في سن متاخرة ما كان عليه ان يتعلم في الصبا
فما افلح ، وكان لسان حاله انا شخص ولا كالأشخاص ، والعارفون كلهم
دوني ، ولما أيس من الظهور من طريق العلم لم ير أحسن من أن ينتقض أهل
الفضل ويبعدهم جده عن الحظيرة التي لا يريد ان يشركها احد فيها ، وساعدوه
الحظ لأول أمره ان كان له انصار اكثراهم من الذين ما كان من مطعم لهم
في الالتفاف حوله الا معاونته على ديناهم ، فهياوا له دعاية واسعة النطاق
خدع بها من خدع ، واقتتنع بصحتها من اقتتنع ، وبها وصل الى رياسات كان

جماع رأس مالها دعاءيات ، فظهر بعد حين عواره وانخذ حيث حلّ يغزو ثم
تقال عنتره ، ثم يغزو ثم يُقال ، ثم غز عنترة كان فيها سقوطه على ابشع صور
السقوط ، وما كان السبب فيها الا تدخله فيها لا يعنيه وادعاؤه معرفة ما يجهل ،
فخلط فيها لاتؤمن مغبة التجربة فيه ، مزهواً بتصفيق بعض ضعاف العقول
له ، وخرج عن منطق الاشياء فضل ، وما كان من توهם انهم اعوانه الا ان
ثاروا عليه ثورته على النظام .

شهرة تقوم على الدعاية المصطنعة ويفذيا النيل من مكانة اصحاب
المكانات ، ودعوى عريضة لا يتجاهر بتصديقها الا من اضطرهم الزمن الى ان
يكونوا مرؤوسه لا يصارحونه بما يجب وينفعونه كاغشيم . هذا نوذج
من أخلاق بعض المربين وما هي الا أخلاق خابط أخذ من صنوف الجندي لم
يدرس في مدرسة ما يلزمـه في صناعته فجاء أقرب الى الجهل منه الى العلم .

حظ الكتاب العربي

الكتاب العربي اتعس كتاب في العالم حظاً اذا اعتبرنا ما خليه الامة العربية
 فهو كاسد في بلده وكاسد في ارجاء العالم ينظر اليه بأنه شيء عادي كما ينظر
إلى الأدوات التي يستغني عنها في البيوت .

الكتاب العربي مقصود النفع على فئة قليلة من الامة ما كتب له رواج
ذات يوم ، واصابه قليل من الانتشار مؤخراً وظهوره بالقياس الى ظهوره
في امة غربية لا يعد شيئاً اي ان ما ينفق في كل من سويسرا والبلجيك
وهو لاند والدانمرك والسويد والنرويج لا يوازي ماتنفقه امة لا يقل سكانها
عن ثمانين مليوناً ومعهم اهل الاسلام والفتاة المستينة منهم يقرؤن العربية ايضاً
والسبب في هذا التأخر ان امر الكتب عندنا متترك للطبيعة لا تروج
له الحكومات ولا الجامعات ولا الشركات على خلاف ما يفعله اهل الغرب

ولا سيما الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى ، ومن مجلة ترويجهم للكتب ان يجعلوا خزائن من الاسفار تطوف القرى وتغير كل طالب ما يستقىد من اسفارها ، ومن دولهم من يطبع مقادير عظيمة من الكتب يحفظها في المستودعات ليوزعها على من يطلبها من الامم الضعيفة ولا سيما على المالك التي تهدمت بفعل الحربين الماضيتين وبذلك اعادوا بعض خزائن تلك الاقطار رونقاها السالف ، ومن هنا ، وامال لا يعوزنا ، ابتاع مقداراً كبيراً من الكتب وجعلها في الخزائن الكبرى او اسس لها خزائن جديدة في الامصار التي هي في اشد العطش للقراءة . واي حكومة من حكوماتنا وزعت على الطلاب المدنيين والريفيين كتاباً يتلقفون بها .

وما برح الكتاب بضاعة مهملة لا تتناولها الا ايد قليلة جداً ، ولا يصل صوتها الى غير الخاصة او من هم في غيبة عنها . كثرة المثقفون بثقافة العصر في بعض الاقطار العربية ولكنكم يبلغ عددهم يا ترى بالقياس الى السواد الاعظم وكم عدد من يتناول الكتب منهم ويدفع ثمنها طيبة نفسه (١) ، وكم جمع منهم مجموعة حسنة ينزع اليها آونة الفراغ .

ولذلك كان الكتاب العربي سيء الطالع جداً وعلى نسبة رواجه تشهد حال المؤلفين الذين يتوكرون بما يكتبون نشر العلوم والأداب لانشر الروايات والقصص السافطة والأداب المكسوقة والأدب الرخيص في المجالات التي كانت تقضي على الكتاب بما تحمل لل العامة من مغريات تهيج بها الشهوات وما يبعث أحياناً بالأدب .

(١) لما تولينا طبع كتبنا في العهد الاخير على حسابنا ، أقللنا من المدaiا ورأينا بعدهم وهم من أرباب الصحة والثقافة وقد يدعون صحتنا يتطلبون أن نهدي اليهم وقال بعضهم ان قبل له اتبع لك نسخة من المذكرات ، اني لا مال لدى ، أعيروني نسخة وأعيدها اليكم ! ومن الغريب أن ورافق دينياً استلف بعض نسخ دون أن يدفع ثمنها وأطلقتها للإعارة بأجر لأن الكتب العلمية بعض قصص الظاهر وعنترة . وطلب بعض من كان مظيرم علينا ولم مال أن يحسم له شيء من نسخة يقتنيها والا فهو يستعيرها من دار الكتب ويستغني عن الثراء . بهذه المقاييس المنحطة نزيد أن تكون أمة رشيدة .

الفقى فى مصر

ذكرت بعض الصحف المصرية ان بدر اوى باشا من اعيان الغربية ابتعث مؤخراً (١١٠٠) فدان بنصف مليون جنيه دفع ثنبا دفعة واحدة فاصبح ماله نحو عشرين الف فدان . وقالوا فيه انه متدين لا يجب ان يأكل الربا ويضع امواله في المصارف بالامانة مع انه يجوز في بعض المذاهبأخذ فائدة الاموال لتصرف في الفقراء . ولا اعرف مبلغ ما يعطي هذا الموسر للقراء وغاية ما اعرفت ان عبود باشا وهو قرينه في الثروة اذا طلب منه ألف اعطى ألفين وذلك لانه من اصله مثقف ، هو مهندس وعقل المهندسين متسعه اكثر من عقول الفلاحين .

يجاد عليكم بأموالكم وتعطون من مئة واحداً

قلت غير مررة ان مسألة تضخم ثروة الاغنياء في مصر ليس لها الا سن قوانين تخفف الشر ، فلو سن مثلا قانون لا يجوز لأحد ان يملك اكثر من الف فدان وينزل عن الباقى للدولة توزعه على الفلاحين والا بذلك بعد ذلك مالك اكثر من مائة فدان لجرى التعديل في الثروات ودخلت في طور معقول ولا علاج للحالة الاقتصادية الحاضرة الا ببطال الملكيات الكبيرة وتكتير الملكيات الصغيرة

عمادات البيوت

اراد الجمع اللغوي المصري ان ينتخب عضواً في مجلسه عن فلسطين وكانت الانظار متوجهة الى اختيار افضل ادبائها الاستاذ محمد اسعاف التاشيبي وجرى الانتخاب ففاز بالاغلبية خمس مرات ولكن الدسائس التي حاكها اعداء العضو الفائز انتهت باختيار عضو آخر . فكان من ذلك ان تأثر المرشح الاصلي عادةً ما وقع ثلماً لشرفه ، وافتئاناً على مكانته ، فقضى بالسكتة القلبية شهيداً من دأبوا على حرب من يسوعهم تفوق احد بالعلم عليهم وهم لا يعلمون لهم ، اما العبرة بما جرى فهو الاسف ان تتسرب الاهواء الى العلماء في مجمع فؤاد الأول .

الرثوة والتنسيق

قال عمر رضي الله عنه : لا تولوا اليهود والنصارى فانهم يقبلون الرّضا ولا تحمل في دين الله الرّضا ، قال الشهيدي : فاصحابنا اليوم أقبل للرّضا منهم !

رأىت الحكومة المصرية ان تن曦ق موظفيها اي ترقى درجاتهم فألفت في كل وزارة لجنة تنظر في امرهم وما هي الا ايام حتى ظهر ان بعض اللجان اتفقت مع من يُراد ترقيتهم على مال معين تقتضيه منهم يوم يصلون الى ما يطمعون فيه من الدرجات . وقد قال اناس من يدركون ما يؤذدي اليه هذا العبث من الفساد في جسم الدولة ان لصغار الموظفين بعض العذر في ارتکاب ما يرتكبون لأن رواتبهم ضئيلة لاتكفيهم في هذا الغلاء المرهق . وعندى ان الدواء الناجع في هذه السبيل هو تنفيذ القوانين على الكبير

والصغير واجراء حكم الترغيب والترهيب على ما يجب فان تضخم الموازنة المصرية بالرواتب وانفاق الجانب الاعظم منها على المستخدمين كان يمكن تلافيه لو لم يفتح الباب على مصراعيه في التوظيف والارضاء كما حصل في سوريا ولبنان

والعقلاء اليوم على ان نصف هؤلاء الموظفين يكفون لادارة مصر . وقد اشرنا في هذه المذكرات غير مررة الى هذا الاصلاح الواجب والى ابقاء الاسراف فيها لا يفيد وما زلت اقول ان عشرة موظفين موسع عليهم اتصفوا بالمؤهلات اللازمة يجرون عن خمسين موظفاً لا كفاءة لهم . ومن اعظم الفضائح في مصر وغير مصر ان كل حزب يستلم الحكم يأتي بالقدر الاعظم من جماعته ولو كانوا من عيار رديء لامزية لهم الا انهم صفقوا له وسعوا الى انجاحه سواء كانوا من الكفاءة بحيث يحسنون عملهم ام ضعافاً فيه ، ومن اسباب ذلك ايضاً ان السياسة والادارة شيء واحد في نظر الحكومات وكان الاولى فصلها فيتولى الادارة من ليس للسياسة سلطان عليه وبذلك تسير البلدان نحو الاصلاح . وآية كل ذلك ان تجري العقوبات والكافئات في نطاق العقل والقانون ابداً



نحو العادات

لأنهم إن كانت أوربا كلها تجري على مثال فرنسا في التنشئة بوجالما في كل فرصة ، وتحتفظ باعيادهم ولاداتهم وفياتهم ومواسيتهم ، وتغلو في إيراد مناقبهم بل في اختلاق مناقب ما كانت يوماً لهم . فأهل الأدب يختلفون بجماعتهم وأهل العلم بعلمائهم وأهل الحرب بقوادهم وأهل الدين بدعاؤه دينهم وقدسيتهم وأرباب السياسة بساستهم . ولا تخلو فرنسا يوماً من تذكر الموتى ، والاشادة بهم ورفع اقدارهم ، وهذا بالضرورة يستلزم الاعتكاف بكسوات تناسب المقام وبزات جديدة تلتئم مع الحفل وتستدعي أيضاً حرف وقت في الكتابة والخطابة . ويريدون من ذلك إلا ينسوا رجالهم وإن يرددوا على الدوام ذكر أسمائهم ، وهم أبداً يتنقلون من عيد إلى عيد ومن حفلة إلى أخرى ، كأن القوم خلقوا للتشريفات واجراء المراسم لا يهتم غيرها ببالعون في ذلك ويحاولون أن يعدوا لكل جلسة عدتها ، ولكل حفلة تقليده ، وما اظن عاقلاً ينفعهم على ما ابتلوا به من هذه العادات الثقيلة الوطأة وانتقلت هذه المصطلحات إلى بعض نصارى الشرق ولاسيما من روسيا في مدارس المبشرين فأخذوا يغالون في كل من امتاز عن أهله وجيشه بشيء من المعرفة الضئيلة وكل من يمتهن عندهم من هذا القبيل هم في الذروة من الفضل والنبل وهم من اعظم المعاصرين وأفضل العارفين حتى دخلت المسائل عندهم في طور من الدجل عجيب . وكل من يعوت عندهم يجب تأييه وإيراد صفات له ما كان يعرفها أو يعرفها له عاقل ، ولطاماً رأيتم يَرثُونُ الإيمان والجهل ويصفونها بالعلم والعمل كما شهدهم يشهدون للصلوة بالعظمة والسارق بالنزاهة يكبرون من يرونون تكبيرهم كأنهم يعتقدون أن بالغلو في وصفهم يرضونهم ، وان من السهل الكذب على التاريخ والتمويه في كل شيء والتدجيل في كل موضوع يجعون الرؤوس بما يكتبون في الصحف والنشرات

وأحياناً يضعون من الكتب المطولة فيمن يعتقدون أنهم آية في تقدمهم في صناعتهم
وكم نثروا من هذا السخف ما هو عار وسبة على قائله وكاتبه وناشره . وقد
رأيت بعض مجلاتهم ولاسيما « المشرق » وهو بوق تبشير وصحيفة دعائية
دأب على الخط من كل دين غير دين المسيح وقد دأبت هذه الصحيفة على هذه
الخطة تدون من هذه البضاعة الرخيصة كل سخيف من أعمال رجالهم حتى
ليخيل للمغزور ان رجال طائفتهم كلهم فضلاء ونبلاء ، وليس بعد هذا
ضعف عقل .

أما المسلمين على الأكثـر فانتهـجوا نهجـا آخرـ يصـمون رـجالـهم بـكـلـ نقـيـعةـ
ويختـرون لهم مـساـوىـ، ليـسـ فيـهـمـ فـاـذاـ ماـتـواـ سـكـوتـاـ بـعـضـ السـكـوتـ عنـهـمـ
وـلـاـ يـتـنـاـولـونـ بـالـقـمـةـ وـالـلـعـنـةـ الـاـ عـظـاءـهـمـ فـيـ حـيـاتـهـمـ فـاـ اـكـبـرـ الفـرقـ بـيـنـ
المـغـالـيـنـ وـاـضـادـهـمـ . المسلمينـ يـتوـخـونـ انـ يـكـوـنـ منـ يـحـوزـونـ رـخـاهـمـ بـدـوـنـ
عيـوبـ وـمـاـ عـبـدـ انـ اـجـعـ قـوـمـ عـلـىـ تـقـرـيـظـ رـجـلـ خـصـوصـاـ مـنـ تـوـلـوـاـ الـامـورـ
الـعـامـةـ . وـرـأـيـناـ بـعـضـ مـنـ قـصـدـواـ إـلـىـ تـرـجـمـةـ النـاسـ مـنـ التـأـخـرـيـنـ
يـدـهـنـوـنـ لـكـلـ وـاحـدـ وـلـكـنـ عـلـىـ مـنـ جـازـتـ أـقـوـاـهـمـ الـمـلـفـقـةـ ؟ وـهـلـ سـلـتـ
شـهـادـاتـهـمـ الـمـزـوـرـةـ اـمـامـ قـضاـةـ الـعـدـلـ وـنـقـادـ الرـجـالـ ؟ وـهـلـ اـشـتـهـرـ مـنـ الصـفـوـاـ
بـهـمـ صـفـاتـ لـيـسـ فـيـهـمـ كـمـ اـشـتـهـرـ مـنـ عـدـواـ بـحـسـبـ الـظـاهـرـ فـيـ عـصـرـهـمـ منـ
الـحـامـلـيـنـ وـلـمـ يـرـزـقـواـ مـاـ يـسـتـحـقـونـ مـنـ شـهـرـةـ ؟ لـاـ يـثـبـتـ الـصـحـيـحـ وـالـكـذـبـ
وـالـزـورـ اـذـاـ اـنـطـلـيـاـ عـلـىـ ضـعـافـ الـعـقـولـ مـرـةـ يـنـتـلـانـ بـعـدـ حـيـنـ فـيـبـدـوـ صـاحـبـهاـ
بـاـ فـيـهـ مـنـ عـيـوبـ فـاضـحةـ .

المؤلفون السارقون

ويتساءل القارئ، اللبيب عما عَنِتْ له هنا فائلاً وهل في المؤلفين من يسرق ، والمؤلفون صفوة الخلق ومقام التأليف فوق كل مقام . نعم في المؤلفين سارقون ويسرقون بقحة وسلطنة كما كان على الدهر العالمون والباهلوان والصالحون والطاحلون .

امتنعت بطاقة من ادعية التأليف يتم جمون على ما لا يعلمون ويسلكون الى ترويج بضاعتهم مسالك لا يستجيزها لنفسه شريف ، لا يقصدون بها الا ان يتربخوا بما ينشرون ، ويتمجدوا امام الجهلة . ومن هؤلاء المؤلفين من يسعثون العتاب لانبه على شيء من الفضل وذنبهم اعظم من ذنب الجهلاء من يغافون مراعاة المصطلح عليه في النقل والاحتذاء . ومنهم من نشر في الادب كتابين استصفيا بعض ماقلته واستشهدت به في (رسائل البلفاء) و (امراء البيان) فاخذا من النصوص ومن اقوالي اشياء وقال لي احدهما انه اخذ مني اشياء ولم يذكر اسمي فقلت له : عجيب ! وهل اسمي مما يتقرز منه ، والامانة تقضي بعزو القول لقائله . وكان هذين الاديبين خشيا اذا اشارا الى مصادرهما ان يزيدا في شهرتي وشهرة كتبى او ان مثلها في ادبها لا يجوز ان ينقل كلام معاصر الا اذا مات .

ولما كان معظم المؤلفين عندنا قد خرجوا من صفوف المعلمين ، وملئوا الصبيان متهمون منذ القديم بضيق العطن ، عفوت عن هذين السارقين ونجوزت فالحقتها بين سرقوا بعض الموضوعات التي عالجتها او استشهدت فيها بأمثلة انفقت في جلبها وقتاً ومالاً .

ان هؤالك المتهالكين على الشهرة وهم متصرفون بهذه الصفات في غمض حق الغير لن يوصلهم الى ما يشتتهن ، وما داموا لا يقصدون من تأليفهم الانفع انفسهم فانا ابشرهم بأنه لا يبقى لهم من مجد الا ما ربحوه من تصفيق تلاميذهم ان كان هذا بعد مجداً .

ومناك فة حشرت نفسها حشراً في المؤلفين تستطيع ان تقبض عليها في حالة الجرم المشهود كل ساعة على نحو ما كان من مؤلف لبنياني عاش زمناً في انتقال صفحات طويلة من كتبى وما اكتفى بذلك حتى سألني ذات يوم عن رأيي في تأليفه بلا حباء فادعى له انى ماقرأتها . ومنهم من ينقل الشواهد التي آتى بها وهم في الواقع ما اطلعوا على الكتب التي نقلت عنها وقد تكون من المخطوطات النادرة لا تصل اليها كل يد . ومنهم من يسرق الفكر ويصوغه في القالب الذي يقدره ويدعى انه من بنات أفكاره كبعض المصريين . وهذا من الصعب مقاضاة صاحبه لانه يزعم ان ذلك كان من باب توارد الحواظر . ومنهم من يذكر ثبت الكتب التي رجع اليها وهو ما رأى الا بعضها . ومنهم من يأخذ عباراتي بلفظها ومعناها يشير الى أنه أخذ عن غيري ، وعرف المؤلفين المذكورين كما عرفتهم الى غير ذلك . وهذا من اخلاق بعض المربيين ايضاً فتأمل كيف تكون أخلاق من يربونهم

عمى الماءيات

لأحد الأغنياء مزرعة تناخم بعض حقوقها مقبرة الفلاحين حدثته نفسه ان يستصفىها ليضمنها الى أرضه فاوعز الى حرائمه ان يقلبوا القبور فخرجت جاجم الموتى فصار يدحرجها برجله بقصوة قلب ويقول : يا طالما سرقتم لما كنتم في عام الاحياء . وهم ما سرقوا الا ما يسد جوعهم وغيرهم سرقوا وزوروا دم في غير حاجة انى ذلك . فاطلع اهل القرية على الامر وجاؤه وشتموه واهانوه فاحدب ان ينتقم منهم ويقدم عليهم شكوى الا ان مختار القرية سبق واطلع ارباب الشأن على ماتراه ذلك الملك فصدر الامر الى الجهات المختصة ان لا تسمع له شكوى فلم يسمعه الا ان صالح المختار واهل القرية ونجا . هذا الرجل على ذكائه تقدم في انتخابات مجلس النواب مررة فاخفق اخفافاً مزرياً لانه دخلها وهو يدلّ بما عنده من ورق ندي وما يكنز من

دناير ذهبية وما يملك من ارض واسعة ، وما ادرك ان من لم ينفع الناس
لا يتغافلون اليه يوم يزعم لنجدته ، ومن لا يحب قومه لا يحبونه ، ومن ظن ان
المال يوصله الى كل شيء يخاطر كثيراً .

نهاية السمام الا خيرة

في الربع الاخير من القرن الماضي كانت المعرف في الديار الشامية منقولة
إلى مسکرين ، يقود الأول دعاء الكثلكة والبرستانتية ، حملة علوم المدنية
الحداثة ، ويقود الثاني دعاء تريل العناصر أصحاب القومية التركية ومن
ورائهم الدولة العثمانية . وكان معظم جماعة المعسكر الأول من المسيحيين في
الساحل ، وعامة جماعة المعسكر الثاني من المسلمين في الداخل .

وظهرت شعلة العلوم الجديدة من مدينة بيروت بعد مذابح سنة ١٨٦٠
بفضل الجامعيين الاميركيه واليسوعية وما أنشأ ، قبلهما وبعدهما من المدارس
الطائفية والتبيشيرية . وغدت اللغة العربية تدرس بعنانة في تلك المدارس ،
وشاعت اللغتان الانكليزية والفرنسية ، والعلوم تدرس باحداها ، وكانت
درست زمناً باللغة العربية في الجامعة الاميركية ، ثم جعلت اللغة الانكليزية
لغة التدريس فيها إلى الآن . اما مدارس الترك الرسمية فكانت لغتها التركية
في الثانوي والجامعة وتدرس العربية في الثانوي والابتدائي تدریساً ضعيفاً ومثل
ذلك كان حظ اللغة الفرنسية من العناية .

وبينا كانت اللغة العربية تنهض في الساحل نهضة محمودة ، كانت في
مدارس الحكومة وفي المدارس الدينية القديمة ظاهرة الضعف ، سقيمة الاسلوب
وبينا : كان طلبة المدارس التبيشيرية والطائفية يتقنون من العلوم واللغات
ما ينفعهم في معاطاة الصناعات الحرة ومارسة التجارة ، كان طلبة المدارس
الحكومية يتناغون بتعلم اللغة التركية ، لينشأ منهم في الدولة موظفون في
الجندية والادارة ، ولا اثر بين اظهارهم للتعليم الذي يؤهلهم للحياة الحرة .

نعم كانت اللغة العربية في حالة نزع في البلاد الداخلية ، اذا درست فواعدها في المدارس الاميرية (ولا يحسن التركية من لا يعرف العربية والفارسية) فتدرس بالتركية وشرح بالتركية ، على صورة اشبه بالمزل منها بالجلد . وربما كانت وزارة المعارف تتعمد يومئذ نصب الاتراك لتعليم العربية ، كما كانت تعهد الى بعض ابناء العرب بتدريس اللسان التركي . ووقع ما غير مرة ان عينت في المدارس الثانوية أناساً من الأرمن والروم لتدريس العلوم الاسلامية .

وبينا كانت الجامعة الاميركية وغيرها من المدارس الطائفية الكبرى في لبنان تخرج شعراء وكتاباً ومتربجين ومتأدبين متقدرين بثقافة العصر ، كانت علوم الدين واللسان تدرس في مدارس حلب ودمشق على الطريقة القديمة العقيدة ، والقوم لا يعرفون شيئاً يعتقد به عن الغرب وعلوم الغرب ، ويبلغ بهم الجهل ان نسوا ان أمتهم كانت ذات عز لم يعظيم في سالف الاحقاب . كانوا في العصور الاخيرة يحفظون القرآن ولا يقرأون تفسيره ، ويتعلمون الفقه ولا يبحثون عن اصوله وفروعه ، ويتبركون بتلاوة الحديث وبخلطون صحيحه بسقيمه ، ويتدارسون قواعد النحو ولا تستقيم لهم جملة صحيحة ، ويستظهرون دساتير التصريف ولا يصححون الرسم والاملاء ، ويدرسون العروض وما يطلقون عليه علم المعاني والبيان والبديع ولا يحسنون نظم ابيات ذات معنى طريف بلفظ جزل ، ولا انشاء خطبة مؤثرة أو صفحة بلية . وليس في شيوخهم من يرتجل جملتين او يكتب سطرين .

وكانوا الى هذا يحرمون درس التاريخ ، ويقولون ولا ينجذلون انه من لغو الحديث ، على حين كان هذا العلم في العصور الوسطى يدرس درسأاماً في الجامع الاموي بدمشق كما يدرس الحديث النبوى . وكانوا يعدون علوم الطبيعيات والرياضيات والفلك مدرجاً الى الزندقة . أما الفلسفة فان مجرد ذكر العارف بها كان كافياً للحكم عليه بالاخاد ، وأبيح دم المتفلسف وماله في بعض الادوار ، بل لقد حرموا قراءة النطق لما يلاحظ فيه من توسع

العقل ، وهم لا يطلبون من العقل الا ان يكون ضيقاً . انقرضت بقية من طالما لفظوا بهذه الآراء السقيمة ، واستعنوا بالقوة الزمنية على اضطهاد من يتدارسون العلوم المادية ، وخلف من بعدم خلف لا ذوا بالحقيقة فما وسمهم الا السكوت لما رأوا ابناءهم يدرسون ما كانوا هم يحظرون على الناس تعلمه .

ولا عجب ان اصيّت العقول بداء عقام اشبه بداء الغلجل ، بحيث لا تقوى على الحركة ولا على الانتاج واصبح الاهلون يرون العافية فيما به ، راخيين بجهلهم اذا سلم لهم دينهم على الصورة التي يتخيّلونها ديناً . وما كانت انفسهم تخذلهم بالخروج عما أفلوا عليه آباءهم ، ولا ان يجدوا قيد اغله مما خطه لهم سادتهم وكبارؤهم وحكام كان الظاهر من مصلحة حكومتهم ترك العرب ، وهم نصف سكان السلطة في جاهلية جهلاء ، ويصرحون بأن الملك لا يسلم للترك الا بنزع سلاح العلم من العرب ، ولذلك كانت وزارة المعارف تحارب سرراً انتشار التعليم بين المسلمين العرب ، زاعمة انه تقدم تقدماً كافياً ، فالرأى تأخيره الى الوراء لادفع به الى الامام ، ولما آفت الحالة الى هذه الدركة من الجهل خلا الجو للدجالين والمخربين وعم الفقر والثمول .

وفي الحقبة التي كان فيها العلم العربي في احط مراحله ، والمشياخ يحاولون الاحتفاظ بسلطانهم الذي كان لهم على الملوك والسوقه ولا يتحرجون من ان يزيّنوا الجهل للامة ارضاء لاولى الامر منهم ، قام في الشام استاذنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري ، وهو في هذه الديار كالاستاذ الامام محمد عبده في مصر فسعى بانشاء المدارس الابتدائية الاميرية (للاذكور والإناث) في ولاية سوريا العظيمة ، واخذ يؤلف لها الكتب في الفنون الالازمة ، ويلقن المعلمين اصول التدريس والتربية ، واشترك في تأسيس ثانوية دمشق وفي هذه المدينة انشأ دار الكتب الظاهرية ، ثم دار الكتب الحالدية في القدس . وكان طول حياته الحركة الدائمة في نشر العلم ، لا يجد منفذآ لبث الافكار الا نفذ اليه ، ولا طريقا الى نشر الثقافة الجديدة الا سلكه وعبيده امام السالكين . وكان ينشر كتب الاقدمين كما ينشر كتب المحدثين ، ويجي

علوم الدنيا كما يجيء علوم الدين ، ويحجب الى النفوس الحضارة العربية كما يجت على اقتباس الحضارة الغربية ، وبارشاده انفتحت طائفة صالحة من الشبان ، وتخرج به من كان على استعداد لقبول دعوته ، ومنهم من تلقى تعاليمه مباشرة ومنهم من اكتفى بالأخذ عنه بالواسطة . وظهور هذا المسلح العظيم دليل على ان البلاد كانت ذات ثقافة محلية لأنحتاج الا الى بد صالحة تتعهد بها وتوجهها .

ولما نفخ خناف الشاميين بانتشار القانون الاساسي (سنة ١٩٠٨) هبت القوى الكامنة في بعض النفوس الى احياء كل ما كان فيه احياء بجد الامة العربية ، وغدت دمشق عاصمة الامويين مبعث تلك الحركة الرشيدة فصدرت فيها الصحف السياسية والجلات العلمية ، وببدىء بارسال بعثات علمية الى مدارس فرنسا ، وانشئت في الحواضر الكبرى مدارس ثانوية اميرية تعلم العلوم بالعربية ، الى جانب المدارس الثانوية التي ظلت سائرة على ما كانت عليه تعلم بالتركية .

وما ان وضعت الحرب العامة او زارها وخرجت البلاد عن الحكم العثماني (١٩١٨) حتى نهض القوم لتلقي العلوم بهمة عظيمة ، فأسس المجمع العلمي العربي في دمشق على عهد الحكومة العربية ، كما انشئت كلية الطب وكلية الحقوق ثم كلية الآداب ودور المعلمين والمعلمات ، واصلح نظام المدارس الثانوية والابتدائية وانتشر التعليم بالاستثناء من المدارس الابتدائية في المدن والقرى . واستعادت اللغة العربية بعض بعدها القديم ، واصبح لها المقام الاول في منهاج الدروس ، وجعلت لغة التعليم في درجاته الثلاث ، واصبحت اللغة الفرنسية تدرس تدریساً جدياً راقياً . يعني أن اهل هذه الديار اخذوا يتذمرون على الطريقة التي يختارونها كما نص على ذلك صك جمعية الأمم التي اندببت فرنسا لتنفيذها .

وماهي الا اعوام قليلة حتى نشأ في الداخل شبان دارسون على النحو الذي كان ينشأ عليه شبان الساحل ، واصبحت دمشق او سوريا الداخلية تدرس

من صنوف العلوم ما كان قد انقطع سنه اعصاراً طويلاً ، وبقى على حالة جامدة ما تعدى الحد الذي عرف به عند القدماء ، وما بلغ المشغلين به وهم افراد قلائل جداً انه طرأ على تلك العلوم ماغيرها رأساً على عقب بفضل الغرب وجماعاته .

وبعد حين ظهر الاطباء والحقوقيون والمهندسوں والزراعيون ورجال التربية والتعليم ، وبنجع كتاب وشعراء وأدباء وخطباء ، وشارك النساء الرجال في هذه النهضة المباركة ، فأصبح منهن المؤلفة والتربية على مثال الرجال بقياس صغير . واخذت الحكومة ترسل الى جامعات فرنسا بعثات من نباء الطلاب للتخصص في العلم والأدب ليتولوا التدريس في التعليم العالي والثانوي . وتعاطى بعضهم الاعمال الحرة وخدم بعضهم الحكومة ، ومنهم من تعلموا على نفقةهم الخاصة في فرنسا وفي مصر وغيرها ، ولا يقل عدد من تعلموا العلم العالي في جامعات الغرب عن بضع مئات ، وهم الذين وضعوا كذا وضع بعض اساتذتهم تأليف مدرسية ومصنفات راقية يظهر عليها الاتقان والبحث ، وذلك في الحقوق والطب والتاريخ والفلسفة والرياضيات والطبيعتيات والتربية والزراعة والمالية والاقتصاد والكيمياء والأدب والقصة . ونازعت دمشق بيروت في هذا الشأن ، وكانت هذه مستأثره بطبع الكتب ونشر الجرائد والمجلات ، فبدأت عاصمة سوريا تنافس عاصمة لبنان منافسة ظاهرة وانفسح لها المجال لذلك خصوصاً بعد ان اتجه التعليم في مدارس لبنان وجهة افرنجية في العهد الأخير ، وضعف الغرام بالعربية وآدابها .

وما صدر من التأليف العلمية في سوريا الداخلية منذ عشرين سنة ، وما تلى على منبر الجمع العلمي العربي من محاضرات الاخصائين ، وما حملته مجلة الجمع في ثلاثة وعشرين مجلداً من الابحاث باقلام علماء وأدباء شاميين ، وما نشر في مجلات الطب والحقوق والزراعة والتربية والأدب من مقالات وتحقيقات عدا ماتنشره للشاميين الصحف المصرية وغيرها ، برهان جلي على

ما نقول . وكان للجمعيات الخيرية والمدنية اثر مهم في التربية ونشر الثقافة ومنها معلم البنائي والبيئات ، ومنها ما علم الكبار ، ولا سيما في المدن الاربع (دمشق وحلب وحمص وحماه) وذلك في مدارس لبلية تعلم فيها عشرات الآلاف من الشبان ما خرجوا به عن حد الأمية .

وأنا اذا نظرنا الى النهضة في سوريا والنهضة في لبنان ، نجد ان الفريد في النهضة الاولى اقل من القريب ونجد العكس في الثانية اي ان اذا حلانا النهضتين ، اذا صحت تسميتها بهذا الاسم ، يثبت لنا ان حظ الوطني من نهضة لبنان كان اقل من حظ الاجنبي ، وحظوظ الوطني في سوريا ظاهر كل الظهور ، ويد الغربي خليفة الاخير فيها تم . ومن الظواهر الغربية ايضاً ان اكثر من تعلموا العلم العالي في فرنسا وغيرها عادوا الى وطنهم يدعون للمدنية العربية ، اي انهم تلقوا من المدنية الغربية ما استعنوا به فقط على بث مدنية أمتهم .

استفادت سوريا لاول امرها من نهضة بنان ، كما تستفيد الان من نهضة مصر ، ونهضة سوريا اليوم تشبه النهضة المصرية من وجوه كثيرة ، ولسوريا من الوضاع مثل ما لمصر . و الجامعات السورية هي الوحيدة من بين جامعات الشرق التي تدرس العلوم العالية بالعربية ، وقد وضع لها الاساتذة الوفاً من الالفاظ العلمية في الكتب التي الفوها مباشرة او نقلوها من احدى اللغات . وسوريا تتناول بكثرة كتب مصر و مجلاتها وربما عرف الشامي عن مصر اكثراً مما يعرف المصري عن بلده .

ومن الظواهر في اخلاق المتعلمين على المناحي الغربية انهم يُعنون في سوريا بان تكون أرضهم ميدان عملهم وبجالهم الحيواني في حين كان اكثراً من تعلموا في مدارس لبنان يؤثرون الهجرة الى الامريكتين أو مصر او السودان ، وبغادرتهم مساقط رؤوسهم ، وصرف جهودهم في الاصقاع التي ينزلونها ضفت قواهم بالطبع عن خدمة بلادهم الاصلية ، وقد تطول هجرتهم او تصبح قطعية في ارض غير عربية ، فينشأ ابناءهم بعيدين عن العروبة .

وفي الحق انه كان من منافاة الطوائف وجمعيات المبشرين نشر التعليم في لبنان ، فقل فيه عدد الاميين ، ولا تصل سوريا الى مستوى لبنان في ذلك قبل عقدين أو ثلاثة عقود من الاعدام . والأصول ان يزيد العلم في اللغة المخالفين في مذاهبهم ، وان تضليل الفوارق من بين أهل الوطن الواحد ، ويدرك الحاصة وال العامة معاني القومية التي لا تعيش الاام بغيرها ، خصوصاً في قطر كهذا تكثر فيه المذهب والنحل ، وفيه منها عشرون او اكثر ، فهو فسيفساء اديان بعقيدته وبمجموعة بدائع في طبيعته .

لاجرم ان اصلاح التعليم على اختلاف درجاته قد سهل اخذ العلم على معظم الطبقات ، ونظام البكالوريا الجديد ادخل الدراسة في طور عملي نافع ، وبالتعليم ارتفت لغة التخاطب والتكتاب ، واصبح ما كان يجهله الدارسون من الشيوخ يتلقنه بل يتسلله صغار الطلبة الذين لم يبلغوا الحلم . وفعلت الثقاقة في تحسين الملكات والعادات ، واصبح المتعلمون حتى من اقتصرروا على التعليم الابتدائي ، ينيلون الى التجميل والنظافة وحسن الاهتمام ، ويألفون النظام والترتيب في معظم مرافق حياتهم . وكانت المدن والقرى الى عهد قريب على حالة ابتدائية من مظاهر المدينة ، وبانتشار العلم في بيوث ما كان يظن انه يسرى اليها ، حسنت حالة البلاد الادبية والاقتصادية . و بما اعan في هذا الشأن كثرة التنقل في طلب الرزق في المالك الاجنبية ، وسهولة تناول الكتب والصحف وال مجلات ، ويسرا الاستماع الى اذاعات المذيع ومحاضرات المحاضرين وخطب الخطباء ، والفضل الاول في هذا التبدل للمدرسة . ولو استطاعت الحكومات ان تبذل في نشر المعارف اكثرا مما بذلت ، وعاون الاهلون في هذه السبيل معاونة صحيحة ، لعم التعليم القرى كما عم المدن ، ولا صاب من نعمته البدو كما اصاب الحضر ولظهرت الارجاء بالمؤشر الذي يلقي بعظمتها الطبيعية والتاريخية ، فجمعت الى قديها حديثاً تقترب به من كل وجه امام الغريب والقريب .

الثورة المباركة

في الساعة الثانية من صباح الأربعاء (٣٠ آذار سنة ١٩٤٩) وغرة جادى الآخرة سنة ١٣٦٧) قام الجيش السوري بقيادة قائد الزعيم السيد حسنى الزعيم بالاستيلاء على زمام الأمر واعتقال رجال الحكم المأجور وبينهم رئيس الجمهورية السورية ورئيس وزارتها ونشر البلاغ الآتى :

« مدفوعين بغيرتنا الوطنية ومتأنلين ما آلت إليه وضع البلاد من جراء افتراءات وتعسف من يدعون حكامنا الخلصين بأننا مضطربين إلى استلام زمام الحكم موقتاً في البلاد التي نحرص على المحافظة على استقلالها كل الحرص ، وسنقوم بكل ما يتربّط علينا نحو وطننا العزيز غير طاحين باستلام الحكم بل القصد من عملنا هو تبيئة حكم ديمقراطي صحيح يحل محل الحكم الحالي المزيف . وانتا لنرجو من الشعب الكريم أن يلتجأ إلى المدّوء والسكنينة مقدماً لنا كل المعونة والمساعدة للسماح لنا باتمام مهمتنا التحريرية وان كل محاولة تخلى بالأمن والتي قد يمكن ان تظهر عن بعض العناصر المدama الاستثنائية تcum فوراً دون شفقة أو رحمة .

القيادة العامة للجيش والقوى المسلحة

وقال الزعيم في بلاغ آخر « انه رأى ما آلت إليه حالة البلاد من الفوضى واستئثار وخذلان ووجد العهد الحاضر مليئاً بالمساوي والمخازي من خيانات وسرقات ومن قضاء على الحريات الديمقراطية الى مخالفة الدستور والقوانين . ولقد رأى الجيش كل ذلك وایقن ان الامة تسير بخطى متتسارعة نحو الموت والفناء فأبانت عليه وطننته وكرامته ان يقف مكتوف الايدي وابت على ابنائه نفوسهم النبيلة ان يرموا بالذل والعبودية والفناء مصيرأ لأمة عظيمة كتب لها المجد والخلود فصمم على ان يقف هذا الموقف الشريف ويتدخل ليعيد الامور الى

م (١٦)

نهايتها . يعيد الى هذه الامة شرفها وكرامتها وحريتها » وقال قائد الجيش ايضاً : « ان السبب في الحركة التي قام الجيش بها هو المجموع الشكير على الجيش في المجلس النيابي وخارجه للتثبيت به واظهاره بظهور غير لائق . وقد نبهنا المسؤولين الى الحالة اكثر من مرة ، ولكن دون جدوى قال : « وقد لمسنا استياء الشعب من الوضع السابق وعدم رضاه عن الفوضى وشعرنا بان سمعة الجيش اصبحت مضافة في الافواه على اثر اعتقال بعض الضباط بتهمة السرقة والاختلاس وعدم اطلاق سراحهم رغم ثبوت برائهم » قال : « والحركة داخلية بحتة لا علاقه لها بدولة خارجية سواء كانت اجنبية أم عربية ونحن عرب قوميون وكل سلطة خارجية منها كان نوعها تحاول الاعتداء على سلامه استقلالنا وسيادتنا سنقابلها بالقوة ، ونحن سنتخل عن السلطات الى الحكومة الشرعية التي سيتم تأليفها في اقرب وقت ممكن فتعود الحالة الى مجرها الطبيعي » وقال : « ان قيادة الجيش قامت لإنقاذ البلاد من الفوضى التي غرفت فيها والتي باتت تهدد استقلالنا تهديداً خطيراً ورغبتها صيانة الدولة من الانيار وانقاد الجيش السوري الباسل من محاولة العبث والتدمير التي تعرض لها في المدة الأخيرة فالجيش السوري الباسل الذي ضحي بزهرة شبابه وسفك دماء المخلصين من ابناءه في سبيل حماية حدود البلاد ورد اعدائها عنها واستطاع ان يسجل انتصارات رائعة لا يمكن ان يقبل بأي شكل من الاشكال ان يتعرض للمعاملة السيئة التي كان يلقاها »

وفض الزعيم المجلس النيابي وبين في كتاب ارسله الى رئيس المجلس اسباب الحل وقال : « ان المجلس لا يمثل في اكثيريته الساقطة رغبة الناخبين وارادتهم واما جرى في انتخابه تحت ضغط الفتنة الحاكمة وبضروب التزوير والعنف والاكراء . وكان قد ثبتت بعشرات الادلة الدامغة تزوير انتخاب النواب والطعن في نياتهم وكان الاساس الاول في اقامة حكم ديمقراطي هو القيام بانتخابات صحيحة حررة وقد يعبر فيها الشعب عن ارادته في جو حرٌّ تام لا زيف فيه ولا ضغط ولا اكراء . زورت انتخابات اكثُر اعضاء المجلس

وكان البعض الآخر أقرب إلى التعيين منه إلى الانتخابات فماشى طفيان الفتة الحاكمة في أكثر من موقف وكان في أكثر بيته ادأة طيبة في أيدي هذه الفتة تسيرها كيما شاء ،

هذا ما صرخ به الزعيم العظيم من الدواعي إلى هذه الثورة التي عبرت عن إمامي الأمة المظلومة أصدق تعبير واغبطة أن كانت الثورة سلماً كلها لم يقتل فيها إنسان ولم تجرح فيها أصبع واستلم الجيش زمام الحكم وشرع بنطهير جهاز الحكومة من ادرانه وبتحية من ليس للجمهورية حاجة إليه وطرد المرتشين والمتلاعين والجاهلين من اعوان الدولة البائدة وبات الرجال معقوداً على تحفيف الآلام ورد المظالم وانقاد الاوضاع الدستورية لتسيير الأمور على نظام وعدل

عدت الأمة في عهدها الأخير ثلاثة اعياد تهلل وجوه ابنائها سروراً كلها ذكروها العيد الأول كان بخروج الاتراك من سوريا والثاني بخلاء الفرنسيين عنها والثالث هذه الثورة المباركة التي قضي بها على سلطان الطغيان ابد الدهر ان شاء الله



الداعي الى الثورة

كُتِبَتْ إِلَى أَحَدِ اسْدِفَائِي فِي مِصْرَ كِتَابًا فِي الدَّاعِي إِلَى الثُّورَةِ السُّورِيَّةِ الْآخِيرَةِ اقْتُطِفُ مِنْهُ مَا يَلِي : تَدَارِكَ الزَّعِيمِ بِحُكْمِهِ وَحَنْكَتَهُ الْجَمِيعِ السُّورِيَّةِ مِنَ الْانْخِلَالِ وَلَمْ تَخُدْشْ أَصْبَعَ وَطْنِي وَاحِدٍ فِي الْعَاصِمَةِ وَالْأَفَالِمِ وَتَتَّثِّتُ الثُّورَةُ عَلَى أَحْكَمِ مَا يَكُونُ مِنَ السُّرْعَةِ وَالشَّعْبِ يَصْفِقُ وَيَلِلُ .

وَتَسْأَلِي وَهُلْ مِنْ دَاعٍ لِهَذِهِ الثُّورَةِ ، نَعَمْ إِنْ لَهَا عَدَةٌ دَوَاعٌ لَأَنْ حُكْمَةَ الْجَمِيعِ اصْبَحَتْ بِأَخِيرَةِ حُكْمَةِ تَخْرِيبِ وَلَصُوصَيْهِ فِيهَا ارْتَكَبَتْهُ مِنَ الْمَاوِيِّ تَرَدَّتِ الْأَخْلَاقُ وَعَمِتِ الْفَوْضَى فَكَانَ مِنَ الْجُنُودِ الْمُجَاهِدِينَ زَمَنًا وَبِهَا بَاعُوا وَاشْتَرُوا وَجَعَلُوهَا وَقْفًا مُؤْبَداً عَلَيْهِمْ يَسْرُقُونَ الدُّولَةَ بِالصَّوْبِ مُفْضُوحٍ مُخْجِلٍ ، كَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْرُقُونَ الْأَلْفَ فَاحْبَحُوا يَسْرُقُونَ بَيْنَاتِ الْأَلْفَ وَلَا يَشْبَعُونَ وَلَا يَكْفُونَ ، وَكَيْفَ لَا يَسْرُقُونَ وَرَئِيسَ الْجَمِيعِ يَسْتَهِدِي النَّوَابُ عَلَى مَا قَبِيلَ وَيَدِي هُوَ لَمْ يُرِيدْ اسْتِبَاعَهُمْ مِنْ مَالِ الْأَمَّةِ ، وَيَفْرَضُ بَعْضُ الْوَزَارَاءِ عَلَى كُلِّ رَئِيسٍ حُكْمَةٍ يَعْهِدُ إِلَيْهِ بِتَأْلِيفِ وَزَارَةٍ . وَمِنَ الغَرِيبِ أَنَّ مَنْ كَانَ يَقْدِسُهُمْ ظَاهِرَتْ سِيَّئَاتُهُمْ فِي الدُّورِ الْجَدِيدِ لِمَا جَرَى حَسَابُهُمْ فَكَانُوا مِنْ أَكْبَرِ الْحُنَوْنَةِ وَاللَّصُوصِ ، وَزُورُوا فِي انتِخَابِ النَّوَابِ مِنْ حَزْبِهِ وَزُورُوا فِي انتِخَابِهِ ثَانِيَةً لِلرِّيَاضَةِ وَبِذَلِكَ خَانَ الدُّسْتُورُ الَّذِي لَا يَجِيزُ انتِخَابَ الرَّئِيسِ مَرَّتَيْنِ إِلَّا إِذَا تَخَلَّهُمْ رَئِيسٌ آخَرُ ، وَكَانَ عَلَيْهِ تَفَادِي كُلِّ هَذَا لَأَنَّهُ مَرِيضٌ وَلَا يَكَادُ يَضِي شَهْرًا وَاحِدًا وَيَقْضِي أَيَّامًا فِي السَّرِيرِ مُنْقَطِعًا عَنْ كُلِّ حَرْكَةٍ وَمِنْ تَدَاعَتْ صَحَّتِهِ لَا يَرجِي مِنْهُ أَنْ يَدْبِرْ صَحَّةَ أَمَّةٍ .

وَمَا يُؤْخَذُ عَلَيْهِ اصْطَنَاعُ السَّفَلَةِ وَالْأَوْغَادِ يَغْدِقُ عَلَيْهِمِ الْأَمْوَالِ وَالْعَطَابِا وَيَخْتَصُّهُمْ بِالْأَمْتِيَازَاتِ وَالْأَعْفَامَاتِ الْرَّابِحَةِ وَيُوزَعُ عَلَيْهِمْ قَسْطًا عَظِيمًا مِنَ الْخَنْثَةِ وَالْأَرْذِ وَالسَّكَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحَاجَيَاتِ وَفَقَرَاءِ الْأَهْلِينَ بِلِ الْمُتَوَسِّطُونَ مِنْهُمْ لَا يَصْلُونَ إِلَى حَاجَتِهِمْ مِنْهَا إِلَّا بِالْبَذْلِ الْكَثِيرِ ، وَقَدْ جَعَلَ الرَّئِيسِ

من اولئك الرعاع عشراًه وجلسه وقد شوهد قبل يوم اعتقاله في قريتنا في طريقه الى مزرعته واى جانبه اثنان من هذه الطبقة فما استغرب القرويون ذلك منه لانهم طالما شاهدوا امثالهم معه يرفع مقامهم ويأنس اليهم ويتغزز من مجلس فضلاء القوم ولا يقبل لهم نصحاً .

واستكثر الرئيس من الموظفين الفاسدين ومنهم أهله وأبناء حزبه يجود على بعضهم بعده رواتب من دون أن يكون لهم عمل ظاهر وفيهم الاميون الذين ما دخلوا كتاباً حياهم ، فضخت الموازنة حتى بلغت خطيبي ما كانت والمجلس يقر له الاعتمادات باللليات دون أن يعرف وجوه صرفها ، وكان بعض من ولووا الوزارة من لم تسبق لهم خدمة في الحكومة من الطبقة المحدودة عقولها ومعارفها فتسقط أهلهم وأنصارهم على الناس وتهتكوا الاعراف واستصفوا الأرض من مالكيها ، وكان أبداً متسلكاً بهم حتى أن أحد رؤساء وزارته الذي خجلت البلد من سوء ادارته وعلت الاصوات بالشكوى من اضاعته الحقوق لم يتخل عنه رئيس الجمهورية حتى اندلع اسان الثورة واهرق دماء الابرياء .

ولقد عطل رئيس الجمهورية الحدود عملاً بنصيحة أمه لانها أرادته على أن يتتجنب القتل لانها تخاف على ابنها أن يصييه شر من ذلك فأدخل هذاء النساء في صالح الدولة . وكانت الموظف الذي له امرأة حسنة على ارادته على القضاة ورجال الادارة فيفسق ويسرق وهو في حل ما يأتي لانه من حاشية الرئيس معدود في اتباعه والرجل « الموصى عليه من القصر » كان كأهل بدر ، وفي الرئيس في سياسة الارض والمصانعة كان البلد اقطاع له ولآلاته ومن والاه . وكان يتدخل حتى في تعيين الفراشين والآذنين لأن امرأة أحدهم أو والدته سبقت فشككت ظلامتها لامرأة الرئيس أولأمه فصار لزاماً عليه أن يعينه وان كانت المصلحة تقتضي استخدام منافسه ، وكان بعض الوزراء يتبرمون بهذه السياسة الخرقاء ويعدوها اعتداء على حقوقهم ومنهم من استقال من رئاسة الوزراء بمثل هذه التحكبات فيه على ما بلغني الخ .

حزب الكتلة

لما تألف حزب الكتلة الوطنية في هذه الديار وجد له أنصاراً مخلصين يعاونونه على الوصول إلى تحقيق غايتها السياسية فاستطاع أن يصد أمام فرنسا مدة انتدابها على سوريا ويثابر على مطالبته بالاستقلال . وقبل ان الكتلة كانت تصدع باسم بريطانيا العظمى وأن الثورة السورية (١٩٢٥ - ١٩٢٦) كانت بصنع الكتلة ومعاذدة بريطانيا العظمى . وكان البريطانيون يطمعون منذ وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها أن يشمل انتدابهم جميع الولايات العربية المسلحة عن أملاك السلطنة العثمانية ، وما كان انتداب فرنسا على سوريا ولبنان مما يحلو لهم ويطيب .

وضع السوريون ثقفهم بالكتلة فكانت اذا قالت لهم أخربوا أجروا زدائها دون أن يسألوا عن السبب ، وإذا أرادتهم على الثورة نادوا سامعين مطبيعين ، وإذا فرضت عليهم مالاً أعطوهها ماسالت . والناس في العادة اذا اعتدوا شرف دعوة لا يغشون عليها بما يحقق الآمال على شرط أن تكون الرؤوس والأعshaw سليمة . ومن أحق باجابة دعوة من يقول لك اني منقذك من استبداد عشت فيه قرونًا لاجعل منك دولة مستقلة نيابية .

وادركت فرنسا ما يراد بها وبانتدابها وان من مصلحة انكلترا أن يشغب السوريون عليها فما قصر رجال الانتداب في اضطهاد زعماء الكتلة اعتقادهم وشردوهم وفرضوا عليهم الاقامة القسرية وقسوا عليهم قسوة شديدة غضب لها الشعب السوري ، وبقيت الكتلة مع كل ما لقيت ثابتة على دعوانها وقد كسبت عطف الامة عليها . ومضت أعوام في هذه المصادفة ما وسع فرنسا بعدها الا ان ترضى عن تقليد الكتلة زمام الحكم وبدأ الضعف في إدارة الكتلة يتجلی شيئاً فشيئاً لما ظهر بعض افرادها بمظهر ما كان يتوقع منهم . والناس لم يستغربوا هذا التبدل في رجال الكتلة لأن الشرق مبني بالتحول والتلون .

ولما عاونت بريطانيا العظمى والولايات المتحدة سوريه على نيل استقلالها خاطب هاتان الدولتان بالطبع من كان في منصة الحكم من حزب الكتلة فرآنها هذه فرصة سانحة لتهم الاهلين ان الكتلة كانت سبب هذا الاستقلال فاذطلقت أيدي رجالها في الحكم ، وراحوا يخالقون بين أقوامهم وأفعالهم كأنهم يحاولون ان يتلاخوا اثنان سعيهم المشكور في الوصول الى الاستقلال . وظهر ان أكثر زعمائهم ما كانوا يهتمون الا لأشخاصهم ثم الغزو بالأمة وبطالتها ، وكان من ينصح لهم باتباع خطة رشيدة يرمونه باخيانة ، ومن أبدى عدم رضاه عن « الوضع الحاضر » عذراً في جملة من يغضلون حكم الغريب على الحكم الوطنى . ولقد اتهموا بعض الوطنيين بضرورب من التهم كانوا منها أبواً من الذئب من دم ابن يعقوب .

ما قبلت الكتلة يوماً أن يقوم في سوريا حزب معارض ، هذا وهي تعرف ان المعارضه واجبة في المجالس النيابية لذلك اضطهدت كل من جسروا ، على المعارضه بل كل من كانوا على الحياد ، واتخذوا من المعارضين والمحايدين اعداء لأنهم لم يدخلوا في ذمرتهم ويكتروا سوادهم . واضطهدت الكتلة المعارضين وكان فيهم صفوة ابناء الوطن اضطهاداً ليس فيه شيء من الاعتدال . وإنما اعزت الى القضاة بالتشديد عليهم في الاحكام فاعتقلت من اعتقلت واقتلت من خدمة الحكومة من اقصت وحرست كل الحرص على ان تخس اهل حزبها باللغام فاسترسل بعض رؤسائها واتباعهم في ارتكاب ما كان يجب ان يتضمنوا عنه فسهلت بذلك على اللصوص سرقاتهم . وإذا سرق الزعماء فلا ملام على من بعدهم في الدرجات ان يسرقوا ، ويحتاجون لتبرير مساوئهم بما يأتيه كبراؤهم

بسوء السياسة تأصلت العداوة الشديدة بين الاحزاب وبين جمهور الأمة وبعد ان كان اسم الكتلة عطراً اضحى وفيه نئن مستكره ، والكتلة من وراء ذلك لا تفتأ تعمد الى الدعایات الواسعة لتجف اصوات الناقمين والنقدin وقد تلنجأ الى القوة فتضرب وتشرد وتعتقل وتنتقم وتعلق صحف

المعارضة لتنفي الرهبة في قاوب المخاصين الذين يعذبون الانكاد على اغلاط
الكتلة فرضاً وطنياً

ولا ينكر على الكتلة ماسكها امام اعدائها حتى تنسى لها ان تحكم هذه
الحقبة الطويلة وكان منهاجها في حكمها اشبه بنهج حزب الاتحاد والترقي في
الملائكة العثمانية ، وكان على ايدي رجاله اخلال الدولة . قامت الكتلة بالعنف
وتحكمت بالجبروت شأن حزب الاتحاد ، وكان لسان حالمها كل من ليس معنا
 فهو علينا . وكان الاختلاف ابداً على اشده بينهم ، وخصامهم في الاكثر
على الاستئثار بالمنافع ، ورؤسائهم يداوون هذه الخصومات بالمال يعطرون كل
ملح في تقاد وزارة راتباً يوازي راتب الوزير العامل

كان المخالفون للكتلة ضعافاً بالقياس اليها والسبب في ذلك ان الكتلة
سبقت وحدتها الى العمل السياسي واحكمت امرها بالحزم فكان ان مرن
رجاها على معاناة السياسة أكثر من غيرهم ومن توفيقها ان خدت اليها انساناً ،
من ارباب البيوتات المتعلمين . اما جمهرة القوم فكانوا اذا رأوها قوية
ما شواها لانهم مقاصدها واذا آنسوا منها ضعفاً اغروا عنها . ولو كان
للمعارضين قوة يعتقد بها توازي نصف قوة الكتلة لطروحوا جانباً واستأثروا
دونها بالحكم ، ينقاون الامة من حال فيها بعض الشقاء الى حالة قد يكون
فيها شيء من السعادة

وكأنني بعض رجال الكتلة غداً ينزعون ثوبهم القديم الذي اكتسوا
به زماناً ويكتسون ثوباً جديداً يرون من مصلحتهم الخاصة الظهور فيه
ويقدحون بسلطنة فيمن رفعوهم ونفعوهم ويعودون يتدحون من خلفهم
يصنعونهم كما صانعوا من تقدمهم لا لشيء غير دوام المفخم وهكذا دوالك .

ان حرص الكتلة الوطنية - وقد دعت نفسها مؤخراً بالحزب الوطني -
على توسيع زمام الحكم كان من اكبر الاسباب الداعية الى انصراف النفوس
عنها ولا سيما عندما نظرت الامة الى ما ارتكبت في الانتخابات النيابية
الأخيرة بمخالفتها احكام الدستور وهي تدعى انها حاميتها والمدافعة عنه

بِطْلُ دَمْسَقْ

هو الزعيم السيد حسني الزعيم قائد الجيش السوري الذي ثار على الظلم وغصب للحق ، وقضى على من أفسدوا عمود الحكم وما استعان بالاجنبي على تحقيق غرضه الشريف فعدّ المنقذ الأعظم حقاً وحدها .

أزال الزعيم حكومة كانت تحاول أن تعيش الجمهورية بجيش مضيق على ضباطه وجنته ، مُدَنِّق عليه في النفقة والسلاح ، وما عهد لأمة تحرص على كرامتها أن تعيش بلا قوة تحميها ، والجيش من أول مظاهر الدولة .

كان شأن الحكومة البائدة اغفاء أفراد وافقار الجماعة توهם الشعب أنها تخدمه وهي تضحيك منه ، فجاء الزعيم يقطع عليها طريق العسف والاسراف ويفادي بحياته ليعييها ، ويستهين براحتة لتنعم وتسلم . عقمت الأيام أن تلد مثل ثورته الحكيمية ولا عجب أن سجل اسمه الكريم في ث بت بناء الملك وقاده الشعوب .

كانت دمشق مهد المصلحين والمجددين اذا نبغ فيها نابغة في الجنديه والإدارة انضم الى لواء الدولة القائمة يعاونها على حفظ سلطانها أما الزعيم ابن دمشق الذي أدهش العالم بشورته فقد وثب وثبة جباره للنهوض بسوريا فحق لوالده صديقي الشهيد السعيد العلامة الشيخ رضا الزعيم أن ينقبط في قبره بان أنجب للعرب مثل هذا النجيب .



حياة رئيس

بقى أمر رئيس الجمهورية السورية السيد شكري القوتلي مكتوماً إلا عن بعض المواضيع مدة رئاسته الأولى ، ولما بدا له أن يجدد رئاسته ليستمتع بالحكم خمس سنين أخرى ، مع ان الدستور حدد الرئاسة بخمس سنين فقط لا يجوز لرئيس ان يتولها مرتين الا اذا تخللها رئيس آخر - لما تززع بذلك كان منه ان حث بيمنه الذي أقسمه يوم رئاسته الأولى وهو المحافظة على الدستور .

وراح الرئيس يعمد الى انتخاب بعض النواب من حزبه بالضغط والتزوير وادى تعذر عليه أن ينال أكثرية الأصوات ابتعاد فيما قبل اصوات بعض النواب ومع هذا لم يتهمأ له الاجماع لاستنكاف حزب المعارضة من انتخابه .
وعاد الى مكان جرى عليه من العطف على زعافن الأحياء ، ومزيthem عنده انهم يتسلطون على الأهلين يوم الانتخابات ويخدمونه بما يشاء ، ولذلك فتح لهم الأبواب الرسمية يدخلونها بلا استئذان وهو يبالغ في اغداد العطايا عليهم ويخصلهم بالامتيازات والاعفاءات ، ويجعل منهم عشراء وأولاء ، ووقع له أن سعى لانتخاب أحد أصحابه نائباً مشهوراً بطول اللسان ، وقال انا ما اخترناه لهذه المهمة الا ليس غداً من يخالفون رأينا في المجلس ! وافرط في توظيف أهله وأنصاره ومنهم الأمي العامي ومنهم من كان يتقبض عده رواتب من بضعة دواوين وليس له عمل ، أفرط في ذلك حتى خيل للأهلين ان سوريا اقطاع له ولمن يحب .

واذ اعتاد الرئيس التدخل في الصغير والكبير من شؤون الحكومة بما لا تطلبـه رئاسته كان من لهم شيء من عزة النفس من وزرائه يتأفرون من تحكمـه ومقترحـاته ، أما المنافقون منهم وهو يفرضـهم على كل وزارة فكان يسكت عن مساوـيـهم كأنـه شريكـهم ، حتى عمـت الرشوة وسادـت الفوضـى .

كان الرئيس يبعث بالقضاء فن يحكم له من القضاة بما يروقه يرقى
ويرفع مقامه ومن يجري مع القانون يوجه وقد ينجيه او يحوال دون ترقية .
فقد حكم على احد ارباب الصحف باهانة الرئيس ولما لم يحكم القاضي النزيه
بالقانون العتني اي لم يقس القذف في الرئيس على القذف بالملك ، ولم يعتبر
رئيس الجمهورية ملكاً افشاء ونبذه ، اما الذي تقوه بما يسقط من قدر
الرئيس وحكم القاضي عليه حكماً جائراً فأعلى الرئيس مرتبته وارضاه .
وله أشياء من هذا القبيل لا يليق صدورها من الميمن الأول على القانون
فقد اختلف مع بعض جيرانه على حدود ارض فاضطر الموظف المختنق
ان يرضيه بالباطل ومستندات خصومه شاهدة ان لهم الحق دونه ، واكره
وزارة الاشغال ان تفتح طريقة ليتصل من مزرعته بأرض له بعيدة وهي
سبخة ونزة لا تصلح للزراعة فاستلزم قطع اشجار مشمرة من جانبي
الطريق ، وكذلك الزمها بفتح طريق بيت امه فأنفق في ذلك نفقات
باهظة كانت طرق اخرى أحق بهذه العناية . ومنها انه كان يستعمل بعض
سيارات على حساب الحكومة يخص بعضها برکوبه وأخرى بحرمه وبعضاً
لأولاده وبعضاً لبنيته وسياراتين لصوريه . ومنها اعطاؤه لأحد شعراء المجر
خمسة عشر ألف ليرة سورية وانفق عليه ما يقرب منها مدة اقامته في عاصمة
الجمهورية ، وأعطي عشرات الآلاف من الليرات لمن مدحوه او كتبوا رسالة
او كتاباً باسمه ومن تغنو بمحامده فيما كتبوا من كتب اغاثهم . وكان
يعطي بعض الصحفيين بلا حساب لأنهم رضوا ان يكونوا ابوافقاً لتمجيد
سياساته ، ومن غلط غلطة واحدة من ارباب الصحافة اوعز الى المحاكم
ان تشدد عقوبته وتغرمه الغرامات الثقيلة . وكان يصرف جانباً من اوقاته
في مثل هذه المسائل .

وما كان من طبعه حياة اهل الطبقات النازلة لم يجوز ازعاج من كان
يشتمهم بلطفه وعطفه ولو كانوا من الجنة الأشقياء ومنهم احد المفاني في
قضاء ثبت انه لص كبير وجان تعدد جناباته بتحقيق قاضيين نزيحين فلم
يرض ان ينجيه لأنه كان ينادي يوم الجمعة من أعلى المنبر : اللهم انصر

أمير المؤمنين شكري القوتلي وكان هذا الخطيب يدعو بمثل هذا الدعا،
البارد على عهد الانتداب الأفرنسي فيقول : اللهم انصر فرنسا وجيوها .
ولعل هذا الفتى السخيف كان من يهدى للسيد القوتلي دعوى امارة المؤمنين .
ويتلخص ما اثار الرئيس من الاعمال النابية عن القوانين في المواد التالية :

- (١) العبث بالدستور وقد اقسم ان يحافظ عليه
- (٢) انتخاب نواب حزبه بالتزييف والضغط
- (٣) افساد بعض النواب ليتم الاجماع على انتخابه
- (٤) اعتقاده على ارباب الدعاارة واعطاوهم الاموال والسكر والارز
والخطوة والبترول والمازوت من مال الدولة بمقادير عظيمة جدا حتى
اغتنى أكثرهم
- (٥) افساد طلبة المدارس باعطائهم رواتب من الدواوين وهم لم يتموا
دروسمهم ولم يوظفوا على الاصحول
- (٦) استهزاؤه بنصح العقلاء من الوطنيين ونقاذه العمياء بالجهلاء
- (٧) اسرافه البالغ باموال الجمهورية وحمله البرلمان على اعتقاد اموال
عظيمة لم يعلم محل صرفها
- (٨) ادخاله في خدمة الحكومة الافقين والاميين من اسرته وانصاره
ومنهم من كان يعطيهم عدة رواتب وكذلك يعطي بعض الوزراء الراتبي
عنهم تعويضات باهظة
- (٩) اخذه بيد شاب من النواب حتى ألف حزباً خطراً من برنامجه
القيام بشورة وقد اعد لها عدتها بالفعل
- (١٠) لم يتحقق مدة حكمه شيئاً يعتد به من اعمال الاصلاح على كثرة
ماددخل خزانة الامة من الاموال الجسيمة
وكان على الرئيس وهو يعرف انه مصاب بمرض عضال ، ان يت נהنى
عن الرئاسة من تلقاء نفسه فالمريض يحتاج الى من يدبره ولا يرجى منه
ان يدبر مملكة .

كان الرئيس قبل رئاسة الجمهورية يتكرم من ماله فيحمد او يذم فلما

نلى الرئاسة غرف في الجود من مال الامة فتبرمت باسراقه
كان الرئيس نورياً يحب الثورات ويتندح الثنائيين ويبالغ في اكراهم
وشاء القدر ان يصرف بثورة ، وما ظلمه احد بل هو الذي ظلم نفسه باهماله
ماعده الى امانته

كان خروجه على القراءين بادياً لكل ذي بصيرة حتى خيل لنا انا عدنا
إلى العصر التركي ايام كان الوالي يحكم بلا حاسب ولا مراقب . وأصبح الحكم
المهوري الذي يراد به رفع سلط الافراد حكم الهوى لاحكم القانون .
الشكل دستوري مدني والفعل استبدادي عامي

ولطالما نصح له العقلاه ومنهم من كتب له التقارير في بيان طرق الاصلاح
وجاءته عدة وفود تصارحه في سوء مغبة السياسة المتبعه في الادارة فكان
يؤله ان يسمع ما يخالف اغراضه ويقلب الحديث من جد الى هزل ، وقد
يبتسم ويستكت ويتأقف من مخاطبه ويتجهم له ويود لو عجل الانصراف
من حضرته .

كان رئيس الجمهورية الثالث ضعيفاً في ارادته ، قويأً في حزبته ، مسرفاً
باله ومال غيره ، حريصاً على تحقيق رغائبه الخاصة ، اخطأ طريق المجد
وما عرف اختيار الأسباب التي تعين عليه . ومن الانصاف ان يقال ان له
فضلاً على القضية الوطنية ، وقد ثبت انه في الامور السلبية اقدر منه في الامور
الانسانية الايجابية



فاجعة فلسطين

من نحو جيلين واليهود النثوروں في اوربا واميركا يحملون بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين (راجع الفصل الذي كتبه في الصهيونية الاستاذ عمر الصالح البرغوثي في الجزء السادس من كتابنا خطط الشام) ، وقد اتخذوا لذلك عامة الذرائع ، وهان على كل يهودي في الأرض أن يبذل النفس والنفيس في تحقيق هذه الأمنية ، وتتوفر اليهود على احياء اللغة العبرية وكانت نسبت الا من كتب صلواتهم ومن ألسن رجال الدين عندهم وما ينشأ أن أصبحوا يتكلمون بها في بيوتهم وكانوا من قبل يتكلمون معظم لغات العالم الا لغة دينهم هذه ، أحياها لغتهم بعد موتها وكانت كالسريرانية والقبطية تعد من اللغات الميتة . والى هذا جدّوا في تلقين الآداب على ما يضمن تكوين دولتهم الجديدة .

وفي الحرب العالمية الاولى (۱۹۱۴-۱۹۱۸) خدم اليهود دولة بريطانيا العظمى خدماً عظيمة فوعدهم ان هي خرجمت ظافرة من حربها ان تعاونهم على تحقيق آمالهم في تأسيس دولة لهم في فلسطين وبعد ذلك أقبلوا يهاجرون إليها من أنحاء العالم وزادت هجرتهم منذ تم الانتداب لإنكلترا على فلسطين وكانت شرعاً قبل الحرب الأولى بابتياع الأرض بالشمن الفاحش من ابناء العرب يستعمرونها احسن استعمار وأغدقوا جميعاً لهم واغنياؤهم في الغرب الاموال العظيمة على فلسطين حتى عمر اليهود كل ما وضعوا أيديهم عليه من مزارع وأنشأوا المعامل والمدارس وأقاموا المصانع وشادوا القصور والمحصون . وكانت حماية إنكلترا للصهيونيين ظاهرة ومع هذا ما رضبت عنها بعض أحذائهم ومنهم من كانوا يتربصون بحماية الانكليز الدوائر ، وما ذلت بريطانيا في الشرق كما ذلت في فلسطين ، فكان رجالها يقتلون وتضطر الى مصانعة اليهود والتغاضي طوعاً أو كرهاً عن جناباتهم حتى

لا ينسدوا عليها اليهود الولايات المتحدة وهي في الحرب والسلم محتاجة الى صدقة اميركا ، وما ان اعلنت انكلترا انتهاء اندماجها على فلسطين حتى زادت الحال شدة على العرب ، وكانت انكلترا تجور عليهم في جميع الثورات التي قامت وتراعي اليهود مراعاة لانقل الانكشار . ولما تمت معدات الصهيونيين الحربية وحان وقت رفع العلم الصهيوني على ارض الميدان بصورة رسمية ابدى اليهود للعرب نواخذ الشر اكثرا من ذي قبل فكانت حرب العصابات ثم الحرب النظامية كالتي تنشب بين دولة ودولة ، وكان العرب الى العهد الاخير يعرفون ما همقادمون عليه ولا يستطيعون ان يتذரعوا بما ينقدهم خوفاً من الانكشار ، وهم كانوا في كل فتنة اشتغلت بين العرب واليهود الى جانب هؤلاء كان بريطانيا العظمى دولة يهودية لهاً ودماءً وديناءً ومدنية .

وبعد الحرب العالمية الاخيرة او عزت انكلترا الى بعض رجال السياسة من العرب في العراق ومصر ان يتقدموا الى الحكومات العربية السبع (مصر والعراق والملكة السعودية واليمن وشريقي الاردن وسوريا ولبنان) بتاليف جامعة عربية ففرح العرب وظنوا ان باطن ساسة القوم كظاهرهم . وكان العرب لسلامة صدورهم او لأنهم مبتدئون بالسياسة يظنون ان الحرب الأخيرة علمت البريطانيين ان يعدلوا سياستهم في الشرق وقد عزموا ان ينظروا في خير العرب ، وما غایتهم في الواقع الا ان يجعلوا منهم في غرب آسيا قوة تعضدهم امام قوى اعدائهم ويستندون اليها في حال وقوع حرب مع روسيا او غيرها . ولما نشببت الحرب الفلسطينية واشتراك فيها بالفعل خمس دول عربية مصر وسوريا والعراق ولبنان وشريقي الاردن ، بقيت المملكة العربية السعودية والملكة اليابانية بعزل ، وكانت مصر وسوريا من اهم الحكومات تأديباً بالحرب وخصوصاً سوريا فانها هبت لجهاد الصهيونيين اول الدول العربية وقبل ان تم استعداداتها تخدوها حماسة المتحمسين من اهلها . اما سائر الدول فنها من اخذ بساوم ليضيف جزءاً من فلسطين العربية الى ملكته كالمملك عبد الله ر ابن الحسين صاحب شرق الاردن وشغلت اليمن بنفسها وثورتها وابن سعود

صرح بازه لا يسو على ما يريد ملوك العرب لانه اعرف بما يصلح مملكته ، والحقيقة انه خاف غضب الولايات المتحدة وهي صاحبة شركة البترول في مملكته التي تدر عليه ملايين من الاليرات الذممية كل سنة . وكان العرافيون جداً في ذلك الوطن العربي الاكبر وما ابدوه من معاونة القضية العربية منذ كان لم

جيش وسلطان مما ترتفع به الرؤوس وقدر الله ونرات الكوارث بالجيش المصري وال Soviety وثبت انه كان في صفوف الصهيونيين قواد من الروس وكانت تشيكوسلافاكيا الشيوعية قد الصهيونيين بالسلاح مدفوعة بأيدي روسية وعاونت الولايات المتحدة الصهيونيين جهراً وكان الانكليز على عادتهم يراوغون وضلعمهم مع الاميركان وما كان لهذه الحفنة من الجيوش العربية ان تغلب جيشاً مستيناً في سهل دعوته تعاضده دول كبرى ، فمصر والشام والعراق لم يحاربها الجيش الصهيوني فقط بل حاريتها بريطانيا العظمى والولايات المتحدة وروسيا اكبر دول الأرض الحربية اليوم ، ولكل من هذه الدول مأرب تحاول تحقيقها على حساب فلسطين ، فالانكليز السكسونيون يدعون انهم يحرصون على حماية بلادهم من الشيوعية عدوة الديمقراطيات ، وروسيا اذا كتب لها التدخل في فلسطين كما تشتكي تخرج الى البحر المتوسط بأساطيلها وهذه أمنيتها منذ القديم ، وجعلت الدول الكبرى من العرب آلة لقضاء غاياتها لما خصت به بلادهم من مركز متاز بين آسيا وافريقيا واوربا .

وصل الصهيونيون لما سعوا اليه سنين وهو تقسيم فلسطين استأثروا بالساحل العاشر وقدفوا بالعرب الى الداخل واكتروه غامر وذلك على صورة مضحكه لم تعهد في ارض متحدة الأجزاء، متشابكة السكان ان قسمت على هذا الوجه المخزي ، هكذا اراد احباب اليهود ان ينيلوهم رغباتهم وضحكتوا من العرب ودول العرب ، وختمت هذه المأساة التي بكى لها كل عربي وكل مسلم في الارض بما اورث الحضارة الحديثة العار الابدي ، / نزعوا من المالك ملكه واعطوه ظلماً لمن أحبوه استهانه ، ومن اشتق ما اعد

فأوب العرب ان أصبحت الدولة الجديدة فاصلة بين الأقطار العربية في افريقيا واقطارات في آسيا .

فلنا ان بريطانيا العظمى ذلت امام الصهيونيين لأن يبasta اقتضتها مصانعهم حتى تبقى الولايات المتحدة حليقتها ولا يدس اليهود دمائهم تحمل رابطة الدولتين البريطانية والاميركية ، واي ذل لبريطانيا افظع من ان يقتل رجاما ولا تستطيع ان تضرب على ايدي الارهابيين من اليهود ، وكانت الدول حامية الصهيونية خلال الحرب الفلسطينية الأخيرة اذا ايفنت ان بعض دول العرب في ساحات الوعى كادت تظفر بشرoron الى جيوشها بالارتداد الى الوراء مهددين ، وما ذكر التاريخ حرباً مضحكة كهذه الحرب . وزاد في هذه المزلة تفاصيل العرب في الآخر لأن صاحب شرقى الاردن يحلم بتوسيع ملكه من ارض فلسطين وسوريا ، ورئيس جمهورية سوريا يحاذر ان تتحل جمهوريته وتتألف سوريا الكبرى ، وصاحب الحجاز ونجد يخاف على توثر العلاقة بينه وبين انكلترا واميركا ، وبخشى اذا صهد مع الحكومات العربية ان تفوته فوائد مالية كبيرة .

نكتب هذا وفلسطين البائسة لاتزال بين خفض ورفع وحرب وهذه وسكان فلسطين من العرب الذين سوهم باللاجئين وهم يزيدون على ثمانمائة الف يهيمون على وجوهم في فلسطين وسوريا وشرقى الاردن والعراق ومصر غادروا ديارهم بعيالهم لما ناهم من ظلم اليهود

فرح بعض ضعاف العقول من أهل فلسطين لما اخذ الصهيونيون يتعاونون من الوطنين الأرض بالأثمان الفاحشة وظنوا ذلك مفتاحاً لهم لم يفز بهله آباءهم ولا اجدادهم وقال بعض المتشدقين ان الحالة الاقتصادية تحسنت جداً في فلسطين بما دخلها من اموال الصهيونيين وقدرها بئنة مليون جنيه بيد ان كثيرون من باعوا تراث اجدادهم وموهوا على انفسهم بأنهم غنموا مفتاحاً لم يكتب لهم مثله وكان من نساء اليهود أن استعدن منهم ما كانوا قبضوه قيمة اراضيهم بطرق دنيئة كتبت كثيراً عن خطر الصهيونية في جريدة المقبس ثم في كتابي خطط

الشام منذ نحو أربعين سنة وعاونني أربعة أصدقاء من أرباب التفكير السليم نلقت الأنظار إلى ما يتوقع من خطرها . اثنان من فلسطين وما الاستاذان عبدالله مخلص وعمر الصالح البرغوثي وواحد من لبنان وهو الاستاذ نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل في حيفا والرابع دمشقي وهو الاستاذ شكري العلي وكان قائم مقام الناصرة ثم نائب دمشق في مجلس النواب العثماني وكلهم لم يدخلوا جهاداً في بيان ماسينال فلسطين من الفبن العظيم اذا امتدت الدعوة الصهيونية

اما اليهود فقد تحققت احلامهم القديمة بذكائهم ومالهم ومفاد انهم ثم بمعاونة دول الغرب لهم « سبحانه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك من يشاء »

عموم التوفيق

ثبتت أن الرئيس السيد شكري القوتلي لم ينفع مدة رئاسته إلا نفسه ومن اصطفاه ، وكان السوداء الأعظم من الشعب غاضباً على طريقته في الحكم ، وعلى صم أذنه عن سماع الحق ، وعلى سخريته من أجلسوه في مقام كان عليه أن يقوم حق القيام بما يجب عليه له .

كان هذا الرئيس كثيراً ما يعتبّر على لقائه اختلافى الى مجلسه وعدم المبادرة لاجابة دعواه الى مآدب الرسمية فكانت اعتذر بصحي وضيق وقتى وان اجتماعي بن لا أحبه ولا يحبني قد يضر بصفائي وينقص المدعون ، وقلبي يجدنى ، لكثره ما تواتر عنه من المزروع بما لا يوافق اغراضه من النصائح ، ان كل من لم يدحه هو في نظره عدو حكمه ، وكل من ينصحه يكرهه ويحقد عليه .

وغالطت نفسي مرتين وعرضت عليه اقتراحين نافعين أحدهما خرق الطريق الضيق الموصى بين باب البريد الى المدرسة العادلة مقر المجمع العلمي العربي والى المدرسة الظاهرية وفيها دار الكتب الكبرى ، والى

ضريح صلاح الدين وأخيه العادل والملك الظاهر . والاقتراح الثاني تقرير ما حول العادلة والظاهرية من الاكتواخ والمساكن لأن الخط محقق بها ولا سيما بدار الكتب لجاورة الحام والقمين والفرن فاعتذر عن الاول بالحرب وضيق البيوت على السكان . وكان الاعتماد اللازم لفتح هذا الطريق مثبتاً في موازنة البلدية لذاك العام - ووعد بإنفاذ المشروع بعد الحرب وما عاود الكلام فيه ، وكان الوعد بالاقتراح الثاني أن يباشر به في أقرب فرصة فما صدق بوعده ولا ببر . وظلت هذه الممانع العظيمة وسط أزمة ضيقة حقيقة قدرة لا تنفذ إليها الشمس ولا الهواء ولا تنفع للماراة فضلاً عن السيارات والمركبات . وقدمهاً كانت تلك الحلة أشرف حي في دمشق لجوارها الجامع الأموي وكانت في القرون الأولى للإسلام منازل الصحابة والتابعين ورجال بنى أمية ومن جاء بعدهم من العظام والعلماء .

ما اهتم الرئيس بكل هذا والحريري يهدد مدرستين هما من أجل ما شاء الفاتحون من ملوّكنا ، وأهله فتح شارع باسمه في غربي المدينة ونبي أن المنافقين من اتباع الصالحين كثيراً ما فتحوا الملوّك بمثابة شوارع وبنوا باسمهم المصانع بما ان مات اوئك الملوّك او تنازلوا عن الحكم حتى كان الاعفاء نصيب ما بنوا . وكان على الرئيس ان يعتبر بسلفه التاجر السيد ناج الدين الحسني وما كان من حرصه على تحويل اسمه . حفره على ما شيد ايام ولايته من جوامع ومدارس ومخافر ودور حكومة فلما جاءت الكتلة الوطنية وعلى رأسها عيدها السيد القوتلي نفسه ازالت كل ما زير على الحجر وكتب في الجدران فذهب تعب الحسني عيناً كان يتعدّر عليك ان تزین لهذا الرئيس عملاً لا يكون له منه منفعة ولو كانت عناته بالعموميات اكثر من الخصوصيات خلـد اسمه بما تم على يده للخير العام اكثر من شارع يزال اسمه عنه بقرار من المجلس البلدي . ولـكان من هذين التترحبـين فوائد عامة منها دخول ذاك الحي ، وهو سرة المدينة ، في طور العمران الحديث . ولا تصل هذا الحي من الشمال بجادة الترام التي تربط شرق دمشق بغربها ولاستعادت تلك المصانع

الجريدة بجنبها الأولى ولبحث مدينة دمشق وبلديتها رجحاً عظيماً واستفادت
البلد العاملة فائدة تخفف وطأة الأزمة . ولكن من حرم التوفيق لاسباب
لك ان تحمله على سلوك سبل الخير ولو أُوتِيت بلاغة سعبان

ادبيّة دُرُّوبَة

ولدت السيدة وداد السكاف كيني في بيروت وتركت فيها الثقة الأولى ثم انتقلت
إلى دمشق بحكم افتراضها بالدكتور زكي الحاسني الشاعر الأديب وانصرفت
إلى التأليف والكتابة فاشتهرت في مصر والشام بما انتجه من كتب أدبية
وقصص ومقالات وأحاديث فيها روح الجديد يمازجه شيء من القديم ، وكان
اهتمامها في ثقافتها على نفسها في الأكثر فجاء منها ما قلما يجيء من كثير
من حاملات الشهادات العالية وذلك بفضل دؤوبها وبما انتجه ثبتت أن
الشهادات شيء ولكنها ليست كل شيء وان المرأة الشامية اذا تساوت وسائلها
والمرأة المصرية ، فاقت الأولى بثباتها وصبرها وهذا سر اشتهر « مي » من
السوريات المتمصرات . ولو لا غضب المصريات على لصرحت باكثر من
هذا . وقد قلت غير مرّة ان ما صرف في مصر على التعليم كانت ثراة
اقل من نفقاته بكثير ولو وحد التعليم في الديار الشامية لكان فيها العلم
اروج سوق ولأخبّرت العقول أكثر ما أخّبّرت في مصر .



ملوك العرب

دخل التجدد في دول العالم وتبدل على الزمن أوضاعها وادارتها وانظمتها يأخذ النالي عن الأول . اما دول العرب وفي الجزيرة خاصة فلم تتأثر بشيء ، مما سمعت عن الغرب وظنت المحافظة على القديم هو القوة وفي جهل رعایاها كل السلامة لها ، ولا ينجيها وينجح ملوكها الا الضغط على الرعية واستعبادهم وقد يفدها بؤسهم أكثر من سعادتهم ، وباطالة أمد جهالهم يضلون طريق نجاة يخرجون منها الى اكراه الملوك على التخفيف من استبدادهم وانا لنشهد ان قد آن للملك الجزيرة - وكل عربي يجب لهم ولبلادهم السعادة – ان يدركوا حاجة شعوبهم الى التجدد ويبدلوا اساليب الحكم القديم بالنظم الجديدة المستمدۃ من روح القرآن الوربة ابنة الدرس العميق والتجارب الحكيمية ، والدوعي والبواعث تدعو الى الأخذ منها .
نحن على يقين ان ملوك العرب منذ مئات من السنين لم يدخلوا على شعوبهم ما يصلح ان يطلق عليه اسم التجدد وكل ما عندهم من العتيق البالى ، هم لم يجددوا في لباسهم ولا فرشهم ولا مساكنهم ولا هجراتهم ولا عاداتهم وهم الى الان صورة مما كان عليه اجدادهم واجداد اجدادهم الى ابعد حدود التاريخ ، العالم يتحرک ويتحرر والعرب وقوف مستعبدون . وقصارى ملوكهم ان تجبي الجباريات من الرعایا فینتفق اکثرها في البذخ والاباهة ولا يحب لمستقبل حسابه ، ولا ينال ملوكهم غير قسط ضئيل من هذه الاموال ولا يصرف شيء على انشاء مدارس ومستشفيات ولا على تعبيد طرق واصلاح ري ولا على غير ذلك من اوليات المسائل في قيام الملك ، فالبلاد ينقصها كل شيء ، حتى لقد قال احد الاميركان انه ليس في كل ارض نجد على طوها وعرضها سوى صيدلية واحدة وليس فيها كل العاقفون . إن الحسنات التي تحققتنا وجودها في نجد والحجاز بفضل ملوكها ، ولطانا

ذكـرناها لارباب الرحلات من الغربيـن مفاخرـين - لا تكـفي وحدـها في
انهـاض تلكـ الديـار من كـبـوتـها . ان تـطـيـقـ مـفـاـصـلـ الشـرـيـعـةـ الـاسـلامـيةـ
ولـاـ سـيـماـ فيـ العـقـوبـاتـ اـنـتـشـارـ الـأـمـنـ وـالـسـلـامـ فيـ الـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـوـدـيـةـ
بـاـ لمـ نـطـمـ بـاـكـثـرـ مـنـ هـاـكـ الـخـضـارـةـ الـحـدـيـثـةـ . ان اـنـشـاءـ اـمـهـجـرـاتـ وـانـقـطـاعـ
سـكـانـ الـبـوـادـيـ إـلـىـ زـرـاعـتـهـ وـابـطـالـ الغـزوـ وـالـغـارـاتـ وـانـشـاءـ اـدـارـةـ صـحـيـةـ
مـنـظـمةـ فيـ الـبـلـدـينـ الطـاهـرـينـ ، كلـ ذـلـكـ حـسـنـ وـنـافـعـ وـهـنـاكـ اـمـورـ تـنـقصـ
وـفـيـهاـ سـعـادـةـ الـشـعـبـ وـفـتـحـ بـاـبـ لـارـتـاقـهـ وـاـخـرـاجـهـ مـنـ اـنـتـظـارـ الصـدـفـاتـ اوـآخـرـ
الـشـهـرـ لـقـبـضـ رـوـاتـبـ الدـوـلـةـ

ويـلـفـنـاـ الـيـوـمـ مـنـ حـالـةـ الـحـجـازـ مـاـ يـرـمـضـ النـفـوسـ يـتـرـامـيـ الـبـنـاـ انـ الـشـعـبـ
جـائـعـ عـرـبـانـ وـلـاـ مـنـ يـفـكـرـ فـتـحـ اـبـوـابـ الـكـسـبـ لـهـ وـهـذـهـ الـحـالـةـ مـطـرـدـةـ مـنـذـ
سـنـيـنـ . نـعـمـ انـ الدـوـلـةـ لـاـتـسـتـطـعـ عـلـىـ الدـوـامـ انـ تـرـزـقـ رـعـاـيـاـهـاـ كـاـنـ الـمـلـكـ لـاـ يـدـأـ
لـهـ بـالـ اـذـاـ كـاـنـ مـنـ وـكـلـ اـلـيـهـ اـمـرـ دـنـيـاهـ فـيـ شـقـاءـ وـهـوـ وـحـدـهـ يـنـعـمـ بـخـيـرـاتـ
الـبـلـادـ ، وـيـوـمـ تـصـحـ النـيـةـ عـلـىـ الـبـدـاءـ بـمـشـارـيـعـ جـدـيـدةـ وـيـرـزـقـ مـنـهـاـ الـعـلـمـةـ وـاـنـرـقـةـ
وـغـيـرـهـ تـتـحـسـنـ حـالـةـ السـكـانـ كـاـ حـسـنـتـ حـالـ الـحـكـومـةـ باـسـتـهـارـ الـذـعـبـ
وـالـبـرـولـ ، انـ اـنـظـامـ الـحـالـةـ الـاـقـتـصـادـيـةـ بـتـساـوـيـ الرـاعـيـ وـالـرـعـيـةـ فـيـ المـنـافـعـ ،
فـالـاـسـرـافـ مـاـ حـمـدـ يـوـمـاـ مـنـ الـأـيـامـ وـمـنـ يـعـدـ اـلـيـهـ مـلـكـاـ كـاـنـ اوـ سـوقـةـ فـمـصـيرـهـ
الـخـرـابـ . الـمـالـيـوـمـ مـوـجـودـ فـيـ اـرـضـ مـلـكـ الـعـرـبـ وـالـفـرـرـورـةـ حـافـزـةـ وـالـبـدـءـ بـالـأـعـالـ
الـمـشـرـمـةـ مـتـحـمـ وـصـاحـبـ هـذـاـ الـمـلـكـ يـعـرـفـ وـجـوهـ الـصـرـفـ وـالـاـقـتـصـادـ . وـقـدـ رـأـيـ فـيـ
مـصـرـ يـوـمـ اـنـ وـافـهـاـ زـائـرـاـ مـنـ ضـرـوبـ الـرـقـيـ الـذـيـ خـلـتـ مـنـهـ مـلـكـتـهـ
مـاـ يـدـعـوـ اـلـىـ الـعـجـبـ . وـلـاـ يـفـوتـ الـمـلـكـ الـعـاقـلـ اـنـ فـيـ الـيـوـمـ الـذـيـ قـامـ مـحـمـدـ عـلـيـ
الـكـبـيرـ باـصـلـاحـاتـهـ فـيـ مـصـرـ كـاـنـتـ الـحـجـازـ وـنـجـدـ عـلـىـ مـاـ يـقـرـبـ مـنـ نـسـبـتـاـ فـيـ
الـاـرـتـقاءـ ، وـفـعـلـ الزـمـانـ فـعـلـهـ وـاـنـقـلـتـ مـصـرـ مـنـ حـسـنـ اـلـىـ اـحـسـنـ حـتـىـ بـلـغـتـ
مـاـ بـلـغـتـ مـنـ الـعـظـمـةـ ، وـفـضـلـ الـبـلـادـ بـالـخـيـرـ اـبـداـ .

لـوـ كـنـتـ مـلـكـاـ لـاـ قـدـرـ اللـهـ لـعـدـدـتـ مـنـ الـخـوـتـةـ لـيـ وـلـأـمـتـيـ كـلـ مـنـ
لـاـ يـصـدـقـوـنـيـ عـمـاـ يـحـبـ الـقـيـامـ بـهـ مـنـ الـاصـلـاحـ ، وـلـطـرـدـتـ مـنـ خـدـمـتـيـ كـلـ مـنـ

بحن لي القبيح ويقع لي الحسن ، ولأبعدت عن بلدي كل مداهن يعيش بأكل مالي ومال رعيتي ويجمع ثروة عظيمة في غفلة الدهر ، ولرددت كل ما في وسعي ان ارده من امال على اعمال ترفع مستوى العيش في رعيتي . فقد قال احد كتاب فرنسا ان صناعة الملوك فقدت كل لذة وسلبت من الملك الحديث جميع امتيازاته الملكية القديمة فليس له ان يأخذ من مال الحزينة ما يشاء ولا ان يفضل على وصفاته على حساب الدولة ولا ان يسرف في اهوانه وشهوانه وبيني القصور وعليه ان يظهر في مظهر وطني مقصد وان يكون اباً صالحًا وزوجاً صالحًا وان يتخلى بالفضائل الطيبة كأنه احد افراد الطبقة الوسطى والا عرض نفسه للهلاك اه .

نحن لا نختط هنا خطة لصاحب نجد والجهاز يصل بها الى سبل الاصلاح ولا نقول بالوثبة المعجلة بل نعرض ما نراه في نظرنا صالحًا للمواثق العرب وجزيرة العرب .

العلامة كرينكو

كرينكو عالم مستعرب اصله من شمالي جermania اسمى نفسه في الشرق « سالم الكرينکوي » هاجر الى انكلترا وتجنس بالإنجليزية الانكليزية واتقن من اللغات الاوروبية أزيد من اربع عشرة لغة يتكلم بها ، وتعلم العربية والفارسية والاردية بنفسه من دون معلم وهذه اللغات الثلاث يكتبها ولا يتكلماها ، ويكتب بالعربية كتابة المؤلفين من العرب وهو شاعر بالالمانية لغته الأصلية . وقد نشر بالعربية عشرات من كتب علماء العرب وعلق عليها وخدمها بما يخدم اعظم علماء المشرقيات كتب اسلامنا .

أعجبت ببدؤوبه منذ عرفة ونوهت به بالمناسبات وكان آخرها في محاضرةقيتها في جامعة فاروق الأول بالاسكندرية في فضل المستعربين من الغربيين على لغتنا وتوسعت فيها بذكر ما نشر العلامة كرينكو من

الكتب وعرفت لآرائه ومذهبه فبعث يقول انه لا يستحق هذا التوبيه
وأنا اعتقد انه اهل لاكثر منه وما قلت الا أقل ما يقال شهد الله . قال
اشكرك من صيم قلبي على حسن ظنك بي وان كنت غير مستحق لكل
ما قلت فيَ . اني من نحو ثلاثين سنة اعمل خادماً للعلوم الاسلامية والشكر
اولاً لاصدقاني في حيدر آباد الدكن لمعاونتي على القيام بهذا العمل فطبعوا
لي في مطبعة « دائرة المعارف » الكتب التي كنت اعتقدها مهمة للنشر الغر .
ان عنابة السيد كرينكوف بتآليف اجدادنا قد زاد في خزانتنا العربية
عدد الامهات المطبوعة من تراثهم الشميم ، ففضله حي بعض ما كان ينسى
او يضيع من ثروتنا العلمية . وكان على علماء العرب ومنهم شيخ الازهر
ان يتولوا من علومنا ما تولاه السيد الاعجمي منها ، وهم لو ساروا على
طريقه ما بقي كتاب مهم للقدماء مطروحاً في زوايا الخزائن معروضاً
للحريق والتمزيق ، كانوا هم اولى ان يتقدموها فيجبوا تفسير ابن خالويه
لثلاثين سورة من الكتاب العزيز ، ولكن شيخ المسلمين في مصر والشام
والعراق وتونس ومراکش يتدافعون على المظاهر والمناصب والحياة عندهم
مشاهرات ورتب وأوسية الا من رحم ربك .

الاستاذ كرينكوف بحسب العرف غريب عنا ولكنه في الواقع قريب
من قلوبنا لعطفه على ادبنا وتاريخنا وديننا بلا غرض الا خدمة العلم
المجرد ، والعجيب في امره انه لم يتقييد بأحد فلا ينتهي الى جامعة ولا الى
جمعية ولا الى جماعة وما عرف الا الاعتماد على نفسه والولوع بخدمة غرضه
الشريف . ومن أراد برهاناً آخر على غيرته على مدينتنا فليرجع الى
ما حلّ به نجيد مجلة الجمع العلمي العربي من المقالات والابحاث والانتقادات
خدمة للإسلام والعرب .

ف الرجل هذا شأنه اما هو حري بأن نشكّره على بضم اياديه علينا
وعلى ادبنا ومدينتنا وخصوصاً اذا نظرنا اليهيناً وشهاً ولم نجد من يعشره
من المعاصرن اصحاب هذا اللسان وهذا الدين ونحن لم نر من اكثربم غير

الدعوى العريضة ، واذا وقع التنظير بين علماء الغرب وعلماء الشرق تظهر الفروق بين العقول .

ذكرت بعض صحف الغرب ان اندريه موروا من اعظم كتاب فرنسا وعلمهها القى بآخرة في اميركا اربعماً وثلاثين حاضرة خلال اربعين يوماً . وحاضرة يلقىها مثل هذا النابغة لا بد ان يكون فيها شيء جديد وكثير من التحقيق الذي لا يصل اليه المحاضر العادي ،ليس من العار ان يموت العالم عندنا ولم تؤثر له حاضرة واحدة خلال عمره الطويل ؟ وهذا هو الفرق الطفيف بيننا وبين أهل الغرب !

غلو الشعر قبيح

يفحش الشرقي في الغلو بالدقائق والجليل من شؤونه الدنيوية والأخروية فقد بالغ في تصوير الامور الروحية حتى حار كثير من الغوغاء يؤهلون المخلوقات ويسيجدون للجمادات ويثبتون لمن يحترمون من الآدميين من خروب الصفات ما تضل في تكبيفه العقول .

الشرقي يبالغ اذا وصف أحداً بالعفة والسخاء والشجاعة والمرءة وفي دواوين الشعر وكتب المحضرات أمثلة كثيرة من ذلك . وأمة تقول «أعزب شعر أكذبه وأشعر الناس من استجيد كذبه» لا تخرج من الغلو والبالغة ، هي اذا عدت وفاقت نسبت الحساب والمساحة واذا قدرت أوغلت في الخيال وخرجت عن طور المحسوسات وتناسلت التدقيق فكالتلك أو وزنك بالألف وربما كانت الحقيقة في العشرات .

يبالغون في قوة الدول وأموال الجيابات وخروج السلطان ونفقات المترفين وثروة الاغنياء الموسرين يتغدون في العدد ويتتجاوزون حدود العوائد وبطاعون وساوس الاغراب كما قال ابن خلدون فإذا اسكنكتي أصحاب

الدواوين عن عساكرم ، واستبسطت أحوال أهل الثروة في بضائعهم وفوائدهم ، واستجلبت عوائد المترفرين في ثقائهم ، لم تجد معياراً ما يعودونه ، وما ذلك إلا لولع النفس بالغرائب وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة على المتعقب والمنتقد حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عدم ، ولا يطالها في الخبر بتوسيط ولا عدالة ، ولا يرجعها إلى بحث وتفتيش ، فيرسل عنانه ، ويسمى في مراتع الكذب لسانه ، ويتخذ آيات الله هزواً ، وبشتري لهم الحديث ليضل عن سبيل الله وحسبك بها صفة خاسرة .

ترى كثيرين حتى من خاصتنا إذا سألتهم عن الثروة لا يسعك إلا أن تقف شائخاً تستعيد بالله من غلو المشارقة وتجويزهم الكذب وضعف استقرارهم واستنتاجهم وغفلتهم عن القياس والمقارنة . قف واسأل الله العلامة وهم يصورون لك صاحب المئة من أصحاب الألوف وصاحب الألوف من أصحاب مئات الألوف .

وقد كان بعض الظرفاء يقول إذا ذكرت أموال صاحب الثروة في الشرق وقدر ما يملك بيته فاحدف صفرتين من بين الأرقام ، فإذا قالوا لك إن فلاناً يملك عشرة آلاف فأعرف أنه يملك مئة وإذا قيل لك يملك مئة ألف فأعرف أنه يملك عشرة آلاف وهكذا افترض أقل تعديل لعلك تستطع على الحقيقة . وكان يقول إذا لم تصدق فسائل العادين من يقدرون ثروات الأفراد إلى آخر درهم بما عندهم ، على حين أنك لو سألت أصحابها عمما يملكون ما عرفوا أن يقدروا لك إلا بالتخمين والتقريب .

هذه زبدة ما كتبت في مجلة المقبس (جمادى الأولى ١٣٢٥) ومثلت يومئذ بمحادثتين جرى أحدهما في مصر والآخر في دمشق وفي الأول قدرت احدى الصحف النصرية ما حشنته الدولة العثمانية يوم اختلافها مع بريطانيا العظمى على الحدود المصرية الشامية بثمانمائة ألف جندي وما قيل لها من الغدان هذا العدد مبالغ فيه جداً فالت ذلك أنه زاد صفر في العدد بالغلط فكان العدد الحقيقي ثمانين ألفاً . وبعد التحقيق تبين أن ما كان جمع هناك من الجند

لم يتجاوز الألفين . والحادث الثاني مات أحد المعمرين فقال الناعي انه مات عن خمس وثلاثين سنة بعد المئة وأنه خلف خمسة نسخ ذكوراً وإناثاً وبعد التحقيق تبين أن عمره لم يتجاوز المئة وأن ابناءه وأبناء ابنته م دون الخمسين .

وفي هذه الأيام غلا الناس في تقدير الثروات على العادة لأن التجار رجعوا في الحرب الأخيرة أرباحاً عظيمة فاتسعت ثرواتهم وكثرت معاملاتهم ومنهم من بنوا القصور والمصانع ، وبما سمعته واستغربته أن أحد خونه وزرائه سوريه سرق من مال الجمهورية مئة مليون ليرة سوريه (نحو عشرة ملايين جنيه مصرى) والتحقيقات في حساباته لم تم ، فذكرت ذلك لأحد أصحابي المعتدلين في السرد والتقدير فقال هذا مبالغة وإنما الصحيح ان هذا الوزير كان قبل بضع سنين يعيش في بيت والده لا يملك نقيراً ولا قطميرأً فقال والده منذ مدة لاحد خاصة : ان ابني صر بذلك ثانية ملايين ليرة فقلت له هذا صحيح أو أقرب الى الصحة .

هذه المبالغة مناصحة بحكم العادة والبيئة كالكذوب يرى أهله ومن يعاشرهم يكذبون فيكذب مثلهم ، ولا أحسن من الرجوع الى الاعتدال عند ذكر الارقام من أن يفكر المتكلم قليلاً ويقدر همة المليون الواحد حتى لا يضحك الناس من تقديره أو يروي المبالغة وينبعها حالاً بما يسقط من الرواية ويقلل من الغلو فيها .



جمود العرب

كثيراً ما كان أحد أساتذتي يقول : لا تطيب السكنى في بلد لاتزده طائفة من أرباب القبعات فإذا كثروا كانوا مصيبة عليه . يقصد بقوله هذا - بقدر ما استنبط منه الفكر يومئذ - ان الدولة العثمانية لا تراعي اهل بلد الا بقدر ما فيه من الأجانب يراقبون اعمالها فإذا خلت بلدة من هؤلاء الرقباء عملت الدولة فيها على هواها وكثرتهم خارة . وينکن تأويل هذا على معنى آخر وهو ان البلد لا يتحضر الا بالاحتكاك بالغريب الراقي ولو فدر لسكان الجزيرة ان يختلطوا بالأجانب لما انحطوا هذا الانحطاط

لاجدال ان جزيرة العرب اليوم اكثراً الاقطار العربية تأخرآ في مضمار الحضارة وكانت حضارتها في اكثراً عصور الاسلام والجاهلية ارقى من حضارة الغرب وما علة هذا التأخر الإقليم والهواء بل هجرة اهل الجزيرة في القرون الاولى للإسلام الى ما فتحوه من البلاد الثانية وبقى الاعراب اي سكان البوادي وحدهم وتخلف في القرى اي المدن من العرب العاجز والشيخ والمتوسط الذكاء . ثم اتت عصور رأى امراؤها ضرب الخواجر بين ارضهم وسائر اقطار العالم فنشأت اجيال كلها جهل واتكال وعاد السكان يعيشون من صدقات الامراء وأهل الحجاز ينتظرون موسم الحج يسدون بما يرجون منهم بعض حاجتهم . وقل ان فكرت الامارات التي توالي حكمها على تلك الاقطار العظيمة ان تعمر بلادها وظل اهلها على حالة ابتدائية . واذا صع ما يومنا به الغربيون من الجمود فيصبح اولاً على سكان الجزيرة وجمود سائر الشعوب العربية نسيبي . وكانت فرنسا وایطاليا واسبانيا في شهابي افريقيا السبب في جمود المراكشيين والجزائريين والتونسيين والطرابلسيين ولا ينكر انه كان للفقهاء يد طولى في هذا الجمود الذي دام قروناً ، وبعضاً الاقطار التي نجت من استبداد الطغاة وتعصب الفقهاء وظهرت في

سنين قليلة ظهر لباس به من الارتفاع قد اكذبته بنهايتها ما كان يصيّبها به المتعصبون من اعدائها . وبعد ان امتننا العقل بمحりته يسير بما يتراوّه له وابحثنا تعلم العلم على اختلاف ضروبه تبدل الحال وبات يرجى الانتقال خارجة مصر والشام والعراق عن حضارات ارقى الدول الغربية .

انّا العرب في الجاهلية مدنیات عظيمة في جزيرتهم وانشأوا في الاسلام مدنیة كانت الوحيدة في العالم خلال اربعة قرون ثم اصيّب العرب بالضعف حتى اتّهمنا بالجمود وبدأنا نشعر بنقصاناً منذ القرن الماضي . وسيدّع كل قطر من اقطارنا الناهضة مدنیة خاصة به ولاعار في اخذنا عن الغرب فقد سبق له ان اخذنا كثيراً (راجع في كتابنا الاسلام والحضارة العربية ما اخذنا الغرب عن العرب)

روى احد علماء الانكليز (هارولد نيكلسون) قول المؤرخين من انه منذ وجدت في الأرض جماعات منظمة رأت الانسانية ثلاثة وعشرين حضارة مختلفة سارت كل واحدة منها في ادوار معينة حتى انتشرت فتمت في اول نشأتها ثم استقرت وتوطدت ثم ثارت ثورة الفقراء فكان من ثورتهم الانخلال . ومن هذه الحضارات من تركت عاديات ابانت عن قوتها وتقافتها ومنها ما لم يبق منها غير ذكرها

قال ولدت مدنية اوربا في اليونان قبل القرن الخامس من الميلاد فوضعت قواعد انسانية جوهرية وعّرّفنا اليونان فضل الذكاء الحر ومبلغ تأثير العقل ، وأخذنا من الرومان حرمة المذاهب وعظمة الشرائع . وعدلت النصرانية من قسوة المعتقدات الرومانية وقالت باغناه الفرد ورفعت مقام الفضائل واتت بالرحمة والرفق ، ونادت فرنسا في القرن الثامن عشر بتغلب العقل والعلم الصحيح . وجئنا نحن الانكليز بثال من النظام لم نأخذنه عن مقام سام بل ولد من ذاته وتألف من عادات انبعثت من الشعب كان رائدها التسامح والاعتدال والتنظيم .

يمجّد العرب اليوم لاسترجاع حضارتهم القديمة يزوجونها بما يقتبسونه من

الحضارات الحديثة فيرتفع عنهم لذلك عار الجمود وخلق الانكال ويستعدون لحياة طيبة فيها جام القوى المادية والمعنوية ، وستكون حضارتهم على اختلاف اقطارهم منوعة الاشكال كالفيسياء لاتشبه حضارة العرب ايام عزهم ولا حضارة الغرب لعهدها بل تكون شيئاً جديداً فيه عبريتهم وروحهم.

المطالبة المعقولة

وقفت الحكومة الجديدة في سوريا خلال الشرين الاولين من حكمها الى تحقيق اصلاحات لم توفق الى مثلها الحكومة البايدة في اعوام . منذ القدم كنت ازع الى الامتناع عن نقد كل حكومة جديدة واترك لها وقتاً تجتمع فيه شملها وتوجه دفة سفينتها حيث تريد على ما ترى فاذا وفقت الى الخير فيها ونعمت والا فان اعمالها تسقطها على نحو ما حدث لرئيس الجمهورية الثالث ومن ورائه رجال الفيف أصحاب الكتلة الوطنية فان سيئاتهم في الحكم قضت عليهم ، ولو لم يبادر الجيش الى اسقاط حكومتهم لسقطت بنفسها بما جنته أيديها .

ليست الجرأة على نقد كل شيء بانفع من الثنائي فيه والاقتصاد منه ، ولا يعد التوقف في النقد فصوراً ولا اسقاط كل شيء معقولاً . وأي عمل وهو في مبدئه تأسيسه خلا من هنات تؤخذ عليه . ولو أنصفوا ما كان بمجموع ما عدوه من المتقد يوازي مسألة واحدة ارتكبتها الحكومة السالفة وما وجدت من يحاسبها حتى الحساب البسيط . ولاحظ بعض العارفين بالادارة أن حكومة الزعيم انجزت في أسبوع فليلة عشر مسائل كبرى لا تستطيع الحكومة القواة الصخابة أن تنجز مثلها في سنين ، ولذلك وجب الثناء عليها . والعاقل اذا أصابته نعمة حمد عليها وشكر وأنعم الطرف عما عدا ذلك ، وينطوي من يتطلبون الكمال واجاده من أصعب الصعوبات .

منذ قرن وضع كودينال اسبانيا القواعد التي تستطيع بلاده - وكانت

يومئذ تزفها الاختلافات الداخلية – أن تنشيء حكومة ثابتة مستقرة فيها ، فالهوفار من ساسة الانكليز : ولو كنت اسبانياً من أحزاب اليمين أو من أحزاب الشمال لكنت أردد كلماته الحكيمية وهي : يجب تأسيس حكومة لا تختقر الماضي ولا تهمل الحاضر ولا تنفل عن المستقبل . يجب أن تكون حكومة لا تنكر ضرورات الساعة ولا تنسى الارث الثمين في الدين والمجتمع والسياسة من مخلفات الأجيال السالفة ، حكومة قوية لا تعرف العناد ، عادلة بلا قسوة ، شريفة بلا عظمة ، حكومة تكون مفتاح فبة بناء ضخم تحسن تلقى كل رأي معقول ، وتنجز كل مصلحة مشروعة . وهذا ما نرجو أن يتم على أيدي رجال الحكم الحاضر في سوريا العزيزة لتكون قدوة الحكومات العربية . والواجب أن لا تتطلب الحال وأن تنصف غيرنا من أنفسنا ، فالادوات التي تستخدمها الحكومات هي هي ، والمهارة في اختيار الاصلح فالاصلح ، وعلينا أن نبتسم للمستقبل نقاء ولا نتشاءم ، ولا نجسم الفضيل ولا نصفر الكبير ، وأن نتجبرد عن الهوى ونتعاضد على الحق .

الحكم ملمع الدرر

عجب كل وطني شاهد عمال الحكومة بعد الثورة الجديدة وقد بدأوا دوامهم اليومي على صورة من التدقيق لم يعهد مثلها في الحكومات السالفة . يدققون في ضبط المواعيد في الذهاب والانصراف وييتون في امور ارباب المراجعة بالمرارة المكنة ، ذلك ان صاحب الشأن الأول قضى عليهم بهذا النظام رعاية لصلاحه من يدفعون اجرور اوئل الموظفين فالماء تطالب هؤلاء بحقها عليهم ومن لا يروقه التقييد بارادتها فما عليه الا ان يعزل نفسه قبل ان يعزله غيره .

نعم ان العامل يتناول اجرته من انتدبه خدمته وهذا يطاله بالانقطاع الى خدمته ساعات معلومة في اليوم وعليه ان يخلص فيها توقيعه وان يبادر الى انجازه من دون ان يدفع اليه . وكل من اعتاد أن يأخذ الحق ويعطي الحق تحصل له نثأة يتزوج اليها وجدانه في الآخر . والواجب ونحن نسير في أصول الحكم على مثال الغرب أن نقتيل أساليبه النافعة في مختلف المظاهر .

عمال الحكومة من أرق الطبقات في الأمة لاستعدادهم الاستعداد الكافي قبل دخولهم في الخدمة وهم يتعلمون بالعمل في الدواوين أموراً مفيدة هذا اذا أرادوا تنمية عقولهم وملوّماتهم . وواجب المستخدم أن يتعود التدقيق في محاسبة نفسه باحسان عمله قبل أن يحاسبه غيره والبطال الذي يحاول قتل الوقت بحس بوحشة اذا انقطع عما ألف . البطالة دائمة ما كان يوماً مما يرغب فيه عاقل ومن أجل ذلك نرى الشيوخ يخترعون لأنفسهم عملاً يسلّيهم وقد يكون أكثرهم من لا يطلب إليهم أن يجدوا فما بالك بواجب الشبان والكهول . ونحن كثيراً ما شهدنا من شوهوا سيرتهم بما كان يجب تزييباً عنده ان عاشوا يوم تحيطهم عيشة ضيق ووحشة وما قدروا بترك ما تهأوا له أن يأتوا في انتقامهم بما أفوهوا الى مالم يألفوه الا الفشل وخيبة الأمل .

عن والد مم

تغلب على الأمم عادات وأخلاق لا سبيل إلى تزعمها باهين لأنها ابنة فرون طويلة . فأمة تغلب عليهما الرعونة والثرثرة وأخرى تتسلكها الرزانة والتزمت وغيرها تفرق في التبحّج والتبيّح ، ومنها ما يخلق للنظام أو الفوضى ، وقد يشبه شعباً في كثير من الخصائص خصوصاً إذا كانوا متباورين فالإنكليزي يشبه الألماني من بعض الوجوه ، والصيني لا يشبه الفرنسي ، والطلياني ليس كالهندي ، وقد تشبه الشعوب اللاتينية في بعض المظاهر الشعوب العربية . وسكان جمهوريات جنوبية أميركا وأهل فرنسا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال ورومانيا ينزعون إلى التوسيع في كلامهم وتآليفهم وخطبهم ومناقشاتهم بخلاف الأمم الانكلوسكوسنية فإنها تحب الإيجار في أحاديثها وابحاثها وخطبها ومحاكمها ومحالسها وتتوخى الابتعاد عن القلقة والتزيد في الجملة .

نبت أن أبناء فرنسا أكثر طلاقة في السنتهم من أبناء إنكلترا ، والإنكليزي أقرب إلى الصمت واطالة التفكير من الفرنسي وغرام هذا ببلغته وبلاعنه تقضيه تقليل تراكيب الكلام وتلوين الجمل بالوان مفرودة . والزبدة في كلام الإنكليزي وكنايته أكثر حجماً وأنقل وزناً . الفرنسي خفيف الوزن مأخذ لعواطفه والإنكليزي رصين يسير مع عقله على الأغلب . والفرنسي يتكلم كثيراً ويفعل قليلاً ، والإنكليزي يتكلم قليلاً ويفعل كثيراً وهذه الأحكام تقاد تكون من المجمع عليه بلغت حد التواتر ويعرفها من خبر أخلاق الأمتين .

يقول هايزارت البلجيكي في كتابه (باكورة في علم الاجتماع) الأخلاق أمر نفسي طبيعي تولد مع الإنسان . ويمكن تقسيم البشر إلى طبقتين عظيمتين ظاهرة وقابلة فكان الشمال يميلون إلى الحياة البدنية يبقعون في

بيوتهم وسكان الجنوب يرثاون الى الخروج والظهور . وفي الفرنسيس جفاه ولا ثبات عدم وهم على جانب من الذكاء وطبياعهم جافة وصدورهم ضيقة وفيهم فصاحة وزهو ويؤذكون ~~لأن~~ خلوبتهم عن شعائهم وحافظة تقدوم على أيامهم . والاماكن افواه ، واصحاب اماتة مولعون بالعمل ويجرون على قواعد لهم ، يحبون النظام وفيهم غطرسة تجلی في معاملتهم الضعاف وفي مبالغتهم ببراعة الأفواه ، ويعرف افراطهم باكرامهم صاحب القوة ، يحبون الاحتكار وهم مفتونون ~~بأن~~ ييلون الى الخصم . ويروغون اذا لم تكن لهم قوة ، ويبدون للأعين كأنهم قساة ونفوسهم عارية من الرحمة وهم يدقون في هندستهم وفيهم عاطفة وعندم شعور وحساسية . وامزجة الانكليز بلغمية ويقل الذكاء فيهم وهم رجال عمل يحسنون الارتجال والابتداه وهم حذرون ويعيدون النظر وهم يتلوك الى المذهب الانكليزكي وهو اهم بالفردية . والروسي كدول محظوظ خبيث وفيه ما تقرؤه في سخنات الصقالبة من الرقة .

قال واذا نلطفنا في الوصف ننعت الفرنسي بالبراعة في فن الطبخ والانكليزي بمحنة المكانسكيات والابطالي الغباء والضرب على الماندولين . وقد ذهب شعوب بالزعامة وآخرون بالحرية ومال بعضهم الى العبودية . ومن هذه الاحكام ما يؤخذ منه ويطرح ، وما يطرح منه كثير لأنه بني على تأثيرات غير ثابتة صدرت عن سياح ما كانوا يتربثون كثيراً في احكامهم يحكمون ما يحكون مأخذين بأوهامهم .

وقال تشرشل اعظم ساسة الانكليز في كتابه الأخير (جريدة سياسية) : « كثير من الامم ومنهم امتنا (الانكليز) تميل الى اعتبار فرنسا أمة متعاظمة متخمسة خفيفة تابعة لهاواها ، وما الفرنسيس في الواقع الا امة صلبة معتدلة لا تأخذها العاطفة تجمع الى النهاية شدة من بين امم العالم » وبين قول العالم البلجيكي « العالم السياسي في وصف الفرنسيس وبين ما تعارفه الناس غالباً تباين ظاهر مستغرب . ونظر السياسي على كل حال غير نظر العالم . وانا اذا حكمنا بما حكم به العالم البلجيكي على من ذكرهم من الشعوب

نظمهم ولو قال ان بعض افرادهم على هذه الاخلاق لكان قوله عدلاً، اما من يزعم ابا اخلاق الامة كلها او الاخلاق الغالبة على سوادها الاعظم فتعنت وتعسف . واي غلط ليقول لهم المغظوم من ان «يدعى المؤلف ان الفرنسيين بحسبون الطبيع متناسياً ما لهم من الايديبيضاء في الآداب والفنون» ، واي ظلم اعظم من ان يدعى ان الايطالي لا يعرف الا الغناء والموسيقى ونبي النبضة التي قامت في القرون الوسطى في بلاده وكانت الداعي الاكبر في ادخال الحضارة على الشعوب الاوربية كافة ، اضف الى هذا ان الاطلبيان هم الذين نشروا النصرانية في اوربا وانقذوها من الوثنية وهذا من مزاياهم . وهكذا يقال في حكمه على الانكليز والروس والكل قوم ميزاته وخصائصه . ولكل شعب عيوبه ونقائصه .

وضع السيد جمال الدين الافغاني الانكليز والعرب موضع التنتظير فقال : الانكليزي قليل الذكاء عظيم الثبات كثير الطمع والجشع ، صبور متكبر ، والعربي او الشرقي كثير الذكاء عديم الثبات قنوع جزء قليل العبر متواضع . يثبت الانكليزي حتى على الخطأ اذا تسرع وقاله او باشره ، والشرقي لا يثبت على العرواب ولا على طلب حقه فيصل الاول الى خير النتائج بفضيلة الثبات ويخسر الثاني كل حق بروذلة التلون وعدم الصبر . وهذا القول حق في بمجموعه ولعله ما خلا من شيء من الغلو في الحكم على الامتين العظيمتين .

ونرى ان الحكم على العرب في القرن الماضي والحكم عليهم في هذا القرن مختلفاً كثيراً لأن العرب تبدلت عقليتهم باقبالهم على التعلم والأخذ من المدنية الحديثة .

نحوه المقاوم

قرأت في مجلة لاروس فصلاً عنن له كاتبه (العالم العربي) جاء فيه حفائق تخللتها تنويمات . تخيل الكاتب أن العالم العربي عبارة عن مصر والثام والعراق والجهاز واليمن ونجد ، مساحته السطحية ثلاثة ملايين كيلومتر مربع وسكانه أربعون مليوناً . وبذلك أخرج من المجموعة العربية سكان الامارات العربية المنبثة على شواطئه، المحيط الهندي والخليج الفارسي ، ويسكنها بضعة ملايين من الأنسنة كما أخرج خمسة أقطار عربية في شمال افريقيا (برقة وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش) ولا ينقص سكانها عن خمسة وعشرين مليوناً . دع بضعة ملايين من السودانيين في افريقيا ثبت أن أصولهم عربية ويتكلمون العربية أي أن السياسة أورحت إلى كاتب المقالة ألا يعرف بعربية أكثر من أربعين مليوناً ، فانظر كيف يكتبون أم كتبهم ، واندب حظ العربي فيها اذا دعت مناسبة الى الكلام عنه وعن ماضيه وحاضره .

ومن تنويم هذا الكاتب أن نصارى لبنان وسوريا هم الذين بعثوا النهضة العربية من مرقدتها ثم تولت مصر كبرها ، وهي نفمة طالما رددتها بعض جهله اللبنانيين منذ زعموا أن لبنان سبق إلى التمدن وأنه هو الذي مدن مصر وعلما مع ان مصر تقدمت لبنان إلى العلم بنحو جيلين . والدليل ان مدارس الطب واللغات والترجمة والإدارة والصنائع والهندسة في مصر أنشئت قبل تأسيس الجامعتين الاميركية واليسوعية في بيروت باكثر من خمسة سنين . وما كان في لبنان ولا في سوريا وفلسطين قبل ان تنهض مصر من يقىم للعلوم المادية وزناً . وبينما كانت كتب الطب والزراعة والحيوان والنبات والكيمياء والفنون الحربية والتاريخ والجغرافيا تتناقلها ايدي العالم العربي وهي من تعريب المصريين الذين تعلموا في اوربا على عهد حكومة

محمد علي الكبير كان ابن لبنان لم يصل الى اكثر من السواعية كتاب صلوانه .
ومن اشرع السخافات دعوى احد اساتذة السوربون مؤخراً في جريدة
(لوفيل ليترير) الفرنسية ان البربر هم اصحاب المدنية في شمال افريقيا
والأندلس ، وما العرب الفاكحون الا شرذوم من السلبة والمتشردين تعلموا في
طريقهم الى فتح المغرب بعض ما عند اهله كما تعلم ابناء جندهم في فتح فارس
اشياء من الفرس اعانتهم على تأسيس مملكتهم الجديدة . فقامت المدنية
الأندلسية والافريقية بفضل البربر فقط . ومن العجيب ان من يزعمون لهم هذا
الفضل في التمدن لم تعهد لهم مدينة قبل الاسلام في شمال افريقيا ولا شيء .
من بقايا حضارة بعد سقوط دولة العرب في الاندلس وسقوط دول المغرب
الاقصى والادنى .

كذب مفضوح لا يليق صدور مثله من يحمل ايم استاذ من اعظم
جامعات العالم . ولذلك نرى من واجبنا ان ندعو كل عربي الى الثك في
اكثر ما يصدر عن كتاب فرنسا من الاحكام على الاسلام ذلك لانه تتحقق ان
اكثر الفرنسيين لا ينظرون الى الاسلام والمسنيين الا بنظر الاستعمار .



الدرر السرميّة

ولا اعني بها الدرر المتعارفة التي تتخذ للزينة وهي من قشتايات اهل السمة خاصة ، بل اقصد الدرر الثمينة التي لا يظهر أمثالها من الرجال في الحقب الطويلة . ومن عرفت في دولة الترك من هذا الطراز البارع رجلان عظيمان (وقد اشرت في مكان آخر الى بعض عظمائهم) احدهما فاق اقرانه في الأدب والسياسة والثاني في المالية والاقتصاد ، عننت العالمين الكاتبين الحسينيين المبدعين علي كمال بك وجاويد بك .

كان الاول صديقاً لي تعاشرنا في القاهرة وباريز والاستانة اشهرأ وتعرفت اني الثاني في استانبول على عهد الانتحاديين وكان يعد من كبارهم ، ولكن منها مزايا عظيمة ليس لاحد مطعم في مثلها الا اذا كان من خلق المعظمه وخصوص بالعقبية .

قرأت كثيراً مما كتبه علي كمال في جريدة بیام بیام وغيرها من اجرائد والمجلات ، وكان يحسن العربية اخذها عن احد ائمه اللغة في حلب (راجع ما كتبناه من اخباره في ص ١٤٦ من الجزء الاول من المذكرات) . وحدني بعض تلاميذه في جامعة الاستانة انه كان في درسه التاريخ العثماني يورد على مسامعهم من اخبار لدور الانحطاط ما يبكي منه ويبيكهم ، ومرماه تربية مملكتهم ونقوية روح الوطنية فيهم .

اما الثاني فقد قرأت اكثر كتبه في المالية وبعض ما كان ينشره من ابحاثه وتحقيقاته الاقتصادية في المجالس التركية وسمعته في مجلس النواب ، وكان وزير المالية العثمانية ، بخطب في الموازنة فما سمعت بالتركية نفعة ارق من نعمته ولا بياناً امنع من بيانه - اللهم الا صديقي الاستاذ لطفي فكري بك شيخ المعارضين في المجلس يومئذ - ماتلعم ولا توقف وكان امامه وناطق وكتب ربما كان بنوي الرجوع اليها اثناء كلامه ، فلا والله ما التقى عليها

- ٩٣٥ -

نظرة وانكفا يخطب من عفو القرىحة اكثرا من ساعتين خلتها دقائق لكثره
ما اخذ من قلبي ببلاغته وسعة علمه ، وكان خلال الكلام يلعب بسلة في
يده على نحو ما يقلب اسانه **باليعنق الساقع** من الكلام .

هاتان الدرتان النادرتان قضى عليهما الكثاليون بلا رحمة مزقوا الاول
غزيرقا يوم دخلوا الاستانة فاتحين ، وصلبوا الثاني صلباً ففجعت بها الامة
التركية واسفت الامم المتقدمة عليها حتى ان احد كبار الانكليز قال لبعض
ولاة الامر من الترك عند الحكم على جاويه بالقتل نحن مستعدون لأن
نستعيض منكم هذا العظيم او نتبعاه ونؤدي فيه الشن العاين لما نتوقع من
الاستفادة من علمه وتجاربه . وفي رواية أخرى انه قال ان حفتنا ستكون
زاجة اذا اخذناه منكم وليس في رجالنا من يدانيه .

ذهب علي كمال وجاويه رحمها الله فدية السياسة وكما قتل مثلها في كل
امة بغياً وعدوا أنا دون فرق في نظر الطاغي المستبد ان يكون القتيل مجرماً
او بريئاً ، والمهم القضاء على النوايب ليذهبوا من طريق المتوسط فلا يجدون
اذا فقيدهم معارضًا فيما يبرمون وينقضون . وكان الكثاليون كالاتحاديين في
معاملة بقائهم . وفي كل ثورة وعقب كل حرب يقتل الغالب ماشاء الله ان
يقتل من كانوا يعارضونه وينتقدونه . رأينا من ذلك ما يشيب له الولدان في
عصر الحضارة هذه وفي كل امة سلفت وخلفت .



نبؤة عاقل

قال لي صديقي البطريرك العلامة الكسندروس طهان قبل الحرب الاخيرة اني لاخشى اذا نشب الحرب ان يكون الظفر للجنس الانكلوسيوني وهو ما ارجحه وتساءل ماذَا يكون حال العالم مع اليهود وسلطانهم في الولايات المتحدة سلطانهم ، اذا تم هذا ف تكون عقوبة امية يرسلها الله على البشر تأدبياً لهم .

وها قد تمت هذه النبؤة بعد عشر سنين واليهود الصهيونيون لا يتحامون ايذاء العرب المسلمين منهم والمسيحيين ، وكان المشهور ان اميركا اقرب الدول الى العدل والاعتدال كما ظهر ذلك من استعمارها وسياساتها العالمية فبين انها عند تعارض مصلحتها مع مصلحة الغير تدوس كل حق حتى تصل الى مأربها .

آكل المرام

حاصل ارقى الدرجات في الماسونية واحرز القدح المعلى في الرشوة والتصويبة ، يكتب وينخطب خادماً لافكار غيره وتابعاً لمن يعطيه ، وهو قليل التدبر في كل ماتولاه من الاعمال الخاصة وال العامة ، وكان كل ماجناته كلاماً يجري الى قنطرة يدخل من جهة وينخرج من أخرى . رأى مرة ان المصريين لا يحسنون المقامرة وادعى انهم وان كانوا اغنياء، فهم اغبياء ، فشد الوحال الى مصر يلاعب ابناء حرفة فغلبوه شر غلبة وما خلص منهم الا بان دفع لهم المدخر والمتضرر على اصول المقامرين . وبدا له ان يستغل بالزراعة ، وقد انهكه المرض وذرف على الثوابن ، ومسابق له ان تعاطاها . فابتاع

ارضاً واسعة فليلة الماء خبيثة التربة وارد اد ان يعمرها بعمرتها لا يعمرها العارفين
فما هي الا سنة او سنتان حتى غدا ما ابنته بئنة قرش يساوي خمسة قروش .
يعلل ارباب الاعمال ان السبب في اخفاق هذا العجز جله صناعة
لابحثها والزراعة يتلزم تعلمها زمناً فكيف له وهو في اخريات ايامه غير
صحيح الحواس . ويقول ارباب الدين لما كان جميع ماله حراماً قضى الله
عليه الا يخرج من الدنيا حتى يخرج عن جميع ماجنه ، شأن كل من جوزوا
لانفسهم كل مال وما فرقوا بين الحرام والحلال .

طرب المدارس

دخل في العهد الاخير طلاب المدارس الثانوية والвуائية في مصر والشام
والعراق في طور ما كان لهم ان يدخلوه لو انتظمت السياسة وعقلت الحكومات
فارت على بصيرة كل حين . اخذوا يتدخلون في الامور السياسية ومنهم
من كان يخدم سياسة بعض الاحزاب وينتقدون الحكماء بحسب ما توجه
اليهم عقولهم النضرة ، وهم على صواب اكثرا الاحيان في انكارهم ما ينكرون ،
ومنهم من هبهم دواعي الوطنية فيتقدون لقتل من يعتقدون فيهم العبث
بمصلحة امتهم او التساهل بوضع ايديهم في يد عدو وطنهم ، ينظمون لذلك
جمعيات سرية وجهرية ، ومنها ما ظهر الخير على يده ومنها ما كان المقص
منه الظهور او غيابات شخصية ألبست قالب العموميات .

وكان هؤلاء البناء البررة اقاموا أنفسهم رقباء على الحكومات يريدونها
إلى السداد بما يرون فيه الخير لوطنهم ، ويفادون ضروب المفادة فلا يتأخرون
عن اهراق دمائهم عند الاقتضاء في سبيل مصلحة الجماعة ، وهو ما لم يعهد
قبل ان ينبعث نور العلم الحديث من المدارس ولا يزال في ازدياد كثراً
عدد هؤلاء الطلاب .

وكان التلاميذ قسموا اوقاتهم شطرين خصوا الشطر الاول بتحصيل

ما تيسر لهم من العلم والآخر وفروعه على عمليات قرروا نظرياتها في الكتب . ظاهرة جديدة ام مانثأ منها ان الحكومات غدت تحب للناشئة حساباً في المسائل السياسية ، والنابتة اخذت تعذى المجالس النيابية وتسوقها الى القيام بواجبها كلها شاهدوا الى جانب القصور وتحمسوا للدعوه وعدوا عقيدتهم السياسية هي المعلول عليها دون غيرها .

وما كان للحكومات ان تصمم آذانها عن نقد من ليسوا من عيار الطلبة في الفيرة والادراك ، ولا عار على حكومة ان تناشي ابناءها فيما يحفظ عليها سلطانها ولا يخل بانسجام النظام اذا نزلت على رغائبهم في الامور المعقولة وعلى ما يرمون به احياناً من قلة التجربة ، فهم ابناءها من احلاها ، وزينة ارضها ومعقد رجائها وخلفاؤها من بعدهم ، وقد يستفيد الاب من ابنه احياناً اذا تعلم وتهذب اكثر منه .

فيض الله بعض نجاء الابناء يدعون للخير ويمدون الطريق لمن عانوا سياسة الأمة ، ولو قد ترك النواب وشأنهم مع الحكومات التي تتآلف من احزاب ، الله اعلم كيف اجتمعت ، لضعف امر الامة . كل هذا من البديهيات ولكنه من الخطورة على جانب . فدخول التلاميذ في مسائل سياسية كبيرة وصرف سطر من اوقاتهم الثمينة وهم في سن الدراسة يضيع به قسط عظيم من ثروة الامة وثروة الامة قائمة بالاكتار من تخريج اكبر عدد ~~كـن~~ من ابنائها في العلوم .

وكلت انتي ان يكون جميع النواب ، وبأيديهم اقدار الشعوب ، على كفاءة تامة لا يحتاجون معها الى من يدفهم على طرق الخير وما توجه عليهم وظائفهم لينقطع الطلاب الى ما يجب عليهم العناية به قبل كل شيء لا ينظرون في غير دروسهم حتى الزمن . الذي يغادرون فيه مقاعد مدارسهم ، فاقتطاع وقت خص بعمل واشراف عمل آخر معه يورث الضعف في العملين ، والمرء لم يخلق بقريحتين ولا بقلبين ، فمن الصعب الانصراف الى الدرس والدخول قبل الاوان في ميدان السياسة ، ولا يتأنى التذرع بأمررين مهمين دون ادخال الضيم على احدهما .

وقت الدراسة لا يشهه غيره من ادوار الحياة فهو لا يتكرر واذ
فان لا يعود ، بل هو كنز مرصود اذا لم يكشف في سن مخصوصة بضيع ،
وشيء يلزم به المرء لا يقوم به له غيره ، فإذا استهان الشاب بهذه الشروط
خسره وطنه وخسره أهله وخسر هو نفسه وكان حريأً ان يبعـد في جماعة
انصاف المتعلمين وهؤلاء لا يصلحون للمواطنـن التي أعدوا لها .

الحسـم عـلـى الـاذـصبـ

يقول المؤرخ البرتقالي هركولانوم ان في عقلية الشرقي نوعاً من الغرابة
يصعب تحليلها ، أنه مع ما أوتيه من الذكاء والاقدام والمقدرة ينتصـه شيء
من التعاون والالفة وعدم التحاسـد على الوظيفة والمنصب اـهـ .
ولعل التحـاسـد على الوظـيفـة والمنصبـنـ أقوى اـنوـاعـ الحـدـ ، لأنـ
المنصبـ مدـرـجـةـ إـلـىـ كـلـ شـيـءـ ، فـيـهـ مـاتـبـتـيـهـ الـانـفـسـ مـنـ منـافـعـ وـمـظـاهـرـ ،
وـقـدـيـأـ كـانـ الـامـرـ وـالـنـهـيـ مـنـ الذـ اـعـمـالـ الـبـشـرـيـةـ .

قامت خـبـجاـ فيـ جـوارـناـ ذاتـ صـبـاحـ بـيـنـ اـخـواتـ وـشـقـيقـ هـمـ فـيـماـ سـمعـ
مـنـ اـحـدـاهـنـ قـوـلـهـاـ لـاخـيـهـاـ انـ اـبـاـكـ صـلـبـهـ الـترـكـ وـانتـ باـقـ بلاـ وـظـيفـةـ
وـ(ـكـرـدـ عـلـيـ)ـ جـارـنـاـ وـصلـ الىـ الـوزـارـةـ .ـ هـذـاـ مـاـ نـقـلـتـهـ إـلـىـ مـنـ سـعـتهـ ،ـ وـهـوـ
كـلامـ السـيـدةـ لـاخـيـهـاـ بـعـنـاهـ ،ـ وـمـنـ روـتـهـ لـبـسـتـ مـنـ يـحـسـنـ تـصـنـيـعـ هـذـاـ الـكـلامـ .ـ
الـسـيـدةـ عـيـرـتـ اـخـاهـاـ بـاـنـ اـبـاـهـاـ صـلـبـ (ـ فـيـ الـحـرـبـ الـعـالـمـيـةـ الـاـوـلـيـ)ـ .ـ الـمـقـدـ
شـرـيفـ كـانـ يـرمـيـ إـلـيـ يـاتـرـىـ ،ـ اـمـ اـنـ مـاـعـدـهـ الـتـرـكـ خـيـانـةـ وـطـنـيـةـ فـاـورـدـوـهـ
حـتـفـهـ ؟ـ وـعـنـدـ السـيـدةـ اـنـ وـالـدـهـاـ لـاـ صـلـبـ وـجـبـ عـلـىـ الـحـكـومـةـ الـخـالـفـةـ اـنـ
تـكـافـيـ اـوـلـادـهـ بـتـوـظـيفـهـمـ ،ـ وـلـاـ عـلـيـهـ اـذـاـ اـسـتـدـعـيـ الـاجـنـيـ بـخـلـفـ الـتـرـكـيـ فـيـ
حـكـمـ بـلـادـهـ ،ـ وـالـعـقـلـ يـقـولـ اـنـ الـخـيـانـةـ وـاـحـدـةـ سـوـاءـ كـانـ لـلـغـرـيبـ اوـ لـلـقـرـيبـ ،ـ
فـالـمـلـصـوبـ خـانـ الـتـرـكـ وـلـمـ يـدـعـُـ لـلـعـربـ .ـ

هـذـهـ اـعـمـالـ اـبـ پـرـيدـ اـوـلـادـهـ اـنـ پـسـتـثـمـرـوـاـ اـسـمـهـ بـعـدـ هـلـاكـهـ ،ـ وـلـوـلـاـ انـ

اعتداد الناس السكوت عن مساويه موئام الملاوا بتعداد هذه المقابع الصحف والاندية . وكان المصلوب نال من خانم مالم ينكر يناله أحد من مواطنه . كفر بكل هذا وحاول ان يحمل وجهه وجهاً أخرى ليعرض ما خسر من مال وجاه فكانت العاقبة مارأيت .

نعم يتحاسد الشرقيون على الوظيفة والمنصب تخاسداً يخرجون به على كل قانون . وقد يحاول أحدهم قتل أخيه آملاً أن يخلفه في مقعده ويضع بيده على ثروته . أما الكذب على الحسود والتتجسس عليه فهو من ايسر ، ما يرتكبه الحاسد المotor ولا يبني ، لأن فيه تحقيق امانه واستفهام صدره بقتل اعاديه .

ضيق العقل يرتكب افظع ضروب الحياة ويظن ان ما يجنيه اذا كان في سرّلن يفتضح ويعد من علام سعادته انه احتال وتمت حيلته على من احتال عليه والله في خلقه شؤون .

التعايشي

التعايشي من امراء السودان اطلق احد ارباب الدعاية من الفقهاء اسمه على كل شيخ غايتها من دنياه ان يأكل ويعيش ، وهو في سبيل الوصول الى مبتغاه يسجد لكل صاحب قوة يضمن له معاشة ، لا يخجل من ان يكون عبد من دامت سعادته ولا يعبأ بما يتطلبه منه قومه ووطنه من خير .

فالتعايشي اذا هو طالب العيش لا يعنيه من العالم غيره ، ونقىض التعايشي قلائل في كل زمان وفي كل امة وفي كل نحلة ، وكلما كثر عدم في قوم عز وبر ، ولنا ان نسمى نقىض التعايشي «الفريق المختار» من كان مناهم من دنياهم ان يؤثروا أثراً نافعاً وقد تلذهم المغامرات وافتتاح المصاعد ان كان فيها ما يعود بفائدة على المصلحة العامة .

بود كل العالم ان يعيشوا بهذه وتضمن لهم اسباب العيش السعيد ، وليس في حياة السود الاعظم مايفخر به والفخر كل الفخر للاقلية النافعة . الاولى لانذكر بامر ذي بال وعيثها الى البهيمة ^{البيهية} افربث والثانية تذكر بمحب غناها ودرجتها في الحامد .

ومن الفريق الثاني كل من يتوكى نفع غيره ولو قليلاً . فمن يرفع صوته بانكار المظالم والاخاء على المضرين فهو نافع . ومن يبشر بفكرة خير منها بلغ من ضؤولته فهو نافع . ومن يدعوا الى نهذيب الاخلاق وتعليم البنين والبنات فهو نافع ، ومن يحب الى قومه تزيين كل فضيلة وتقبيح كل رذيلة فهو نافع . ومن يكرره البطالة للمتباطلين ، ويصفق للعاملين والمجتهدين ، وينوه بالمحسين والمتصدقين فهو نافع . ومن يعلم مواطنيه حب النظام والبعد عن الفوضى ويحملهم على احترام القوانين فهو نافع . ومن يدل على كل ما في الحضارة من حسنات ويحذر مما حلت من سينات فهو نافع الخ .

وارقى من هذه الطوائف في باب النفع من يحققون مايعلم الوطن اثره ، فمن يعم طريقاً ويبني جسراً ويقيم مستشفى وينشئ مدرسة ويؤلف كتاباً ويعلم جاهلاً ويرشد ضالاً ويأتي بمجديد يستفيد منه المستفيدين فهو نافع . واعلى كعباً من اخترع آلة لتذرية الحبوب ، وآلة كاتبة سهلة الاستعمال ، ومن ابدع آلة حياكة وآلة نسج وآلة خياطة وآلة طباعة وكل مايفيد في الصحة واللباس والمسكن والصناعات المختلفة ويقتضي من الوقت ويجلب الثروة .



اذا هم الجم

قامت مرة مظاهرات في عاصمة الجمهورية السورية وحواضرها حلب وحماة وحص ودير الزور وغيرها اختلفت الآراء في الاسباب الداعية إليها . فمن قائل ان منثأها تطاحن الاحزاب ومن مدع ان لليد الغربية اصبعاً فيها والارجح ان الفوضى التي عمت اعمال الادارة لضعف تركيب الوزارة وعدم الالتفات الى شكاوى الجمود والاسراف بامواله كانوا العامل الاول في ذلك . فان معظم الوزراء لم يسبق لهم تولي مثل هذه المناصب ولا اقل منها ، وجمات بهم الى الوزارات احزابهم وتساهل من ضمهم الى ما لا يحسنون القيام به كانت المظاهرات تدار بأيدي طلاب المدارس العالية والثانوية فوقع قتل وجرحى من الاهلين ومن الشرطة وما استقر الامن في نصابه الا باعلان الاحكام العرفية ، وقد اشترط الطلاب الا يعود للحكم احد من كانوا في الوزارة السابقة لأنهم اثبتوا جهلهم وضعفهم وقلة أماناتهم وأنه ما كان لهم مأرب في غير الحرص على مصالحهم الشخصية .

ولما جاءوا يؤلفون الوزارة الجديدة قيل ان رجالنا قلائل وما هم في الواقع الا بنسبة من تعلموا منا فخطر بالبال وضع قائمة يرجع اليها في تأليف الوزارات وبعض من انتقيناه يصلحون للسياسات وبعضهم للوزارات وهام المساعدة والدكتورة .

ادمون حصي . اسعد هارون . اسعد الكوراني . اكرم الحوراني .
امين روحة . حسن الحكم . حني سبع . حكمة الحكم . حكمة الحراكي .
حيدر مردم بك . خالد العظم . خليل مردم بك . رشدي الكبيخية .
سامي العظم . سعيد الزعيم . شفيق جيري . عادل ارسلان . عارف النكدي .
عبد الرحمن العظم . فائز الغصين . فتح الله اسيون . عزة الصقال .
مصطفى برمدا . مصطفى الشهابي . مصطفى الكيلاني . ميخائيل ليان .
ناظم القديسي نعيم انطاكى . وغيرهم من ليسوا الآن على خاطري ومعظمهم في الكهولة .

العداوات الموروثة

تتأصل في الشعوب عداوات يتوارثونها كـ تتأصل في الأفراد ، وقد تتعادى الشعوب لأسباب جوهرية أو لأسباب يحكم العقل بتفاهتها ، فعداوة الإسبان للعرب من العداوات الجوهرية بالنسبة للإسبان ، وذلك لاستيلاء العرب عليهم نحو ثمانين سنة ، عادى الغلوبون الفاليين ، وان حل هؤلاء ، إليهم المدنية ، وأدخلوهم في حجر الحضارة ، وأذاقوهم طعم العدل والرحمة ، ولكن من طبع المغلوب انكار حسنات غالبه .

وعداوة ذوي القربى من النوع الذى لا تزيله السنون مثل العداوة التي حدثت بين الإسبانيين في حربهم المدنية الأخيرة من أجل نظام جمهوري أو نظام ملكي ، فهلك فيها من الفريقين ملبون انسان واعتقل مائتا ألف جرم سياسى ، وخراب جزء عظيم من إسبانيا ، واحتلت كل الاختلال صناعتها وزراعتها ، وحرم أهلها ضروريات الحياة . وأبان الإسبان عن وحشية عرفت عنهم مع أعدائهم ، واستغرب العارفون صدورها مع أهلهم وابنائهم ، وحشية قلما ظهر مثلها حتى في حروب البرتستانت في فرنسا ، وكان الكاثوليكى ينقض على البرتستانت كالوحش الضار يقتله فيقتل فيه شخصاً يخالفه في دينه ، أما الإسبان في حربهم الاهلية الأخيرة فاقتتلوا بلا تميز فقد يكون اخوان احدهما يقاتل في صف الآخر يقاتل في الصف الذي يقابلها من صنوف يعدها من اعدائه ، وافتعل من هذا ، وهو ما دل على رقة قلوب الإسبانيات ، ان النساء كن اذا انتهت المعركة يتقدمن للرقص على جثث القتلى وقد يكون تحت ارجلهن اخواتهن او ابناء عمبن (راجع ما كتبناه في حروب العرب والإسبان في كتابنا الاسلام والحضارة العربية).

وكل من نظر نظرة خفيفة في معاملة الإسبان للعرب يوم آخر جومن من ذيарهم يدرك أن ما بدا من عداوة الإسبان للعرب في تلك الكارثة

العظمى لا ينساه العرب على الأيام . وحاول أحفاد أولئك السفاكيين الظالمين من الإسبانيين أن يمحوا من تاريخهم لطحة هذه الوحشية فلم يفلحوا ، وبها تلطروا حتى ينسى جيروانهم في المقرب ما لقوه من القسوة والجبروت يستعملون أن يوقفوا إلى ذلك . وكانت حرب مراكش في الريف بين الإسبانيين والريفيين من أعظم الحطوب التي حلّت بالشعب الإسباني ، تلك الحرب التي أبانت عن ضعف إسبانيا في كل مقوماتها ، ولم ينقذها مما صارت إليه من الصغار الأفرنسا ، أخذتها باسطولها وجيشها وطياراتها فأنتهت لها الحرب وأعطتها جزءاً من الغرب الاقصى أي القسم المشهور بالريف ونصبت لها سلطاناً وعادت تبدل فيها قيل سياسة العنف بسياسة فيها قليل من اللين ، ولكن ما غرس في قلوب المراكشيين من البعض لا تزيله الابتسamas المصنعة ولا الرقة الخادعة ، وما برجت حكومة إسبانيا تقترب من العرب للتحفيظ من تلك العداوة الموروثة وأقل ما يخدع به السياسيون الإسبانيون العرب أن يزعم بعض افرادهم أن جدهم كان مسلماً تنصر كرهاً وإن عواطفه مع المسلمين إلى آخر ما يتغرون به من هذيان .

وبعد فإذا قلنا ان عداوة الإسبان الكاثوليك العرب المسلمين طبيعة الحدوث فما القول في تعادي الكاثوليك والبروتستانت في كل مكان وعداوة الروم مع الكاثوليك وعداوة الهندوس مع المسلمين ، وكلها عداوات قديمة موروثة ييرأ الدين منها ولا تعارف إليها الإنسانية ، وما هي إلا تعادٍ على أمور الدنيا ، بما اسخن البشر حتى في عهد تحضره .

قلنا في غير موطن ان المسلمين لقوا اللاقى في كل زمان من الشعوب اللاتينية سواء في ذلك البرتقاليون والإسبانيون والطليان والفرنسيين . وإذا اتفق ان نفس خناق المسلمين مع الشعوب الغربية بعض الشيء فذلك على عهد الانكلزيز السكسونيين ومنهم النورمانيون الذين خلفوا العرب في حكم جزيرة صقلية وكانت حكومتهم مثال الرفق بال المسلمين والتسامح مع اجيالهم . غرس الغرب في قلوب الشرقيين عداوات يومض النقوس ذكرها ،

ويدعو المسلمين الى عدم الاغترار بالابتسamas والمحاملات . والغربي اذا كان لا يتراحم وابن جنه وابن دينه فهو اولى الا يتراحم وواحداً منبني الانسان . والشاعر العربي يقول :

لائق حك الضغائن بالرقى
 فعل الذليل ولو بقيت وحيداً
 لكن اعد لها ضغائن مثلها
 حتى أداوي بالحقود حقوداً
 تشي السقيم وتبرئ المجرداً
 كلمر خير دوانها منها بها

دالكلمة السيمانية

لعل القاريء لاحظ من بعض فصول المذكرات ان علاقتي بالصديق السيد فارس الحوري دامت منذ او اخر العقد الثاني من العمر والى الان صافية يغطي كل منها ، ومت تربتنا على الايام ، يسير كل واحد منها في طريقه ، ويعمل على شاكته . والذى كان يعجبني فيه انه كان يفسح المجال في صدره لكل ما يصل اليه من صنوف المعرف يأخذ منها ما وسعه اخذه ويتركه جانباً الى ان يجد له استعماله وعندئذ ينصرف اليه مدة فيتبرز فيه فهو لم يتلق الفقه الاسلامي والقوانين المدنية عن اساتذة معتمدين واستغل فيما لنفسه مدة فعدّ بعد زمن قليل عمدة في هذا الباب . واحكم اللغة الانكليزية في صباح ثم شغل عنها بعض الشيء ولما ناب عن سوريا في المؤتمرات الدولية تجسست فيه ملكة الخطابة بالانكليزية كما كانت تجسست فيه ملكة الخطابة بالعربية قبل ان يتم دراسته الاولى .

ويعجبني في هذا الاخ انه كان عملياً في حياته هكذا كان في التدريس والنيابة والسياسات وفي الوزارات والمؤتمرات حتى عدّ بحق رجل السياسة السورية ، وكانت حياته كحياة النوابغ لاتخاو من مراده وحلاؤه ، ولا اعرف سوريا خدم السياسة زمناً اطول من الزمن الذي خدمها به صاحبنا ماخلاً الامير شكب ارسلان ولا رجلاً اجمع اولياً واعداؤه على الاعتراف بفضلها ، واشترك في ذلك كل عربي .

درس الاستاذ لأول أمره في بعض المدارس الطائفية ثم غين ترجانًا في فصلية انكلترا بدمشق وبدأ شرطه السياسي يوم انتخب نمبعوناً عن دمشق سنة ١٩١٤ وكان له في مجلس النواب العثماني مواقف محمودة الى ان اتهمه بالاشراك في تنظيم ثورة المغفور له الملك حسين وأودع سجنًا منفرداً سبعة أشهر وخرج منه بريئاً ، واسترك في اعلان استقلال العرب وتنظيم الملكة الفيصلية السورية وكان فيها وزيراً للهالية مدة وجودها . وبعد الاحتلال الفرنسي سنة ١٩٢٠ تناهى العمل الحكومي وعاد الى مبنته في الحمامات والتدريس في معهد الحقوق بالجامعة السورية ووضع لدروسه مؤلفات قيمة .
وَنَابَ عَنْ دِمْشَقَ فِي مَجْلِسِ الْإِتَّحَادِ الَّذِي أَنْشَأَهُ الْفَرَنْسِيُونَ سَنَةَ ١٩٢٢
وَدَخَلَ وزِيرًا لِلْمَعَارِفَ سَنَةَ ١٩٢٦ وَاهْتَمَ بِمَا لَأَثَرَتُ الثُّورَةُ السُّورِيَّةُ فَاعْتَقَلَ مَعَ رَفَاقِهِ الْوَطَنِيِّينَ وَأُرْسَلَ إِلَى حَكْمَةِ وَأَمْبِيُونَ حِيثُ بَقِيَ نَحْوَ سَنِينَ فِي الْمَعْتَقَلِ بِالْإِقْامَةِ الْجَبَرِيَّةِ . وَكَانَ عَيْدَ الْكَتْلَةِ الْوَطَنِيَّةِ مِنْذَ نَشَأَتْهَا سَنَةَ ١٩٢٨^(١)
وَاخْتُيَرَ عَضُوًّا فِي الْوَفْدِ السُّورِيِّ لِلْمَفَاوِذَةِ لِعَقْدِ مَعَاهِدَةِ مَعِ فَرَنْسَا سَنَةَ ١٩٣١
وَانْتَخَبَ نَائِبًا عَنْ دِمْشَقَ وَرَئِيسًا لِمَجْلِسِ النُّوَابِ طُولَ مَدَةِ قِيَامِ هَذَا الْمَجْلِسِ إِلَى سَنَةِ ١٩٣٩ وَمِنْ سَنَةِ ١٩٤٣ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ مَا عَدَ سَنَةً كَانَ فِيهَا رَئِيسًا لِلْوَزَارَةِ السُّورِيَّةِ سَنَةَ ١٩٤٤ وَ ١٩٤٥ . وَكَانَ رَئِيسًا لِلْوَفْدِ السُّورِيِّ فِي مَؤْتَمِرِ الْقَاهِرَةِ لِاقْرَارِ تَأْسِيسِ جَامِعَةِ الدُّولِ الْعَرَبِيَّةِ وَفِي مَؤْتَمِرِ سَانِ فَرَنْسِيِّسِكُو وَمَؤْتَمِرِ لَندَنِ وَسَائِرِ دُورَاتِ مُنْظَمَةِ الْأَمَمِ الْمُتَّحِدَةِ مِنْذَ نَشَأَتْهَا وَعَضُوًّا فِي بَلْسَمِ الْأَمْنِ فِي سَنِيَّ ١٩٤٧ وَ ١٩٤٨ وَرَئِيسًا لِهَذَا الْمَجْلِسِ مَرَّتَيْنِ وَرَئِيسًا فِي احْدَى جَانِبَيِّ الْمَهِيَّةِ الْعَامَّةِ فِي سَنِيَّ ١٩٤٦ وَ ١٩٤٧ وَانْتَخَبَ عَضُوًّا فِي نَدْرَةِ وَضِعِ الشَّرِيعَ الْدِّولِيِّ .

(١) كان الاستاذ مع الكتلة حتى سقوط بقايها سنة ١٩٤٩ ولطالما أكد أن بعض المطربين من رجال الكتلة ما كانوا يستمرون له وقال ان تعديل الدستور ما كان عن رأيه وإن كان في الدستور الأول بعض التفص لاته وضع على عهد الاترداد والعقلاه على كل حال يلومونه لما شاهدته سفين طوبلة وكان يكتبه بما يخص به من علم وبيان أن يدلهم على طريق الخير ويصح لهم أغلاطهم الفاحشة وربما ادعى أن الأكثريه كانت تقبل عليه والله أعلم .

هو عضو في الجمع العلمي العربي منذ تأسيسه وعضو في أكاديمية العلوم السياسية في جامعة كولومبيا ودكتور في السياسة الخارجية من جامعة كاليفورنيا الجنوبية . وتخرج على يده عدد كبير في الحقوق وهم اليوم يشغلون أم المناصب من حامين وقضاة وقائم مقام ومحافظين وزراء ونواب . وله في العمل الاقتصادي مشروعان عظيمان هما مشروع ماه الفيجة الذي أنقذه من المستعمر الإنجليزي ووضع له نظامه الحالي بأسلوب مبتكر اقتبس عنه كثيرون في أقطار الشرق . ومشروع الاستئناف الذي هو أول نجاح أحرزه الأسلوب التعاوني وأصبح النظام الذي وضعه مرجعًا للشركات التي نشأت بعد ذلك .

وفي الميدان السياسي أحرز نجاحاً عظيماً في سان فرنسيسكو بنيل حكم استقلال سوريا ثم نفذ إلى لندن امام مجلس الامن سنة ١٩٤٦ باحراز فرار جلاء القوى الأجنبية عن البلاد ، وله في منظمة الامم المتحدة وفي مجلس الامن مواقف في الاشتراك بالمناقشات في الموضوعات المعروضة على هذه المنظمة العظيمة خصوصاً قضايا البلاد العربية والاسلامية ومنها قضية مصر وقضية فلسطين وقد أبلى في ذلك بلاء حسناً .

القوى الضائعة

كنت منذ وعيت اذا نظرت الى انسان او حيوان او جاد لا يتنفس به حق الانتفاع أعده قوة ضائعة اذا رأيت شاباً ذكياً او فتاة نبية لم يعلماها اهلها أعدها قوة ضائعة . واذا أحست بوجود عشرة رجال مئلين في التربية والمنزلة لا يفكرون بما يعود على الناس بخир من مثل تأليف جمعية لتعليم اليتامي والقراء وابواء العاجزين والعاجزات وتأسيس شركة صناعية او تجارية او زراعية يجمعون بها القوى المشتلة أعدهم قوة ضائعة ،

وانحسر اذا نظرت عيني ارضاً بوراً في وسع صاحبها او اصحابها تجويده حروتها وكرنها وزرعها وغرسها . واعضب اذا وقعت على بضعة افدة بذل صاحبها جده في تعهدها فأفته بأطيب الشمرات والى جوارها مئة فدان معطلة لانفل ماتفله العشرة الا فدنة العاصمة . واغتنظ اذا نظرت الى نهر يجري في طريق غير صالح يؤلف في بحراً مستنقعات تضر بصحة النازلين حفافيه ، ويحرمهم الانتفاع بياهه في سقيا حقوقهم ، وأتألم عندما ارى بناءً متداعياً لونقض وجدد لأنى بخمسة اضعاف رأيته . واقهر اذا مررت بغاية جارت عليها اسنان الماعز وفؤوس الحطابين وما حرس حراسته دقيقة ولا خدمت خدمة فنية لتصبح مورداً للسكان وزينة الآكام والقيعان .

والحال كذلك اذا رأيت عالماً او اديباً لا يفيد قومه بعلمه وادبه ، لا يدرس ولا يؤلف ولا يخطب ولا يحاضر ، واذا عهدت صاحب صنعة لا يستثمر مواهبه اقول قوة مهملة وجودها وغدمها سواء . واذا عرفت موظفاً اميناً أحيل على التقاعد (المعاش) لبلوغه السن القانونية وفي مقدوره الدوام على الخدمة ، والدولة تظهر الاستفناه عنه آسف لهذه القوة الضائعة . وهكذا كلما نظرت العين قوة من قوى الأرض ومن عليها لا تستثمر الاستئثار الواجب اندب حظ العالم وأقول في نفسي لو استغلت كل القوى حق

الاستغلال لعم الاتقان كل شعب الحياة ولما جاع احد من بني الانان
يبيع القانون الانكليزي تأجير الأرض تسع وتسعين سنة ولا يورث
قانونها الا بكر الأولاد . وذلك لتمر الأرض ولا تبدل الثروة . فاذا فرقنا
لوأخذنا من هذين القانونين ما وسمنا أخذه وخربنا عن بعض قوانيننا صحفاً
لقانون الوقف الذي لا يبيع ايجار الأرض الا نثلاث سنين ، أو يعمل
المؤجر والمستأجر حيلة شرعية حتى يزيدا مدة الاجئار شيئاً قليلاً وهناك
مذهب من مذاهب اهل السنة يبيع ايجار الملك تسعين سنة ولكنهم لا يصلون به .
 علينا ان نعمل على الرجاء وطول الأمل لا على اليأس وامال العمل .

المقالة الرابعة الاجتماعية

يقول صاحب مر تقدم الانكليز السكسونيين : (ليست المسألة الاجتماعية
عبارة عن مساعدة الافراد كما ان الحياة لا تقوم بـ كثرة تناول العقاقير والادوية ،
اذ ليس الاسعاف او العقاقير من وسائل الحياة الطبيعية ، والحكمة فيما
يؤدي الى الاستغناء عن تلك الوسائل الصناعية . وليس من حل المسألة
الاجتماعية الا جعل الافراد بحيث لا يستغني كل فرد منهم عن ان يقوم بأمر نفسه
وان يرتقي بجهد وعمله ، لأن سلامه الاجتماع كالسلامة الاخروية تقوم بكل
واحد على حدته وعلى كل فرد ان يسعى اليها ، وقولي هذا لا يرود الذين
اخذوا السياسة حرفة وهم من طلبوا رزقهم من الخطاط الأمة وضعف مدارك
الطبقات النازلة ، وكانت منفعتهم فيبقاء الناس دائئراً على حالة يشهون فيها
القاصرين حتى يتيسر لهم ان يكونوا عليهم أوصياء) .

نعم يتيسر حل المسألة الاجتماعية بتنشئة ابناء الامة على حب الاستقلال
في الحياة لا على الاذلال على الحكومات وجمعيات البر او اسيخياء القوم .
دب داء الكسل في نفوس العرب الا قليلاً فكان قصارى كل متعلم ومتعلمه
ان يطرق ابواب الحكومات للاستخدام . ولو قد هيء لهم ان يتزعوا الى ✓

الاستقلال في تحصيل عيشهم لكان رجهم أضمن وحياتهم أرعد وللمواجرتهم ، والحرية لا توازيها لذة من الإلزام ولا نعمة من النعم . في اليوم الذي يتعلم فيه ابن الزارع وابن التاجر وابن الصانع ما ترقى به صناعة أبيه ويظل الزارع على زراعته والتاجر مشغولاً بتجارته والصانع مأخوذاً بصناعته لا يتعدونها إلى غيرها نعد من الرافقين في مجموعة الشعب . ومن أخرجته على الأغلب من صناعة أهله فكأنك نقلته من القطب الجنوبي إلى القطب الشمالي فجأة .

رأيت كثيرين في مصر والشام عزفوا أنفسهم عن الاستخدام وراحوا يعتمدون في عيشهم على قطعة من الأرض تقنوا في تعدها ، فأتمهم بما عاشوا به في هذه ، وخلصوا من عبودية الاستخدام ، وضيق الرزق المحدود الجامد . وتحدثت إلى عشرات منهم فشهدتهم جددوا طرق استهار ما يملكون فكثر ريعه كثرة فاقت المأمول . سقباً ورعاياً ليوم تضطر فيه الحكومات العربية إلى عرض الوظائف ولا تجد راغباً فيها كما وقع في فرنسا في بعض الأدوار ، انصرف الأذكياء إلى الاعمال الحرة في الشركات وغيرها وابتعدوا عنها فيه رائحة الرق في دواوين الدولة فاغتنى المستقلون وافتقر الآتكاليون . قد يعذر الآتكالي في بلد ضيق الرقعة محل التربة إذا زج بنفسه في الخدم المقيدة أما إذا كانت الثروة مائلاً للعيان أمامه لا تخناجم إلا أن يتعب نفسه قليلاً ليعيش ويخصب فلا عذر له .

قال لي أحد أعيان المصريين من رجال المال والأعمال إن والدي خلف لي في قريتنا أفدنة قليلة فما زلت أعمل مدة أربعين سنة في زراعتها حتى أتي على زمن أصبحت أملاك ألوفاً من الأفدنة . وتعجبون إذا قلت لكم أني ما طلت على الشمس خلال تلك الأيام إلا ما في (الغيط) على رأس عملي وفيه افطر وانفذ وقد اتعشى . وكان أبي يعني كل سنة إجازة شهر ويدفع إلى قائمة بما يجب أن نبتاعه من البناجر والخواضر فكنت أصرف إجازتي في تسوق ما يلزمها من متاع وادوات واعود إلى عزبتي لم استند من إجازتي إلا اقتناه ما كان لازماً لزراعتنا وبتنا .

وباطل ان اقول ان هذا الصدر المظيم لو نشأ مستخدماً حكومياً وغفل عن تهد زراعته بنفسه لكان اليوم افلس من المزلق .

رأيت في القطرتين انساناً من أرباب المدارك يتخalon عن ادارة مزارعهم بأنفسهم ليأتوا الحواضر للاستماع والاستجمام ، ينفقون ضعف دخلهم ويضيئون جانبأً من غلامتهم يتذكرونها للوكييل والخولي ، وغاية اماناتهم ان تسجل اسماؤهم في سجلات الحكومة ، وفي مصر في جريدة الرتب والنياشين والثريفات ، وأكثر المصريين جنوناً في الظهور من ينفقون العشرة والعشرين الف جنيه ليصلوا الى النواب او الشيوخ او يحرزوا لقب باشا او بك .

أقل نظرة من صاحب الرزق يلقىها على أرضه وشفاهه تأتيه باعف ما يأتيه العمل الحكومي . لي صديق من أعيان الشرقية غادرته وهو لا يملك أكثر من خمسين فداناً وهي مرهونة في المصارف ورجعت عليه بعد سبع وثلاثين سنة وهو يملك خمسةمائة فدان قطعة واحدة من أجود الأطياف ، فسألته عن سر غناه فقال مسألتان الاولى أني كنت اذا استدنت من بعض المصارف مالاً لابتاع أرض او تحسين زراعة أدفع التقاضط المستحقة في مواعيدها ، الثانية أني كنت كل يوم اطوف على زراعتي ثلاث مرات ولا أتكل على عامل ولا جير ، وهذا سر نجاحي .

ليست جميع الثروات الضخمة التي شاهدتها في مصر والشام وتعجبنا كثرتها هي كلها ابنة المصادفات بل هي وليدة الجدوالكد على الأغلب تراكمت في السنين الطويلة ونسج فيها الابن على منوال ابيه بتسلاسل واطراد وكانت صاحبها على جانب من الدمامنة والثقافة ، تعرفت الى عشرات من الاغنياء الاستقلاليين فلم تستغرب ما وصلوا اليه ورأيت من فريق الاتراك عشرات جعلوا اجل اعتمادهم على غيرهم فأصيروا بالفقر والحرمان وخلفوا الأولادم الفاقة والبؤس . وان قليلاً من التفكير يصرفة الرجل في تنمية حقله ومعمله يعود عليه بارباح قد لا يقدر مقدارها الا بعد ظهور نتائجها ، وكل حركة في طلب العيش لا بد أن تعقب بركة .

سويسرا المحبوبة

ليس في الملك الكبير والصغرى في الغرب بلد محبب الى القلوب كسويسرا (هلفسيا) اتفقت كلامة من زاروها من الشرقيين والغربيين على انها من خير بقاع الارض ^{الله مائزها} غريب الا ودّ لو صرف فيها بقية حبانه او رجأ ان تطول مدة مقامه فيها وكثيراً ما وصى بعضهم ان يدفن فيها .

ما هو سر هذه الحبة وفي الارض اصقاع جميلة فيها مالسويسرا من ذلك ؟ فيها مصايف ومشات ، وفيها رفاهية ونعم ، وفيها هدوء وسكون ، وفيها غابات وبحيرات ، فيها كل هذا وأكثر من هذا ولكن ليس لها طيب اخلاق السويسريين . ومن اجل ذلك تعشق أرضهم أجيال الناس (راجع فصولنا في سويسرا نشرت في كتابنا غرائب الغرب)

هناك جمهورية ولا كالجمهوريات جمهورية كالفسيفساء في الرقعة البديعة ، وهناك دينocracy ولا كالدينocracies ، نشأ ابناءها منذ قرون على حبا وفداها بأرواحهم وما حادوا عن قوانينها قيد شعرة . هناك شعب شريف ايسر ما يوصفي به انه زبدة صفات ممتازة ، لا يعرف الفش ، ولا يدخل في الفضول ، ولا يرتكب جريمة الكذب ، وهناك بمجموع بيوت نبيلة ثقت الحرب لاتحيز قتل احد ، ولا ترى المجد والعظمة الا في اجراء العدل والاعتراف بالحق ، والظهور باظهر المروءة والكرامة .

السويسري سعيد في بلده يشعر بهذه السعادة ، ويحمد المولى عليها ويطلب اليه دوامها ، سعيد لانه يعمل ولا يكسل ، وما حدثته نفسه ان يعتدي حتى لا يبتعدى عليه ولا ان يستعمر ارض ليست له ، ولا أن يطيل يده بالاعتداء على ملك غيره ، يسير على الفطرة ويألف السذاجة وحضارته سهلة لاتعقيدها ، اذا حاولت ايجاد مثلها أعيتها الحيل لانها من جنس الحضارات التي رقت مع الزمن لم ترتجل ارجحاؤا ولم تنقل عن الغير نقلها . والعلم فيها موفر مبذول تقىض منه

على جيروانها وعلى كل طالب يقصدها لأخذ عنها ، وفيها سبع جامعات لاربعة ملايين من الانفس يتزلون في ارض مساحتها (٤١٣٤٦) كيلو متراً ومعظمها جبال وبجيرات ، وهذا لم يهد في ارض غير ارضها . ولما كانت تربية السويسري المثل الاعلى اعتمدت بعض الشعوب في تنشئة ابنائها على مدارس سويسرا كما اخذت بعض ملوك اوربا منذ اقدم العصور من هؤلاء السويسريين حراساً لهم وجنداً مأجوراً لأن السويسري صادق العهد لا يخون .

نحيط بسويسرا أربع دول كبرى (النمسا والمانيا وفرنسا وابطاليا) وكلها دول حربية لانكاد تنطفيء جذوة حربها ، ومع هذا تحسن سويسرا جوارهن احسانها لقادتها ونازليها ذلك لأنها تنظر الى الخلق نظراً واحداً فيه حرمة وفيه عطف ولا زهو فيه ولا عنو .

النساء على حق اذا ادعينا أن ما وزع من الفضائل على أهل دولة كبرى كفرنسا او المانيا او انكلترا او الولايات المتحدة قد استأثرت سويسرا وحدها بما يوازيه او يزيد عليه مع مراعاة النسبة هذا على ضيق رقعتها وقلة اهلها . فسويسرا مثل امة تحب الحق وتندعو اليه وفيها من مظاهر الرحمة قسط كبير على ما يتجلى ذلك في تاريخها المجيد . مثالان من رحمة اهلها . حدث في القرون الوسطى ان هجم قائد نساوي على الأرض السويسرية في جيش ضخم ، وكان هناك جسر على احدى البجيرات لا مناص من اجتياز الجند النساوي عليه واتفق أن وقع ضغط شديد على الجسر فسقط بن عليه من عسكر ما كان من السويسريين الا أن تركوا القتال وأخذوا ينقذون أعدائهم من الفرق والسلام تصوب الى صدورهم فدهش القائد النساوي لهذه الشفقة التي بدت من عدوه ورجع عنهم وقد اعطاهم كل ما سأله . ووقعة اخرى جرت في الحرب العالمية الأولى وقد اصبحت سويسرا معتصماً لأمم كثيرة حتى غداً عدد اللاجئين اليها والنازلين فيها مليون غريب وانتهت المواصلات مع كل بلد فعز جلب المال وجلب الذخيرة ، وكان السويسريون في الحرب يستجدون الخطة من الملك الحاردة استجداه وهي تطعم منه هذه

الليون من الأنفس وتعطفهم رواتب تكفيهم ، وتؤديهم كأنهم في بيوتهم وبين أهلهم ، وأرجأت حناناً منها تدید هذه المبالغ الضخمة التي تنفقها على الأجانب الى ما بعد الحرب .

جريدة سويسرا مستفيدة على كل من يعتزم بها لاعبث فيها ولا لغو لذلك وجدت البرتستانتية الأولى معتضاً فيها وكانت للمذاهب السياسية المختلفة حمى منبعاً . يكثر الضجيج في انتخاب مجلس كل أمة ويسفر عن انتشار روح العداوة بين الأهل والعشير ، وسويسرا المترنة في اقوالها وافعاتها لا عبد لها بهذا ، لا تعرف الا السلام حتى صح ان تدعى جمهوريتها جمهورية السلام .

صناعة الفنادق

أويت الى فنادق وأنزال في الشرق والغرب منها ما كان من الدرجة الأولى ومنها ما يعد من الدرجة الثانية او الثالثة فرأيتها كلها تسير على نظام بديع فيها من اسباب الراحة كل ما فيه متعة للجسم والروح . ومن كان يظن ان أرق ما عندنا من الفنادق اذا قيس بما عند الامير كين منها يعد عادياً . تعرفت في دمشق الى مدير شركة كوك للسياحة فسألته عما اذا كان يصح سياحاً فقال : نعم سبعاءة اميركي . فقلت له : واؤين هم الآن ؟ فقال خرجنوا الى البر من باخرتهم وزاروا بيراوت فلم تعجبهم فنادقها وعادوا الى سفينتهم ليبيتوا بها ، وسكت واكملت حديثه في نفسي وقلت : اذا لم تعجبهم فنادق بيراوت فمن باب أولى الا تعجبهم فنادق دمشق وغيرها من فنادق الديار الشامية . ثم فكرت وقلت : ترى كم خسر بلدنا بامتناع هؤلاء السائحين من نزول فنادقه .

يظن بعضهم أن القيام بادارة فندق على ما يجب من الأمور السهلة . وما ادارته الا ادارة حكومة مصغرة او شركة كبيرة متشعبة بل ان الفنادق اصعب

ادارة لان فيها من صنوف الحاجيات والكماليات ما لا يكاد يحصر ، ومن الصناعات ما يتناول معظم المخترعات الحديثة .

ومدير الفندق يتبعه كل مافيه من دقيق وجليل وهو وحده المسؤول أمام زلاته وأمام حكومة بلده ولذلك اقتضى ان يكون على علم بفروع ما يتطلبه السائح من ضرورب الراهاية وما يحتاجه من الاستعلامات ويطلب صاحب الفندق الادلاء به على البديهة وهذا ما يستلزم ذاكرة وحافظة و المعارف كثيرة عن الشعوب والدول والقوانين والاقتصاد والمالية واللغات والجغرافيا والطوبوغرافيا والتاريخ والاجتماع والسياسة وطرق المواصلات البرية والبحرية والجوية .

برزت سويسرا في هذه الصناعة على سائر الشعوب الغربية حتى ان بعض الفنادق الكبرى في انكلترا ومانانيا ويطاليا وغيرها توسيد ادارتها للسويسريين كما تدار في حوض البحر المتوسط معظم المقاهي بأيدي اليونان لاشتهرهم بالمهلافة ورقة الجانب واستجلاب رضا الزبون .

صناعة الفنادق صناعة جليلة في ذاتها يعني بها من وراء الغاية في ديار الغرب لما تدره من الارباح الطائلة على القائين بأمرها ، ولا يضمن ذلك الشركات والأفراد ان لم تتحذ لها عامة أسباب النجاح ويجري التجدد في طرائفها كل مدة يراعى فيها الذوق والطرافة والهناء . وهذا لايتأنى الحصول عليه الا بعناية فائقة و المعارف متنوعة ونظام دقيق اذا اخل طرف منه يكاد يسري الخلل الى سائر الأطراف ويكون الانفاس مصير الفندق المحتل .

يدير الشاميون فنادقهم باتفاقهم ، والأجانب يديرون الفنادق الكبرى بصر لعجز الوطنين عن ادارتها . وما كان الشاميون عريقين في صناعة الفنادق واقتلوها بعض الشيء في العهد الأخير . اما المصريون فلم تنزل الطبقة الراقية منهم لادارة الفنادق تأخذها عن الغرب باتفاقه المعروف حتى يدروا بأيديهم فنادقهم وتدر على الوطن الارباح العظيمة التي يجنىها الغريب .

اذا تعلم العرب هذه الصناعة وبرعوا في فتح الانزال والفنادق تقرب وابط

الشعوب ويتعارف النزلاء وتتوطد العلاقات التجارية وتتوفر لأدباب الرحلات راحتهم وتحديثهم أنفسهم بالعودة إلى ذلك الفندق كلما عن تلم، وتنقل من حسات المدينة مابه منافع كثيرة للناس .

ابو سخماء والشحاء

ضاق عيش بمحرية طرابلس الشام زمن الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) لانقطاع الصلات مع البحر فقام تاجر خشب من صالح أهل تلك الفرضة اسمه الحاج مصطفى حولا وأخذ على نفسه اطعام مائتي شخص كل يوم من سكان بلده خلال أربع سنين . نوهت بهذه المكرمة في جريدة الشرق ثم نقلت ماقلته فيه في كتابي القديم والحديث .

ذكرت هذا الاحسان لأدبيين من المشايخ فكان بما انتقده الاول من سيرة هذا المحسن انه كان قبل ان يتجر بالاخشاب يصنع القباقيب وانه كان في شبابه يتعاطى المسكرات . وكان من الثاني الا ان قال ان عدد من يطعمهم بالغ فيه ولعلهم لا يتتجاوزن العشرة انسن . اراد الطاعن الاول الحط من صاحب هذه الحسنة فمدحه وما كان من وصلت به حرفته منها كان نوعها الى الغنى ومن كانت مستهترأ بالشراب في صباح ثم ناب واناب الا أهلاً لكل ثناء واعجاب . اما الذي ألقى الشك في عدد الآكلين ليقلل من شأن هذا الاحسان فانه على ما يظهر قاس هذا الكرم على نفسه فاستعظمه وحد فاعله وهو الذي ما اثر عنه ان تصدق بفترش على محتاج ، وربما كان من يعتقد ان من يخرج من مثل هذا القدر من المال برضاه يجب ان يعد في المجانين لا في العقلاه . والظاهر انه شق على الرجلين ان يفهم العماني من تعاليم دينه أكثر مما فيها وهم من طبقة اعتادت ان تأخذ ولا تعطي شأن معظم الموظفين يعتقدون أن الامة ملزمة باكرامهم واهداهم وهم غير مضطرين ان يحسروا الى فقرائهم حتى في أشد الازمات (لكل امريء من دهره ماتعودا)

حُمَلْ نَافِع

فلت لستار الزراعة السيد آثار (وكان يؤكّد لي انه يغار على مصلحة الفلاح) ان المهمة التي بذلها السيد جميل الدهان متصرف حمص في تشجير اللواه من اعظم ما عهد لرجل من رجال ادارتنا فاجاب لاتصدق ما يروى هذا : عمل مسطور على الورق فقط . فقلت له اني رأيت بعيني الشجر ناميًّا ونضرا ودخلت الغابات الجديدة وفحصتها فحصاً دقيقاً . ولعل حكم المستشار نشان ان المتصرف احسن التصرف باتكاله على نفسه اكثراً من اتكاله على الحكومة المنتدبة ، انتفع منها ما استطاع ان ينتفع وراح يبحث قومه على ابتياع الفراس يجلبها لهم من الاصناع التي تجود فيها ، وما استعن بحكومة الوطنية الا في بعض الاحوال التي لابد من مراعاتها .

كانت عمالة حمص قبل ان يقوم هذا العامل بشروعه تعنى عيون اهلها من الغبار طوال ايام الربيع والصيف والخريف ولا يجدون حطباً يحتظرونه لطبخهم وخبزهم ودفthem فيعمدون الى روث البهائم يجمعونه بأيديهم ويحفرونه ويسمونه « الجلة » وبه يوقدون وبه يستدفون فلما جاءت هذه الغابات الفسائية كان لهم منها وقاية لصحتهم وغذاء لاجسامهم وانتفعوا بشعرها وحطبا ثم انهم اقتدوا من روث الحيوانات يجعلوا منه ساداً زاد في خصب اراضيهم وقد بلغ عدد الاشجار المفروسة في مائتين وخمسين قرية ملايين . خصت الاراضي البعلية بالزيتون والفستق واللوز والتين والرمان والكرم واقتصرت اراضي السقي على الجوز والمشمش والتفاح والخوخ والسفرجل والدراق .

هذا ما تم على ايدي المتصرف المجنهد في ثلاثة عشرة سنة و كنت اذا اتببت عليه امام بعض رجال الادارة يتعرضون من تصريحي ويجاولون تقلييل قيمة عمله ، شأن الحامل عند ذكر العامل والجاهل اذا نوى كيد العالم . وما كنت اقصد - وكلامي يومئذ مسموع لان عليه سمعة رسمية - الا ان

أبىت مهمهم على حد الاهلين على التشجيع حتى نبني ثروتنا على اساس مثين وندخل الى الفنى من ابوابه . و كنت اجهز بقولي ان وظيفة صاحب الادارة تحصر في عدة مواد اهمها تهيد الطرق و بناء الجسور والمعابر و انشاء المدارس و دور الحكومة والمخافر واسالة المياه وتجفيف المستنقعات والتشجير ، لاصرف الوقت في حواله الاوراق وكتابة التقارير الملفقة وارضاء المرجع بالحق والباطل .

وأخبرني احد الاخصائين بالزراعة ان هذه الاشجار الكثيرة في لوامحص لم تسلم كلها سطت عليها الاهوية فقلعت بعضها و كان الاهلون يقلعون البعض الآخر للانتفاع بارضها . ومن العادة الا تسلم كل شجرة تغرس ولو كانت في مأمن من اعتداء البشر والطبيعة عليها

دار الكتب المصرية

عنِيت هذه الدار بطبع أمهات من المخطوطات العربية على طريقة علمية عُورض منها الذي يراد نشره على النسخ المختلفة التي أمكن الحصول عليها ، وشرح المبهم من عباراتها ، ووضعت الفهارس المتنوعة لكل كتاب حتى يسهل الرجوع الى مواده . وأصبحت المجموعة التي نشرت من أهم مصادر المؤلفين والباحثين في الأدب والتاريخ والشعر والرجال ، وكانت بعض الكتب تقع تحت نظر بضعة من العلماء بعد تصحيح المصححين في المطبعة فيظهر فيها قليل من الالغاز ولا سيما في اسماء البلدان .

اما البطل في العمل فقد تعذر على الادارة تلافيه ، وجاؤز الحد فارتقت شکوى عشاق الكتب منه وهم يشكون لتناول ما بقى من الكتب التي بدأ بها منذ سنين . والسبب في ذلك أن المسؤوليات تتضيّع في الأماكن الرسمية وقل أن يكون فيها الاتقان تماماً ، والتسامح ان صنح في ذلك فلا يجوز أن يكون في اسفار يراد من طبعها الاتقان الذي لا يقدر الافراد على

نحقيق مثله ، ولو كانت مثل هذه التسهيلات التي تتمتع بها دائرة حكومية
لجماعة او شركة لأنتجوا اكثراً مما انتجت دار الكتب ، وباتقان قد يكون أبداً
اعظم من اتقانها .

وبعد فلو كانت وظيفة مدير دار الكتب المصرية تطول عشرين سنة مثلاً
لسنة النقص المشاهد في معظم فروع ادارة هذه الدار ، ولكن وزارة المعارف
المصرية لا توصد ادارتها الا لرجل كادت تنتهي خدمته الرسمية ، ومنصب المدير
هنا يقتضي له تجارب كثيرة وعلم بهذه الصناعة الصعبة ولا تكفي فيها الممارسة
الطفيفة ، والنتيجة غير الحق .

س

من أغنى العربية

أغنى اللغة العربية افراد وضعوا لفردات اعلوم الفاظاً عربية ما كان
المدرسوں يعرفونها واجبوها بوضع ما يقابلها من اللغات الغربية امثال رفاعة
الطاھاوي و محمود الفلكي و سالم سالم و شفيق مقصود و محمد مختار و علي رياض
و درّي وقدري و احمد فارس و سليمان الحريري و فانديك و بوست و يعقوب
صروف و ابراهيم البازجي و ابراهيم المصوّر و احمد عيسى و امين المعلوف و محمد
شرف و انتاس الكرملي و داود چليبي و شکیب ارسلان و مصطفى الشهابي
ومصطفى نظيف و مرشد خاطر و احمد حمدي الحياط و حسني سبع و نجيب شاهين
وجميل صليبا و صلاح الدين الكواكبي و جميل الخاني و عبد الوهاب القرناتي الى
ضربائهم اصحاب الفضل العظيم على العربية والنهاية العلمية . ولا ينكر نضل
المجتمع العلمية في توسيع دائرة العلوم و اذا نشر ما وضع بمختلف طرق النشر
سرى ما وضعوه في التأليف والصحف وعلى الالسن فتزيد اللغة اتساعاً وتغنى
بالعلميات كما هي غنية بالادبيات .

كتبة ابو صاحب

نصيحة في اساتذة العلامة محمد المبارك يوم وفاة والدي الا انستكثر من
الاصحاب وأن اجتهد ان كان لي خمسة ان اقتصر على اربعة لا ان اجعلهم ستة
لان للاصحاب حقوقاً لابد للصاحب من مراعاتها اذا اخل بشرطها كان من
الخائبين على الصدقة ، وان حرص على القيام بما تستلزمها أخاء وقته وعمره .
نصيحة صعب على كل الخلق العمل بها تتفق بالأكثر من اراد العزة
والاشغال بخواصه نفسه ، وهي نصيحة صوفية و المجتمع يتطلب غير
هذا ، ولو عملت بها لظلت العمر أجول في دائرة ضيقه ولغافتنى امور لا أصل
إلى معرفتها الا بالاختلاط وصرف زمن في ممارسة ما ينفع الوقوف عليه .
حقاً ان الاسترسال في الاكثار من الاصحاب مضيعة للوقت ، وفي العزوف
عنهم بعض الراحة . والاختلاط او العزة تبع للصناعة التي يعانيها المرء .
فقد نشأت صحافياً والصحافي اكثرا الناس حاجة الى التعارف .

وكنت الى اواخر العقد الرابع من عمري أفرح اذا زاد عدد أصحابي ،
وبعد هذه السن أصبحت نفسي تعزف عن الاسترزادة من الحلان والمعارف ،
وتشتئ من كل من يرى في مصادقي فائدة له خاصة . ومعظم من تصحب
بحرص على صداقتك مادام من ورائها مفمن له فإذا انقطع كانوا ازهدا
ناس في مجلسك .

المرء في حاجة الى اصحاب في فرجه وترحه وفي حلله ومرتحله . يحتاج
أبداً الى من يأنس اليهم ويأنسون اليه ، ويبادلهم الأفكار ويحيل معهم الرأي ،
ولا تضره كثريتهم بقدر ما يضره سوء اختيارهم ، وليس أشق على المتصادفين
من عدم المشاكلة في التربية والعقل ، والصدقة تقوم على تسامح الصديقين
حتى قال بعضهم ما رأيت صديقين دامت صداقتها الا كان احدهما متنازاً
عن بعض ما يجب له على صاحبه .

الباب المفتوح

لي صديق قديم عجم عود الناس وأصبح على الزمن من يرجع الى آرائهم في معرفة تقنية الطبقات ؟ عَنِيتُ ابا درويش السيد مصطفى سعيد رجل الخير والظرف ، أخذ منذ مدة يلومني ، والاخلاص رائده على ابعادي عن المدينة وتخاذل القرية سكناً ، ويقول انه لا يرى معنى لاعتزالي هذا بعد أن تمت بعض ادواتي من التجارب والمعرفة ، وحار لي شهرة في الاقطار ، ورأي مسموع بين جمهرة من الشبان والكهول ، فمن واجبي أن أجلس في بيتي في الحاضرة وافتح بابه لاستقبال الضيوف ولقاء الواردین . فكان جوابي كل مرة ان لبدنك عليك حقاً ، وانا عند نفسي قد قمت بما فرض عليّ في هذا الشأن ، وواجبي بعد الآن ان استريح والا أدخل في مسائل لأحب أن أدخل فيها ، والا أرى وجوهاً لاتميل نفسي لمواجهتها ، وغريبي ان أصرف الأيام الباقية من عمري فيما يلذني ، وليس اجمل مشغلة من الانقطاع الى النظر في تأليفـي والغايه بطبعـها .

ووقع لي مؤخراً ما يصح ان يكون منه حجة اخرى او تتمة لجوابي على كلام صديقي هذا . ذلك أنه زارني في القرية وقت الظيرة في الصيف شابان من طلبة العلم الديني في عشر الثلاثين من العمر على غير معرفة سابقة ولا توسط متوسط للوقوف على ماذا كنت ارتاح لهذا التعارف او لا ارتاح ، وأخذـا يوردان عليّ أسئلة ليس من السهل الاجابة عليها في الحال ، ولا من الحكمة أن يبوح بها المرء من لا يعرف ، ويطلبان رأـيـي الصريح فيها بحاولون مثلاً الاطلاع على ترجمـمـ من عنـ لهاـ الـوقـوفـ على ترـاجـهمـ من الرجال البارزين في السياسة والدين ومن طبقـاتـ المـحدثـينـ والـاـقـدمـينـ . وما خـاقـ صـدـريـ من اـصـطـيـادـ ما يـبـعـيـانـ اـصـطـيـادـهـ قـلتـ لهاـ : انـ هـذـهـ الاـسـئـلـةـ يـقـضـيـ لهاـ عـشـرـونـ جـلـسـةـ عـلـىـ الـاـقـلـ وـماـ يـدـرـيـنـ اـذـاـ اـنـ صـرـحـتـ باـ تـرـيدـانـ انـ

تشرأ اقوالي في الصحف فأخرج عن التوفيق الذي يتطلب من الشیوخ . ساقني الى هذا القول لأن رأيتها يطعنان في بعض كتاب الرجال المعاصرین ولا يدركان من ماضیهم وحاضرهم شيئاً صحيحاً بما يدل على خبرة قليلة بالرجال ، وظیر الانقراض على ذكرت لها اني في دور النقاہة والواجب أن أقبل واستريح فصرفتها عن صرفاً ليس فيه شيء من النعومة التي اعتاد الدمشقیون الظهور بها حتى مع اعدائهم .

اهكذا يريد صديقي البار ان أهدر وقتی في رد مسائل كهذه ، وكلام فارغ كهذا ، وأنقطع في داري لاستقبل امثال هذين الشابین اللذین اثنا اثنتا لم يتعلما أبسط قواعد الاجتماع . ولو قدر الله أن اسيء على هذا التهجي لما اتيت بعمل نافع ، وبعد فأننا اذا اعتقدت ان ما جريت عليه بما ينطبق على العقل لا أجد عنه لأقوم بما لا ارى من نفسي استعداداً للقيام به .

وعلى ذكر الباب المفتوح ارى ان أشير الى من اعتادوا الاجتماع ان أصحابهم في أندية مفتوحة او في حديقة عامة او ثوي او ندي اجتماعاً علينا ، ان مثل هذه المجالس لابد ان يدخلها طفيليون ينفصون صفاء المجتمعين وينقلون أخبارهم ويتجسسون عليهم . وأمثال هذه المجالس كثيراً ما كانت اعملاً على تقليل شرورها ولا سيما في الاوقات التي ما كانت استغنى فيها عن الاستئناس الى أصحابي . وجرت عادتي في الأزمات السياسية ان اتجنب الناس ، وحدث في احدى الثورات الاخيرة ان جاءني من قدماء جيرانی شخص اعرف درجته ودرجة اسرته من الأخلاق وكان من عادته ان ينقطع عن اعواناً ثم يوافياني مستعلمًا عن صحيتي متشففاً الى طلعي ، ويسأل عما يهمه من الاخبار وهو من لا يعنون باكثر من طعامهم وشرابهم ولذائذهم ، وسألني علناً : ونحن ماذا يكون مصيرنا ؟ وكان ذلك ايام خروج الفيشين من سوريا واستلام البريطانيين زمام الحكم فقلنا له جمبعنا : الله اعلم ، وغمزت بعضهم ان يسكنوا ولا يفيضوا مع الداغر علينا . ومن الغد عاد يزورنا ووضع سؤاله بالأمس - ونحن ماذا يكون مصيرنا ؟ - وأجبناه بما كنا اجبناه في ثاني يوم وفي الثالث جاءنا بالنفحة ذاتها فتجهم له بعض جلسائي وفي اليوم

الرابع أغلقت الباب وحرمت اخواني ثلاثة أشهر كواحد . وكان اصحابي يستغرون بعدي عن الاصحاب وانا اعدم بأن أبوح لهم بالسر متى حان الوقت وعدنا بعد ذلك الى ما كنا عليه من الاجتماع الخوض في احاديثنا ولا نقطعها الا اذا دخل علينا انسان لانعرف ترجمة حياته ومن هذه الطبقة من توفيقناه واستعملنا لسان التسويف في خطابه ظهر بعد حين انه من الجوابين كما تفروضنا فيه من اول الأمر ، وربما كانت احاديثنا وهي مغمومة بشيء من الحرية تضر بعض الحضور في اعمالهم وعلاقتهم مع الحكومة اذا نقلت الى من يبني عليها احكامه وحكومته .

في عالم الدُّهْرِ

في ليلة من ليالي كانون الثاني حلمت حلماً لذيداً وددت لو طال أكثر مما طال . رأيت كأن الجمهورية تبدل سياستها ، وصلحت ترانياها وادارتها ، بأسباب تعد من الخوارق وما هي بها . قام الاصلاح من دون مظاهرات ولا مشاغبات ودون ان تنس الأوضاع وتبدل الأنظمة ، فدهشت لما رأيت وتخسرت وسألت اول من وقعت عيني عليه ، وكان رجلاً ذا سنت حس ووقار ورزانة ، توست فيه العقل والحكمة فقلت له : اني لا أَعْجَبُ بِمَا ارَى من هذا التبدل الفجائي فكيف تم يا اخي هذا من دون ما ثورة ولا تغيير وزارة ، ولا حل مجلس وانتخاب آخر ، فقال لك الحق ان تعجب بما ترى ، كل ذلك لم يحدث شيء منه ، ولا ازعج وطني ، ولا خرب شيء ولا تلف مال ، ولا صرف وقت ، وتحقق ما كان العقلاء يرجونه ويستبعدون الوصول اليه حتى كادوا ان يقنعوا .

قلت : والله يا اخي لقد دخل الملل على قلبي لكثره ما طالبت الحكومات بإجراء الاصلاح ، ولم تتحقق لي الأيام بعض ما كنت ارجو ، مع اتنا وصلنا

إلى آخر المراحل بالنظام الجمهوري الذي قام بيننا ونحن ما طلبنا غيره
لعلنا بأنه أصلح أنواع الحكم .

قال : وانا مثلك يا صاحبي جدًّا متعجب مما جرى ، وفرحت بتوفيقنا
فرحاً لا مزيد عليه ، فرحت لما تقدمنا به من خطوات خطوناها وما ظننا
انها تم على ايدي هذه الطبقة من الرجال لأنهم الا القليل جداً لا يفكرون
إلا في استغاصهم فقط ، وقل ان ترى فرداً فيهم يفكر في الأمة ومستقبلها ،
ورجال هذا شأنهم لا نرجو منهم ان يقوموا بما ينفع ، وفائد الشيء لا يعطيه .
قلت : عجبت من نزاهة حسوسه شاهدتها في القضاء على اختلاف
درجاته ، وكان بعض القضاة بالأمس ملوثين بالرشا ، يقضون على هواهم
بلا مراقب من ذمته ولا من وزارتهم ، وكان القضاة او سوادم الأعظم
يسارعون إلى التهام الرشوة قبل غيرهم ، واليوم يقضي القاضي وهو يحب
لقضاءه الف حساب ، يقضي وهو يخاف ربه ، ويختلف ان يجمع به هواه
فيخالف العدل ، يقضي بدافع من نفسه لا يخشى المفتش ولا امين الوزارة
ولا الوزير ولا الرئيس . قال : وهل عندك علم بما وقع فقد انحلت بعض
الخل تلك الشركة التي تعاهد الشركاء فيها على الحق والباطل ، وكان من
اثر ذلك ان وصل القضاة إلى هذه الدرجة من النظام ، وشاهدنا العدل عياناً
على ما شهدناه في حاكم مصر فانقلب هيئته في العهد الانجليزي وكان
من قبل مهزلة من المهازل ، فما هي الطرق التي اتبعها رجال الجمهورية حتى
انقذوا القضاة من ذلك الخلل المبكي ؟ قلت : لا يعلم الغيب إلا الله .
اما ما جرى فليس من علم الغيب في شيء وما هو إلا من المحسوسات
الملموسات ، ما فيه ما يبعد من المعجزات ، بل هو طبيعي الحدوث ليس فيه
ما يستغرب هو اشبه بالقضايا المنطقية تخرج النتيجة اذا صحت المقدمة قوية
صحيحة . ان القوم على ما تبين لي عرفوا الخطر من هذا الامر فتخلوا
قليلًا عن حظوظ انفسهم ونظروا إلى المصلحة العامة بجد فأخرجوا من
الخدمة بعض الحائزين فارعوا الآخرين من كانت ذنوبهم خفيفة يمكن
اصلاحها وأنوا بنـ ينفعون لتوسيـ المناصب الكبـريـ وهمـ ساقـوا من تحتـ

ابعدم الى السداد ونصبو اطيب طبقة من العمال ، وكان الصغار من قبل يفسدون الكبار والكبار يكتون عنهم اذا رأوا عن الطريق المستقيم ، يملون لهم ما شاؤا ان يملوا ، يتركونهم يسرقون ويضيعون الحقوق ويشاركونهم في سرقائهم وهم يؤدون اليهم قطتهم من الغنيمة . ويعاونهم على ماربهم من باب ارضي لي أقدر لك ، وتحصر فلسفة كل هذا في جملة مختصرة وهو أن ولادة الأمر عزموا على ترك المصانع وأخذوا باطراف الحزم فنفذوا العقوبات على كل صغير وكبير ، فسلت ادارة الحكم من لوئاتها بعد قليل ، وكان بعض الوزراء من رجال القانون في سبيل النفع الشخصي يتسمون الخارج لاستصدار العفو عن القتلة كما كانوا يغضون الطرف عن لصوص العمال ، أطلقوا لهم العنان حتى كسرروا عظم الرعية وعرقوا لها ، وما رجعوا الى العقل وحذفوا من موازنة سنة واحدة ثلاثة ولم يتعود الاحوال تبدل وقضوا على الحكومة السابقة وعلى غلوها في فرض الضرائب ينعم بها القائمون بالدولة جرت الامور في نصابها . وكان شكا بعض أرباب معامل السلاح في الغرب أن بعض رؤساء حكومات العرب ، وطعنوا في أماناتهم ، طلبو اضافة مبالغ على قوائم ما يبتاعونه من معاملتهم فردوهم لأن ذلك يضر بسمعتها ويؤدي تجارتها .

✓ العالم من دون عقوبة يعمهم الفساد وتنشر الفوضى بينهم ، ويختل عمود العدل ، وتضطرب أحوال الملك ، ومتى انقطعت آمال الامة من احقاق الحق وازهاق الباطل لا تدوري ما هي فاعلة . قال : اني الى الاعتقاد بأنك تبالغ في وصفك هذا واني أحب أن أصارحك وقد رأيتكم على شيء من التجربة فأقول : وماذا يترب على انتفاع العامل بشيء من المال ينفقه على عياله وانت تعلم ان راتبه قليل وكذلك المدير والوزير اذا عقد أحدهما صفقة وتناول منها مبلغاً من المال يغطيه أو يستعين به يوم الانتخابات لابتزاع الاصوات أو يجعل منه مجهرات يهدىها من يتوقع الخير على يده أو يجمع مقادير عظيمة من الجبوب أو الارز أو السمن يهدىها لاصحاح المطابخ الكبيرة يعاونهم على

الظهور . بعذور يطمعون فيه وهذا يقابله على هديته بكلام فيعود القرش عشرة على المادي ومهكذا الناس ينفع بعضهم بعضاً .

قلت : ان ظاهر كلامك لا يأس به الا انه لا يقنع عاقلاً ، وهذه الاعمال كلها حومة في الشرائع والمتدينون والمدنيون يحدرون من ارتكابها . ومن يهدى اليه اليوم ويقبل المدية لا ينجيه من تبعتها الا هذى سيد المرسلين في قوله لمن رأه يتناول مالاً من الرعية لنفسه وقال انه أهدى له : هلا قعدت في بيت أبيك وأمك وقت انه أهدى اليه ، وتقول ان الرسول قبل المدية لكن كان يقابل عليها وهؤلاء المستهدون هل قابلوا مهدياً على هديته الا ان يقابلوه بكلام كان يشهدوا بمحن حال من أهدى اليهم ويؤيده بالباطل في المآزر ليبقى في الحكم اكثر مدة ممكنة .

وقطعني فقال : انت ت يريد ان تعيينا الى عصر الصحابة في الحكم هذا عصر لا يعود ولا يتكرر والناس كلهم اليوم فسدوا الا من رحم ربكم ، ومراد الله من الخلق ما هم عليه ، العالم ياحبيبي لا يعرفون الا المادة ومن اختار لنفسه الذلة والقلة وعف وترفع عن الدنيا فهو و شأنه ، ومن اراد ان يتمتع بباهر هذه الدنيا فليس له غير هذه الطرق التي يسلكها الكافة ، ولا حرج عليه ولا اثم ، وازيد على ذلك ان معظم الخلق لا يعتقدون بغير الدنيا ، والآخرة عندهم شيء مجهول بعيد الواقع فلا يتركون المعلوم للمجهول ولا الحياتي للمحسوس .

قلت : دعنا من امور الآخرة و تعال نبحث في الدنيا ، هل تستقيم ببيانك الامور ان لم تقم على نظام وعدل ، هل يكون ذلك بغير تطبيق الانظمة كما يفعل الغربيون لعهودنا في تنفيذها ، ولا ينظرون الا الى الحياة الأولى ، ولذا افلحوا اكثر منا في كل امر ، فهم اكثر غنى ، و اكثر حدقأ ، و اقرب الى العدل ، ونحن اذا ضاع الغش والكذب والنبية وكل ما نهى عنه شرعاً نتجده في بلادنا على حصة موفورة ، ونأتيه كل ساعة غير خائفين ، وبفتوى من مفاسينا ، ونماهيا من اهل الحلال والعقد فيما ، قوانيننا كلها جيدة لو نفذت ، لكنها مدفونة في القاطر ننفذ منها ما يروقنا فقط . قال : الا تعلم

ان الكبار اذا اعطوا فهم يعطون من مال تقرره لعم الحكومة وكل ما يقام من المآدب والسياحات المرفهة ونفقات الأجهزة والبنية واستئلاة القلوب والاقلام داخل الوطن وخارجها ، قد اخذ من بيت المال بقرار فالآثم هو المقرر ، ومن اتفق ماقرر له بوريء من التبع ، المسؤول عن المال المبدد هو القانون الدستوري ، والامة في الواقع اخللت اخلاقها فوجدت لها من هذا القانون اعظم معوان . وبلغني ان احد رؤساء الوزارات لا يقيم مأدبة خاصة او عامة ولا ينفق شيئاً في سبيل مصلحة الدولة حتى في شراء السلاح والقذائف والطيارات والسيارات الا ويضيف الى قائمة ماصرف مبلغاً من المال يأخذنه لنفسه وبذلك اعتنى كثيراً واقتني املاكاً وكذلك اعتنى اقاربها واسياعه في المفروضيات والمحافظات من صالحهم من بنوا التصور ونجدوا المقاصير والدور يسرفون في الانفاق على رفاهيتهم ما لا ينفقه رئيس كبير في ديار الغرب . ومن غريب ما أتى هذا السياسي ان احال الى مزارعه ما وقع في ايدي الدولة من المفاسد كل مواشي والآلة كان مفاسد الحكومة مفاسد له ولا من يحاسبه .

وأتبعت ذلك بقولي الناس يا حبيبي مع القائم وكيف يحاسبون او يعرّضون قليلاً بما تجنبه يد الجاني وهم يوقنون انه اذا غضب الله على احدهم وانتقد هذه الخطة عاقبه الوزير عقاباً مادياً وآذاه في ماله واجهاناً ببدنه فان كان تاجرآ عمل على خسارته ، وان كان مزارعاً سلط عليه ادنية الفلاحين ، وان كان موظفاً اوقعه في مشاكل يحاولون به اقصاءه وخراب بيته ، والوزراء كلهم متضامنون وهم ابداً طوع امر رئيسهم والحكام كلهم عبيده مadam في منصبه الا من رزق نفساً قوية وما اهتمه خدمة الاغراض . ومن الناس من يتحاشون ذكر المظالم بكلمة مخافة ان يعود الى الحكم مرة اخرى وينتقم منهم ومن ابناءهم وذوي قرباه وأصحابهم ، وهكذا يبقى الجرح نثاراً والفساد مستحکماً متسلسلاً . ويذكر العارفون ان احد الوزراء في الانتخابات حرص على احراز اصوات تسهل عليه الوصول الى النيابة ، مع علمه بان النقوس مائنة عنه ، فلم ير احسن من ان يهدى الى جميع موظفيه بمعاونته فالبسهم كسوة غير كسوتهم ، وأصحاب كل واحد مسدساً خباء في جيبيه ،

وكان بهم عدد الناخبين حتى احرز بعض النصاب وانه له حزب الحكومة بما وضعه في الصناديق من اوراق مزورة ففاز بالنيابة بهذه الطرق المزيفة وفاز بعض زملائه وانتشر سر هذه المكيدة ، والسياسيون قد يذعرون ان افعالهم السرية تخفي على القوم وليس كل السياسيين فلاسفة حتى تردهم ضمائرهم الى العصراط السوي . ومكذا يقال في بعض الرؤساء وبعض الوزراء اخترع كل واحد احبوة يلقبها فيصطاد فنهم من يجوز ابتياع الضمائر بالمال ويدعي ان الجد لا يبني الا بهذه الاحابيل . ومنهم من لوعاطيته عشر خزانة الامة الم د يده الى التسعة الاعشار الاخرى ، ذلك لأن اكثراهم لم يربوا تربية دينية ولا مدنية صحيحة وجاءوا الى ممارسة السياسة من طرق فيها الحدبة والكذب والنفاق وغير ذلك .

مساو لو قسم على الغواي لما أمهرت الا بالطلاق

ساعتي الناذج التي ادركتها من أولئك الكباراء ، رأيتهم يتزلون لأقل الصعاليك ويختاطبون بما لا يخاطبون به عظاء الامة ورأيت بعض عامة سكان الاحياء تنهال عليهم مقادير كبيرة من الحنطة والارز والسكر وغير ذلك من انواع المأكول ، وكان هذا في وقت عز وجودها وكان يكفي ما يهدونهم من انواعها لأن يكون منه رأس مال كبير او ليطعم الف انسان ، بينما كان الفقراء لا يصلح لهم الى القوت الضروري الا بشق الانفس ويطعمونهم الحبز المغشوش اما الارز والسكر فهذا ما كانوا يسمعون به ولا يرونـه .
قال صاحبي : ان اكثـر مـارـوـيـته اوـافقـ عـلـيـهـ ، وـهـذـاـ كـلـ جـرـىـ عـلـيـ مـارـسـتـ ، ولـكـنـ جـنـبـلـيـتـ قـوـيـةـ وـتـشـدـدـكـ عـظـيمـ فـيـ اـقـضـاءـ النـاسـ مـاـلـيـلـكـونـ فـارـحـ نـفـسـكـ مـنـ هـذـاـ عـنـاءـ فـائـتـ لـاتـقـومـ المـعـوجـ ولوـ كانـ مـعـكـ الـيـوـمـ فـرـيقـ يـعـاضـدـونـكـ ، وـلـنـ تـنـجـحـ مـاـدـامـ الـفـاسـدـونـ اـكـثـرـ سـوـادـاـ مـنـ الصـالـحـينـ ، وـالـفـاسـدـونـ اـعـرـفـ بـالـدـسـائـسـ وـبـاـ يـبـقـيـ عـلـيـهـ نـعـمـتـهـ وـمـ عـنـ حـاجـتـهـ اـحـطـ .
وـلـمـ يـلـغـ الـحـدـيثـ اـلـىـ هـذـاـ الحـدـ وـمـنـ مـاـنـسـيـتـهـ تـقـلـبـتـ فـيـ سـرـيـ مـتـالـاـ

منـ اـوـاـخـرـهـ ، فـانـتـبـتـ عـلـىـ صـوـتـ المـؤـذـنـ يـقـولـ : يـاـ رـحـمـ الرـاحـمـنـ اـرـحـنـاـ .

ابراهيم باشا في الشام

من غرائب التاريخ في العصر الماضي قيام محمد علي الكبير بانشاء دولة عظيمة في مصر واسترجاع عبد العزيز آل سعود في هذا العصر ملك آباءه في نجد وما إليها وليس معه من الرجال أكثر من بضعة أشخاص ، وكلها أمير ولو لا مقاومة الدول محمد علي لاستولى على معظم العامر من مالك افريقية وعلى أرض العرب في آسيا وعلى آسيا الصغرى من أرض الترك وعلى الروم ايليا وما وراءه من البلقان ولكن له الكلمة المسنوعة على شواطئ البحر المتوسط وغيرها من الاقيادات .

كان محمد علي بما يخص به من نظر بعيد يعرف ان فتح الولايات العثمانية في آسيا ، ليس من الصعوبة على ما يتصور المأذوذون بالظواهر لأنه كان يقدر مبلغ قوتها الحقيقة اذا تصادمت القوى ، وقد حققت الايام حسابه فانه لما صحت بيته على فتح الشام أرسل إليها قوة من البحر وأخرى من البر بقيادة ابنه ابراهيم باشا ففتحت على أهون سبب ولو لم تقف دول اوربا في وجهه وتتصدّه عن التقدّم لفتح القسطنطينية وجعل دولة آل عثمان أثراً بعد عين . وتجلى في هذا الفتوح التي وصل فيها ابراهيم باشا الى كوتاهية أن الجيش القليل المجهز بالجهاز اللازم خير من الجيش الكبير العدد وفيه نقص في المعدات وفوضى في القيادة ، ولذلك كان الجيش المصري المنظم يومئذ أفضل من العثماني المحتل .

والحقيقة الباهرة في هذا الواقع أن ابراهيم باشا ما يكتفى بالغليبة بالسلاح بل طمع فيها وراء ذلك بالنهوض بالديار الشامية المائدة إلى الانفراط وسارع وأدخل فيها في بضع سنين جميع ما ينفع بها من أسباب المدينة الجديدة على أجمل ما تنظم دولة كبرى تأصلت فيها المدينة في دولة يكره ما يشهد به الاصلاح منذ قرون .

ما كان من مصلحة البريطانيين يومئذ توسيع محمد علي في الملك واذاك لم تقدم السيف في الشام مدة حكم ابراهيم باشا يحاول اجلاء جيشه وارجاعها الى الدولة الضعيفة صاحبها القديمة فدأبت على تحريك من كانوا بالامس من انصاره مثل الدروز والنصيرية والموارنة . فقتل الدروز في الجاه ووادي التيم مثاث من جيشه . وكان ابراهيم لا يهدأ له بال يراقب العثمانيين في الشمال ويضطر الى مرافقة العدو الداخلي من الجنوب ، والانكليز والأتراك يتتعاون بالمال من يرون ابدياً واستباعه من الاكراد والتركمان والموارنة والنصيرية والدروز والموارنة . وما حالت هذه المموم السياسية دون ابراهيم باشا وما يرمي اليه من انشاء القلاع والجسور والمستشفيات والثكنات والخانات والفنادق وتجنيف المستنقعات وانشاء القنى لتصريف المياه القدرة في المدن وغيرها وترتيب المجالس الملكية والعسكرية وتأليف مجلس الشورى والمساواة بين الرعية في الحقوق والواجبات يتع كل طائفة بحريتها وينظم الحياة والخارج ويسيطر المصادرات ويقرر حق التسلك ويوطد الامن وينشط الزراعة والصناعة ويعلم تربية دود الحريم ، فاستعادت اكثير القرى التي كانت على سيف الباادية واقليم حوران وعجلون وحمص وحماة وغيرها عمرانها القديم . وما كان ابراهيم باشا ضئلاً بالمال ينفقه في الاصلاح ويدخر ما فاض منه في الخزان الطوارئ اي ينفق مال الشام في الشام .

قام ابراهيم باشا بكل هذا وحالة القطر السياسية غير مستقرة ، وامتد نشاطه الى جميع فروع الادارة يبني ويكثر البناء كأنه في ملكه الثابت الذي لا ينزعه فيه منازع . وكان العثمانيون من قبل قصوا في القطر ثلاثة سنّة لم يأتوا خلالها بعمل يذكر في باب التمدن ، وفي ايامهم لم يعمر طريق ولا ثكنة ولا مدرسة مهمة ، والمدارس والجوامع التي تنتسب الى بعض ولائهم في الحواضر عمرت باخراب المدارس والجوامع الاثرية القديمة وكان معظم مابنيه من الحصون من انقاض مصانع القدماء ، وسياستهم لم تبدل منذ احتلوا هذا القطر . تتقاضى الدولة الجبايات الكثيرة الانواع بطريق غير مشروعة

وتأخذ الشبان للجندية لقتلهم في حروبها الكثيرة ، والامن ابدأ الى الاختلال والارواح تباع بيع السماح والشرع لاتنفذ احكامه الا على الضعفاء لان الاقوياء و منهم الاقطاعيون لا يطبقون من مواده الا ما يوفهم ، والاقطاعيون اعون الظلمة من الحكام الرسميين وكلهم على المظالم متتفقون ولذلك شق عليهم حكم ابراهيم باشا لانه ساوي بين السكان وقطع على الاعيان طرق سرفاتهم ، فهم عضد للدولة العثمانية حتى تعود الى حكم القطر بمحكمونه مع عمال العثمانيين الفاسدين ويتعاونون يداً واحدة على سرقة اموال الدولة واموال الرعية .

وكيف السبيل الى عودة العثمانيين الى هذه الديار وجيش ابراهيم باشا مانقص عن اربعين الف جندي منظم بنظام اوربا وبقيادة قائد حازم يعرف من ابن تؤكل الكتف يسترشد برأي والده العظيم في المسائل المهمة . فكان كالمستقل في ادارته على ماتبين من الرسائل التي صدرت من محمد علي لابنه ابراهيم وبالعكس وفيها مثال من تلك الادارة الرشيدة . فاستخدمت انكلترا للوصول الى غرضها من اجلاء المصريين عن الشام جميع مالديها من قوة على يد القائم بكبير ذلك المستر وود السياسي المحنك الذي جاء سوريه باسم مستشرق يرغب في درس اللغة العربية وارسلوه الى بطريقك الموارنة فاسلمه الى احد رهبانه يعلمه ، فما هي الا ايام حتى رجع الراهب الى بطريقك كه يقول له ان الذي فوضت اليه تعليمه ليس طالب علم ، بل هو يرمي الى مقصد سياسي على ما يظهر فقال له بطريقك : قم بالواجب الذي عهدت اليك ولا تدخل في الفضول .

ورب قائل يقول وهل كانت اعمال ابراهيم باشا في الشام كالم سديدة فالجواب انها بالقياس الى اعمال العثمانيين عظيمة جداً وقد يغلط ابراهيم كايغيلط اعظم الرجال والفلط غير مأمون على من كان في مثل حاله . فمن اخطائه انه رخص لضباطه ان يتجردوا وما ادرى ان كانوا هم الذين جعلوه امام امر واقع فاضطر لاغراض الطرف عنهم وكان في ذلك الفرر على الرعية . ومن خطيباته السياسية تنفيذ اراده والده بتجنيد الشبان وكان عليه ان يقول له ان القوم غير مستعدون للتجنيد وانه شق الجندية عليهم والواجب اخذ البدل

النقيدي من لا يحب الدخول فيها . وقد اخذ اعداء ابراهيم باشا من قضية الخدمة العسكرية مادة لحمل بعض العناصر على العصيان عليه والاشتراك من حكمه وكان في مقدمة من رفضوا الخضوع لارادته الموارنة والنصرية والدروز وعزيات جبل نابلس اما سائر الاقاليم فقد خضعت للنظام الجديد مرغمة .

كان حكم ابراهيم باشا في الديار الشامية سعيداً في الجهة ادركت الرعية الفرق بين حكم المصريين وحكم العثمانيين خصوصاً والمصريون اقرب الى الشاميين بطبياعهم ولغتهم . نعم كان حكم المصريين شديداً وبغير الشدة لا يحكم شعب فسد كيانه واخل في معظم مشخصاته واضعفت قرون استبداده مضت عليه قواه العقلية وحيويته الاقتصادية والعلمية . وكيف لقطران يسعد سعادة كاملة وقد اندمج في سكانه عشائر وقبائل ليس بينهم وبين الحضارة ادنى صلة وفيه اديان كثيرة وطرق صوفية غريبة . ولذلك رأينا من قاتلوا مع المصريين لاول الامر مفتيطنين عادوا فانقلبوا عليهم بتأثير الدرهم والدينار . والوطنية لم تكن تعهد يومئذ في الشام ولا في مصر ، وكانت الوطنية ما يريده صاحب القوة او الفاتح المتغلب .

وأكثر من ارتحوا الى حكم ابراهيم السواد الاعظم من الشاميين سكان المدن والقرى وجمهورهم من المسلمين (اهل السنّة والشيعة الامامية) والسيحيين ماعدا الموارنة . ولما صدر امر محمد علي الى ابنه ابراهيم بالجلاء عن الشام ودعه اهل دمشق يدموعهم آسفين على الأيام التي اراثم فيها من عده ما هليوا له وكبروا . وذكروا ان المظالم بعد جلاء الجيش المصري ستعود الى سابق حالتها ، وإن العثمانيين وان شاركهم الانكليز في حكم القطر بالمسير وود ومن استصفوه على صورة غير ظاهرة لغير العارفين ليس في وسعهم ان يسيروا في ادارتهم على غير طريقتهم في الامال والاستخفاف بطالب الشاميين . وقاد الشيء لا يعطيه .

وننتقل الآن إلى صفحة أخرى ذات معنى يفهم منه طرز ادارة ابراهيم باشا وهي حكايات تدل أيضاً على بعد نظره .

(١) ترجمى اليه أن السيد أسد البكري اتفق مع شريف باشا والي دمشق على بيعه مزرعته في قرية جرمانا فاستدعاه وسأله عن قصده من بيع ارضه فقال انه مضيق فإذا باعها تفتقض بثمنها وتبعيغ في معاشه . فقال الباشا : تعرف أن شريف باشا صهري فانتقال ملكك اليه انتقاله الى اختي فأنصحك أن تعدل عن هذا البيع حتى لا تكشف حالك بعد مدة عندما تصرف في الصرف ، وإذا عصيت أمري وبعث ملكك أنيفك الى السودان .

(٢) شكت اليه امرأة فلاحة أن أحد جنوده اختطف من يدها علبة لبن وشربها ، فسألها هل تعرفينه قالت نعم ، فأمر بجمع الكتبية كلها فمحاجة المرأة عسكره ببصرها ، وقالت لها هو فقال لها : (ياولية) أنا الآن سأبقر بطنه الجندي فإذا تبين انه هو شارب لبنك كان قد نال جزاءه والا فاني قاتلك به . فتناول الباشا النمسة - من سلاح تلك الأيام - وقطع الجندي نصفين فصال اللبن .

(٣) اراد ابراهيم باشا أن يستصدر فتوى من علماء دمشق لخدمة سياسة والده في نزع القطر من العثمانيين فاعتراض كبير علمائها الشيخ سعيد الحلي على صبغة الفتوى ونقضها من عدة جهات فاختفى القائد في الوصول الى غرضه وغضب وزاد في غضبه انه ما سبق للشيخ أن زار البasha كسائر المشائخ كما هي العادة . فسأل أين يجلس الشيخ فقالوا له في الجامع الأموي وله غرفة فيه يقرئ فيها تلاميذه فتحين البasha وقت وجود الشيخ في حجرته ودخل عليه وجلس فما التفت الشيخ اليه ولا قام اجلالاً له حتى أتم الدرس وهو يمد رجله ثم حول وجهه الى البasha وسلم عليه سلاماً عادياً ولم يغير جلسته فاستاء البasha من هذا الاستقبال البارد ، ومن الغدر ارسل الى الشيخ صرة جنيهات فردها وقال للرسول : انيأشكر البasha على عنایته وأرجو ان تقول له اني غني و من يمد رجله لا يمد يده . قال البasha لخواصه لو قبل الشيخ صرة الدرام لقتله لاني اعرف عندئذ انه منافق ظاهره غير باطنه .

(٤) وشى واش باليد نسب حزة من الاعيان فنفاه الى عكا مطلق السراح على أمل ان يأتيه من يشفع به فيعود الى بلده خصوصاً والوشائة ضعيفة فما تعرض انسان لهذه الشفاعة فاراد البالا ان يغير خطأه فاعتذر زيارته نفر عكا وسائل عن السيد الشريف وعنه انه لا بد ان يخف السلام عليه فيبلغه العفو عنه ولا لم يجيء الشريف للزيارة سأل ابن مجلس السيد نسب فقيل له في جامع الجزار وله فيه غرفة فقصد الى الجامع فلم يخرج الشريف للسلام عليه فسأل البالا ابن حجره فقيل له هذه فقرع عليه الباب وخرج ابن حزة فلم عليه القائد سلام حب وعطاف وقال له : أما اشتقت الى دمشق انا احب ان اراك هناك ، واصلح غلطه الناشيء عن التسرع باصدار امر النفي .

وله من ذلك قصص كثيرة لايزال اهل المدن والقرى يتناقلونها .

سألني الامير عمر طوسون (رحمه الله) اذا كان ما كتبته في (خطط الشام) من تأليفه في دور ابراهيم باشا بالشام هو صحيح كله فقلت له كله صحيح ما خرجت فيه عن تدوين التاريخ الحق فقد ادركت رجالاً ادركتوا عبد ابراهيم وكانتوا من المدركون فقصتوا عليَّ ما سمعوه ورأوه ، ثم اني قرأت كل ما وصل الي يدي مما كتب عنه المعاصرون بالعربية والافرنية ومحض الروايات ، وهل أنا مصرى حتى أجامِل بما كتبت رجالاً من رجال بيتك الملكي الكبير وأكمِلْتَ الحق مراعاة للمصلحة ، فقال الامير الحمد لله .

بقي ان يقال هل كان من الخيرضم الشام الى مصر أم كانت الشام بعد استقرارها بيد المصريين تعود سيرتها الاولى من الاستبداد ، فانا ارى أنها كانت تسعده بحكم محمد علي الكبير وحكم ابراهيم فقد شهدنا هذا بدأ باصلاح الديار الشامية من أول يوم رفع كابوس العثماني عنها ، ولو اطرب الاصلاح لاصبحت الشام أرقى من مصر لاستعدادها الطبيعي لكل ضروب المدنية ، وربما كانت تكفى غائلة سلخ لبنان وشرقي الاردن من جسمها وتنجو من غائلة الغوائل واعني تقسيم فلسطين وانشاء دولة يهودية تفصل بين جزيرة العرب والعراق والشام وبين مصر وبرقة وطرابلس وتونس والجزائر ومراکش .

لهمسة في أذن السياسي

المحظى حتى انتخب المجمع العلمي العربي عضواً مراسلاً له في حلب
واشترطت عليك بصفتي رئيسه ان تجتمع اعضاء الشهاده وتشغلهم بما ينفع العلم
وينشر الثقافة ، فاعتذررت بان المال يعوزك فنزلت لك من موازنة المجمع
العلمي عن عشرة آلاف ليرة سورية تتفقها في الوجوه التي يراها اعضاء حلب
واجية الصرف من طبع ونشر واقتناه كتب ، فماذا كان منك حتى الآن ؟
لم اسمع انك أقيمت او أحد مواطنبك حاضرة ، ولا ان نشرتم كتاباً
ولا أن عاونتم دار الكتب بما ينتميها ، ويجب الى شباب الحلبيين الاختلاف الى
قاعاتها . اخذت لقب عضو المجمع واكتفيت به ، وقانونه يقصيك من
عفوته اذا لم تقم بما اوجب عليك اما قانون الوجдан فأفعل من ذلك لمن
ينصف . فان كنت مزمعاً ان تظل على حالتك التي درجت عليها منذ
بعض سنين فما احرارك ان تستقيل من هذه العضوية حتى لا يخجل من كانوا
واسطاءك وزعموا انك خدمت الوطن فكنت جديراً بهذا التشريف .

ثم اني ارجوك ان تنظر مليأً فيما تبعث به الى مجلة المجمع العلمي من مقالاتك
وأن تقرأها على ارباب هذه الصناعة حتى اذا أقرتك على ما كتبته تبعث به للنشر
ومقالاتك في الحقيقة من النوع الذي لا يمكن ان ينشر في مجلة كمجلة المجمع العلمي
العربي لغرض في تراكيبيها فهي أشبه بمقالات الزهراوي الحصي والشريبي
المصري ، وأرجو ان تعرف بعد هذا ان العلم غير السياسة /

آباء وأنبياء

من أشد ما كان يؤلمني منذ أدركت مبلغ جهد الأمم الغربية في القضاء على الأمية أن أشهد في أقليم من أقاليمنا جهلاً مطبقاً لا تصعب مداواته إذا قامت الحكومات والحكومة عليهم يدأ واحدة لتعليم الناشئة . ورأيت بعض النابحين أسوأ في حواضرهم جمعيات قصدوا منها تعليم من تجاوزت أعمارهم سن التعليم يدرسونهم في أوقات فراغهم من الليل ما يخرجهم من الأمية فيتعلمون القراءة والكتابة والحساب وبهذا الجهد الحسن اندثرت عشرات الآلاف من الجهل المطبق ، فلو قد كثُر عدد هذه الجمعيات في كل بلد وأنشئت مدارس ليلية ونهرية في الأحياء والقرى لخفاوا عن الحكومات بعض ما يقع عليها من عبء وتعاونوا كلهم على ما ينبغي للسكان من التواكل وذلك بان تأخذ الجمعيات على نفسها مراقبة مدارس الحكومة على نحو مترافق مدارسها نفسها فتكون الجمعيات الأهلية والحكومات النظامية كالشيء الواحد . والدول منها بذلت من مال لنشر المعارف تبقى إلى جانب القصور ان لم تشاركها الرعية وتدفع قسطها من هذه الخدمة الوطنية . وإذا تم تعاون الحكومات والبلديات والجمعيات وساهمت كل منها بما يخصها من هذا الواجب لا تمضي سنون قليلة حتى يصبح الأهلون على جانب من التمدن الصحيح يفهمون رجالهم ونسائهم بعض ما لهم وعليهم .

والواجب حق الواجب أن تتحبب المطالعة إلى كل من يفك الحروف وذلك بوضع رسائل صغيرة توزع مجاناً على من يقرؤون ، وتكون موضوعاتها الأخلاق والزراعة والصناعات الزراعية واليدوية والصحة والاقتصاد والتاريخ والمجتمع ، وحكايات تربى الملائكة وتلقن الشجاعة والمرودة والوطنية . وتكون كتب الأطفال غير كتب البالغين تناسب مدارسهم وتوفي بما تتطلبه الحياة منهم من المعارف وتكتب بعبارات سهلة معرفة لا تعقيد فيها ولا إيهام

وفيها من الصور والرسوم ما يحجب النظر في صفحاتها لـكل انسان ، تقدمها الجميات لـكل من يستفيد منها بالجحان أو بمقابل قليل .

وقد رأينا من تعلموا التعليم الأولى والابتدائي ينسون ما تعلموه بعد سنين ويعودون أميّن لا يغفلهم تعمد ما تعلموا بالذاكرة والمطالعة . وائم ما تدعوه اليه الجميات أن تعلم الفلاحين صناعات بسيطة يمكنهم معاناتها في بعض أيام العطلة ولا سيما في موسم الشتاء وفيه يزيد التبطل أكثر من المواسم الأخرى في جميع البلدان الزراعية فتحبّص الصناعات بهذا مادة ربيع في أيدي الفلاح ، وأداة جحيلة لقضاء الوقت فيها ينتفع هم فائدة ، ويدفع عنهم بعض العوز ، ويحفظ لمجموع الأمة جانباً من ثروتها .

الأمية علة العلل في مجتمعنا رأيناً تأثيراتها السيئة في مصر نا انتشر الوباء الأخير فيها ، ولو كان القوم أكثر تعلماً نا انفقت الدولة ما انفق من الأموال ، ولأنّه أخّاع الأمة ما أخّاعت بالجبل من النساء والرجال والأطفال

المؤلفون والملوك

حدثني صديقي الاستاذ حسن توفيق العدل رحمه الله قال : يوم كنت في بولندا موفداً من وزارة معارف مصر لدرس علم التربية والتعليم سمعت أنه ظهر في المانيا مؤلف جديد ما كان من المشهورين قبل أن يؤلف تاريخ حرب الثلاثين سنة ، وما علم أحد بما شغل به سنين إلا لما أنجز كتابه وطبعه . وأجمع الألمان على أنه كتاب ما ألف في بابه مثله . قال وبعد أيام رأينا الامبراطور غليوم الثاني في مركبته والى جانبه ذلك المؤلف الذي بهر المانيا بتأليفه ، وهكذا أكرم العاهل العظيم المؤلف العظيم . وما يؤثر عن تيمورلنك من ملوك القرون الوسطى أن السعد التفتازاني

لما ألف كتاب المطول في علم البيان وعرضه عليه أعجب به وأمر أن تصنع منه نسخة نفية مذهبة وتعلق على باب شيراز ، دليلاً على أن تيمورلنك وملكته يفخران بعلم كالسعد . قام تيمور بهذا وهو على الأغلب لا يحسن العربية ولا البيان العربي ، وعلى الرغم مما كان عليه من ظلم وقسوة أكرم السعد هذا الأكرام ليقال انه يحمي العلماء ويقدر اعماهم فدرها . وجرت عادة الخلفاء والأمراء والوزراء في الإسلام أن يكرموا المؤلفين بالعطايا يُدرؤونها عليهم ليستدرروا فيض قرائحهم فتبنيت إلى خدمة العلم والأدب . ومن أرباب التواليف من جعل من هبات العظاء علة معاشه ، ومن عظاء الوزراء من كان لهم طبقات من المؤلفين يجرون عليهم الرواتب والجراءات . وكان أصحاب السلطان يعدون هذه انكرمات من واجبهم ، ويتنافسون في الاستئثار بكتاب المؤلفين ، وبابواه أكبر عدد منهم في قصورهم . والملك الذي يكثر ببابه العلماء والشعراء يعد نفسه وبعده قوله من السعداء .

يقول جبون المؤرخ الانكليزي عند كلامه على حماية المسلمين للعلم في الشرق والغرب أن ولاة الأقاليم والوزراء كانوا ينافسون الخلفاء في إلاء مقام العلم والعلماء ، وبسط اليد في الإنفاق على إقامة بيوت العلم ومساعدة الفقراء على طلبه ، وكان من ذلك أن انتشر ذوق العلم ووجد أن اللذة في تحصيله في نفوس الناس من سرقند وبخارى إلى فارس وقرطبة ومن عادة ملوك العرب في عصرنا أن يبادروا إلى شكر المؤلف بالسان ان كان من يرخص له مقابلة الملك ، وإذا كان المؤلف بعيداً من الملك يشكروه كاته بالنيابة ان كان المؤلف صاحب مكانة . والمؤلف الذي يفوز بشكر الملك بعد ذلك من دواعي الفخر له ولابنته وأحفاده . أما رؤساء الجمهوريات فلا يعبأون بهذه الاعتبارات ولا يشكرون المؤلفين بالسان ولا بالقلم كأن الجمهوريات تقوم بغیر الشعر والأدب كما قال أحد طواغيت السياسة .

أمية المسابع

فوري الجيل في الولايات العربية على العهد العثماني والدولة ترغب في امتداد أيامه وتقوية أواصره لأنها تعتقد أنها تبقى حاكمة على العرب ما داموا جيلاً ، وإذا تعلموا واستنارت عقولهم خرجوها عن حكمها . وساعده على نشر سياسة الجبالة من لا يخافون الله من أرباب المناصب الدينية الكبرى ، وما كان هؤلاء الا أرباب الوجوه الصفيفة من ورثة المناصب أو من ابناها بالدراما .

وتولى رئاسة العلماء في مدينة دمشق استاذنا العلامة سليم البخاري فشق عليه ان يشهد شرع الاسلام بأيدي الأمين الجبالة فبدأ باخراج السقيم من بينهم والبقاء على السليم منهم . وببدا للشيخ أسعد الصاحب وكان نشر كتاباً ورسائل استكتبهها بالأجرة ان يقنع شيخ العلماء بأنه عام ومؤلف فتباين نسخاً من تأليفه وشخص الى مقام الرئاسة ، فصادفه أحد اقرانه وهو على مستوى من العلم فسأله عن وجنته وعن الكتب التي يحملها فأجاب انه ذاهب الى رئيس العلماء ليطلعه على بعض مصنفاته . فقال له : أنا انصح لك ان ترجع من حيث اتيت انت وما تحمله من كتبك . فاني اخشى ان يفتح لك الرئيس ، وهو يعرفك معرفة جيدة ، صفيحة من تأليفك هذه ويطلب اليك ان تقرأ له ، وانت لا تستطيع ان تتلو مقطعاً واحداً دون ان ترتكب عدة غلطات . فقبل المؤلف نصيحة زميله وعاد ادراجه . ذكرت هذه القصة لما استعرضت تأليف بعض المحدثين من المؤلفين وكيف يحاول بعضهم ان ينفقوا على الامة بضاعة مزاجة ، وينشروا سخافات وترهات ، ويساعدون رخص الطبع والورق واعفاء الكتب من المراقبة . وما بلغ من فطنة الكثرة الكثرة أن تفرق بين الجيد وغير الجيد بما تخرجه المطبع . وكان بعض شيوخ الأزهر في القرن الماضي لا يحسنون من التأليف

شيئاً ويستجدون زملاءهم تقاريظ لكتبهم قبل أن يشرعوا في تأليفها . فتهال عليهم أماديع أقل ما يقال فيها أنها شادات مزورة (راجع فصل القول في تآليفنا من كتابنا *اقرئ الكتاب فأفعالنا*) .

وما يسر ان التآليف التي صدرت منذ اول الحرب الأخيرة الى الان أجود في الجهة من التي صدرت في العشر السنين التي تقدمت هذه الحرب . وما زالت تآليف الأذكياء تزيد على الأيام اجاده . اما التآليف السخيف فهي كما جرت العادة أن تكون ولا يصدر عن السخيف الا السخيف والأسخف . والتافه مع هذا رائع واجيد كاسد ، ومن يميز بين الصنفين من التآليف مادام ذوق الجمهور «نحطأ» غير سليم وما يغبط به ايضاً ان بعض ما نشر بعد الحرب من الكتب كان يقصد به الوصول الى غرض علمي او ادبي او اقتصادي او سياسي وخفت الموضوعات الدينية ، وفيما ورثناه عن السلف الصالح *عني* عن كتابة كتب جديدة في الشرع ، وأين اليوم من يكتب بمثل تحقيقها وتدقيقها .

ورأينا صدور بعض المؤلفين أخذت تتسع اليوم لساع النقد على كتبهم ، وكانوا قبل ثلاثين أو أربعين سنة يتأنون من النقد والنقادين ، ويعدون قبولهم تصحيح أخطائهم اقراراً بجهلهم ، فكانوا يطعنون بالنقد ويزيفون علمهم . ولذلك ان الحكم ان الذوق اخذ يرتقي بظهور هذه الطبقة المحتردة من المؤلفين وعددها يزيد سنة عن سنة والسواد الأعظم منهم يؤثر اخراج مؤلفات قليلة محوّدة ولا يسف إلى معالجة الأبحاث التي سبق للآفلام ان تعاورتها ، والفرق ظاهر بين الكتب المؤلفة اليوم والمؤلفة قبل خمسين سنة .

علمهم الحال

يقول علماء النفس ثلاثة تحدو المرأة على العمل : الخنز والحب والطعم .
فليدع بعضهم الرغبة في المال طمعاً ، وليسه آخرون الطموح الى المجد
فهذا ما لا يؤبه له . فليس من السعادة الحكيم ولا التقى ولا البطل ولا العام
ولا الشريف ، وما السعيد إلا من له مال وله امرأة يحبها ويستمتع بصحبة حسنة .
وعندنا ان السعيد من يحدد مطامعه ، ويرضى بما وصل اليه من المظاهر ،
وما يحصل عليه من مال ، وأن يكون آمناً في سربه مرتبطاً بقربينته
قرير العين بأولاده .

لا تفرح لوقوع الشر حتى في بيت عدوك فانك لا تأمن سرانته الى بيتك .
تجنب التقية في بعض امواطن ، وعليك تضليل عقل من يحاول كشف
خيئتك ، واستدرأجك انى الخوض فيما ينفعه ويضرك
اتق مجالسة الأشرار واعمل على الا تستمعهم الا مبهمات لا يبني عليها
حكم ، وتموييات تضلل بها عقولهم .

قد تنحل المعضلات بتظاول الزمن ، وتسكن الخرازات والثارات ،
وتضعف حدة الاحقاد والساخائ .

كلما تقدم الزمن يكثر الجنس الذي لا يبالي بما يحدث لللوى والعدو ، فتنحل
روابط البيوت ، وتترافق علاقتي حسن الجوار ، وينصب معين الرحمة من
القلوب . ويوم كان الجار يتم بجاره ، والصديق بصديقه ، والرجل بذوي
قرباه كان الناس بخير أكثر من عهدنا هذا ، ما في ذلك شك . ولما كثر
قول أنا ومن بعدي الطوفان دب التخاذل وشلل الضعف . ويقل ذلك ويزيد
على قدر الاعتقاد بجوهر الأديان ، واسترسال الجلق في الكفر واللحاد .

تحجرت قلوب الناس اليوم وان دخلهم التمدن وكانوا بالامس مفطورين
على الرحمة علي قله حضارتهم .

سمحة الهمه ازدائ

اذا رأيت فرداً يصاب بقصبة وليس حواليه من يواصيه فـأيقن انه مامر
في خياله يوماً ان يؤاخي انساناً . ومن لا يهمه احد لا يتم له احد ، و اذا شهدت
رجل لا يعطف عليه أحد فاعرف انه هو لم يعطف على انسان . و اذا تحلى لك
أن الاجاع كاد ينعد على حب شخص فـأيقن أنه هو تقدم ودفع عن هذه
المحبة ، وعاد قومه يقابلونه عليها .

للهال زكاة وللبهاء زكاة وللذكاء زكاة فاذا لم يؤد صاحب هذه العفات
زكاة مارزق من تلقاء نفسه يدب الحق فيها أنعم به عليه .
مادام جارك لا يجد كفايته من القوت لاتعدن ما أنت فيه سعادة .
لاتأمل اخـير من قدمـت اليـهم الشـر ولا تـغرنـك ابـتسـامـتـهم فالـبغـاءـ
لاتـنـحـيـ من قـلـوبـهـمـ .

الابتعاد عن الاشرار خـير دـوـاءـ لـيـسـوكـ .
اذا وقرتـ الكـبـيرـ وـالـصـفـيرـ وـقـرـائـ طـوـافـ اـلـنـاسـ .
لاتـسـمعـ الىـ حـدـيـثـ لـاـيـفـيـدـكـ وـاقـلـ منـ نـقـدـ اـحـلـقـ الاـ اـذـاـ كـانـواـ هـنـ
يـسـنـونـ عـلـىـ المـصـالـعـ الـعـامـةـ .

اذا طلبتـ رـضاـ اـبـيـكـ وـأـمـكـ وـأـسـتـاذـكـ فقدـ حـزـتـ الـكـمالـ .
منـ قـبـيعـ الـعـادـاتـ عـادـةـ استـعـارـةـ الـآـنـيـةـ وـالـفـرـشـ وـالـثـوـبـ ، وـمـنـ أـفـجـهاـ
استـعـارـةـ الـكـتـبـ الـمـطـبـوعـةـ فـاـنـهـ تـؤـخـرـ نـشـرـ الـعـلـمـ وـتـضـرـ بـطـابـعـهـ وـمـؤـلـفـهـ .
لوـ كـشـفـنـاـ أـخـلـاقـ طـوـاغـيـتـ الـمـلـوـكـ لـكـانـ لـعـنـهـمـ أـقـلـ مـاـيـجـازـونـ بـهـ .
كـيـفـ لـاـ يـجـلـ اـبـنـ الـبـيـنـ وـنـجـدـ وـالـحـجازـ اـذـاـ شـاهـدـ اـقـطـارـ اـعـرـبـيـةـ كـالـعـرـاقـ
وـالـشـامـ وـمـصـرـ اـرـقـيـ منـ بـلـادـهـ فـيـ مـعـظـمـ شـؤـونـ الـعـلـمـ وـالـمـدـنـيـةـ .
ناـصـحـ الـمـلـكـ الـفـشـومـ يـجـلـ لـنـفـسـ الـكـراـهـةـ وـالـمـقـتـ .

قلـ فيـ طـبـقـةـ الـعـالـمـ مـنـ يـنـصـعـ لـسـلـطـانـهـ لـاـنـهـ وـطـنـ نـفـسـ عـلـىـ الـعـبـودـيـةـ
اماـهـ ، وـلـيـسـ فيـ طـبـقـةـ الـعـبـيدـ مـنـ يـجـرـؤـ عـلـىـ سـيـدـهـ .
مـنـ يـكـثـرـ مـنـ تـبـدـيلـ الـحـرـفـ يـنـتـهـيـ بـالـفـلـاسـ ، وـمـنـ بـصـاحـبـ كـلـ بـوـمـ

صاحبًا جديداً لا يبقى له صاحب حق يفرغ إليه عند الشدائد .
 من الآثار العجيبة أن يطالبك بعضهم بأن تكون له بوق دعائية أبداً
 وإذا قصرت يوماً أكثر من لومك وعتب عليك كأنما يتقاضاك ديناً أسلفك
 إيه وهو لو حاسب نفسه حساباً يسيرًا لترين له أن ليس له عليك أقل منه .
 افعوك من شع من يطالبونك أبداً بأن تهدي إليهم وهم ماخطر لهم
 مرة واحدة في العمر أن يهدوك شيئاً ، يريدون ان تجود عليهم وهم مسكون
 الامساك القتال .

روى بعضهم على لسان رئيس نزلت به محنة : أين من اطعمناه لو كانوا
 كلاباً لعرووا ولو كانوا قططاً لمواراً نسيع لادهم حوتاً ارتفع في الاحتجاج على
 ما حلّ بنا . وفاته انه لا يرجي منهم ان يأتوا غير ذلك لأنهم سفلة ومن يصطنع
 السافل ويعرفه خليلاً مخلصاً يرثى لضعف عقله ووضعه المعروف في غير اهله .
 شهدت جيلين متافقين من الناس أحدهما يعتقد كل شيء والثاني ينكر
 كل شيء . الواحد إلى الأفراط والآخر إلى التفريط . الأول مؤمن بكل الفرض
 والواجبات والنواقف يثبت ما صح وما لم يصح والثاني ملحد الاخلاق كله ،
 وكفة الدين راجحة عند الاول أبداً وكفة الدنيا شائهة عند الثاني ، لا يهمنا
 بالاول والثاني الا اذا اقبل الناس على القول بقولهما دون بحث ولا نظر
 بالامس كان الدجالون في الدين اوفر عدداً من الدجالين في السياسة
 واليوم زاد عدد الدجالين في السياسة على عدد الدجالين في الدين لأن السياسة
 بها يكون الخوض فيه لانحتاج إلى رأس مال من درس وتعب وليس
 كذلك الدين .

إذا رأيت لفينما من العامة مجتمعين على أمر لا تدرى ما هو أسرع خطاك
 لا تدخل في غمارهم ، فقد تدعى إلى الشهادة في المحكمة فتضيع وقتك بين
 اهمال القاضي وتختلف الشهود والمدعين .

لاتحرك عش الزنابير فانها توشك أن تقرصك وتؤلمك جراء تهورك وفضولك .

لا تقدم على أمر تعتقد اعتقداً جازماً أن الخطير فيه أكثر من السلامة

فقد قالوا : «ليس المخاطر محموداً وان سلاماً » .

عجب بعضهم من أن من كانوا من أنصار الدولة الماخية عادوا فتقىصوا
أنصاراً للدولة الخالفة وما دروا ان السابقين ما كانوا مع الدولة القائمة
إلا أدوات تديوها على ما تشاء وسيكونون كذلك في الدولة اللاحقة فهم
طلاب عيش يتبعدون من يضمن لهم عيشهم لا يحفلون الأخلاق ولا الوفاء
ولا معرفة الجميل هم عبيد من أطعمهم والمستعنون عن الدخول في أمر
لم يسبق لهم أن دخلوا فيه هم من الشواذ والشواذ قلة . . .

قالوا ان الدولة الجديدة رضيت عن بعض رجال العبد البائد و كانت
الأجدو بها ان تعول على غيرهم من الفريق الذي لم ينفع بتلك الصيغة
القبيحة فالجواب : كل دولة جديدة مضطربة الى استخدام بعض انماض
الدولة المقرضة لأن الماضين على ما فيهم من عوج وأمت يصلحون أن
أخلصوا للأعمال أكثر من سيؤتي بهم وهم لخبرة لهم ، والمجتمع يحتاج الى خبرة
وتجربة وبيد صاحب الشأن أن ينجي كل ساعة من لم يسر على طريقه
وينفذ رغائبه . . .

من تطال الى ارثاء الناس بحق وبلا حق بمحقره حتى من نالوا
منه خيراً أكثر مما طمعت فيه نفوسهم ، والشديد في الحق يكبر
عمله حتى خصومه .

لتألف من استهر بالكذب ولا تقبل حديثه ولو متفكهاً به ، وخير
لك ألف مرة أن تخلو من أصحاب على أن تازج الكذابين ، فالكذاب
نار موقدة اذا تركت وشأنها تحرق المسكن والساكن .

اياك ان تغتر بتوبة من درج على أكل ما لا يحل له في شرع ولا عقل
هو كالمرأة السوء يزيد فسادها كلما تقدمت في العمر .

في سير العظاء من أهل الشرق والغرب فوائد تتعلّى بها النّفوس ، أَدْمَ
فرايتها تستقد علمًا وخلقًا وتجارب وعبرة .

كثيراً ما ألمتُ من يقصد دور الامراض العقلية ليتفكه باحاديث المجانين
كما اتألم من عشرة من تلذذه عشرة المحسّن وارباب السذاجة والبلادة .

لا تكثُر من اصطهاب الخواص ولا تقطع عن سماع احاديث العوام ،
فمند الفريقين ما تعلم منه وترجع الى سباعه كاجد لاتختاله النفوس ابداً
فلا بد معه في الاحيin من دعاية وهزل .

بنيت المعتقدات الأخرى على التسلیم فاذاك ان تسلم بالجهولات في هذه
الدنيا كما عليك التسلیم بجهولات الآخرة فاذا كان في الاولى نجاتك فالتسلي
بالتانية هلاكك . والسلامة ابداً في الاعتدال والتوسط .

رأينا من يكثرون من الصلاة اقرب الى الغش واحذية من اقتضدوا
في صلوائهم وليس الاسلام بالصلاحة والصوم بل بالتحلي بالاخلاق الطاهرة والترفع
عن الدنيا .

أقبح بكذبة يخليها كذاب على من عرف بين الناس بالصدق .
من بعد الغضب المكرامة من التوافه هو أتفه التوافه ووضيع النفس
يرضى بالذل .

من يخنق من الأكاذيب على خصمه ما ليس له أصل في غير محنته
هو من السيفاء وإن تولى المناصب العلمية ودرس وألف .
من ظن انه يستطيع خصمته بالقول عليه يسقط من الآثار من حيث
لا يدرى .

من لا يفرق بين موقف الجد والمهرل عده في المقلين .
ما أسفت لشيء أسفني على عالم احرز منه في العلم وكانت درجته في
الأخلاق خمسة .

العلم صناعة يتلقىها من جد والأخلاق فطرة لا تكتب الا من حست
أصوله وفروعه .

قد تورثك الصراحة غضب بعض الخلق والصراحة خير من التمويه على أي حال .
ما أخطأت فراسني في المتعلمين من أبناء الطبقات الدنيا أخرجوا من
الجهل وما عروا من خشونتهم وخستهم .

في كتب المناقب من التخريف ما لا يصدقه صبيان اليوم فقاطعها كما

تقاطع كتب الكيمياء القديمة وكتب السحر والنجوم والطلasm والجفر والتصرف .
ما لا يصدقه عقلك فانبذه وانبذ أهله لا تشغل قلبك بالتراثات ولا بما
وضعه ارباب الأهواء وما اختلقه أبالية السياسة لاستبعاد ارباب الغلة والبلادة .
ما كل ما كتب في الكتب ودون في الصحف مما وضع لنفع الناس ،
فكثير منه كانت الغاية من تدوينه تضليل العقول .
اطرح من خزانة كتبك كل ما تعتقد فيه الضرر على عقلك وعقل
أولادك فالحشرة السامة تؤذى البدن السليم .
ما اكثر الكتب التي كتبها دعاة المذاهب الدينية والسياسية ولو صع
ما قالوه لبدلت الأرض غير الأرض .
لولا ما في بعض ما روي عن لسان بعض المخصوصة من بحث الأخلاق
لقلنا ان التصوف ما كان منه الا الاستغلال بالفضول .
لا تتعصّب ما لا ينفعك من الكلام ولا تحفظ الا الجيد البليغ واختر
من اسفار القدماء والمحدثين ما أجمع أرباب المدارك على استحسانه .
عجبًا لمن بسط الله لهم في الرزق كيف يقترون على أنفسهم ولا يدركون
أن الموت ملقيهم وانهم لا يأتون الى العالم الا مرّة .
ان أمكنك الا تعامل صاحبك ببال فافعل فالاشتراك معه قد يفقدك
صحته والصحة يجب أن تترفع بما يفسدها .
لو أعطى الغني حق الله وحق السلطان وحق عياله وحق نفسه ما رأيت
من يشكوا الفاقة وما وجدت الشيوعية لها مستجيباً .
ما تطول له الحشرة ان الخاصة يعجزون عن ابلاغ دعوتها الى العامة ،
وال العامة يسمعون اصواتهم لل وخاصة كل ساعة .
ما امتازت به هذه المدينة الحديثة ان كل فرد يحاول ان يستثمر
صاحب ا نوع الاستثمار : يستثمر عقله ويستثمر ماله ويستثمر حاته فإذا
ما وصل الى بغيته ينسى أو يتناسي ما أُسدي اليه .
لولا الخوف من القضاء على المرءات والعمل على احياء غريزة اللؤم
لدعوت جهزة الى الامتناع عن اداء المعروف .

من احنت اليهم واساءوا اليك اكثرا من اساءوا اليك وانت لم تسوءهم .
لو ظفر الفقير بالغنى ما ابقى له قوت ليلة ، ولو كتب للمخالفين في
الاديان ان ينال فريق من فريق ما ابقى القوي على ضعيف .
من كان الخير في دمه زاده الدين كما لا ، والفاسد في فطرته فلما يفيد من
تعاليم الدين ولا بما كتبه علماء الاخلاق في كتبهم .

كان احد ساسة الغرب يقول ليست الصعوبة في حكم الطبقة الاولى ولا
في حكم الطبقة الدنيا ، الصعوبة في حكم الطبقة الوسطى . وتعليق ذلك ان اهل
الطبقة الوسطى يعرفون كيف يطالبون ويشاغبون وكيف يدخلون ويخرجون
لو فكر علماء الغرب في طرق ابطال الحرب كما فكرروا في اسباب
دوامها ما وصلت الانسانية الى هذا الحال المزعج .

اذا حملت السبب في فقر القراء تبين لك ان اكثرا هم علة فقرهم .
لا يقف عمل الا من ضعف صاحبه واهماله اتخاذ الاسباب .

اذا اصاب الغرور انساناً كبيراً عليه فقد مات ، اذا اصاب دولة ففان
انها دالت .

متى اكثرت من التوافع ظنك ارباب الرفاعة وخسيعاً فكن مع من
تلقي في حالة بين بين لاتتعاظم ولا تصادر .
قد يفتقر جنون العظمة فيمن كان اجداده على شيء منها ولا يفتقر في
الوضيع الاصل الحديث النعمه .

ربات الشرف اكثرا سواداً من الفاجرات والشريرة منها حدتها نفسها
بالخنا تدرك ان شرفها مثوم من اول خطيبة ترتكبها .
لآخر في مجتمع لا يكافع فيه الكذب كما تكافع الامراض السارية .
بأي وجه يقابل الكذاب من كذب عليه ؟

من العادة ان يمسك الناس عن نقد صاحب الثان وهو في معظم سلطانه
فاذما ماسقط اخرجوا له من مساويه الخير والقبيح . كأنهم كانوا يجمعونها

ايم عزته ليجعلوها اليه صبره واحدة في محنته .
لو كان للخونة خير لانتحرروا يوم ينكشف امرهم للملأ .
رجل الدولة الذي يسرق الالوف والوف الالوف موهمـ انه في حل
ما يأخذ هو احسن من قطاع الطريق .
لو كان من دأبوا على الاضرار بالناس على شيء من العقل لأقسموا
اذا يضمروا شرآ لاحد ولو في قلوبهم .
النظام صحة وهناـ والغوضى مرض وتبلكـة .
اذا أردت اختبار صداقتـ من تصادق اقصدـه في افراحتـك ماؤـ ينجيكـ
من ضائقة .

من خان سيدـ الاولـ كان حربـاً أن يخونـ سيدـ الثانيـ .
السببـ فيـ أنـ العاطلـ فيـ الوزراءـ وـ كبارـ رجالـ الدولةـ أكثرـ منـ الصالـحـ
ذلكـ الغرضـ الأعمـيـ فيـ اختيارـهمـ .
من قضـوا أيامـ شبابـهمـ وـ شطـراًـ منـ كـهـولـتهمـ وـ هـمـ يتـجـرونـ وـ يـسـمـرونـ
وـ يـبـيـعـونـ وـ يـدـلـسـونـ لـاـ يـصـلـحـونـ لـشـيءـ منـ اـدـارـةـ الشـؤـونـ العـامـةـ فـكـيـفـ بـهـمـ اـذـ
تقـلـدواـ الـوزـارـةـ .

من أبغـ العـادـاتـ أنـ يتـقدـمـ أحدـ الـاصـحـابـ فيـ المـطـعـمـ أوـ اـنـقـهـيـ أوـ المـركـبةـ
أـوـ التـرامـ لـيـسـتـأـثـرـ بـاـدـاـ. ثـمـ ماـ أـكـلـاـ وـ شـرـبـاـ وـ اـجـرـةـ مـارـ كـبـوـ اـفـرـاهـمـ يـتسـابـقـونـ
وـ يـتـدـافـعـونـ وـ يـخـلـفـونـ الـإـيـانـ الـمـعـلـظـةـ ، كلـ مـنـهـ يـرـيدـ أنـ يـكـوـنـ صـاحـبـ هـذـهـ
الـمـكـرـمـةـ دـوـنـ رـفـاقـهـ ، تـشـاهـدـ ذـلـكـ فـيـ الـمـدـنـ وـ الـقـرـىـ كـلـ يـوـمـ . وـ لوـ كـانـ اـبـلـغـ
الـوـاجـبـ اـدـاؤـهـ كـبـيرـاـ لـأـحـجمـ أـكـثـرـهـ عـنـ الدـفـعـ .

لوـ كانـ لـسانـ الصـاحـبـ فـيـ غـيـرـ حـاجـبـ مـثـلـ لـسانـهـ فـيـ حـضـرـتـهـ لـتـدـاعـتـ دـوـلـةـ الـرـيـاءـ .
لوـ تـفـاـهـمـ الشـعـوبـ حـقـ التـفـاـهـمـ مـاـ تـيسـرـ لـقـادـةـ سـيـاسـةـ الـعـالـمـ آـنـ يـعـلـمـواـ
الـحـرـبـ وـ يـعـقـدـواـ الـصـلـحـ عـلـىـ هـوـاـمـ .
لاـ تـغـرـ بـصـيـغـةـ الـأـغـيـاءـ فـالـغـيـ لـاـ صـاحـبـ لهـ الاـ مـالـهـ ، يـنسـاكـ اوـ يـتـنـاسـاكـ ،
سـاعـةـ مـفـارـقـتـكـ اـيـاهـ .

ثبت أن دني الاصل يبقى وأولاده أدنياء إلى اجيال طويلة .
الفقراء اذا اغتنوا وحاولوا تقليد النبلاء في لباسهم وفرشهم ومسكنتهم
وحدثهم كالزنجي يكتسي ازياء الموصوفات بالاناقة من النساء .
لو اخذ الانتخاب الطبيعي حكمه في قومي فهلاك ثلاثة ارباعهم وبقي
الصالح للبقاء لما شكونا من جهل ولا أتينا من فلة تدبير ، وكان مجموعنا
اذ ذاك افضل من مجموعنا الان .
الكذب في العلماء افبح اثرا منه في كل الطبقات فليتدبر العالم عافية
كذبة يكذبها .

افرارك بالحسن من صفات عدوك دليل على انحصارك فاياك اذا غضبت
عليه ان تعريه من كل ما خص به .
اذا ائنیت على اهل الفضل بما فيهم كنت قمينا الا يغبطوك حرك من ثنائهم .
لما يخلو المرء من صفة تستجاد فيه فاعرف كيف تستخرج فوائد
وتفيض من حفاته .

دامت دولة بنى العباس بضعة قرون مع ظهور الضعف في كيانها منذ القرن
الاول وذهبت دولة بنى أمية بسرعة عجيبة على ما كان لها من اسباب القوة .
من بدأ حياته باعتقاد الخرافات لا يبلغ الشيخوخة حتى يكون بمجموعة
خرافات فاسأل الله السلام من مداناه صاحبها .
لو أنكر كل عالم خرافة أو خرافتين ما بقي في العامة شيء يصح ان
يطلق عليه اسم تحرير .

لو عريت معظم كتبنا القديمة من بعض ما شحت به لظننتها بما كتبه
أرقى علماء الغرب في هذا العصر .

ليس من شيمة الشريف أن يشتت بصائر من لا يجههم فالشيمات خلق الآدمية .
لو قام كل بواجبه في هذه الجمهورية الصغرى لعدت في ستين سنة في عدد
الدول الكبرى .

ما جلب الويلات على الشرقي احتقاره كل شيء .

لو كان عمل العربي أكثر من ذكائه لما أخاع ملكه وانحطت حضارته .
من لم يتعارف اليك يوم عزه فان من حقك ان تبتعد عنه أيام ذله .
من خفة العقل ان يتكبر من صار له مال او جاه فالعاقل في هذه
الحالات يزيد تواضعاً لاحتياجه الى الاستكثار من الانصار .
من اراد ان يعد في المير فليتکبر ما شاء .

ما اخرنا عن اللحاق باهل الحضارة الحديثة ان كل انسان يغفر نفسه من
الواجب عليه ويلقي على غيره كل التبعات بـ
لو امكن البشر حذف وجية واحدة من طعام كل يوم لسقط معدل عمله
الى نحو الثلث .

السيدة في الاصلاح

من يعد نقد الاخلاق بما لا يروق المتقدين غيبة وتأفيفياً هو ولاشك من
الجاهلين بما تصلح عليه المجتمعات وتفسد . ومن حكمت عليه حنبلية بالسكت
عن النقاد لايجوز ان يقدح من يجب القدر فيه فهو ارجاعي معطل يسره
ان يرى قوته في عمایة وغواية . وضال مضل لايدرك حکمة الأديان
والشائع من يجب الفوضى الى الخلق ويحاول ارجاعهم الى الجاهلية الاولى ،
وترك كل واحد وما يختار يكذب ويسرق ويعتدى ويرتكب الموبقات عامة .
وبعد فماذا كانت حال الانسانية ياترى لولاخوف الضعيف من القوي ،
وخشية الشقي من سلطانه ، وحذر الملاعيبين من كشف مساوئهم . لاجرم
أن من يذهب الى افراط كل أحد على هواه يعد مشعبدأ بمخرقاً .

دونا في هذه المذكرات بعض آراء في الاصلاح استدعها المقام ،
معتقدين انا لانصل الى تزيين الحسنات الا اذا حللتني السينات بكل ما فيها
من قبح وشناعة ، وانحبنا على من يبعث بحقوق الجماعة اعتقاداً منا بان ذلك
اللص الذي دللتنا عليه لو كان عمله لا يتعذر الا نفسه لطويينا على غره ،

اما وسياته تتناول الامة فنحن لانبالي بن يجادلنا فيما لاسبيل الى الجدال
فيه ، وشأننا معه شأن الجراح يقبح بيده على الموضع يشق الجرح النغار
لانأخذه شقة بصاحب أو يخرج من جسمه اماده القتالة .

واي سيف اعظم من سيف من يريدنا على ان نعد الحق والباطل سواء ،
ونبذ العالج والفالس في قرن واحد ، ونحن نعتقد انه لن يستوي الاصلاح

على ساقيه ان لم يضر المخربون على رؤوسهم بالتعاون الثقبة .

تاذى بعض من وجها اليهم كلامنا بتلاوة ما كتبنا ، وما استطاعوا
ان يردو على ما غاظهم من فضح سيئتهم ، وتمموا وتهاموا بينهم هذه الحرية
التي كشفت بها اسرار من كانوا يطمعون في ان يسكن عنهم . وحاول بعضهم
ان يرد علينا فيما كتبناه في بعض الصحف الرخيصة فقال له صاحبها ان
مؤلف المذكرات نشر كتابه باسمه فهل انت مستعد ان تزيل باستكث النقذ عليه ؟

فقال : لا

ونم يرض بعض السياسيين خاصة عن بعض مكتبة لهم في العادة يؤثرون
التمويه ويتعلقون بالكتاب ولا سيا فيها فيه تحربيهم ، وقد عري بعضهم من
صفات الخير . ولقد ود بعض الاذكياء لو حرجنا باسماء من عرخنا لهم ،
وهذه الطريقة غير مفيدة لانا نقصد بما كتبنا العبرة والتعليم لا التشفي والتسيهير .
وفي طي الاساء شيء من الحكمة رحنا به من حدنا الى عيوبهم سهامنا ،
وحملنا اليهم ما يرجى منه لهم بعض الصلاح .

وترامنا اليها وهذا ما كنا نرجوه أن أبناء التربية الحديثة من الشبان
المتعلمين هالوا لما وقفوا عليه هنا من أفكار فلما عهدوا احداً يجر على
تدوين مثلها ، وترنموا ان رأوا حلتنا صادقة على الظالمين والمخربين . والمقصود على
كل حال فائدة الناشئة ، اما من دب المرم في أجسامهم وعقوتهم فاكثرهم
لا يرتحون الا الى من يزيّن لهم ما أتوه ، وان كان من القبع بكاف
لا ينكره عاقل .

ربما وقعت لنا هنات كان الأجدار ان يسم منها كتابنا ، وما السبب
فيها الا بعض من ادلوا علينا بعلمومات وهموا فيها ، ومن ذا الذي عص

من الخطأ ، والاجتهاد مختلف في الحكم على من اشتركوا في معاناة المصالح ، العامة اختلف في انصافهم على ما يوجب الحق ، ويكتفى المؤلف وهو يفيض ، في مسائل متشعبة ، ان يحمل الى قوله ما خبره بنفسه .

مضت اجيال ما كان ارباب المدارك يجسرون فيها ان يقولوا شيئاً في اشكال الظلم ولا ان يذكروا الفاسدين باللسان ولا بالقلم لا بالتصريح ولا بالتلميح ولو قيضاً للامة طائفة تحسن السلوك الى طريق الاصلاح ما ظهر اليوم من يستحل الاغضاء عن البيئات ، ومن اجل هذا لا نكاد نجد مؤلفاً اجري قلمه بهذه القسوة ، ومنهم من فضل التقبية على مضمض مخافة الا يظفر بناصر بمحبه ، والقانون قد لا يرد عنه اعداء الحرية .

ربما قال من دأبهم الاعتراض على كل شيء ، والاستهانة بكل ومهل يستحق اشكال ماتنكرون كل هذه الولولة ، والعارفون في كل قرن ما فلروا في تقويم انعوج وما انجلت حملاتهم الا عن نتائج ضئيلة . الامر كما قلتم ايا السادة ومن ادعى ان كل حق يظهر اثره حين الدعوة اليه ، وقد لا تجني النتائج بقدر ما قدر لها ، وإذا نفذ بعض هذا الكلام عند الدعوة ناجحة . اما نحن فواجبنا ان نجبر بما نومن نفعه وليس علينا خمان النجاح ، كالطبيب لا ينقطع عن مداواة مريضه ولو كان الأمل في شفائه واحداً في المئة .

فهرس الجزء الثالث

من المذكرات

صفحة	صفحة
الحزب السوري ٧١١	المملكة ام اليمورية ٦٥٩
اصلاح الاخلاق ٧١٢	المجالس النيابية ٦٦٢
جمعية المقاصد الخيرية ٧١٦	النصح الخالص ٦٦٥
من آراء شيخ المصلحين ٧١٩	اللغات الغربية في الشرق ٦٦٧
موضع عجب ٧٢٢	ضياع الفرص ٦٦٩
المدنية الحديثة ٧٢٤	تعادي الأسر ٦٧١
طبقات الناس ٧٢٦	صرامة العلامة ٦٧٢
الشيخ طاهر والسياسة ٧٢٨	الخبلية ٦٧٤
الصغر والكبار ٧٣٢	اختلاف الشرقيين ٦٧٦
فساد الطرق ٧٣٣	الدعابة للفضائل ٦٧٧
فرنسا في شمالي افريقيا ٧٣٦	العلامة العربية ٦٧٩
اقوال معاولة ٧٣٨	الارمن وارتخالهم ٦٨٥
أهل السنة والشيعة ٧٤٠	مساجلة صديقين ٦٨٧
بني وبين الاستاذ الحوري ٧٤٦	الزواج بالاجنبيات ٦٩٨
مدرسة الجمال ٧٥٣	المرأة العربية ٧٠٤
اصباغ النساء ٧٥٤	الشيوعية في الشرق ٧٠٤
سخافة مؤرخ ٧٥٧	فرضى المجتمع ٧٠٢
حوليات مصر ٧٥٨	بلاغة ٧٠٨

صفحة	صفحة
تغدير العشائز	٧٥٩ تغizer الفقير
٨٢٣	٧٦١ اليهود في فلسطين
كثرة الكلام	٧٦٢ اللعن والشوارب
٨٢٤	٧٦٤ الجمع بين الثقافات
غلط كبير	٧٦٧ العيار العالي
٨٢٥	٧٧٠ رحلة الى المدينة المنورة
احسان واحتقار	٧٩٠ بطا، الادارة
٨٢٧	٧٩١ اسقاط المجمع العلمي
آغا خان ونظام حيدر آباد	٧٩٣ لانعاش اللغة العربية
٨٣٠	٧٩٦ الكاسب حبيب الله
الدكشن	٧٩٧ السكوت من ذهب
الجهل في القديم والحديث	٧٩٨ الالقاب والرتب والأوصية
٨٣١	٨٠١ شاعر المهجر
كلام سعيد	٨٠٣ شؤون
٨٣٥	٨٠٦ الدواء الناجع
الاوينيسكو	٨٠٨ خزانة عظيمة
٨٣٦	٨٠٩ الوطنية العربية
رجال الوزارات	٨١٠ سرقة الآثار
٨٣٧	٨١٢ العلم يعني
عشرة المئتين	٨١٣ الصحف والكتب
٨٤٠	٨١٥ الصدافة والسياسة
معلمة الاسلام	٨١٧ الدجل الديني
٨٤٢	٨١٨ الجامعة العربية
اضله الله على علم	٨٢٠ الكتب المقرؤة
٨٤٤	٨٢٢ ذكريات الغربيين
المؤيد والمقطم	
٨٤٥	
اكرام العرب	
٨٤٦	
عقول مخربة	
٨٤٧	
المسلمون يتعلمون	
٨٤٨	
عرش غريب	
٨٥٠	
بامم الدين	
٨٥١	
الاخوان المسلمين مؤذون	
٨٥٢	
الاشراكية في مصر	
٨٥٣	
حديث النعمة	
٨٥٦	
طبقات الوزراء	
٨٥٧	
حسنات الازهر	
٨٥٩	
عذر أقعبي من ذنب	
٨٦٠	

صفحة		صفحة	
٩٠٢	حزب الكتلة	٨٦١	الكل مسؤولون
٩٠٥	بطل دمشق	٨٦٣	هلال رمضان والعيدن
٩٠٦	سياسة رئيس	٨٦٤	دمشق
٩١٠	فاجعة فلسطين	٨٧٠	اعمال الاداريين
٩١٤	عدم التوفيق	٨٧١	رأي عادل
٩١٦	ادبية دورية	٨٧٢	بقايا الطرق
٩١٧	مارك العرب	٨٧٣	الفقهاء وكسوتهم
٩١٩	العلامة كريشكو	٨٧٤	السوداء الاعظم
٩٢١	غافر الشرقيين	٨٧٦	الاستعمار البريطاني
٩٢٤	جمود العرب	٨٧٧	ذكرى العظاء
٩٢٦	المطالبة المعقولة	٨٧٨	يسرقون ولا يدرؤون
٩٢٧	الحكم ملح الأرض	٨٧٩	حكمة حكيم
٩٢٩	نحن والامم	٨٨٠	وقعة سوداء
٩٣٢	نور به الحقائق	٨٨٠	اخلاق المربيين
٩٣٤	الدورة الكربالية	٨٨١	حظ الكتاب العربي
٩٣٦	نبوة عاقل	٨٨٣	الغنـى في مصر
٩٣٦	أكل الحرام	٨٨٤	عداوات البيوت
٩٣٧	طلاب المدارس	٨٨٤	الرسوة والتنسيق
٩٣٩	الحسد على المنصب	٨٨٦	سخف العادات
٩٤٠	التمايشية	٨٨٨	المؤلفون السارقون
٩٤٢	اذا جد الجد	٨٨٩	عمى الماديات
٩٤٣	العداوات الموروثة	٨٩٠	نهضة الشام الأخيرة
٩٤٥	داهية السياسة	٨٩٧	الثورة المباركة
٩٤٨	الغوى الضائعة	٩٠٠	الداعي الى الثورة

صفحة		صفحة	
٩٦٣	في عالم الاحلام	٩٤٩	المسألة الاجتماعية
٩٦٩	ابراهيم باشا في الشام	٩٥٢	سويسرا المحبوبة
٩٧٥	مسة في اذن الكبابي	٩٥٤	صناعة الفنادق
٩٧٦	آراء وآنباء	٩٥٦	الاسخناء والاشحاء
٩٧٧	المؤافون والملوك	٩٥٧	عمل نافع
٩٧٩	امنية المشايخ	٩٥٨	دار الكتب المصرية
٩٨١	علم الحال	٩٥٩	من اغنى العربية
٩٩٠	الشدة في الاصلاح	٩٦٠	كثرة الاصحاب
		٩٦١	الباب المفتوح



